منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي

قدس سره

الجزء الثاني عشر

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۱۲

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين علیه السلام و أوامره

اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

و من خطبه له عليه السّلام تسمى بالقاصعه و هى المأه

اشاره

و الحاديه و التسعون من المختار فى باب الخطب]

الفصل السابع

اشاره

ألا و إنّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعه، و ثلمتم حصن اللّه المضروب عليكم بأحكام الجاهليّه، و إنّ اللّه سبحانه قد امتنّ على جماعه هذه الامّه فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفه، الّتى ينتقلون «يتقلّبون خ ل» فى ظلّها، و يأوون إلى كنفها، بنعمه لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمه، لأنّها أرجح من كلّ ثمن، و أجلّ من كلّ خطر و اعلموا أنّكم صرتم بعد الهجره أعرابا، و بعد المواله أحزابا، ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه، و لا تعرفون من الإيمان إلاّ رسمه، تقولون: النّار و لا العار، كأنّكم تريدون أن تكفؤا الإسلام على وجهه انتهاكا لحريمه، و نقضا لميثاقه، الّذى وضعه اللّه لكم حرما فى أرضه، و أمنا بين خلقه، و إنّكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثمّ لا جبرئيل و لا ميكائيل و لا مهاجرين و لا أنصار ينصرونكم إلاّ المقارعه بالسّيف، حتّى يحكم اللّه بينكم، و إنّ عندكم الأمثال

من بأس اللّه و قوارعه، و أيّامه و وقايعه فلا تستبطئوا وعيده جهلا بأخذه، و تهاونا ببطشه، و يأسا من بأسه، فإنّ اللّه سبحانه لم يلعن القرن الماضى «القرون الماضيه خ ل» بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر، فلعن اللّه السّفهاء لركوب المعاصى، و الحلماء لترك التّناهى، ألا و قد قطعتم قيد الإسلام، و عطّلتم حدوده، و أمتّم أحكامه

اللغه

(نفضت) الورقه من الشجره أسقطته، و نفضت الثوب نفضا حرّكته ليزول عنه الغبار و نحوه فهو منتفض و (ثلمت) الاناء ثلما من باب ضرب كسرته من حافته فهو منثلم، و الثلمه فى الحائط و غيره الخلل و الجمع ثلم مثل غرفه و غرف و (الخطر) محرّكه السّبق الّذى يتراهن عليه، و خطر الرّجل خطرا وزان شرف شرفا إذا ارتفع قدره و منزلته فهو خطير و (الأحزاب) جمع حزب و هو الطّائفه من النّاس و تحزّب القوم صاروا أحزابا، و يوم الأحزاب هو يوم الخندق و (كفات) الاناء قلبته و أكفأته مثله و (بطش به) من باب نصر و ضرب أخذه بالعنف و السّطوه كأبطشه، و البطش الأخذ الشديد فى كلّ شيء و (تناهوا عن المنكر) نهى بعضهم بعضا.

الاعراب

قال الشارح المعتزلى: الباء فى قوله: بنعمه، متعلّقه بقوله: امتنّ، و فى من قوله فيما عقد بينهم متعلّقه بمحذوف و موضعها نصب على الحال، انتهى

ص:۳

و الظاهر من سياق كلامه أنّ ذا الحال هو قوله: بنعمه، أى امتنّ بنعمه حاصله فيما عقداه، و لا يضرّ تقدّمها عليه لكونها ظرفا يغتفر فيه ما لا يغتفر فى غيره، و يجوز أن يكون ذو الحال قوله: على جماعه إى امتنّ على جماعه هذه الأمّه حالكونهم ثابتين مستقرّين فيما عقد بينهم.

و قوله: النّار و لا العار منصوبان بفعل مضمر، أى ادخلوا النّار و لا تلتزموا العار، و انتهاكا مفعول لأجله لقوله: تريدون، أو لقوله: تكفؤا، و الثانى أظهر و أقرب.

و قوله: لا جبرئيل و لا ميكائيل و لا مهاجرين قال الشّارح المعتزلى: الرّوايه المشهوره هكذا بالنّصب و هو جائز على التشبيه بالنّكره كقولهم معضله و لا أبا حسن لها، انتهى.

أقول: قال نجم الأئمه بعد اشتراط كون اسم لا النّافيه للجنس نكره:

و اعلم أنّه قد يؤول العلم المشتهر ببعض الخلال بنكره فينتصب و ينزع منه لام التعريف إن كان فيه، نحو لا حسن فى الحسن البصرى، و لا صعق فى الصعق، أو فيما اضيف إليه نحو لا امرء قيس و لا ابن زبير، و لتأويله بالمنكر وجهان: إمّا أن يقدّر مضاف هو مثل فلا يتعرّف بالاضافه لتوغّله فى الابهام، و إمّا أن يجعل العلم لاشتهاره بتلك الحلّه كانّه اسم جنس موضوع لافاده ذلك المعنى، لأنّ معنى قضيّه و لا أبا حسن لها لا فيصل لها إذ هو عليه السّلام كان فيصلا فى الحكومات على ما قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أقضاكم علىّ، فصار اسمه كالجنس المفيد لمعنى الفصل و القطع كلفظ الفيصل، انتهى.

و عليه فالتّاويل فى كلامه أن يراد بقوله لا جبرئيل و لا ميكائيل أنّه لا ناصر لكم و لا معاون، هذا.

و على الرّوايه الغير المشهوره فالرّفع فى الجميع بالابتداء على أن لا ملغاه عن العمل، و هو أحد الوجوه الخمسه الّتى ذكرها علماء الأدب فى نحو لا حول و لا قوّه إلّا باللّه، و على أىّ تقدير فالخبر محذوف و جمله ينصرونكم وصف أو حال و الأوّل أظهر و أولى من جعلها خبرا أيضا كما ذهب إليه الشّارح البحرانى.

و قوله: إلّا المقارعه بالسّيف، يروى بالنصب و بالرّفع

أمّا النّصب فعلى أنّه استثناء من الأسماء الواقعه بعد لاء التّبريه لعمومها بعد تأويل الأوّلين منها بالنّكره حسبما عرفت، فانّ الكلام بعد التأويل المذكور بمنزله لا عوان و لا ناصرين ينصرونكم إلّا المقارعه، و يجوز جعل المستثنى منه ضمير الجمع فى ينصرون العايد الى الأسماء المذكوره، و على أىّ تقدير فالظّاهر أنّ الاستثناء متّصل بعد ارتكاب التاويل المذكور لا منقطع كما قاله الرّاوندى.

و أمّا الرّفع فعلى أنّه بدل من الأسماء المذكوره على روايتها بالرّفع، أو من ضمير ينصرون على روايتها بالنّصب، و الرّفع هو المختار كما قاله علماء الأدب فى مثل ما فعلوه إلّا قليل و إلّا قليلا، أى فيما إذا وقع المستثنى بالّا فى كلام غير موجب و ذكر المستثنى منه أنّه يجوز النّصب و يختار البدل.

و مرادهم بالكلام الغير الموجب كما قاله نجم الأئمه أن يكون المستثنى مؤخّرا من المستثنى منه المشتمل عليه نفى أو نهى، فيدخل فيه الضّمير الرّاجع قبل الاستثناء بالّا على اسم صالح لأن يبدل منه معمول للابتدا أو أحد نواسخه نحو قولك ما أحد ضربته إلّا زيدا يجوز لك الابدال من هاء ضربته لأنّ المعنى ما ضربت أحدا إلّا زيدا، فقد اشتمل النفى على هذا الضمير من حيث المعنى، و كذلك إذا كان الضمير فى صفه المبتدأ نحو ما أحد لقيته كريم إلّا زيدا، فانّه بمنزله ما لقيت أحدا كريما إلّا زيدا.

فعلم بذلك انّ جعل جمله ينصرون فى كلامه عليه السّلام صفه أو خبرا لا يوجب التفاوت فى الابدال من الضمير الّذى فيه.

قال نجم الأئمه: و الابدال من صاحب الضمير أولى لأنّه الاصل و لا يحتاج الى تاويل آه.

فان قلت: فعلى الابدال يكون بدل غلط فكيف به فى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام الّذى هو أفصح الكلام؟ قلت: كلّا بل هو بدل اشتمال، لأنّ نصره جبرئيل و ميكائيل و المهاجر و الأنصار لما كان بمقارعه السّيوف حسن ذلك للابدال، هذا ما يقتضيه النظر الجلى.

و أمّا الذى يقتضيه النظر الدّقيق فهو أن جعل انتصاب المقارعه على روايه النصب

ص:۵

بالمصدر كما قاله الشارح المعتزلى أولى، لافادته الدّوام و الثبوت.

بيان ذلك أنهم قد قالوا إنّ المصدر إذا وقع مثبتا بعد نفى داخل على اسم لا ـ يكون خبرا عنه إلّا مجازا لكونه صاحب هذا المصدر يحذف عامله قياسا نحو ما زيد إلّا سيرا، و ما الدّهر إلّا تقلّبا، و ما كان زيد إلّا سيرا، فانّ سيرا لا يجوز جعله خيرا عن زيد، لأنّ زيدا صاحب السير لا نفس السير، و هكذا لا يصحّ جعل تقلّبا خبرا عن دهر، فلا بدّ من أن يكون العامل محذوفا أى ما زيد إلّا يسير سيرا، و ما الدّهر إلّا يتقلّب تقلّبا، و فيما نحن فيه لا أنصار ينصرونكم إلّا تقارعوا المقارعه بالسيف.

قال نجم الأئمه: و إنّما وجب حذف الفعل لأنّ المقصود من هذا الحصر وصف الشىء بدوام حصول الفعل منه و لزومه له، و وضع الفعل على الحدوث و التجدّد فلما كان المراد التنصيص على الدّوام و اللزوم لم يستعمل العامل أصلا لكونه إما فعلا و هو موضع على التجدّد، أو اسم فاعل و هو مع العمل كالفعل لمشابهته، فصار العامل لازم الحذف، فان أرادوا زياده المبالغه جعلوا المصدر نفسه خبرا نحو ما زيد إلاّ ـ سير كما ذكرنا فى المبتدأ فى قولنا إنما هى أقبال و إدبار، فينمحى إذا عن الكلام معنى الحدوث أصلا لعدم صريح الفعل و عدم المفعول المطلق الدّال عليه، انتهى.

و به يعلم أنه على روايه الرّفع يجوز أن يكون ارتفاعه على الخبر قصدا إلى المبالغه كما فى ما زيد إلّا سير، فافهم جيّدا.

المعنى

اعلم أنّه لمّا أمر المخاطبين فى الفصل السابق بالاعتبار بحال بنى إسماعيل و بنى إسرائيل، عاد فى هذا الفصل إلى تقريعهم و توبيخهم كما فى أكثر الفصول السّابقه بقلّه الطّاعه و أخذ طريق الجاهليّه فقال:

(ألا و انّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعه) و التعبير بلفظ النّفض دون الترك للاشاره إلى طرحهم له و إعراضهم عنه، فانّ من يخلى الشىء من يده

ثمّ ينفض يده منه يكون أشدّ تخليه ممن لا ينفضها، بل يقنع بتخليته فقط.

و تشبيه الطاعه بالحبل من تشبيه المعقول بالمحسوس و وجه الشّبه أنّ الحبل آله الوصله بين الشيئين و الطاعه سبب الاتّصال بقرب الخالق، و لذلك أمر اللّه سبحانه بالاعتصام به فى قوله«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا ».

(و ثلمتم حصن اللّه المضروب عليكم بأحكام الجاهليّه) استعار حصن اللّه للاسلام، و رشح بذكر المضروب، و الجامع بين المستعار منه و المستعار له أنّ الحصن سبب الحفظ و الوقايه من شرّ الأعداء، و الاسلام سبب السّلامه من شرّ الأعداء فى الدّنيا و من حرّ النّار فى الاخره، يعنى أنّكم كسرتم حصن الاسلام الّذى كنتم متحصّنين فيه متحفّظين به بأحكام الجاهليّه و هى التفرّق و الاختلاف و العصبيّه و الاستكبار.

و لمّا وبّخهم على ترك الطاعه و ثلم الاسلام بالافتراق و الاختلاف رغّبهم فى الاعتصام بحبل الايتلاف و الاجتماع بالتّنبيه على أنّه أعظم نعمه أنعم اللّه سبحانه بها على عباده و هو قوله:

(و انّ اللّه سبحانه قد امتنّ على جماعه هذه الأمّه) أى منّ عليهم(فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفه الّتى ينتقلون)و فى بعض النسخ يتقلّبون(فى ظلّها و يأوون إلى كنفها)أى ينزلون و يسكنون إلى جانبها و ناحيتها.

و المراد بحبل الالفه هو الاسلام الموجب للايتلاف و الارتباط بينهم استعار له الحبل لذلك.

(بنعمه) أى امتنّ عليهم بنعمه عظيمه (لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمه) و المراد بتلك النعمه نفس هذه الالفه أو الاسلام الموجب لها، فانّها نعمه عظيمه يترتّب عليها من المنافع الدّنيويّه و الأخرويه ما لا تحصى، و يندفع بها من المضار الدّنيويه و الاخرويّه ما لا تستقصى.

و فى هذه الفقراتتلميح إلى قوله تعالى فى سوره آل عمران«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ »

ص:٧

«إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَهٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها » (۱) قال الطبرسی: أی تمسّکوا بحبل اللّه و هو دین اللّه و الاسلام قاله ابن عبّاس، و لا تفرّقوا معناه و لا تتفرّقوا عن دین اللّه الّذی أمرکم فیه بلزوم الجماعه و الایتلاف علی الطاعه و اثبتوا علیه.

و اذکروا نعمه اللّه علیکم إذ کنتم أعداء فألّف بین قلوبکم.

قیل: أراد ما کان بین الأوس و الخزرج من الحروب الّتی تطاولت مأئه و عشرین سنه إلی أن ألّف اللّه بین قلوبهم بالاسلام فزالت تلک الأحقاد.

و قیل: هو ما کان بین مشرکی العرب من الطوائل، و المعنی احفظوا نعمه اللّه و منته علیکم بالاسلام و بالایتلاف، و رفع ما کان بینکم من التنازع و الاختلاف، فهذا هو النفع الحاصل لکم فی العاجل مع ما أعدّ لکم من الثواب الجزیل فی الاجل، إذ کنتم أعداء فألّف بین قلوبکم، بجمعکم علی الاسلام و رفع البغضاء و الشحناء عن قلوبکم.

فأصبحتم بنعمته، أی بنعمه اللّه إخوانا متواصلین و أحبابا متحابّین، بعد أن کنتم متحاربین متعادین.

و کنتم علی شفا حفره من النار، أی و کنتم یا أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی طرف حفره

۱- (۱) - قال فی مجمع البیان فی وجه نزول هذه الایه قال: مقاتل: افتخر رجلان من الأوس و الخزرج.فقال الأوسی: منّا خزیمه بن ثابت ذو الشهادتین، و منّا حنظله غسیل الملائکه، و منّا عاصم بن ثابت بن أفلح حمی الدین، و منّا سعد بن معاذ الذی اهتزّ عرش الرّحمن له و رضی بحکمه فی بنی قریظه.و قال الخزرجی: منّا أربعه أحکموا القرآن ابیّ بن کعب، و معاذ بن جبل، و زید ابن ثابت، و ابو زید، و منّا سعد بن عباده خطیب الأنصار و رئیسهم.فجری الحدیث بینهما فغضبا و تفاخرا و نادیا، فجاء الأوس إلی الأوسی و الخزرج إلی الخزرجی و معهم السلاح، فبلغ ذلک النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) فرکب حمارا و أتاهم، فأنزل اللّه الایات فقرأها علیهم، فاصطلحوا، منه.

من جهنّم لم يكن بينكم و بينها إلاّ الموت.

فأنقذكم اللّه منها بأن أرسل إليكم رسولا و هداكم للايمان و دعاكم إليه فنجوتم باجابته من النار.

و انما قال: فأنقذكم منها و إن لم يكونوا فيها، لأنهم كانوا بمنزله من هو فيها حيث كانوا مستحقّين لها.

و بما ذكرنا كلّه علم أنّ هذه النعمه أعنى نعمه الالفه و المحابّه على الاسلام أعظم نعمه لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمه.

(لأنّها) موجبه لسعاده النشأتين و عزّ الدّارين و للانقاذ من النار و الدّخول فى جنّات تجرى من تحتها الأنهار و النزول فى منازل الأبرار و (أرجح من كلّ ثمن) كما يشير اليه قوله تعالى «لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ »(و أجلّ من كلّ خطر) و شرف و مزيّه لجمعها جميع أقسام الشرف، إذ بها يتمكّن من دركها و تحصيلها و الوصول إليها.

(و اعلموا أنكم صرتم بعد الهجره أعرابا) قال الشارح المعتزلى: الأعراب على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من آمن به من أهل الباديه و لم يهاجر إليه، و هم ناقصوا المرتبه عن المهاجرين لجفائهم و قسوتهم و توحّشهم و تشتّتهم فى بعد من مخالطه العلماء و سماع كلام الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و فيهم انزل: «اَلْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً وَ أَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ » و ليست هذه الايه عامّه فى كلّ الأعراب بل خاصّه ببعضهم، و هم الّذين كانوا حول المدينه و هم: جهنيه، و أسلم، و أشجع، و غفار، و اليهم أشار سبحانه بقوله «وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ » و كيف يكون كلّ الأعراب مذموما و قد قال تعالى «وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللّهِ » و صارت هذه الكلمه جاريه مجرى المثل، انتهى و قال الشهيد الثانى: المراد بالأعراب من أهل الباديه و قد أظهر الشهادتين على وجه حكم باسلامه ظاهرا و لا يعرف من معنى الاسلام و مقاصده و أحكامه سوى الشهادتين آه.

ص:٩

إذا عرفت ذلک فأقول:

قد ظهر لک فی شرح الخطبه المأه و الثامنه و الثمانین أنّ حقیقه المهاجره هو الهجره إلی حضور الحجّه لمعرفته و العلم بوجوب اطاعته و امتثال أحکامه، و علی هذا فمقصوده علیه السّلام بقوله: صرتم بعد الهجره أعرابا، توبیخهم علی أنّهم بعد ما کانوا عارفین به و بمقامه علیه السّلام و وجوب طاعته و عالمین بأحکام الشرع و آدابه و وظایف الاسلام کما هو شأن المهاجر، قد ترکوا ذلک کلّه و صاروا مثل الأعراب الّذین لا یعرفون إلّا ظاهر الاسلام کما قال عزّ و جلّ «أَجْدَرُ أَلاّ یَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللّهُ » أی أحری بأن لا یعلموا حدود اللّه فی الفرائض و السنن و الحلال و الحرام.

یعنی أنکم قد صرتم بالعصبیّه و الاستکبار و العناد و إثاره الفتن بمنزله الأعراب الجاهلین بما لهم و ما علیهم بعد ما کنتم عارفین بذلک کلّه.

(و بعد الموالات أحزابا) أی بعد الالفه و الاجتماع أحزابا متعادیه متشتّته مختلفه الاراء، أی صرتم حزبا حزبا و طائفه طائفه کلّ منکم یخالف آخرین، و کلّ حزب بما لدیهم فرحون.

(ما تتعلّقون من الاسلام إلّا باسمه و لا تعرفون من الایمان إلّا رسمه) لما جعلهم أعرابا أحزابا اتبعه بهذه الجمله و لکمال الاتّصال بینهما وصلها بسابقته و ترک العاطف.

و المراد أنّهم لم یأخذوا من الاسلام و أحکامه شیئا إلّا اسمه فیسمّون باسم المسلم، و لا یعرفون من الایمان إلّا صورته دون ماهیّته و حقیقته، و فی بعض النسخ لا تعقلون بدل لا تعرفون، و المقصود واحد.

(تقولون النّار و لا العار) کلمه جاریه مجری المثل یقولها أهل الحمیّه و الانفه من تحمل الضیم و الذّل علی نفسه أو من ینسب إلیه من قومه و خاصّته استنهاضا و الهابا بها إلی النضال و الجدال فاذا قیلت فی حقّ کان ثوابا و إذا قیلت فی باطل کان خطاء.

و لمّا کان غرض المخاطبین منها هو الشرّ و الفساد و إثاره الفتنه المخالفه لوظایف الاسلام شبّه حالهم فی أعمالهم و أقوالهم بقوله:

(كأنّكم تريدون أن تكفؤا الاسلام على وجهه) بأنّهم يريدون أن يكبّوا و يقلبوا الاسلام على وجهه، تشبيها له بالاناء المقلوب على وجهه فكما أنّه بعد قلبه لا يبقى فيه شيء أصلا و يخرج ما كان فيه من حيّز الانتفاع، فكذلك الاسلام الّذى لم يراع حدوده و احكامه كأنّه لم يبق منه شيء ينتفع به، و هو من الاستعاره المكنيّه و ذكر الكفاء تخييل.

و قوله (انتهاكا لحريمه) أراد به أنّ فعلكم ذلك كاشف عن كون غرضكم منه الانتهاك كالكفّار و المنافقين و أعادى الدّين الذين لا غرض لهم إلاّ إبطال الاسلام و هتك حريمه (و نقضا لميثاقه) و هى حدوده و شرايطه المقرّره و وظايفه المأخوذه فيه (الذى وضعه اللّه لكم حرما فى أرضه) لمنعه الاخذين به و المواظبين له من الرّفث و الفسوق و الجدال.

(و أمنا بين خلقه) أى سبب أمن أى أمانا لهم من شرّ الأعداء و من تعدّى كلّ منهم إلى الاخر.

و المراد بنقضهم ميثاقه تركهم لوظايفه المقرّره، و قطعهم لما أمر اللّه به أن يوصل، و سعيهم فى إثاره الفتنه و الفساد و القتل و القتال، قال سبحانه «اَلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ ».

قال الطبرسىّ: الذين ينقضون عهد اللّه، أى يهدمونه أى لا يفون به، و عهد اللّه وصيّته إلى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم به من طاعته و نهيهم عنه من معصيته و نقضهم لذلك تركهم العمل به من بعد ميثاقه قال فى الصّافى: أى تغليظه و أحكامه و يقطعون ما أمر اللّه به أن يوصل قال الطبرسىّ: معناه امروا بصله النبىّ و المؤمنين فقطعوهم، و قيل: امروا بصله الرّحم و القرابه فقطعوها و قيل: امروا بأن يصلوا القول بالعمل ففرّقوا بينهما بأن قالوا و لم يعملوا و قيل: معناه الأمر بوصل

ص:۱۱

كلّ من أمر اللّه بصلته من أوليائه و القطع و البراءه من أعدائه، و هذا أقوى لأنّه أعمّ.

و فى الصّافى أقول: و يدخل فى الايه التفريق بين الأنبياء و الكتب فى التصديق و ترك موالاه المؤمنين و الجمعه و الجماعات المفروضه و ساير ما فيه رفض خير أو تعاطى شرّ لأنّه يقطع الوصله بين اللّه و بين العبد الّتى هى المقصوده بالذات من كلّ وصل و فصل.

و يفسدون فى الأرض قيل: نقضهم العهد، و قيل أراد كلّ معصيه تعدّى ضررها إلى غير فاعلها.

و فى الصّافى يفسدون بسبب قطع ما فى وصله نظام العالم و صلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بما صاروا إلى النيران و حرموا الجنان، فيا لها خسارتا لزمتهم عذاب الأبد و حرّمتهم نعيم الأبد.

ثمّ حذّرهم و خوّفهم بقوله (و إنّكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر) يعنى أنّكم إن قطعتم حبل الاسلام العاقد بينكم و الجامع لجمعيّتكم و تمسّكتم بغيره من حميه أو جماعه أو كثره عشيره مع الخروج عن طاعه سلطان الاسلام و التفرّق فيه فانّ ذلك يوجب أن يطمع فيكم الكفّار و يحاربونكم.

(ثمّ لا جبرئيل و لا ميكائيل و لا مهاجرين و لا أنصار ينصرونكم) كما كانوا ينصرون فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (إلّا المقارعه) أى المضاربه و قرع بعضكم بعضا (بالسّيف حتّى يحكم اللّه بينكم) و بينهم بغلبه أحد الفريقين على الاخر.

ثمّ ذكّرهم بالعقوبات النّازله على الامم الماضيه فى القرون الخاليه بخروجهم عن طاعه اللّه سبحانه فقال:

(و انّ عندكم الأمثال) الّتى ضربها اللّه لكم بأهل القرون الماضيه كما قال «وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَ مَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ » و قال أيضا «وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً وَ كُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَ كُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً »

ص:١٢

(من بأس اللّه) و عذابه لهم (و قوارعه) أى دواهيه و افزاعه الّتى كانت تقرع القلوب بشدّتها (و أيّامه) الّتى انتقم اللّه فيها من القرون الاولى.

قال الطبرسىّ فى قوله: و ذكّرهم بأيّام اللّه: معناه و أمرناه(۱) بأن يذكّر قومه وقايع اللّه فى الامم الخاليه و اهلاك من أهلك منهم ليحذروا ذلك.

أقول: و من تلك الأيام ما اشير إليه فى قوله «إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ » و فى قوله «فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّهِ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » و فى قوله «وَ أَمّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَهٍ سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَهَ أَيّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَهٍ ».

(و وقايعه) أى نوازله الشّديده و عقوباته الواقعه بالعاصين المتمرّدين كما اشير اليها فى قوله عزّ و جلّ «فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَ ما كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ».

و غرضه عليه السّلام من التذكير بهذه الأمثال توعيد المخاطبين و تهديدهم من أن يقارفوا ما قارف أهل القرون المتقدّمه من الذّنوب و الاثام، فتنزل عليهم ما نزل بهم من البأس و العذاب، و لذلك فرّع عليه قوله:

(فلا تستبطئوا وعيده) أى لا تعدّوا ما أوعدكم به من العذاب بطيئا بعيدا فانّه قريب كما قال «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً ».

و لا تبطئوا إبطاءه للعذاب طمعا منكم فى أنّ إبطاءه يوجب ذهابه، و إمهاله يوجب إهماله كما هو الغالب فى وعيد غيره سبحانه، فانّ تأخيره غالبا يوجب عدم وقوعه إمّا لحصول الغفله و النسيان من الموعد، أو لأنه ربّما يفوته من طلب أو يعجزه من هرب، و أمّا اللّه الحىّ القيّوم القهّار ذو القوّه المتين و البأس الشّديد فانّه لبالمرصاد و لا يخلف الميعاد، و المخاطبون لما قاسوه عزّ شأنه بغيره و وعيده بوعيد

۱- (۱) - أى موسى المتقدّم ذكره فى الايه،

غیره استبطئوه لذلک و انما وقعوا فی هذا الزّعم الفاسد.

(جهلا بأخذه و تهاونا ببطشه و یأسا من بأسه) یعنی أنّ جهلکم بمؤاخذته الشدیده، و تهاونکم ببطشه الناشی من تأخیر وقوعه، و یأسکم من بأسه الناشی من طول مدّه البأس صار علّه للاستبطاء فأوجب ذلک جسارتکم علی اقتراف الجرائم و اقتحامکم فی ورطات الاثام.

کما أنّ أهل القرون الاولی قد وقعوا فی الهلاک الدّائم و استحقوا العذاب الألیم أیضا من الجهاله بأخذه کما اشیر إلیه فی الکتاب الکریم فی قوله «وَ إِذا قِیلَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ السّاعَهُ لا رَیْبَ فِیها قُلْتُمْ ما نَدْرِی مَا السّاعَهُ إِنْ نَظُنُّ إِلاّ ظَنًّا وَ ما نَحْنُ بِمُسْتَیْقِنِینَ ».

و من التهاون ببطشه کما حکاه سبحانه عنهم بقوله عقیب هذه الایه «وَ بَدا لَهُمْ سَیِّئاتُ ما عَمِلُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ » و بقوله «وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ فَحاقَ بِالَّذِینَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ ».

و من الیأس من بأسه کما اخبر عنهم بقوله «فَعَقَرُوا النّاقَهَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قالُوا یا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ کُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دارِهِمْ جاثِمِینَ ».

و أما أهل العرفان و الایقان فیعرفون بنور الایمان و الیقین بما أخبر به الأنبیاء و المرسلین و شهد به الکتاب المکنون أنّ وعده عزّ و جلّ و وعیده واقعان لا محاله و أنّ أخذه و بطشه و بأسه و إن تأخر حقّ محقّق لا ریب فیه کما قال «وَ لا یُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِینَ » و قال «وَ لا یَزالُ الَّذِینَ کَفَرُوا تُصِیبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَهٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِیباً مِنْ دارِهِمْ حَتّی یَأْتِیَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لا یُخْلِفُ الْمِیعادَ وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ فَأَمْلَیْتُ لِلَّذِینَ کَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کانَ عِقابِ ».

و یعلمون أنّ التأخیر و الامهال فی العقاب لاقتضاء الحکمه الالهیّه و لو یعجّل(۱) اللّه للنّاس الشرّ استعجالهم بالخیر لقضی إلیهم أجلهم.

ص:۱۴

۱- (۱) - اقتباس من الایه فی سوره یونس (علیه السلام) (منه)

و لكنه يمهل المؤمنين من باب اللّطف حتّى يتوبوا و يتداركوا الذّنوب بالانابه و الاستغفار.

و يمهل الظالمين و يذر الذين لا يرجون لقائه فى طغيانهم يعمهون من باب الاستدراج كما قال تعالى «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ » هذا.

و لما ذكّرهم بأمثال الذين خلوا من قبل و نهاهم عن استبطاء وعيد اللّه سبحانه أردفه بالتنبيه على عمده سبب الاستحقاق القرون الخاليه للطعن و العتاب و اللّعن و العقاب و هو ارتفاع الرّكن الأعظم من الاسلام أى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من بينهم، و غرضه بذلك تحذير المخاطبين و تنبيههم على أنهم مثلهم فى استحقاق اللّعن لارتفاع هذه الخصله العظيمه من بينهم أيضا و لذلك أتى بالفاء التفريعيّه فقال:

(فانّ اللّه سبحانه لم يلعن القرون الماضيه) و لم يحرمهم من رحمته الواسعه (إلّا لتركهم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر) كما اشير إليه فى قوله سبحانه «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ ».

قال الطبرسىّ: أخبر تعالى عما جرى على أسلافهم فقال: لعن الذين كفروا الايه، معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قرده و على لسان عيسى فصاروا خنازير.

قال و قال أبو جعفر الباقر عليه السّلام و أما داود فانه لعن أهل ايله لما اعتدوا فى سبتهم و كان اعتداؤهم فى زمانه فقال: اللّهم البسهم اللعنه مثل الرّدا و مثل المنطقه على الحقوين، فمسخهم اللّه قرده، فأمّا عيسى عليه السّلام فانه لعن الذين انزلت عليهم المائده ثمّ كفروا بعد ذلك قال الطبرسىّ: و انما ذكر اللعن على لسانهما إزاله للابهام بأنّ لهم منزله بولاده الأنبياء تنجيهم من العقوبه، ثمّ بيّن اللّه تعالى حالهم فقال: كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، أى لم يكن ينهى بعضهم بعضا و لا ينتهون أى لا يكفّون عما نهوا عنه

ص:۱۵

قال ابن عباس: كان بنو اسرائيل ثلاث فرق: فرقه اعتدوا فى السّبت، و فرقه نهوهم و لكن لم يدعوا مجالستهم و لا مؤاكلتهم، و فرقه لما رأوهم يعتدون ارتحل عنهم و بقى الفرقتان المعتديه و الناهيه المخالطه فلعنوا جميعا.

و لذلك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لتأمرنّ بالمعروف و لتنهنّ عن المنكر و لتأخذن على يد السفيه و لتاطرنه(۱) على الحقّ اطراء أو ليضربنّ اللّه قلوب بعضكم على بعض و يلعنكم كما لعنهم.

و فى الوسائل عن الحسن بن علىّ بن شعبه فى تحف العقول عن الحسين عليه السّلام قال: و يروى عن علىّ عليه السّلام: اعتبروا أيها الناس بما وعظ اللّه به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول: «لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ » و قال «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ » - إلى قوله - «لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ » و إنما عاب اللّه عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمه المنكر و الفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبه فيما كانوا ينالونه منهم، و رهبه مما يحذرون، و اللّه يقول: «فَلا تَخْشَوُا النّاسَ وَ اخْشَوْنِ » و قال: «اَلْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » فبدء اللّه بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فريضه منه لعلمه بأنها إذا ادّيت و اقيمت استقامت الفرائض كلّها و هيّنها و صعبها، و ذلك إنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع ردّ المظالم، و مخالفه الظالم، و قسمه الفيء و الغنايم، و أخذ الصدقات من مواضعها و وضعها فى حقّها.

و قد تقدّم هذا الحديث مع حديث آخر مناسب للمقام و بعض الكلام فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى شرح الفصل الثانى من المختار المأه و الخامس و الخمسين (فلعن اللّه السفهاء) أى الجهّال (لركوب المعاصى و الحلماء) أى ذوى العقول و الاناه و فى بعض النسخ الحكماء بدله (لترك التناهى)

۱- (۱) الاطر عطف الشيء، ق

و هذه الجمله إمّا اخباريّه أتى بها إيضاحا للجمله المتقدّمه أعنى قوله:

إنّ اللّه لم يلعن القرون الماضيه إلاّـ لتركهم اه، و يؤيّده إضمار فاعل لعن و إسقاط لفظ الجلاله فى بعض النّسخ و إمّا انشائيّه دعائيه منه عليه السّلام أتى بها قياما منه بوظيفته اللاّزمه، فانّ لعنه عليهم نهى لهم عن المنكر و هو مقتضى وظيفه الامامه.

فعلى الاحتمال الأوّل يكون المراد بالسّفهاء و الحلماء سفهاء القرون الماضيه و حلماءهم.

و على الاحتمال الثانى سفهاء المخاطبين و حلماءهم، و أوضح استحقاقهم للّعن و دخولهم فى زمره الملعونين بقوله:

(ألا و قد قطعتم قيد الاسلام) أى حبل الالفه عليه بالاعتزاء و العصبيّه (و عطلتم حدوده) أى تركتم وظايفه المقرّره الّتى لم يجز التّعدّى و التّخطى منها (و أمتّم أحكامه) أى أبطلتم أحكامه التى كان يلزم عليكم إحياؤها و العمل بها.

و قد كان من جمله تلك الحدود و الأحكام المتروكه المعطله أمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر، فانّ القيام بهما غالبا شأن الرّؤساء و الكبراء، و قد كانوا قائمين بخلافه و كانوا يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف و لذلك حذّر عن طاعتهم و متابعتهم فى الفصل الثالث من هذه الخطبه و قال: إنّهم قواعد أساس العصبيّه و دعائم أركان الفتنه و سيوف اعتزاء الجاهليّه.

الترجمه

آگاه باشيد بدرستى كه شما بتحقيق افشانده ايد دستهاى خود را از ريسمان اطاعت و بالمرّه اعراض كرده ايد از آن، و خراب نموده ايد حصار خدا را كه زده شده است بر شما با أحكام جاهليّت، و بدرستى خداى تبارك و تعالى منّت نهاده بر جماعت اين امّت در آنچه منعقد ساخته در ميان ايشان از ريسمان اين الفت، چنان الفتى كه بر مى گردند در سايۀ آن، و نازل ميشوند در پناه گاه آن با نعمتى

ص:۱۷

که نمی شناسد احدی از مخلوقان قیمت آن را، از جهت این که آن افزونتر است از هر بهائی، و بزرگتر است از هر منزلت و مزیّتی.

و بدانید بدرستی که شما گردیدید بعد از مهاجرت و معرفت برسومات و آداب شریعت مثل عربان بادیه نشین بی معرفت، و بعد از دوستی و موالاه طوایف مختلفه متعلّق نمی شوید از اسلام مگر اسم آن را، و نمی شناسید از ایمان مگر رسم آن را می گوئید: النار و لا العار، داخل آتش بشوید قبول ننگ و عار ننمائید گویا که می خواهید برگردانید اسلام را بر روی آن بجهت هتك احترام آن، و بجهت شکستن پیمان آن چنان اسلامی که نهاده است آن را خدای تعالی برای شما حرم در زمین خود، و ایمنی در میان خلقان خود.

و بدرستی که اگر شما ملتجی بشوید بسوی غیر آن یعنی اگر اعتماد نمائید بر غیر دین اسلام محاربه می کنند با شما کفّار، بعد از آن نه جبرئیل است و نه میکائیل و نه مهاجرین و نه انصار که نصرت کنند شما را مگر کوفتن یکدیگر با شمشیر آبدار تا آنکه حکم کند خداوند متعال در میان شما.

و بدرستی که در نزد شما است داستانها از شدّت عذاب خدا و عقوبات کوبندهٔ أو و روزهای سخت او و واقعه های نکال او، پس بعید نشمارید وعدهٔ عذاب او را از جهت جهالت شما بمؤاخذهٔ او، و از جهت استخفاف بعنف و سطوت او، و از جهت نومیدی از عذاب او.

پس بدرستی که خداوند لعنت نفرمود قرنهای گذشته را مگر بجهت ترک کردن ایشان امر بمعروف و نهی از منکر را، پس لعنت کرده خدا سفیهان را بجهت ارتکاب معصیتها، و دانایان را بجهت ترک نهی کردن از مناهی، آگاه باشید بدرستی که شما بریدید بند محکم اسلام را، و معطل کردید حدّهای نظام او را و فانی نمودید و باطل کردید أحکام او را.

الفصل الثامن

اشاره

ألا و قد أمرنى اللّه بقتال أهل البغى و النّكث و الفساد فى الأرض فأمّا النّاكثون فقد قاتلت، و أمّا القاسطون فقد جاهدت، و أمّا المارقه فقد دوّخت، و أمّا شيطان الرّدهه فقد كفيته بصعقه سمعت لها وجبه قلبه، و رجّه صدره، و بقيت بقيّه من أهل البغى و لئن أذن اللّه فى الكرّه عليهم لاديلنّ منهم إلاّ ما يتشذّر فى أطراف البلاد تشذّرا. أنا وضعت فى الصّغر بكلاكل العرب، و كسرت نواجم قرون ربيعه و مضر. و قد علمتم موضعى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالقرابه القريبه، و المنزله الخصيصه، وضعنى فى حجره و أنا وليد، يضمّنى إلى صدره، و يكنفنى فى فراشه، و يمسّنى جسده، و يشمّنى عرفه، و كان يمضغ الشّىء ثمّ يلقمنيه، و ما وجد لى كذبه فى قول، و لا خطله فى فعل. و لقد قرن اللّه به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره، و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لى فى كلّ يوم من أخلاقه علما، و يأمرنى بالاقتداء به، و لقد كان يجاور فى

ص:۱۹

كلّ سنه بحراء فأراه و لا يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و خديجه و أنا ثالثهما، أرى نور الوحى و الرّساله، و أشمّ ريح النّبوّه. و لقد سمعت رنّه الشّيطان حين نزل الوحى عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقلت:

يا رسول اللّه ما هذه الرّنه؟ فقال: هذا الشّيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى، إلاّ أنّك لست بنبىّ، و لكنّك وزير، و إنّك لعلى خير.

اللغه

(دوّخه) ذلّله و (الرّدهه) وزان تمره حفره فى الجبل يجتمع فيها الماء و الجمع رده كتمر قال فى القاموس: و شبه اكمه خشنه و جمعه رده محرّكه و (كفيته) بالبناء على المفعول من كفانى اللّه مؤنته قتله أو دفع عنّى شرّه و (صعق) صعقا و صعقا و صعقه غشى عليه فهو صعق ككتف و الصّعق محرّكه شدّه الصّوت و الصّاعقه الموت و كلّ عذاب مهلك و صيحه العذاب.

و (الوجبه) وزان تمره الاضطراب للقلب و (الرّجّه) الحركه و الزلزله و (أدلت) من فلان غلبته و قهرته أى صرت ذا دوله و (تشذّر) تبدّد و تفرّق و (الكلاكل) الصّدور و الواحد الكلكل و (النواجم) جمع ناجمه من نجم الشىء أى طلع و ظهر و (القرن) من الحيوان الرّوق و موضعه من رأسنا أو الجانب الأعلى من الرّأس و الجمع قرون.

و (ربيعه و مضر) وزان صرد قبيلتان من قريش معروفتان يضرب لهما المثل

فی الکثره نسبتهما إلی أبویهما و هما ربیعه و مضرابنا نزار بن معدّ بن عدنان و یقال للأوّل ربیعه الفرس و للثانی مضر الحمراء بالاضافه، لأنّ ربیعه اعطی الخیل من میراث أبیه و مضر اعطی الذّهب.

و (الولید) الصّبی و المولود و (یکنفنی) أی یجعلنی فی کنفه و الکنف محرّکه الحرز و الجانب و السّتر، و کنف الطائر جناحه و (العرف) وزان فلس الرائحه و أکثر استعماله فی الطیبه و (الخطله) بالفتح المرّه من الخطل محرّکه و هو الخفّه و السرعه و الکلام الفاسد الکثیر فهو خطل ککتف أی أحمق عجل.

و (حراء) بالکسر و المدّ وزان کتاب جبل بمکّه فیه غار کان النّبیّ یعتزل إلیه و یتعبّد أیّاما یذکّر و یؤنث و (الرنّه) الصوت رنّ یرنّ رنینا صاح و رنّ إلیه أصغی.

الاعراب

الواو فی قوله: و لئن اذن اللّه، للقسم و المقسم به محذوف و قوله: لادیلنّ جواب القسم، و الباء فی قوله: وضعت بکلاکل العرب، زائده و قال الشارح البحرانی و یحتمل أن تکون للالصاق أی فعلت بهم الوضع و الاهانه، و ربیعه و مضر بالفتح لمنع الصرف بالتّأنیث و العلمیّه، و جمله وضعنی فی حجره استینافیّه بیانیّه.

المعنی

اشاره

اعلم أنّه علیه السّلام لما لام المخاطبین فی الفصول السابقه و وبّخهم علی مخالفه شرایع الدّین و ترک مراسم الاسلام، و دعاهم إلی اللّه سبحانه بالحکمه و الموعظه الحسنه، و نصحهم بالتی هی أحسن، أردف بهذا الفصل المسوق لبیان فضایله و مناقبه و خصائصه الخاصّه و علوّ شأنه و رفعه مقامه، تنبیها بذلک علی أنّه إمام مفترض الطّاعه، و أنّه فیما یأمر و ینهی بمنزله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أوامره و نواهیه، و غرضه بذلک جذب قلوب المخاطبین إلی قبول مواعظه و نصایحه و امتثال أوامره و نواهیه، و صدّر الفصل بالاشاره إلی أعظم تکلیف کان مکلّفا به بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و إلی قیامه به

ص:۲۱

على أبلغ وجهه و هو قوله:

(ألا و قد أمرنى اللّه بقتال أهل البغى) و المراد بهم المجاوزون عن الحدّ و العادلون عن القصد الخارجون عليه عليه السّلام بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الفرق الثلاث الذين يصرح بهم تفصيلا.

و أمر اللّه سبحانه له بقتالهم إمّا بما أنزله سبحانه فى ضمن آيات كتابه العزيز مثل قوله تعالى «فَإِمّا نَذْهَبَنَّ بِکَ فَإِنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ».

فقد روى فى غايه المرام عن يونس بن عبد الرّحمن بن سالم عن أبيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى هذه الايه قال: اللّه انتقم بعلىّ عليه السّلام يوم البصره و هو الّذى وعد اللّه رسوله.

و فيه عن(١) عدىّ بن ثابت قال: سمعت ابن عباس يقول: ما حسدت قريش عليا بشىء مما سبق له أشدّ مما وجدت يوما و نحن عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: كيف أنتم يا معشر قريش لو كفرتم بعدى و رأيتمونى فى كتيبه أضرب وجوهكم بالسيف، فهبط جبرئيل فقال: قل انّ اللّه أو على فقال إنّ اللّه أو على.

و فيه عن الشيخ فى أماليه باسناده عن محمّد بن على عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى قال: إنّى لأدناهم من رسول اللّه فى حجّه الوداع فقال: لاعرفنكم ترجعون بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، و أيم اللّه لئن فعلتموها لتعرفونى فى الكتيبه التى تضاربكم، ثمّ التفت إلى خلفه فقال: أو علىّ أو علىّ أو علىّ ثلاثا، فرأينا أنّ جبرئيل غمزه فأنزل اللّه عزّ و جل «فَإِمّا نَذْهَبَنَّ بِکَ فَإِنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ » - بعلىّ - «أَوْ نُرِيَنَّکَ الَّذِى وَعَدْناهُمْ فَإِنّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ».

و مثل قوله سبحانه «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ».

روى فى الصافى من الكافى و التهذيب و علىّ بن إبراهيم القمىّ عن الصادق عن

١- (١) - ذكره الروايه لتأييدها الروايه الاتيه فى شأن نزول الايه فافهم، منه

أبيه عليهما السّلام فى حديث لما نزلت هذه الايه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ منكم من يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسئل من هو؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله: خاصف النعل يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال عمار بن ياسر: قاتلت بهذه الرّايه مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثلاثا و هذه الرّابعه(۱) و اللّه لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنا على الحقّ و أنّهم على الباطل و كانت السّيره فيهم من أمير المؤمنين ما كان من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم فتح مكه، فانّه لم يسب منهم ذريّه و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و كذلك قال أمير المؤمنين عليه السّلام يوم البصره نادى فيهم: لا تسبوا لهم ذريّه، و لا تجهزوا على جريح و لا تتبعوا مدبرا، و من أغلق بابه و ألقى سلاحه فهو آمن.

و فيه من الكافى عن الصادق عليه السّلام إنّما جاء تأويل هذه الايه يوم البصره و هم أهل هذه الايه، و هم الذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السّلام فكان الواجب عليهم قتلهم و قتالهم حتى يفيئوا إلى أمر اللّه، و لو لم يفيئوا لكان الواجب عليه عليه السّلام فيما انزل اللّه أن لا يرفع السيف عنهم حتّى يفيئوا و يرجعوا عن رأيهم، لأنّهم بايعوا طائعين غير كارهين، و هى الفئه الباغيه كما قال اللّه عزّ و جل، فكان الواجب على أمير المؤمنين عليه السّلام أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم كما عدل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أهل مكّه إنّما منّ عليهم و عفى، و كذلك صنع أمير المؤمنين عليه السّلام بأهل البصره حيث ظفر بهم بمثل ما صنع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بأهل مكّه حذو النعل بالنعل.

و مثل قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ ».

قال فى مجمع البيان فى تفسير الايه قيل: هم أمير المؤمنين و أصحابه حين قاتل من قاتله من النّاكثين و القاسطين و المارقين، و روى ذلك عن عمار و حذيفه و ابن عبّاس، و هو المروىّ عن أبى جعفر عليه السّلام و أبى عبد اللّه عليه السّلام قال و روى عن علىّ عليه السّلام انه قال يوم البصره: و اللّه ما قوتل أهل هذه الايه حتّى اليوم.

۱- (۱) - يعنى فى صفّين، م

و سيأتى لهذه الايه مزيد تحقيق و تفصيل بعد الفراغ من شرح هذا الفصل فى أوّل التنبيهات الاتيه.

و إمّا(۱) بما صدر عن لسان الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ضمن الأخبار النّبويّه من الأوامر الانشائيه و الجملات الخبريّه الّتى فى معنى الانشاء، حسبما عرفتها فى شرح الفصل الخامس من المختار الثالث، و شرح المختار المأه و الثامن و الأربعين، و شرح الفصل الثانى من المختار المأه و الخامس و الخمسين فى التّنبيه الأوّل منه، و قد عرفت فى التّنبيه الثانى منه و فى شرح المختار الثالث و الثلاثين تحقيق الكلام فى كفر البغاه و ساير أحكامهم، فليراجع إلى المواضع الّتى اشرنا إليها، فانّ مراجعتها يوجب مزيد البصيره فى المقام.

و تعرف بما أوردناه هنا و فيما تقدّم أنّ أهل البغى الّذين كان أمير المؤمنين عليه السّلام مأمورا بقتالهم هم الناكثون و القاسطون و المارقون كما أوضحه بقوله:

(و النّكث و الفساد فى الأرض) و فصّلهم بقوله (فأمّا النّاكثون) أى النّاقضون ما عقدوه من البيعه و هم أصحاب الجمل (فقد قاتلت) و قد مضى تفصيل قتالهم فى شرح المختار الحادى عشر.

(و أمّا القاسطون) أى العادلون عن الحقّ و الدّين و هم أصحاب معاويه و صفّين (فقد جاهدت) و مضى تفصيل جهادهم فى شرح المختار الخامس و الثلاثين و المختار الحادى و الخمسين و المختار الخامس و الستين.

(و أمّا المارقه) و هم خوارج النهروان الّذين مرقوا من الدّين أى جازوا منه مروق السّهم من الرميه حسبما عرفته فى التذييل الأوّل من شرح المختار السّادس و الثلاثين (فقد دوّخت) أىّ ذلّلتهم و قهرتهم حسبما عرفته فى التذييل الثانى منه (و أمّا شيطان الرّدهه فقد كفيته) أى كفانى اللّه من شرّه (بصعقه سمعت لها وجبه قلبه) و اضطرابه (و رجّه صدره) و زلزاله.

ص:۲۴

۱- (۱) - عطف على قولنا و أمر اللّه سبحانه له بقتالهم إما بما أنزله سبحانه فى ضمن آيات كتابه، منه.

و قد اختلف الأقوال فی شیطان الرّدهه فقد قال قوم(۱) إنّ المراد به ذو الثّدیه رئیس الخوارج و تسمیته بالشّیطان لکونه ضالاّ قائد ضلاله مثل شیطان الجنّ، و أمّا إضافته إلی الرّدهه فلما عرفته فی التذییل الثانی من شرح المختار السادس و الثلاثین من أنّه بعد الفراغ من قتل الخوارج طلبه علیه السّلام فی القتلی فوجده بعد جدّ أکید فی حفره دالیه فنسبه علیه السّلام إلیها لذلک.

و أمّا الصعقه الّتی کفی علیه السّلام عنه بها فقد قیل: إنّ المراد بها الصّاعقه و هی صیحه العذاب لما روی أنّ علیّا لمّا قابل القوم صاح بهم فکان ذو الثّدیه ممّن هرب من صیحته حتّی وجد قتیلا فی الحفره المذکوره.

و قیل إنّه رماه اللّه بصاعقه من السماء فهلک بها و لم یقتل بالسیف، و قیل:

إنّه لما ضربه علیه السّلام بالسیف غشی علیه فمات.

و قال قوم: إنّ شیطان الرّدهه أحد الأبالسه المرده من أولاد ابلیس اللّعین قال الشارح المعتزلی: و رووا فی ذلک خبرا عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و أنّه کان یتعوّذ منه، و هذا مثل قوله صلّی اللّه علیه و آله هذا أزبّ العقبه ای شیطانها و لعل أزبّ العقبه هو شیطان الرّدهه بعینه فتاره یعبّر بهذا اللفظ و اخری بذلک.

أقول: و الأظهر أن یکون المراد به شیطان الجنّ و یکون الاشاره بهذا الکلام إلی ما وقع منه علیه السّلام فی بئر ذات العلم.

فقد روی السیّد السّند السیّد هاشم البحرانی فی کتاب مدینه المعاجز عن ابن شهر آشوب، عن محمّد بن إسحاق، عن یحیی بن عبد اللّه بن الحارث عن أبیه، عن ابن عبّاس و عن أبی عمر و عثمان بن أحمد عن محمّد بن هارون باسناده عن ابن عباس فی خبر طویل أنّه أصاب النّاس عطش شدید فی الحدیبیّه فقال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هل من رجل یمضی مع السّقاه إلی بئر ذات العلم فیأتینا بالماء و أضمن له علی اللّه الجنّه؟ فذهب جماعه فیهم سلمه بن الأکوع فلمّا دنوا من الشّجر و البئر سمعوا

۱- (۱) - قال ابن شهر آشوب عن ابانه بن بطه انه ذکر المقتول بالنهروان فقال سعد ابن وقاص هو شیطان الردهه و قال ابن الاثیر: الردهه النقره فی الجبل یستنقع فیها الماء و قال فی حدیث علی (علیه السلام) أنه ذکر ذا الثدیه فقال شیطان الردهه، منه

حسّا و حركه شديده و قرع طبول و رأوا نيرانا تتقد بغير حطب فرجعوا خائفين «خ ل خائبين».

ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هل من رجل يمضى مع السّقاه يأتينا بالماء أضمن له على اللّه الجنّه؟ فمضى رجل من بنى سليم و هو يرتجز و يقول:

أمن غريف(۱) ظاهر نحو السلم ينكل من وجّهه خير الأمم

من قبل أن يبلغ آبار العلم فيستقى و الليل مبسوط الظلم

و يأمن الذّم و توبيخ الكلم و صاحب السيف لسيف منهدم

فلمّا وصلوا إلى الحسّ رجعوا وجلين.

فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله: هل من رجل يمضى مع السّقاه إلى البئر ذات العلم فيأتينا بالماء أضمن له على اللّه الجنّه؟ فلم يقم أحد، و اشتدّ بالنّاس العطش و هم صيام.

ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلىّ عليه السّلام: سر مع هؤلاء السقاه حتّى ترد بئر ذات العلم و تستقى و تعود إنشاء اللّه فخرج علىّ عليه السّلام قائلا:

أعوذ بالرّحمن أن أميلا من غرف(۲) جنّ أظهروا تأويلا

و أوقدت نيرانها تغويلا و قرعت مع غرفها الطبولا

قال فداخلنا «خ ل فتداخلنا» الرّعب فالتفت علىّ عليه السّلام إلينا و قال: اتّبعوا أثرى و لا يفزعنّكم ما ترون و تسمعون فليس بضائركم إنشاء اللّه.

ثمّ مضى فلمّا دخلنا الشّجر فاذا بنيران تضطرم بغير حطب و أصوات هائله و رءوس مقطّعه لها ضجّه و هو يقول: اتّبعونى و لا خوف عليكم و لا يلتفت أحد منكم يمينا و لا شمالا.

فلمّا جاوزنا الشّجر و وردنا الماء فأدلى البراء بن عازب دلوه فى البئر فاستقى دلوا و دلوين ثمّ انقطع الدّلو فوقع فى القليب، و القليب ضيّق مظلم بعيد القعر، فسمعنا فى أسفل القليب قهقهه و ضحكا شديدا.

ص:۲۶

۱- (۱) - الغريف كأمير الشجر الكثير الملتفّ أى شجر كان أو الأجمه من الضال و السلم، منه

۲- (۲) - الغرف شجر يدبغ به، منه

فقال علیّ علیه السّلام: من یرجع الی عسکرنا فیأتینا بدلو و رشا؟(۱) فقال أصحابه علیه السّلام:

من یستطیع ذلک، فائتزر بمئزر و نزل فی القلیب و ما تزداد القهقهه إلاّ علوا و جعل علیه السّلام ینحدر فی مراقی القلیب إذ زلّت رجله فسقط فیه، ثمّ سمعنا وجبه شدیده و اضطرابا و غطیطا(۲) کغطیط المخلوق «المخنوق ظ» ثمّ نادی علیّ علیه الصلاه و السلام و التحیّه و الاکرام: اللّه أکبر اللّه أکبر أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه، هلمّوا قربکم فأفعمها و أصعدها علی عنقه شیئا فشیئا و مضی بین أیدینا فلم نر شیئا فسمعنا صوتا.

أی فتی لیل أخی روعات و أیّ سبّاق إلی الغایات

للّه درّ الغرر السادات من هاشم الهامات و القامات

مثل رسول اللّه ذی الایات أو کعلیّ کاشف الکربات

کذا یکون المرء فی حاجات

فارتجز أمیر المؤمنین علیه السّلام

اللیل هول یرهب المهیباو مذهل المشجّع اللبیبا

و انّنی اهول منه ذیباو لست أخشی الرّدع و الخطوبا

إذا هززت الصّارم القضیباأبصرت منه عجبا عجیبا

و انتهی إلی النّبیّ و له زجل(۳) فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ما ذا رأیت فی طریقک یا علی؟ فأخبره بخبره کلّه فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنّ الّذی رأیته مثل ضربه اللّه لی و لمن حضر معی فی وجهی هذا، قال علیّ علیه السّلام: اشرحه لی یا رسول اللّه.

فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أمّا الرّؤوس الّتی رأیتم لها ضجّه و لألسنتها لجلجه، فذلک مثل قومی معی یقولون بأفواههم ما لیس فی قلوبهم و لا یقبل اللّه منهم صرفا و لا عدلا و لا یقیم لهم یوم القیامه وزنا.

و أما النیران بغیر حطب ففتنه تکون فی أمتی بعدی القائم فیها و القاعد سواء

۱- (۱) - الرشا الحبل الذی یستقی به الماء من البئر، منه

۲- (۲) - الغطیط صوت النائم المتضمن لتردّد نفسه إلی حلقه حتی یسمعه من حوله، منه

۳- (۳) - الزجل بالزاء المعجمه الصوت، لغه.

لا يقبل اللّه لهم عملا و لا يقيم لهم يوم القيامه وزنا.

و أمّا الهاتف الّذى هتف بك فذلك سلقعه و هو سملقه «كذا» بن غداف الذى قتل عدوّ اللّه مسعرا شيطان الأصنام الّذى كان يكلّم قرين منها و يشرع فى هجائى، هذا.

و قوله عليه السّلام (و بقيت بقيّه من أهل البغى) أراد به معاويه و أصحابه لأنه لم يكن أتى عليهم بأجمعهم، بل بقيت منهم بقيّه بمكيده التحكيم حسبما عرفته فى شرح المختار الخامس و الثلاثين.

(و) الذى فلق الحبّه و برء النسمه (لئن أذن اللّه فى الكرّه عليهم) هذا بمنزله التعليق بالمشيّه أى إنشاء اللّه سبحانه لى الرّجوع إليهم بأن يمدّ لى فى العمر و يفسح فى الأجل و يهيّأ أسباب الرّجوع (لاديلنّ منهم) أى ليكون الدّوله و الغلبه لى عليهم.

و الاتيان فى جواب القسم باللاّم و نون التوكيد لتأكيد تحقّق الإداله و ثبوته لا محاله بعد حصول الاذن و المشيّه منه سبحانه، و ذلك بمقتضى وعده الصّادق و قوله الحقّ فى كتابه العزيز «وَ لَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ».

و بعد هذا فلقائل أن يقول: إنّه عليه السّلام قد كان عالما بعدم اذن اللّه سبحانه فى الكرّه عليهم و الاداله منهم، و ذلك لما كان يعلمه باخبار اللّه سبحانه و اخبار رسوله صلّى اللّه عليه و آله بأنّ بنى اميّه يملكون البلاد ألف شهر، و قد كان عليه السّلام نفسه أخبر بذلك حين شاع فى الكوفه خبر موت معاويه بقوله: كلاّ أو تخضب هذه من هذه و يتلاعب بها ابن آكله الأكباد، فى الرّوايه الّتى تقدّمت فى شرح المختار السادس و الخمسين، و مع ذلك كلّه فما معنى قوله عليه السّلام: و لئن أذن اللّه فى الكرّه اه؟ قلت: الاتيان بهذه الجمله الشرطيه مع علمه عليه السّلام بعدم وقوع مضمونها لربط جاش المخاطبين و تقويه قلوبهم.

و نظيره ما رواه عنه عليه السّلام علىّ بن إبراهيم بسنده عن عدىّ بن حاتم و كان معه عليه السّلام فى مردبه «كذا» أن عليا قال ليله الهرير بصفّين حين التقى مع معاويه رافعا صوته يسمع أصحابه: لأقتلنّ معاويه و أصحابه، ثمّ قال فى آخر قوله: إنشاء اللّه تعالى، يخفض بها صوته، و كنت قريبا منه فقلت: يا أمير المؤمنين إنّك حلفت

على ما قلت ثمّ استثنيت فما أردت بذلك؟ فقال عليه السّلام: إنّ الحرب خدعه و أنا عند أصحابى صدوق فأردت أن اطمع أصحابى كيلا يفسئوا «يفشلوا ظ» و لا يفرّوا، فافهم فانك تنتفع بهذه بعد اليوم انشاء اللّه، هذا.

و قوله عليه السّلام:(إلاّ ما يتشذّر فى أطراف الأرض تشذّرا) كلمه ما هنا بمعنى من كما فى قوله: «وَ السَّماءِ وَ ما بَناها »، أى إلاّ من يتفرّق فى أطرافها تفرّقا ممنّ لم يتمّ أجله ثمّ نبّه على نجدته و شجاعته بقوله:

(أنا وضعت فى الصغر بكلاكل العرب) استعار لفظ الكلاكل للأكابر و الرؤساء من العرب و أشراف القبايل الّذين قتلهم فى صدر الاسلام، و الجامع للاستعاره كونهم سبب قوّه العرب و مقدّميهم و بهم انتهاضهم إلى الحرب كما أنّ الكلكل للجمل كذلك سبب لنهوضه و قيامه و قوته و مقدم أجزائه.

و يجوز أن يكون من باب الاستعاره بالكنايه، بأن يشبه العرب بجمال مستجلات ذوات الصدور و الكلاكل فى القوّه، فيكون اثبات الكلاكل تخييلا، و الوضع ترشيحا.

و على أىّ تقدير فأشار عليه السّلام بوضعه لهم إلى قهرهم و إذلالهم كما أنّ إناخه الجمل يستلزم قهره و إذلاله قال الشاعر:

مراجيح ما تنفكّ إلاّ مناخه على الحتف أو ترمى بها بلدا قفرا

و إن شئت أن تعرف أنموذجا من قتله و قتاله و إذلاله للكلاكل و الشجعان فاستمع لما وقع منه عليه السّلام فى أوّل غزاه كانت فى الاسلام و هى غزوه بدر، و قد كانت تلك الغزوه على رأس ثمانيه عشر شهرا من الهجره كما فى كشف الغمه و كان عمره عليه السّلام إذ ذاك سبعه و عشرين سنه.

قال المفيد فى الارشاد: و أما الجهاد الّذى ثبتت به قواعد الاسلام، و استقرّت بثبوته شرايع الملّه و الأحكام، فقد تخصّص منه أمير المؤمنين عليه السّلام بما اشتهر ذكره فى الأنام، و استفاض الخبر به بين الخاصّ و العامّ، و لم يختلف فيه العلماء، و لا تنازع فى صحته الفهماء، و لا شكّ فيه إلاّ غفل لم يتأمّل فى الأخبار، و لا دفعه أحد ممّن نظر فى الاثار إلاّ معاند بهّات لا يستحيى من العار.

فمن ذلک ما کان منه علیه السّلام فی غزاه البدر المذکوره فی القرآن، و هی أوّل حرب کان به الامتحان، و ملأت رهبه صدور المعدودین من المسلمین فی الشجعان، و راموا التأخر عنها لخوفهم منها و کراهتهم لها علی ما جاء به محکم الذّکر فی التبیان.

و کان من جمله خبر هذه الغزاه إنّ المشرکین حضروا بدرا مصرّین علی القتال، مستظهرین فیه بکثره الأموال، و العدد و العدّه و الرّجال، و المسلمون إذ ذاک نفر قلیل عدد هناک، و حضرته طوایف منهم بغیر اختیار، و شهدته علی الکراهه منها له و الاضطرار.

فتحدّتهم قریش بالبراز و دعتهم إلی المصافه و النزال و اقترحت(۱) فی اللقاء منهم الأکفاء، و تطاولت الأنصار لمبارزتهم فمنعهم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من ذلک فقال لهم:

إنّ القوم دعوا الأکفاء.

ثمّ أمر علیّا أمیر المؤمنین بالبروز إلیهم، و دعا حمزه بن عبد المطلب و عبیده ابن الحارث رضوان اللّه علیهما أن یبرزا معه، فلمّا اصطفوا لهم لم یثبتهم(۲) القوم لأنهم کانوا قد تغفّروا فسألوهم من أنتم، فانتسبوا لهم، فقالوا: أکفاء کرام، و نشبت الحرب بینهم.

و بارز الولید أمیر المؤمنین علیه السّلام فلم یلبثه حتّی قتله، و بارز عقبه حمزه رضی اللّه عنه فقتله حمزه، و بارز شیبه عبیده رحمه اللّه فاختلفت بینهما ضربه قطعت إحداهما فخذ عبیده، فاستنقذه أمیر المؤمنین علیه السّلام بضربه بدر بها شیبه فقتله، و شرکه فی ذلک حمزه.

فکان قتل هؤلاء الثلاثه أوّل وهن لحق المشرکین، و ذلّ دخل علیهم، و رهبه اعتراهم بها الرّعب من المسلمین، و ظهر بذلک امارات نصر المسلمین.

ثمّ بارز أمیر المؤمنین العاص بن سعید بن العاص بعد أن أحجم عنه من سواء

۱- (۱) - أی طلبت

۲- (۲) أی لم تعرفهم حقّ المعرفه منه،

فلم يلبثه أن قتله، و برز إليه حنظله بن أبى سفيان فقتله، و برز إليه طعيمه بن عدى فقتله، و قتل بعده نوفل بن خويلد و كان من شياطين قريش.

و لم يزل عليه السّلام يقتل واحدا منهم بعد واحد حتّى أتى على شطر المقتولين منهم، و كانوا سبعين رجلا تولّى كافّه من حضر بدرا من المسلمين مع ثلاثه آلاف من الملائكه المسوّمين قتل الشطر منهم، و تولّى أمير المؤمنين عليه السّلام قتل الشطر الاخر وحده بمعونه اللّه له و تأييده و توفيقه و نصره و كان الفتح له بذلك على يديه.

و ختم الأمر بمناوله النّبى صلّى اللّه عليه و آله كفّا من الحصى فرمى بها فى وجوههم و قال لهم:

شاهت الوجوه، فلم يبق أحد منهم إلاّ ولّى الدّبر بذلك منهزما، و كفى اللّه المؤمنين القتال بأمير المؤمنين عليه السّلام و شركائه فى نصره الدّين من خاصّه الرّسول عليه و آله السلام و من أيّدهم به من الملائكه الكرام.

قال المفيد: و قد أثبتت رواه العامه و الخاصّه معا أسماء الّذين تولّى أمير المؤمنين عليه السّلام قتلهم ببدر من المشركين على اتّفاق فيما نقلوه من ذلك و اصطلاح فكان ممّن سمّوه: الوليد بن عتبه كما قدّمناه و كان شجاعا جرئيا و قاحا فاتكاتها به الرّجال، و العاص بن سعيد و كان هولا عظيما تها به الأبطال، و هو الّذى حاد عنه عمر بن الخطّاب، و طعيمه بن عدىّ بن نوفل و كان من رءوس أهل الضلال، و نوفل ابن خويلد و كان من أشدّ المشركين عداوه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كانت قريش تقدّمه و تعظّمه و تطيعه و هو الّذى قرن أبا بكر و طلحه قبل الهجره بمكه و أوثقهما بحبل و عذّبهما يوما إلى الليل حتّى سئل فى أمرهما و لمّا عرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حضوره بدرا سأل اللّه أن يكفيه أمره فقال: اللّهمّ اكفنى نوفل بن خويلد، فقتله أمير المؤمنين عليه السّلام.

و زمعه بن الأسود، و عقيل بن الأسود، و الحارث بن زمعه، و النضر بن الحارث ابن عبد الدّار، و عمير بن عثمان بن كعب بن تيم عمّ طلحه بن عبيد اللّه، و عثمان، و مالك ابنا عبيد اللّه أخوا طلحه بن عبيد اللّه، و مسعود بن أبى اميّه بن المغيره، و قيس بن الفاكهه ابن المغيره، و حذيفه بن أبى حذيفه بن المغيره، و أبو قيس بن الوليد بن المغيره،

و حنظله بن أبی سفیان، و عمرو بن مخذوم، و أبو المنذر بن أبی رفاعه، و منیه بن الحجاج السّهمی، و العاص بن منیه، و علقمه بن کلده، و أبو العاص بن قیس بن عدی، و معاویه ابن المغیره بن أبی العاص، و لوذان بن ربیعه، و عبد اللّه بن المنذر بن أبی رفاعه، و مسعود بن امیّه بن المغیره، و حاجب بن السائب بن عویمر، و اوس بن المغیره بن لوذان، و زید بن ملیص، و عاصم بن أبی عوف، و سعید بن وهب حلیف بنی عامر، و معاویه ابن عبد القیس، و عبد اللّه بن جمیل بن زهیر بن الحارث بن أسد، و السّائب بن مالک، و أبو الحکم بن الأخنس، و هشام بن أبی امیّه بن المغیره.

فذلک سته و ثلاثون رجلا سوی من اختلف فیه أو شرک أمیر المؤمنین علیه السّلام فیه غیره، و هم أکثر من شطر المقتولین ببدر علی ما قدّمناه.

قال المفید: و فیما صنعه أمیر المؤمنین علیه السّلام ببدر قال اسید ین ایاس یحرض مشرکی قریش علیه:

فی کلّ مجمع غایه أخزاکم جذع أبرّ علی المذاکی القرّح

للّه درّکم المّا تنکروا قد ینکر الحرّ الکریم و یستحی

هذا ابن فاطمه الذی أفناکم ذبحا و قتلا قعصه لم یذبح

اعطوه خرجا و اتّقوا تضریبه فعل الذّلیل و بیعه لم تربح

أین الکهول و أین کلّ دعامه فی المعضلات و این زین الأبطح

أفناهم قعصا و ضربا یعتری بالسیف یعمل حدّه لم یصفح

(۱)

۱- (۱) - الغایه الرایه، و الجذع الشاب الحدث، ابرّ علیهم غلبهم، و المذاکی من الخیل التی قد اتی علیها بعد قروحها سنه او سنتان، و القارح منها ما انتهت اسنانه و انما تنتهی فی خمس سنین و الجمع قرح، و القعص أن یضرب الانسان فیموت فی مکانه یقال قعصه ای قتله سریعه، و الکهول جمع کهل و هو من جاوز الثلاثین إلی الأربعین أو الخمسین و انما خصّهم بالذکر لأنّهم أشدّ قوّه فی الحروب و اکمل عقلا یرجع الیهم و یحتاج إلی تدبیرهم فی الملمات و الدواهی، و دعامه القوم سیّدهم

(و كسرت نواجم قرون ربيعه و مضر) و الاستعاره فى هذه القرينه مثل الّتى فى سابقتها، فتحتمل الاستعاره التحقيقيه بأن يراد تشبيه رؤساء القبيلتين و انجادهم بقرون الحيوان، لأنّهم أسباب القوّه و الصّوله و المحاربه للقبيلتين كما أنّ القرن آله الحرب و النطح و الصّيال للكبش.

و تحتمل الاستعاره المكنيّه بأن يراد تشبيه القبيلتين بالأكبش ذوات القرون فى الصّوله و القوّه، فيكون اثبات القرن تخييلا و الكسر و النّواجم ترشيحا، و المراد بكسره عليه السّلام نواجم قرونهم قهرهم، و اذلالهم، لأنّ الكبش اذا انتطح بكبش آخر فانكسر قرنه يغلب و يهرب.

و قد قتل عليه السّلام من ربيعه و مضر فى مجاهداته بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعده فى الجمل و صفّين جما غفيرا يكاد أن يكون أغزر من قطر المطر و أكثر من عدد النجم و الشّجر، و لنعم ما قال كاشف الغمّه:

سل عن علىّ مقامات عرفن به شدّت عرى الدّين فى حلّ و مرتحل

بدرا واحدا و سل عنه هوازن فى أوطاس و اسأل به فى وقعه الجمل

و اسأل به إذ أتى الأحزاب يقدمهم عمرو و صفّين سل أن كنت لم تسل

ثمّ ذكر المخاطبين بمناقبه الجميله و مفاخره الجليله، و عدّ منها تسعا الاولى - ما أشار اليه بقوله (و قد علمتم موضعى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالقرابه القريبه) لأنّ أبويهما عبد اللّه و أبا طالب أخوان لأب و أمّ، دون غيرهما من بنى عبد المطلب فهما ابنا عمّ مضافا إلى علاقه المصاهره و كونه عليه السّلام زوج ابنته فاطمه سلام اللّه عليها.

و الى هذه القرابه اشيرت فى قوله سبحانه «هُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً ».

روى فى غايه المرام عن المالكى فى فصول المهمّه عن محمّد بن سيرين فى هذه الايه أنّها نزلت فى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علىّ بن أبى طالب ابن عمّ رسول اللّه و زوج ابنته فاطمه فكان نسبا و صهرا.

و فيه عن الشيخ فى أماليه بسنده عن انس بن مالك قال: ركب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

ذات یوم بغلته فانطلق الی جبل آل فلان و قال: یا أنس خذ البغله و انطلق إلی موضع کذا و کذا تجد علیّا جالس یسبّح بالحصی، فاقرءه منی السلام و احمله علی البغله و ایت به إلیّ.

قال أنس: فذهبت فوجدت علیّا کما قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فأتیت به علیه، فلمّا أن نظر علیه السّلام برسول اللّه قال: السلام علیک یا رسول اللّه، قال: و علیک السلام یا أبا الحسن اجلس، فانّ هذا موضع قد جلس فیه سبعون نبیّا مرسلا ما جلس فیه أحد من الأنبیاء إلاّ و أنا خیر منه، و قد جلس کلّ نبیّ أخ له ما جلس فیه من الاخوه واحد إلاّ و أنت خیر منه.

قال أنس: فنظرت إلی سحابه قد أظلّتهما و دنت من رؤوسیهما، فمدّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یده إلی السحابه فتناول عنقود عنب فجعله بینه و بین علیّ و قال: کل یا أخی.

قلت: یا رسول اللّه: صف کیف علیّ أخوک؟ قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق ماء تحت العرش قبل أن یخلق آدم بثلاثه آلاف عام، و اسکنه فی لؤلؤه خضراء فی غامض علمه إلی أن خلق آدم، فلمّا خلق آدم نقل ذلک الماء من اللؤلؤه فأجراه فی صلب آدم إلی أن قبضه اللّه، ثمّ نقله فی صلب شیث فلم یزل ذلک الماء ینتقل من ظهر إلی ظهر حتّی صار فی عبد المطّلب، ثمّ شقّه اللّه عزّ و جلّ نصفین نصف فی أبی عبد اللّه بن عبد المطّلب و نصف فی أبی طالب فأنا من نصف الماء و علیّ من النصف الاخر، فعلیّ أخی فی الدّنیا و الاخره، ثمّ قرء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً ».

و فی کشف الغمه عن جابر بن عبد اللّه قال: سمعت علیّا ینشد و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یسمع:

أنا أخو المصطفی لا شکّ فی نسبی معه ربّیت و سبطاه هما ولدی

جدّی و جدّ رسول اللّه منفرد و فاطم زوجتی لا قول ذی فند

فالحمد للّه شکرا لا شریک له البرّ بالعبد و الباقی بلا أمد

قال فتبسّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال: صدقت یا علیّ الثانیه - ما أشار إلیه بقوله (و المنزله الخصیصه) أی الخاصه و المخصوصه بی

و شرحها بقوله (وضعنى فى حجره) و ربّانى (و أنا وليد) طفل صغير (يضمّنى إلى صدره و يكنفنى) أى يضمّنى إلى كنفه و حضنه (فى فراشه و يمسّنى جسده و يشمّنى عرفه) أى ريحه الطيّب (و كان يمضغ الشىء ثمّ يلقمنيه) و هذا كلّه إشاره إلى شدّه تربيته صلّى اللّه عليه و آله له و قيامه بأمره و يوضحه ما رواه الشارح المعتزلى عن الطّبرى فى تاريخه قال: حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمه قال حدّثنى محمّد بن إسحاق قال حدّثنى عبد اللّه بن نجيح عن مجاهد قال:

كان من نعمه اللّه عزّ و جلّ على علىّ بن أبى طالب و ما صنع اللّه له و أراد به من الخير أنّ قريشا أصابتهم أزمه(1) شديده و كان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للعبّاس و كان من أيسر بنى هاشم: إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال و قد ترى ما أصاب النّاس من هذه الأزمه فانطلق بنا فنخفّف عنه من عياله آخذ من بنيه واحدا و تأخذ واحدا فنكفيهما عنه، فقال العبّاس: نعم، فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب فقالا له: إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لى عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليا فضمّه إليه، و أخذ العبّاس جعفرا فضمّه إليه، فلم يزل علىّ بن أبى طالب مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى بعثه اللّه نبيّا، فاتبعه علىّ عليه السّلام فأقرّ به و صدّقه، و لم يزل جعفر عند العبّاس حتّى أسلم و استغنى عنه.

و رواه كاشف الغمّه عن الخطيب الخوارزمى عن محمّد بن إسحاق نحوه.

و روى الشّارح المعتزلى عن الفضل بن عباس قال: سألت أبى عن ولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذّكور أيّهم كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أشدّ حبّا، فقال: علىّ بن أبى طالب، فقلت: سألت لك عن بنيه، فقال: إنّه كان أحبّ إليه من بنيه جميعا و أرءف ما رأيناه زايله يوما من الدّهر منذ كان طفلا إلاّ أن يكون فى سفر لخديجه و ما رأينا أبا أبرّ بابن منه لعلىّ و لا ابنا أطوع لأب من علىّ له قال الشّارح: و روى جبير بن مطعم قال: قال أبى مطعم بن عدى لنا و نحن

1- (1) - و هى السنه المجدبه (منه)

صبیان بمکّه: ألا ترون حبّ هـذا الغلام یعنی علیّا لمحمّـد و اتّباعه له دون أبیه و اللّات و العزّی لوددت أنّه ابنی بفتیان بنی نوفل جمیعا.

قال الشّارح: و روی الحسین بن زید بن علیّ بن الحسین علیهما السّـلام قال: سمعت زیدا أبی یقول: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یمضغ اللّحمه و التمره حتّی تلین و یجعلهما فی فم علیّ و هو صغیر فی حجره.

الثالثه – ما أشار إلیه بقوله (و ما و جـد لی کذبه فی قول و لا خطله فی فعل) أی لم تجد منّی کذبا و خطاء أبدا و لو مرّه واحده، لوجود العصمه المانعه فیه و فی زوجته و الطیّبین من أولاده سلام اللّه علیهم أجمعین من الاقدام علی الذّنوب صغیرها و کبیرها باتّفاق الامامیّه و حکم آیه التّطهیر و غیرها، فلا یقع منهم ذنب أصلالا عمدا و لا نسیانا و لا خطاء.

روی فی البحار من الخصال قال: قوله تعالی «لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ » عنی به أنّ الامامه لا تصلح لمن قد عبد صنما أو وثنا أو أشرک باللّه طرفه عین و إن أسلم بعد ذلک، و الظلم وضع الشیء فی غیر موضعه و أعظم الظلم الشّرک قال اللّه عزّ و جلّ «إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ » و کذلک لا تصلح لمن قد ارتکب من المحارم شیئا صغیرا کان أو کبیرا و إن تاب منه بعد ذلک، و کذلک لا یقیم الحدّ من فی جانبه حدّ.

فاذا لا یکون الامام إلّا معصوما، و لا تعلم عصمته إلّا بنصّ اللّه عزّ و جلّ علیه علی لسان نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، لأنّ العصمه لیست فی ظاهر الخلقه فتری کالسّواد و البیاض و ما أشبه ذلک و هی مغیبه لا تعرف إلّا بتعریف علّام الغیوب.

و قد مضی وجوب عصمه الامام بتقریر آخر فی مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقیّه.

ثمّ نبّه علی منقبه عظیمه لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لتکون تمهیدا و توطئه لمنقبته علیه السّلام الرابعه فقال:

(و لقد قرن اللّه به صلّی اللّه علیه و آله من لدن کان فطیما أعظم ملک من ملائکته یسلک به

طریق المکارم و محاسن أخلاق العالم لیله و نهاره).

قال الشّارح المعتزلی: روی انّ بعض أصحاب أبی جعفر محمّد بن علیّ الباقر علیهما السّلام سأله عن قول اللّه عزّ و جلّ «إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً » فقال علیه السّلام یوکّل اللّه بأنبیائه ملائکه یحصون أعمالهم و یؤدّون إلیه تبلیغهم الرساله، و وکّل بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ملکا عظیما منذ فصل عن الرّضا (علیه السلام) یرشده إلی الخیرات و مکارم الأخلاق و یسدّه عن الشرّ و مساوی الأخلاق، و هو الذی کان ینادیه السّلام علیک یا محمّد یا رسول اللّه و هو شابّ لم یبلغ درجه الرّساله بعد فیظنّ أنّ ذلک من الحجر و الأرض فیتأمّل فلا یری شیئا.

أقول: و الظّاهر علی ما یستفاد من الأخبار و اشیر إلیه فی غیر واحده من الایات: إنّ المراد بهذا الملک هو روح القدس المخصوص بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و عترته الأطهار الأخیار.

فقد روی المحدّث العلاّمه المجلسی «ره» فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم فی قوله «وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی » حدّثنی أبی عن ابن أبی عمیر عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: هو ملک أعظم من جبرئیل و میکائیل کان مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو مع الأئمه، و فی خبر آخر هو من الملکوت.

و فیه منه فی قوله تعالی «أُولئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمانَ » هم الأئمه «وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ » قال: ملک أعظم من جبرئیل و میکائیل و کان مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو مع الأئمه علیهم السّلام.

و فیه من کتاب الاختصاص و بصائر الدّرجات بسندهما عن أبی بصیر قال:

سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه تبارک و تعالی «وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لاَ الْإِیمانُ » قال: خلق من خلق اللّه أعظم من جبرئیل و میکائیل، کان مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یخبره و یسدّده و هو مع الأئمه من بعده.

و فیه من البصایر مسندا عن سماعه بن مهران قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنّ الرّوح خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل کان مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

ص:۳۷

يسدّده و يرشده و هو مع الأوصياء من بعده و فيه من البصاير عن البرقى عن أبى الجهم عن ابن اسباط قال: سأل أبا عبد اللّه عليه السّلام رجل و أنا حاضر عن قول اللّه «وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا » فقال:

منذ أنزل اللّه ذلك الرّوح على محمّد صلّى اللّه عليه و آله لم يصعد إلى السماء و أنه لفينا.

و فيه من الاختصاص و البصاير عن ابن يزيد عن ابن أبى عمير عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى » قال: خلق أعظم من خلق جبرئيل و ميكائيل لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو مع الأئمّه يوفقهم و يسدّدهم، و ليس كلّما طلب وجد.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره و لا حاجه إلى الاكثار و الاطاله، و المستفاد من الرّوايه الأخيره اختصاصه بالنبىّ و الأئمه عليهم السّلام و قوله عليه السّلام فيها: و ليس كلّما طلب وجد معناه أنّ حصول تلك المرتبه الجليله و المنقبه العظيمه لا يتيسّر بالطلب بل ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء.

الرابعه - ما أشار إليه بقوله (و لقد كنت اتّبعه اتّباع الفصيل) و هو ولد الناقه (أثر امّه) و هو اشاره إلى فرط ملازمته له و عدم مفارقته إيّاه ليله و نهاره سفرا و حضرا فى خلواته و جلواته.

و لمّا عرفت آنفا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان مؤيّدا مسدّدا بروح القدس من حين الطفوليه إلى آخر عمره الشريف ملهما إلى الخيرات موفقا بتأييد الرّوح إلى سلوك طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم.

تعرف من ذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام إذا كان ملازما له غير مفارق منه يكون تاليا له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى سلوك مسالك مكارم الخصال و محامد الأفعال مقتبسا من أنواره مقتفيا لاثاره كما أوضحه بقوله:

(يرفع لى فى كلّ يوم علما) و رايه (من أخلاقه) الفاضله (و يأمرنى بالاقتداء به) و المتابعه له.

الخامسه - ما أشار إليه بقوله (و لقد كان يجاور فی كلّ سنه بحراء) و يعتزل عن الخلق و يتخلّی للعباده (فأراه و لا يراه) أحد (غيری) قال الشارح المعتزلی: حديث مجاورته بحراء مشهور، قد ورد فی الكتب الصحاح أنه صلّی اللّه عليه و آله كان يجاور فی حراء من كلّ سنه شهرا، و كان يطعم فی ذلک الشهر من جاءه من المساكين، فاذا قضی جواره من حراء كان أوّل ما يبدء به إذا انصرف أن يأتی باب الكعبه قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء اللّه من ذلك ثمّ يرجع إلی بيته حتی جاءت السنه التی أكرمه اللّه فيها بالرّساله، فجاور فی حراء شهر رمضان و معه أهله خديجه و علیّ بن أبی طالب و خادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرّساله قال صلّی اللّه عليه و آله: جائنی و أنا نائم بنمط فيه كتاب فقال: اقرء، قلت: ما أقرء؟ فغشنی حتّی ظننت أنّه الموت، ثمّ أرسلنی فقال «اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِی خَلَقَ » «إلی قوله» «عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ »، فقرأته ثمّ انصرف عنّی، فتبّهت من نومی و كأنّما كتب فی قلبی كتاب الحديث و فی كتاب حيوه القلوب للمحدّث العلاّمه المجلسیّ عن علیّ بن إبراهيم و ابن شهر آشوب و الطبرسی و الرّاوندی و غيرهم من المحدّثين و المفسّرين أنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم كان قبل مبعثه يعتزل عن قومه و يجاور الحراء و يفرغ لعباده ربّه سبحانه، و كان عزّ و جلّ يسدّده و يهديه و يرشده بالرّوح القدس و الرؤيا الصّادقه و أصوات الملائكه و الالهامات الغيبيه، فيدرج فی مدارج المحبّه و المعرفه، و يعرج إلی معارج القرب و الزّلفی، و كان سبحانه يزيّنه بالفضل و العلم و محامد الأخلاق و محاسن الخصال و لا يراه أحد فی أيّام مجاورته به و خلال تلك الأحوال غير أمير المؤمنين عليه السّلام و خديجه.

السادسه - ما أشار إليه بقوله (و لم يجمع بيت واحد يومئذ فی الاسلام غير رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و خديجه و أنا ثالثهما) هذا الكلام صريح فی سبقه علی جميع من سواه من الرّجال بالاسلام، و نظيره قوله فی المختار المأه و الأحد و الثلاثين: اللّهم إنّی أوّل من أناب و سمع و أجاب

لم يسبقنی إلّا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالصّلاه.

و قد تقدّم فی شرح المختار المذکور تحقیق تقدّمه بالصّلاه و الاسلام کما هو مذهب الامامیه تفصیلا و أبطلنا تقدّم اسلام أبی بکر علیه کما ذهب إلیه شرذمه من العثمانیّه و أوردنا ثمّه من الأدلّه و الأخبار و الأشعار فی هذا المعنی ما لا مزید علیه و أقتصر هنا علی روایتین تقدّمتا هناک اجمالا و نرویهما هنا تفصیلا.

احداهما عن کاشف الغمّه عن عفیف الکندی قال: کنت امرأ تاجرا فقدمت الحجّ فأتیت العبّاس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التّجاره، و کان امرأ تاجرا فو اللّه إنی لعنده بمنی إذ خرج رجل من خباء قریب منه، فنظر إلی الشمس فلمّا رآها قد مالت قام یصلّی.

قال: ثمّ خرجت امرأه من الخباء الّذی خرج منه ذلک الرّجل فقامت خلفه فصلّت، ثمّ خرج غلام حین راهق الحلم من ذلک الخباء فقام معه فصلّی.

قال: فقلت للعباس: من هذا یا عبّاس؟ قال: هذا محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطّلب ابن أخی قال: فقلت: من هذه المرأه؟ قال: امرأته خدیجه بنت خویلد قال:

فقلت: من هذا الفتی؟ قال: علیّ بن أبی طالب ابن عمّه فقلت له: ما هذا الذی یصنع؟ قال: یصلّی و هو یزعم أنّه نبیّ و لم یتبعه علی أمره إلّا امرأته و ابن عمّه هذا الفتی و هو یزعم أنّه سیفتح علیه کنوز کسری و قیصر، و کان عفیف و هو ابن عمّ الأشعث بن قیس یقول بعد ذلک و هو أسلم و حسن إسلامه: لو کان رزقنی اللّه الاسلام یومئذ فأکون ثانیا مع علیّ علیه السّلام.

قال کاشف الغمه: و قد رواه بطوله أحمد بن حنبل فی مسنده، نقلته من الّذی اختاره و جمعه عزّ الدّین المحدّث، و تمامه من الخصائص بعد قوله ثمّ استقبل الرّکن و رفع یدیه فکبر، و قام الغلام و رفع یدیه و کبر، و رفعت المرأه یدیها فکبّرت و رکع و رکعا و سجد و سجدا و قنت و قنتا، فرأینا شیئا لم نعرفه أو شیئا حدث بمکّه فأنکرنا ذلک و أقبلنا علی العبّاس فقلنا له یا أبا الفضل الحدیث بتمامه.

و الروایه الثانیه قدّمناها هناک من البحار من مناقب ابن شهر آشوب من

كتاب محمّد بن إسحاق و أرويها هنا بتفصيل من شرح المعتزلى رواها هنا عن الطّبرى عن ابن حميد عن سلمه عن محمّد بن إسحاق، و رواها أيضا فى تاسع المختار من باب الكتب من كتاب السّيره و المغازى لمحمّد بن إسحاق قال الشارح المعتزلى: فانّه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث و المؤرّخين، و مصنّفه شيخ النّاس كلّهم قال:

قال محمّد بن إسحاق: لم يسبق عليّا عليه السّلام إلى الايمان باللّه و رساله محمّد أحد من النّاس، اللّهمّ إلاّ أن تكون خديجه زوجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قال: و قد كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخرج و معه علىّ عليه السّلام مستخفيا من النّاس فيصلّيان الصّلاه فى بعض شعاب مكه، فاذا أمسيا رجعا فمكثا بذلك ما شاء اللّه أن يمكثا لا ثالث لهما.

ثمّ إنّ أبا طالب عثر عليهما يوما و هما يصلّيان فقال لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يا ابن أخى ما هذا الّذى تفعله؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أى عمّ هذا دين اللّه و دين ملائكته و رسله و دين أنبيائه أو كما قال صلّى اللّه عليه و آله بعثنى اللّه به رسولا إلى العباد «إلى أن قال» فزعموا أنّه قال: لعلىّ عليه السّلام أى بنىّ ما هذا الّذى تصنع قال: يا أبتاه آمنت باللّه و رسوله و صدقته فيما جاء به و صليت إليه و اتّبعت قول نبيّه فزعموا أنّه قال له أما انّه لا يدعوك أو لن يدعوك إلاّ إلى خير فالزمه.

قال ابن إسحاق: ثمّ أسلم زيد بن حارثه مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فكان أوّل من أسلم و صلّى معه صلّى اللّه عليه و آله بعد علىّ بن أبى طالب، ثمّ أسلم أبو بكر بن أبى قحافه فكان ثالثا لهما، ثمّ اسلم عثمان بن عفّان و طلحه و الزّبير و عبد الرّحمن و سعد بن أبى وقّاص فصاروا ثمانيه، فهم الثّمانيه الّذين سبقوا النّاس إلى الاسلام بمكّه.

السابعه - ما أشار إليه بقوله(أرى نور الوحى و الرّساله و أشمّ ريح النّبوه)قال الشارح البحرانى و هذه أعلى مراتب الأولياء، و استعار لفظ النور لما يشاهده بعين بصيرته من أسرار الوحى و الرّساله و علوم التنزيل و دقايق التّأويل و اشراقها على لوح نفسه القدسيّه، و وجه الاستعاره كون هذه العلوم و الأسرار هاديه فى سبيل اللّه إليه من ظلمات الجهل كما يهدى النور من الطّرق المحسوسه، و رشح

تلک الاستعاره بذکر الرؤیه لأنّ النور حظّ البصر و کذلک استعار لفظ الرّیح لما أدرکه من مقام النّبوه و أسرارها و رشح بذکر الشمّ لأنّ الرّیح حظّ القوّه الشامه، انتهی.

أقول: و لقائل أن یقول: لا مانع من ظهور نور محسوس عند نزول الوحی أو فی سایر الأوقات أیضا، و کذلک عرف طیب یدرکه أمیر المؤمنین علیه السّلام بقوّه قوّتیه الباصره و الشّامّه و إن لم یکن یحسّ به غیره و لا حاجه علی ذلک إلی التّأویل الّذی ذکره.

و یشهد بما ذکرته ما رواه فی البحار من أمالی الشیخ عن المفید عن علیّ بن محمّد البزّاز عن زکریا بن یحیی الکشحی عن أبی هاشم الجعفری قال: سمعت الرّضا علیه السّلام یقول: لنا أعین لا تشبه أعین النّاس، و فیها نور لیس للشّیطان لها نصیب.

و فی شرح المعتزلی روی عن جعفر بن محمّد الصادق علیهما السّلام قال: کان علیّ علیه السّلام یری مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قبل الرّساله الضوء و یسمع الصّوت، و قال صلّی اللّه علیه و آله لو لا أنّی خاتم الأنبیاء لکنت شریکا فی النّبوه فان لا تکن نبیّا فانک وصیّ نبیّ و وارثه بل أنت سیّد الأوصیاء.

الثامنه - ما أشار إلیه بقوله (و لقد سمعت رنّه الشیطان حین نزل الوحی علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقلت یا رسول اللّه ما هذه الرّنه) و الصّوت (فقال هذا الشّیطان قد أیس من عبادته) أی من أن یعبد له.

و هذه المنقبه له علیه السّلام تدلّ علی کمال قوّته السامعه أیضا و سماعه ما لا یسمعه غیره.

و أما رنین هذا اللّعین فقد روی علیّ بن إبراهیم القمیّ عن أبیه عن الحسن ابن علیّ بن فضال عن علیّ بن عقبه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ إبلیس رنّ رنینا لما بعث اللّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی حین فتره من الرّسل و حین انزلت أمّ الکتاب.

و روی المحدّث العلّامه المجلسیّ فی کتاب حیوه القلوب عن الصّدوق عن الصّادق علیه السّلام أنّ ابلیس رنّ أربع رنّات: یوم لعن، و یوم اهبط إلی الأرض، و حین بعث محمّد علی حین فتره من الرّسل، و حین نزلت امّ الکتاب.

ص:۴۲

و فی شرح المعتزلی من مسند أحمد بن حنبل عن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام قال:

کنت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صبیحه اللیله الّتی اسری به فیها و هو بالحجره یصلّی فلمّا قضی صلاته و قضیت صلاتی سمعت رنّه شدیده فقلت: یا رسول اللّه ما هذه الرنّه: قال:

ألا تعلم هذه رنّه الشیطان علم أنّی اسری فی اللیله إلی السماء فایس من أن یعبد فی هذه الأرض.

التاسعه – ما أشار إلیه بقوله (إنّک تسمع ما أسمع و تری ما أری) ظاهر هذا الکلام یفید أنّ الامام یسمع صوت الملک و یعاینه کالرّسول.

أمّا سماع الصوت فلا غبار علیه و یشهد به أخبار کثیره.

و أمّا المعاینه فیدلّ علیه بعض الأخبار.

مثل ما فی البحار من أمالی الشیخ باسناده عن أبی حمزه قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنّ منّا لمن ینکت فی قلبه و إنّ منّا لمن یؤتی فی منامه و إنّ منّا لمن یسمع الصّوت مثل صوت السلسله فی الطّشت و أنّ منّا لمن یأتیه صوره أعظم من جبرئیل و میکائیل و قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: منّا من ینکت فی قلبه، و منّا من یخاطب، و قال علیه السّلام:

إنّ منّا لمن یعاین معاینه و إنّ منّا لمن ینقر فی قلبه کیت و کیت، و إنّ منّا لمن یسمع کوقع السّلسله فی الطشت، قال: قلت: و الّذی یعاینون ما هو؟ قال: خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل.

و لکن الظاهر من الأخبار الکثیره أنّ الامام یسمع الصّوت و لا یعاین، و من ذلک اضطرّ المحدّث العلاّمه المجلسی «ره» بعد روایه هذه الرّوایه إلی تأویلها بقوله:

و المراد بالمعاینه معاینه روح القدس و هو لیس من الملائکه مع أنّه یحتمل أن یکون المعاینه فی غیر وقت المخاطبه، انتهی.

و تمام الکلام إنشاء اللّه فی التّنبیه الثانی من التنبیهات الاتیه، هذا.

و لما کان ظاهر قوله صلّی اللّه علیه و آله انّک تسمع ما أسمع و تری ما أری موهما للسماوات بینه علیه السّلام و بینه صلّی اللّه علیه و آله استدرک ذلک بقوله (إلاّ أنّک لست بنبیّ) و نظیر هذا الاستدراک قد وقع فی کلام الصادق علیه السّلام و هو:

ما رواه فى البحار من البصاير بسنده عن علىّ السائى قال: سألت الصادق عليه السّلام عن مبلغ علمهم، فقال: مبلغ علمنا ثلاثه وجوه: ماض، و غابر، و حادث، فأمّا الماضى فمفسّر، و أمّا الغابر فمزبور، و أمّا الحادث فقذف فى القلوب و نقر فى الأسماع و هو أفضل علمنا و لا نبىّ بعد نبيّنا.

فانّ النّكث و النّقر لما كانا مظنّه لأن يتوهّم السائل فيهم النّبوّه قال عليه السّلام:

و لا نبىّ بعد نبيّنا، و يتّضح لك معنى هذا الحديث ممّا نورده فى التّنبيه الثانى إنشاء اللّه.

ثمّ إنّه لمّا نفى عنه النّبوه أثبت له الوزاره و هى عاشر المناقب فقال (و لكنّك لوزير و إنّك لعلى خير) بشّره بالوزاره و نبّه به على أنّه الصّالح لتدبير أمور الرّساله و المعاون له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى نظم امور الدّين و تأسيس قواعد شرع المبين و اصلاح امور الاسلام و المسلمين، ثمّ شهد به أنّه على خير و أشار به على استقراره و ثباته على ما هو خير الدّنيا و الاخره، و أنّه مجانب لما هو شرّ الدّنيا و الاخره.

و هذا معنى عام متضمّن لكونه عليه السّلام جامعا لجميع الكمالات و المكارم الدّنيويّه و الاخرويّه و المحامد الصّوريّه و المعنويّه و كونه راسخا فيها غير متزلزل و لا متكلّف، هذا.

و اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه الشريفه لمّا كان متضمّنا لجلّ مسائل الرّساله و الامامه حسبما عرفته أتيت فى شرحه من الرّوايات الشّريفه و التحقيقات اللطيفه بما هو مقتضى مذهب الفرقه النّاجيه الاماميّه، و أضربت عن روايات عاميّه ضعيفه أوردها الشّارح المعتزلى فى بيان عصمه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالملائكه.

و العجب من مبالغه الشّارح البحرانى له فى ايراد بعض هذه الأخبار مع أنّها مضافه إلى أنّها خلاف اصول الاماميّه ممّا تشمئزّ عنها الطباع و تنفر عنها الأسماع كما هو غير خفىّ على من لاحظ الشرحين بنظر الدّقه و الاعتبار.

ثمّ لما بقى هنا بعض مطالب محتاجه إلى بسط من الكلام أردت ايرادها و تحقيق ما هو محتاج إلى التحقيق فى ضمن تنبيهات ثلاثه فأقول و باللّه التوفيق:

التنبیه الاول

اعلم أنّا قد قلنا فی شرح قوله علیه السّلام فی فاتحه هذا الفصل: ألا و قد أمرنی اللّه بقتال أهل البغی: إنّ من جمله الأوامر الامره بقتاله لهم قوله «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّهٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّهٍ عَلَی الْکافِرِینَ یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ لا یَخافُونَ لَوْمَهَ لائِمٍ ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ ».

لکن جمعا من العامّه العمیاء المتعصّبین من المعتزله و الأشاعره زعموا أنّ الایه ناظره إلی أبی بکر و دالّه علی صحّه إمامته، و قد أفرط فی هذا المعنی النّاصب المتعصّب فخر المشکّکین و المضلّین خذله اللّه تعالی و حشره مع أولیائه المرتدّین فأحببت أن اورد مقالهم و اعقّبه بالتنبیه علی خطائهم و ضلالهم فأقول:

قال الشّارح المعتزلی فی شرح هذا الفصل:

و اعلم أنّ أصحابنا قد استدلّوا علی صحّه إمامه أبی بکر بهذه الایه، قال قاضی القضاه فی المغنی: و هذا خبر من اللّه تعالی و لا بدّ أن یکون کائنا علی ما أخبر به، و الذین قاتلوا المرتدّین هم أبو بکر و أصحابه فوجب أن یکونوا هم الّذین عناهم اللّه سبحانه بقوله: یحبّهم و یحبّونه، و ذلک یوجب أن یکون علی صواب، انتهی و قال الفخر الرّازی فی تفسیر الایه: اختلفوا فی أنّ اولئک القوم من هم، فقال علیّ بن أبی طالب و الحسن و القتاده و الضحاک و ابن جریح: هم أبو بکر و أصحابه لأنهم هم الذین قاتلوا أهل الرّدّه، قالت عایشه: مات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ارتدّت العرب و اشتهر النفاق و نزل بأبی ما لو نزل بالجبال الرّاسیات لهاضها.

و قال السدی: نزلت الایه فی الأنصار، لأنّهم هم الّذین نصروا الرّسول و أعانوه علی اظهار الدّین.

و قال مجاهد: نزلت فی أهل یمن و روی مرفوعا أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لما نزلت هذه الایه أشار إلی أبی موسی الأشعری و قال: هم قوم هذا.

و قال آخرون: هم الفرس لأنه روى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما سئل عن هذه الايه ضرب بيده على عاتق سلمان و قال: هذا و ذووه ثمّ قال: لو كان الدّين معلّقا بالثريّا لنا له رجال من أبناء فارس.

و قال قوم: إنها نزلت فى علىّ عليه السّلام و يدلّ عليه وجهان:

الوجه الأوّل أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما دفع الرّايه إلى علىّ عليه السّلام يوم خيبر قال: لأدفعنّ الرّايه غدا إلى رجل يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله، و هذا هو الصفه المذكوره فى الايه.

و الوجه الثانى أنه تعالى إنما ذكر بعد هذه الايه قوله: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ » الايه، و هذه فى حقّ علىّ عليه السّلام فكان الأولى جعل ما قبلها أيضا فى حقّه عليه السّلام، فهذه جمله الأقوال فى هذه الايه، و لنا فى هذه الايه مقامات:

المقام الأول أنّ هذه الايه من أدلّ الدّلائل على فساد مذهب الاماميّه من الرّوافض.

و تقرير مذهبهم إنّ الّذين أقرّوا بخلافه أبى بكر و امامته كلّهم كفروا و صاروا مرتدّين، لأنّهم أنكروا النصّ الجلىّ على إمامه علىّ عليه السّلام.

فنقول: لو كان كذلك لجاء اللّه تعالى بقوم يحاربهم و يقهرهم و يردّهم إلى الدّين الحقّ بدليل قوله: «مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ »، الايه، و كلمه من فى معرض الشرط للعموم، فهى تدلّ على أنّ كلّ من صار مرتدّا عن دين الاسلام فانّ اللّه يأتى بقوم يقهرهم و يردّهم و يبطل شوكتهم فلو كان الذين نصبوا أبا بكر للخلافه كذلك لوجب بحكم الايه أن يأتى اللّه بقوم يقهرهم و يبطل مذهبهم، و لما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضدّ فانّ الرّوافض هم المقهورون الممنوعون من إظهار مقالاتهم الباطله أبدا منذ كانوا علمنا فساد مذهبهم و مقالتهم، و هذا كلام ظاهر لمن أنصف.

المقام الثانى إنّا ندّعى أنّ هذه الايه يجب أن يقال: إنّها نزلت فى حقّ أبى بكر و الدّليل عليه وجهان:

الوجه الأول أنّ هذه الايه مختصّه بمحاربه المرتدّين، و أبو بكر هو الذى تولّى محاربه المرتدّين، و لا يمكن أن يكون المراد هو الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لأنه لم يتّفق له محاربه المرتدّين، و لأنه تعالى قال: فسوف يأتى اللّه، و هذا للاستقبال لا للحال، فوجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين فى وقت نزول هذا الخطاب.

فان قيل: هذا لازم عليكم، لأنّ أبا بكر كان موجودا فى ذلك الوقت.

قلنا: الجواب من وجهين:

الأول أنّ القوم الذين قاتل بهم أبو بكر أهل الردّه ما كانوا موجودين فى الحال و الثّانى أنّ معنى الايه أنّ اللّه تعالى قال: فسوف يأتى اللّه بقوم، قادرين متمكّنين من هذا الحراب، و أبو بكر و إن كان موجودا فى ذلك الوقت إلاّ أنه ما كان مستقلاّ فى هذا الوقت بالحراب و الأمر و النّهى، فزال السؤال فثبت أنه لا يمكن أن يكون هو الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا يمكن أن يكون المراد هو علىّ عليه السّلام لأنّ عليا لم يتّفق له قتال مع أهل الردّه فكيف تحمل هذه الايه عليه.

فان قالوا: بل كان قتاله مع أهل الردّه، لأنّ كلّ من نازعه فى الامامه كان مرتدّا.

قلنا: هذا باطل من وجهين:

الأول أنّ اسم المرتدّ إنما يتناول من كان تاركا للشرايع الاسلاميّه، و القوم الذين نازعوا عليّا ما كانوا كذلك فى الظاهر، و ما كان أحد يقول إنّهم خرجوا عن الاسلام و علىّ لم يسمّهم البتّه بالمرتدّين، فهذا الذى يقوله هؤلاء الرّوافض لعنهم اللّه بهت على جميع المسلمين و على علىّ عليه السّلام أيضا.

الثانى أنه لو كان كلّ من نازعه فى الامامه مرتدّا لزم فى أبى بكر و فى قومه أن يكونوا مرتدّين، و لو كان كذلك لوجب بحكم ظاهر الايه أن يأتى اللّه بقوم يقهرونهم و يردّونهم إلى الدّين الصحيح، و لما لم يوجد ذلك البتّه علمنا أنّ منازعه علىّ فى الامامه لا يكون ردّه، و إذا لم تكن ردّه لم يمكن حمل الايه على علىّ لأنّها نازله فيمن يحارب المرتدّين.

و لا ـ يمكن أيضا أن يقال: إنّها نازله فى أهل فارس أو فى أهل اليمن، لأنّهم لم يتّفق لهم محاربه مع المرتدّين، و بتقدير أنّه اتّفقت لهم هذه المحاربه و لكنهم كانوا رعيّه و أتباعا و أذنابا، و كان الرئيس المطاع الامر فى تلك الواقعه هو ابو بكر و معلوم أنّ حمل الايه على من كان أصلا فى هذه العباده و رئيسا مطاعا فيها أولى من حملها على الرّعيه و الأتباع و الأذناب، فظهر بما ذكرنا من الدّليل الظاهر أنّ هذه الايه مختصّه بأبى بكر.

و الوجه الثانى فى بيان أنّ هذه الايه مختصّه بأبى بكر هو:

إنّا نقول: هب أنّ عليّا قد كان حارب المرتدّين، و لكن محاربه أبى بكر مع المرتدّين كانت أعلى حالا و أكثر موقعا فى الاسلام من محاربه علىّ مع من خالفه فى الامامه و ذلك لأنّه علم بالتواتر أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا توفّى اضطربت الأعراب و تمرّدوا و أنّ أبا بكر هو الّذى قهر مسيلمه و طليحه، و هو الذى حارب مانعى الزّكاه، و لمّا فعل ذلك استقرّ الاسلام و عظمت شوكته و انبسطت دولته.

أمّا لما انتهى الأمر إلى علىّ فكان الاسلام قد انبسط فى الشّرق و الغرب و صار ملوك الدّنيا مقهورين و صار الاسلام مستوليا على جميع الأديان و الملل، فثبت أنّ محاربه أبى بكر أعظم تاثيرا فى نصره الاسلام و تقويته من محاربه علىّ عليه السّلام.

و معلوم أنّ المقصود من هذه الايه تعظيم قوم يسعون فى تقويه الدّين و نصره الاسلام، و لما كان أبو بكر هو المتولّى لذلك وجب أن يكون هو المراد بالايه.

المقام الثالث فى هذه الايه و هو أنّا ندّعى دلاله هذه الايه على صحّه إمامه أبى بكر، لما ثبت بما ذكرنا أنّ هذه الايه مختصّه به، فنقول: إنّه تعالى وصف الذين أرادهم بهذه الايه بصفات:

أوّلها أنّهم يحبّهم اللّه، فلمّا ثبت أنّ المراد بهذه الايه هو أبو بكر ثبت أنّ قوله يحبّهم و يحبّونه وصف لأبى بكر، و من وصفه اللّه تعالى بذلك يمتنع أن يكون ظالما، و ذلك يدلّ على أنه كان محقّا فى إمامته.

و ثانيها قوله: أذلّه على المؤمنين أعزّه على الكافرين، و هو صفه أبى بكر أيضا للدّليل الّذى قدّمناه.

و يؤكّده ما روى فى الخبر المستفيض أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: أرحم امّتى بامّتى أبو بكر، فكان موصوفا بالرّحمه و الشفقه على المؤمنين، و بالشدّه مع الكفّار.

ألا ـ ترى أنّ فى أوّل الأمر حين كان الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مكّه و كان فى غايه الضعف كيف كان يذبّ عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كيف كان يلازمه، و يخدمه، و ما كان يبالى بجبابره الكفّار و شياطينهم و فى آخر الأمر أعنى وقت خلافته كيف لم يلتفت إلى قول أحد و أصرّ على أنه لا بدّ من المحاربه مع مانعى الزكاه حتى آل الأمر إلى أن خرج إلى قتال القوم وحده حتى جاء أكابر الصحابه و تضرّعوا إليه و منعوه من الذهاب.

ثمّ لما بلغ بعث العسكر إليهم انهرموا و جعل اللّه ذلك مبدء لدوله الاسلام، فكان قوله: «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ »، لا يليق إلاّ به.

و ثالثها قوله: يجاهدون فى سبيل اللّه و لا يخافون لومه لائم، فهذا مشترک فيه بين أبى بكر و علىّ إلاّ أنّ حظّ أبى بكر فيه أتمّ و أكمل.

و ذلک لأنّ مجاهده أبى بكر مع الكفار كان فى أوّل البعث، و هناک الاسلام كان فى غايه الضعف، و الكفر كان فى غايه القوّه، و كان يجاهد الكفار بمقدار قدرته و يذبّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بغايه وسعه.

و أما علىّ عليه السّلام فانه إنما شرع فى الجهاد يوم بدر و أحد، و فى ذلک الوقت كان الاسلام قويّا و كانت العساكر مجتمعه.

فثبت أنّ جهاد أبى بكر كان أكمل من جهاد علىّ عليه السّلام من وجهين:

الأوّل أنه كان متقدّما عليه فى الزّمان لقوله تعالى: «لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ » و الثانى جهاد أبى بكر كان فى وقت ضعف الرّسول و جهاد علىّ كان فى وقت القوّه.

و رابعها قوله: ذلک فضل اللّه يؤتيه من يشاء، و هذا لايق بأبى بكر لأنّه متأكّد

بقوله تعالى: «وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكَمْ وَ السَّعَهِ»، و قد بيّنا أنّ هذه الايه فى أبى بكر و ممّا يدلّ على أنّ جميع هذه الصّفات لأبى بكر أنا بيّنا بالدّليل أنّ هذه الايه لا بدّ و أن تكون فى أبى بكر، و متى كان الأمر كذلك كانت هذه الصّفات لا بدّ و أن تكون لأبى بكر، و إذا ثبت هذا وجب القطع بصحّه امامته، إذ لو كانت باطله لما كانت هذه الصّفات لائقه به.

فان قيل: لم لا يجوز أن يقال: إنه كان موصوفا بهذه الصّفات حال حياه الرّسول ثمّ بعد وفاته لما شرع فى الامامه زالت هذه الصّفات و بطلت.

قلنا: هذا باطل قطعا، لأنّه تعالى قال: فسوف يأتى اللّه بقوم يحبّهم و يحبّونه، فأثبت كونهم موصوفين بهذه الصّفات حال اتيان اللّه بهم فى المستقبل، و ذلك يدلّ على شهاده اللّه بكونه موصوفا بهذه الصّفات حال محاربته مع أهل الرّده، و ذلك هو حال امامته، فثبت بذلك الايه دلاله الايه على صحّه امامته.

أمّا قول الرّوافض لعنهم اللّه إنّ هذه الايه فى حقّ علىّ عليه السّلام بدليل أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يوم خيبر: لاعطينّ الرّايه غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله، و كان ذلك هو علىّ عليه السّلام.

فنقول: هذا الخبر من باب الاحاد و عندهم لا يجوز التّمسك به فى العمل فكيف يجوز التّمسك به فى العلم.

و أيضا إنّ اثبات هذه الصفه لعلىّ عليه السّلام لا يوجب انتفاءها عن أبى بكر و بتقدير أن يدلّ على ذلك لكنّه لا يدلّ على انتفاء ذلك المجموع عن أبى بكر و من جمله تلك الصفات كونه كرّارا غير فرّار فلمّا انتفى ذلك عن أبى بكر لم يحصل مجموع تلك الصّفات له فكفى هذا فى العمل بدليل الخطاب، فأمّا انتفاء جميع تلك الصفات فلا دلاله فى اللّفظ عليه فهو تعالى إنّما أثبت هذه الصّفه المذكوره فى هذه الايه حال اشتغاله بمحاربه المرتدّين بعد ذلك، فهب أنّ تلك الصفه ما كانت حاصله فى ذلك الوقت فلم يمنع ذلك من حصولها فى الزّمان المستقبل.

و لأنّ ما ذكرناه تمسّك بظاهر القرآن و ما ذكروه تمسّك بالخبر المذكور

المنقول بالاحاد.

و لأنّه معارض بالأخبار الدّاله على كون أبى بكر محبّا للّه و رسوله و كون اللّه محبّا له و راضيا عنه، قال تعالى فى حقّ أبى بكر: «وَ لَسَوْفَ يَرْضى » و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ اللّه يتجلّى للناس عامّه و يتجلّى لأبى بكر خاصّه، و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما صبّ اللّه شيئا فى صدرى إلاّ و صبّه فى صدر أبى بكر، و كلّ ذلك يدلّ على أنّه كان يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله.

و أما الوجه الثانى و هو قولهم: الايه التى بعد هذه الايه دالّه على امامه علىّ عليه السّلام فوجب أن تكون هذه الايه نازله فى علىّ.

فجوابنا أنا لا نسلّم دلاله الايه التى بعد هذه الايه على امامته، و سنذكر الكلام فيه، فهذا ما فى هذا الموضع من البحث و اللّه أعلم، انتهى كلامه هبط مقامه.

و يتوجّه عليه وجوه من الكلام و ضروب من الملام:

الوجه الاول - أنّ نسبته كون المراد بقوم يحبّهم و يحبّونه هو ابو بكر و أصحابه إلى علىّ عليه السّلام بهت و افتراء، و إنما المروىّ عنه عليه السّلام و عن حذيفه و عمّار و ابن عباس حسبما تعرفه أنّ المراد به هو عليه السّلام و أصحابه.

الثانى - ما ذكره من الوجه الثانى من استدلال الاماميه بأنّ الايه الواقعه بعد هذه الايه عنى قوله: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ »، فى حقّ علىّ عليه السّلام فكان الأولى جعل ما قبلها أيضا فى حقّه فاسد، لأنّ أصحابنا و إن قالوا بكون «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ » فى حقّه لكنّهم لم يستدلّوا بذلك على كون هذه الايه أعنى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ »، فيه عليه السّلام و إنّما استدلّوا على ذلك بالوجه الأوّل الّذى حكاه عنهم و يأتى توضيحه، و بما روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام من قوله يوم البصره و اللّه ما قوتل أهل الايه حتّى اليوم و تلاها، و بما روى عن وجوه الصحابه مثل حذيفه و عمّار و ابن عبّاس من نزولها فيه عليه السّلام كما قاله المرتضى فى الشافى، و مثلهم الثعلبى قال فى تفسير قوله: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ » الايه، هو علىّ بن أبى طالب.

الثالث - أنّ استدلاله على فساد مذهب الاماميّه بقوله: و تقرير مذهبهم إلى قوله:

و لما لم يكن كذلك علمنا فساد مذهبهم، سخيف جدّا، لأنّا لا ننكر ارتداد أبى بكر

و من تبعه حسبما نشير اليه، و لكن نمنع دلاله الايه على أنّ كلّ من صار مرتدّا عن دين الاسلام، فانّ اللّه يأتى بقوم يردّهم إلى الاسلام و إفاده من للشرط و العموم لا يقتضى ذلك.

و ذلك لأنه سبحانه لم يقل من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى اللّه بقوم يجاهدهم و يقهرهم و يردّهم الى الدّين الحقّ كما زعمه هذا الناصب، و إنما قال «فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ » آه.

و لا دلاله فيها على أنّ القوم المأتىّ بهم يجاهدون هؤلاء المرتدّين بل ظاهر معنى الايه و مساقها مع قطع النظر عن الأخبار أنّ من يرتدّ منكم عن دينه فلن يضرّ دينه شيئا و لا يوجب ارتداده ضعفه و وهنه لأنّه سبحانه سوف يأتى بقوم لهم هذه الصّفات ينصرونه على أبلغ الوجوه، و بهم يحصل كمال قوّته و شوكته.

فيكون مساق هذه الايه مساق قوله تعالى «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللّهُ الشّاكِرِينَ ».

و قد روى ابن شهر آشوب من طريق العامّه باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الايه يعنى بالشاكرين علىّ بن أبى طالب و بالمرتدّين على أعقابكم هم الذين ارتدّوا عنه عليه السّلام.

فقد علم بما ذكرنا أنّ الايه لا تقتضى أنّ كلّ من ارتدّ لا بدّ و أن يأتى اللّه بمن يردّه عن ارتداده إلى دين الاسلام كما توهّمه الرّازى، كيف؟ و لو كان مفهومها ذلك لوجب أن لا يوجد مرتدّ إلاّ و له قاهر يقهره و رادّ يردّه إلى دين الاسلام، و المعلوم المشاهد بالتجربه و الوجدان عدمه، فانّ العالم ملاء من المرتدّين و ليس لهم دافع و لا رادع.

و قد اعترف الرازى بخبطه من حيث لا يشعر، فانّه نقل قبل ما حكينا عنه من كلامه فى جمله كلام نقله عن صاحب الكشّاف و ارتضاه أنّ من جمله المرتدّين غسّان قوم جبله بن الايهم على عهد عمر، و ذلك أنّ

جبله أسلم على يد عمر و كان ذات يوم جارّا رداءه فوطئ رجل طرف ردائه فغضب فلطمه، فتظلّم الرّجل إلى عمر فقضى له بالقصاص عليه إلاّ أن يعفو عنه فقال:

أنا اشتريها(١) بألف فأبى الرّجل فلم يزل يزيد فى الفداء إلى أن بلغ عشره آلاف، فأبى الرّجل إلاّ القصاص، فاستنظر عمر فأنظره فهرب إلى الرّوم و ارتدّ، انتهى.

فأقول للرّازى: إنّ هؤلاء كانوا مرتدّين بعد إسلامهم فلم يأتى اللّه بقوم يقهرونهم و يردّونهم إلى الاسلام على ما زعمت، فعلم فساد ما قاله فى معنى الايه.

الرابع - قوله: إنّ هذه الايه مختصّه بمحاربه المرتدّين و أبو بكر هو الّذى تولّى محاربتهم، قد علمت عدم دلاله الايه على محاربتهم فضلا عن اختصاصها بها.

و على التنزّل و تسليم الدّلاله و الاختصاص فنمنع اختصاص أبى بكر بمحاربتهم لأنّ من جمله المرتدّين الناكثين و القاسطين و المارقين و قد حاربهم أمير المؤمنين عليه السّلام.

و من جملتهم بنو مدلج و رئيسهم ذو الحمار و هو الأسود العنسى و كان كاهنا ادّعا النبوّه فى اليمن و استولى على بلادها و أخرج عمّال رسول اللّه منها فكتب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى معاذ بن جبل و سادات اليمن فأهلكه اللّه على يد فيروز الدّيلمى فقتله و اخبر رسول اللّه بقتله ليله قتل، فسرّ المسلمون و قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الغد، و أتى خبره فى آخر شهر ربيع الأوّل روى ذلك فى الكشّاف و حكاه عنه الرّازى أيضا.

و إذا لم يكن المحاربه مختصّه بأبى بكر فلم لا يجوز أن يكون المقصود بالايه هؤلاء المحاربون بالمرتدّين لا أبو بكر و أصحابه.

الخامس - قوله: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يتّفق له محاربه المرتدّين قد علمت بطلانه.

فان قلت: إنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يتولّ بنفسه جهاد بنى مدلج، و إنّما أنفذ إليهم سريّه قلت: أبو بكر أيضا لم يتولّ بنفسه.

السادس - قوله: و لأنه تعالى قال: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ »، و هذا للاستقبال لا للحال

١- (١) - اى اللطمه، منه

فوجب أن يكون هـذا القوم غير موجودين فى وقت نزول الخطاب فيه أنّه مسلّم و لكنّه لا ينافى كون المراد بالمرتدّين بنو مدلج أو قوم مسيلمه فانّ محاربه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهم كان بعد مضىّ نزول الخطاب و فى آخر عمره الشريف، أمّا بنو مدلج فقد عرفت، و أمّا مسيلمه فقد ادّعى النّبوه فأنفذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لقتله جماعه من المسلمين و أمرهم أن يفتكوا به إن أمكنهم غيله، و استقرّ عليه قبايل من العرب و قتل على يدى وحشى قاتل حمزه بعد موت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

السابع - قوله: إنّ القوم الّذين قاتل بهم أبو بكر أهل الردّه ما كانوا موجودين فى الحال.

فيه أوّلا أنّه رجم بالغيب فمن أين له إثبات عدم وجودهم، بل بيّن الفساد لأنّ المرتدّين هم الذين كانوا فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مثل خالد بن الوليد و أبو قتاده الأنصارى و نظرائهم و جلّهم كان جيش اسامه كما يظهر من كتب السّير.

و ثانيا بعد التنزّل أنّ عدم وجودهم لا ينفع بحال أبى بكر على ما زعم مع كونه موجودا بل يدخل المقاتلون معه فى عموم الايه لعدم كونهم موجودين و يخرج هو بنفسه عنه لكونه موجودا، فافهم جيّدا.

الثامن - قوله: إنّ معنى الايه إنّ اللّه قال: فسوف يأتى اللّه بقوم قادرين متمكّنين من هذا الحرب «إلى قوله» و الأمر و النهى.

فيه إذا كان البناء فى معنى الايه على ذلك فلنا أن نقول: إنّ أمير المؤمنين أيضا كان موجودا فى ذلك الوقت و فى زمان أبى بكر لكنّه لم يكن متمكّنا من الحرب و الأمر و النهى إلى أن استقلّ بالأمر، فقاتل المرتدّين من النّاكثين و القاسطين و المارقين، غايه الأمر إنّ عدم استقلال أبى بكر بوجود الرئيس الحقّ و هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عدم استقلال أمير المؤمنين عليه السّلام بوجود رئيس الباطل أعنى الغاصبين للخلافه مع عدم المعاون التاسع - قوله: فثبت أنّه لا يمكن أن يكون المراد هو الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد علمت فساده و امكان إرادته.

العاشر – قوله: اسم المرتدّ إنما يتناول من كان تاركا للشرايع الاسلاميّه اه.

فيه أنّه إن أراد به تركه لجميعها فيتعرض عليه بأنّ مانعى الزكاه لم يكونوا تاركين للجميع و انّما منعوا الزّكاه فحسب فكيف حكمتم بارتدادهم، و يدلّ على ما ذكرنا من عدم تركهم للجميع، مضافا إلى ما يأتى قول قاضى القضاه فى المغنى حيث قال: فان قال قائل فقد كان مالك يصلّى، قيل له: و كذلك ساير أهل الرّده و الكفر و إنّما كفروا بالامتناع من الزّكاه و اعتقاد إسقاط وجوبها دون غيره.

و إن اراد به تناول الاسم و لو بترك بعضها فنقول: إنّ المحاربين لأمير المؤمنين عليه السّلام قد كانوا تاركين للبعض، حيث انّهم قد كانوا يستحلّون قتاله و قتله و قتل ساير المؤمنين التابعين له عليه السّلام فضلا عن إنكارهم النصّ الجلىّ و نقضهم لبيعته.

و استحلال قتل المؤمنين و سفك دمائهم فضلا عن أكابرهم و أفاضلهم أشدّ من استحلال الخمر و شربه قطعا، فيكونوا كفّارا مرتدّين.

مع أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال له عليه السّلام بلا خلاف بين أهل النقل: يا علىّ حربك حربى و سلمك سلمى، و نحن نعلم أنّ المقصود به ليس إلّا التشبيه فى الأحكام، و من أحكام محاربى النّبى الكفر و الارتداد بالاتّفاق.

و ملخّص الكلام و محصّل المرام أنّ الرّده الّتى نقولها فى حقّ محاربى علىّ عليه السّلام هى بعينها مثل الرّده الّتى تقولونها فى حقّ مانعى الزكاه حرفا بحرف.

قال شارح صحيح مسلم فى المنهاج فى كتاب الايمان كلاما استحسنه من الخطابى ما هذا لفظه قال بعد تقسيم أهل الرّده إلى ثلاثه أقسام:

فأمّا مانعوا لزكاه منهم المقيمون على أصل الدّين فانّهم أهل بغى و لم يسمّوا على الانفراد منهم كفارا و إن كانت الردّه قد اضيفت إليهم لمشاركتهم المرتدّين فى منع بعض ما منعوه من حقوق الدّين، و ذلك انّ اسم الرّده اسم لغوىّ و كلّ من انصرف عن أمر كان مقبلا عليه فقد ارتدّ عنه، و قد وجد من هولاء القوم الانصراف و منع الحق و انقطع عنهم اسم الثناء و المدح بالدّين و علّق بهم اسم القبيح لمشاركتهم القوم الّذين كان ارتدادهم حقّا، انتهى.

و هذا الکلام کما تری صریح فی أنّ مانعی الزکاه کانوا مقیمین علی أصل الدّین لکنّه اطلق علیهم اسم المرتدّ لترک بعض حقوق الدّین الواجبه، هذا.

و أما استبعاد الشّارح المعتزلی لارتدادهم أعنی الناکثین و القاسطین و المارقین بأنّهم لا یطلق علیهم لفظ الرّده.

أمّا اللفظ فبالاتّفاق منّا و من الامامیّه و ان سمّوهم کفارا.

و أمّا المعنی فلأنّ فی مذهبهم أنّ من ارتدّ و کان قد ولد علی فطره الاسلام بانت امرأته منه و قسم ماله بین ورثته و کان علی زوجته عدّه المتوفی عنها زوجها، و معلوم أنّ أکثر المحاربین لأمیر المؤمنین قد ولدوا فی الاسلام و لم یحکم فیهم بهذه الأحکام.

ففیه منع أنّ الامامیّه لا یطلقون علیهم اسم المرتدّ و من أخبارهم المشهوره:

ارتدّ النّاس بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلاّ ثلاثه أو أربعه.

و أمّا ما حکاه عنهم من انّ مذهبهم أنّ من ارتدّ و کان قد ولد علی الفطره اه، فهو حقّ لکن نجیب عنه بأنّ أحکام الکفّار کما أنّها مختلفه و إن کان شملهم اسم الکفر، فانّ منهم من یقتل و لا یستبقی، و منهم من یؤخذ منهم الجزیه و لا یقتل إلاّ بسبب طار غیر الکفر، و منهم من لا یجوز نکاحه علی مذهب أکثر المسلمین، فکذلک من الجایز اختلاف أحکام الارتداد و یرجع فی أنّ حکمهم مخالف لأحکام سایر الکفار و المرتدّین إلی فعله علیه السّلام و سیرته فیهم.

و لذلک قال الشافعی: أخذ المسلمون السیره فی قتال المشرکین من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و أخذوا السیره فی قتال البغاه من علیّ علیه السّلام.

و بالجمله فلو لم یکن الباغون علیه علیه السّلام کفارا مرتدّین لما حاربهم أمیر المؤمنین و لا استحلّ سفک دمائهم و لم یکن مأمورا من اللّه تعالی و من رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بقتالهم علی ما صرّح به فی أوّل هذا الفصل من کلامه بقوله: و قد أمرنی اللّه بقتال أهل البغی اه.

إذ المسلم لا یجوز سفک دمه و استحلال قتله فلمّا حاربهم أمیر المؤمنین علیه السّلام ثبت

بذلک کفرهم و ارتدادهم.

و لمّا لم یسر فیهم بسیره سایر الکفار من سبیهم و سبی ذراریهم و غنیمه أموالهم و اتّباع مولّیهم و إجهاز جریحهم، و لم یسر فیهم بسیره سایر المرتدّین من إبانه امرأتهم و تقسیم أموالهم و غیرها من الأحکام، علمنا بذلک اختلاف أحکامهم مع أحکام سایر الکفار و المرتدّین، فانّ فعل الامام و سیرته کقوله حجّه متّبعه مثل الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و ان شئت مزید تحقیق لهذا المقام.

فأقول: إنّ ارتداد المنحرفین عنه علیه السّلام کائنا من کان من الغاصبین للخلافه أو الباغین علیه علیه السّلام و اطلاق اسم المرتدّ علیه قد ورد فی الرّوایات العامیّه کوروده فی أخبار الخاصّه.

ففی غایه المرام عن الثعلبی قال: أخبرنا عبد اللّه بن حامد بن محمّد أخبرنا أحمد بن محمّد بن الحسن حدّثنا محمّد بن شبیب حدّثنا أبی عن یونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسیّب عن أبی هریره أنّه کان یحدّث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: یرد علیّ یوم القیامه رهط من أصحابی فیجلون عن الحوض، فأقول: یا ربّ أصحابی، فیقال:

إنّک لا علم لک بما أحدثوا أنّهم ارتدّوا علی أدبارهم القهقری.

و فیه من صحیح البخاری فی الجزء الخامس علی حدّ ثلثه الأخیر فی تفسیر قوله «وَ کُنْتُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً ما دُمْتُ فِیهِمْ » قال:

حدّثنا شعبه قال أخبرنا المغیره بن النعمان قال سمعت سعید بن جبیر عن ابن عبّاس «رض» خطب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال یا أیّها النّاس إنّکم محشورون إلی اللّه حفاه عزلا، ثمّ قال: کما بدئنا أوّل خلق نعیده وعدا علینا إنا کنّا فاعلین «إلی آخر الایه» ثمّ قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ألا و إنّ أوّل الخلایق یکسی یوم القیامه إبراهیم علیه السّلام ألا و انه یجاء برجال من أمتی فیؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: یا ربّ أصحابی، فیقال إنک لا تدری ما أحدثوا بعدک، فأقول کما قال العبد الصالح: و کنت علیهم شهیدا ما دمت فیهم فلمّا توفّیتنی کنت أنت الرّقیب علیهم و أنت علی کلّ شیء شهید، فقال: إنّ هؤلاء لم یزالوا مرتدّین علی أعقابهم منذ فارقتهم.

ص:۵۷

و رواه فيه من صحيح مسلم فى الجزء الثالث من أجزاء ثلاثه من ثلثه الأخير بسنده عن ابن عباس نحوه.

و فيه من البخارى من حديث الزّهرى عن سعيد بن المسيّب عن أبى هريره كان يحدّث عن بعض أصحاب النّبى قال: يرد على الحوض رجال من امّتى فيجلون عنه فأقول يا ربّ أصحابى، فيقال: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى.

فان قلت: غايه ما يستفاد من هذه الرّوايات أنّ جماعه من امّته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ارتدّوا بعده، و لا دلاله على أنّهم مبغضو أمير المؤمنين عليه السّلام و المخالفون له.

قلت: الجواب أولا أنّه قد ورد فى النبوىّ المتّفق عليه بالنقل البالغ حدّ الاستفاضه: علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ يدور معه، و من جمله طرقه الزّمخشرى فى ربيع الأبرار قال:

استأذن أبو ثابت مولا علىّ عليه السّلام على امّ سلمه رضى اللّه عنها فقالت: مرحبا بك يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: تبع علىّ، فقالت:

و الّذى نفسى بيده سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: علىّ مع الحقّ و القرآن و الحقّ و القرآن معه و لن يفترقا حتّى يردا على الحوض و من المعلوم أنه عليه السّلام إذا كان معهما و كانا معه مصاحبين حتّى يردا على الحوض يكون مخالفوه المنحرفون عنه مخالفين للحقّ و القرآن، مفترقين عنهما البته و ليس معنى الارتداد إلاّ ذلك فيكون المرتدّون المجلون عن الحوض هم هؤلاء.

و بمعناه ما رواه إبراهيم بن محمّد الحموينى مسندا عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمه و الأسود قالا:

أتينا أبا أيّوب الأنصارىّ و قلنا له: يا أبا أيّوب إنّ اللّه تعالى أكرمك بنبيّه حيث كان ضيفا لك فضيله من اللّه فضّلك بها أخبرنا بمخرجك مع علىّ عليه السّلام تقاتل أهل لا إله إلاّ اللّه، قال: اقسم لكما باللّه لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى هذا البيت الّذى أنتما فيه معى، و ما فى البيت غير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و علىّ جالس عن يمينه و أنا جالس عن

يساره و أنس قائم بين يديه، إذ حرّك الباب فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: افتح لعمّار الطيّب المطيّب، ففتح النّاس الباب و دخل عمار فسلّم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فرحّب به ثمّ قال لعمار: إنه سيكون فى أمّتى بعدى هناه حتى يختلف السيف فيما بينهم و حتى يقتل بعضهم بعضا، فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يمينى يعنى علىّ بن أبى طالب، فاذا سلك الناس كلّهم واديا و سلك علىّ و اديا فاسلك وادى علىّ و خلّ عن النّاس، يا عمار إنّ عليّا لا يردّك عن هدى و لا يدلّك على ردى، يا عمار طاعه علىّ طاعتى و طاعتى طاعه اللّه عزّ و جلّ.

و دلالته على المدّعى غير خفيّه.

و ثانيا انه قد وقع التصريح منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنّ المرتدّين المطرودين عن الحوض مبغضوه عليه السّلام فى ما رواه موفق بن أحمد أخطب خوارزم بسنده عن إبراهيم ابن عبد اللّه بن العلا- عن أبيه عن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عن أبيه عن جدّه عن علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه قال:

قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يوم فتح خيبر: لو لا- أن يقول فيك طوايف من أمّتى ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالا- بحيث لا- تمرّ على ملاء من المسلمين إلاّ- أخذوا من تراب رجليك و فضل طهورك، يستشفعون به و لكن حسبك أن تكون منّى و أنا منك ترثنى و أرثك و أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبىّ بعدى يا علىّ أنت تؤدّى دينى و تقاتل على سنّتى و أنت فى الاخره أقرب النّاس منّى و إنّك يا علىّ غدا على الحوض خليفتى تذود عنه المنافقين، و أنت أوّل من يرد على الحوض و أنت أوّل داخل فى الجنّه من أمّتى، و إنّ شيعتك على منابر من نور رواء مرويّين مبيضّه وجوههم حولى أشفع لهم فيكونون فى الجنّه غدا جيرانى، و إنّ أعداءك غدا ظماء مظمئين مسوّده وجوههم يتقحمون مقمعون يضربون بالمقامع و هى سياط من نار مقتحمين، حربك حربى و سلمك سلمى و سرّك سرّى و علانيتك علانيتى و سريره صدرك كسريره صدرى و أنت باب علمى و انّ ولدك ولدى و لحمك لحمى و دمك دمى، و أنّ الحق معك و الحقّ على لسانك و فى قلبك و بين عينيك، و الايمان

خالط لحمك و دمك كما خالط لحمی و دمی، و انّ اللّه عزّ و جلّ أمرنی أن أبشّرک أنّک أنت و عترتک فی الجنّه، و عدّوک فی النار لا یرد علی الحوض مبغض لک، و لا یغیب عنه محبّ لک.

قال علیّ علیه السّلام فخررت ساجدا للّه تعالی و حمدته علی ما أنعم به علیّ من الاسلام و القرآن و حبّبنی إلی خاتم النّبیّین و سیّد المرسلین.

و قد أوردت هذه الرّوایه بطولها لتضمّنها وجوها من الدّلاله علی المدّعی کما لا یخفی علی المنصف المجانب عن العصبیّه و الهوی فقد علم بذلک کلّه أنّ المحاربین له علیه السّلام کالمنتحلین للخلافه مرتدّون علی لسان اللّه و النبیّ و الوصیّ و منکر ارتدادهم منکر للنّص الجلیّ.

الحاد یعشر - قوله: لو کان کلّ من نازعه فی الامامه مرتدّا اه فیه إنّ ارتدادهم مسلّم حسبما عرفت و لکن وجوب إتیان اللّه بقوم یقهرونهم بحکم الایه غیر لازم، لما عرفت أیضا من عدم اقتضاء الایه ذلک لأنه سبحانه قال «فَسَوْفَ یَأْتِی اللّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ » و لم یقل یقهرونهم و یردّونهم إلی الدّین الصّحیح.

لا یقال: لو کان أبو بکر و قومه مرتدّین لحاربهم أمیر المؤمنین علیه السّلام کما حارب النّاکثین و القاسطین و المارقین.

لأنّا نقول: نعم و لکن ترکه لمحاربتهم لأنّه لم یجد عونا له علی الحرب کما أشار علیه السّلام إلی ذلک فی الخطبه الثالثه بقوله: و طفقت أرتای بین أن أصول بید جذّاء أو أصبر علی طخیه عمیاء فصبرت و فی العین قذی و فی الحلق شجی، و فی الفصل الثانی من الخطبه السّادسه و العشرین: فنظرت فاذا لیس لی معین إلاّ أهل بیتی فضننت بهم عن الموت و أغضیت علی القذی و شربت علی الشّجی و صبرت علی أخذ الکظم و علی أمرّ من طعم العلقم.

و ممّا رواه عنه نصر بن مزاحم و کثیر من أرباب السّیر أنّه قال عقیب وفاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لو وجدت أربعین ذوی عزم

و قد سأل الرّمانى عن الرّضا عليه السّلام قال: فقلته يا ابن رسول اللّه أخبرنى عن علىّ بن أبى طالب لم لم يجاهد أعداءه خمسا و عشرين سنه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثمّ جاهد فى أيّام ولايته؟ فقال: لأنّه اقتدى برسول اللّه فى تركه جهاد المشركين بمكّه ثلاثه عشر سنه بعد النبوّه و بالمدينه تسعه عشر شهرا، و ذلك لقلّه أعوانه عليهم.

فلمّا لم تبطل نبوّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع تركه الجهاد لم تبطل ولايه علىّ عليه السّلام بتركه الجهاد خمسا و عشرين سنه إذ كانت العلّه المانعه لهما عن الجهاد واحده.

الثانى عشر - قوله: و معلوم أنّ حمل الايه على الرئيس المطاع أولى.

فيه منع الأولويه أوّلا و منع اقتضاء الأولويّه على فرض تسليمه للاختصاص ثانيا.

الثالث عشر - قوله: و لكن محاربه أبى بكر مع المرتدّين كانت أعلى حالا «إلى قوله» وجب أن يكون هو المراد بالايه.

فيه أوّلا- إنّ محاربه أبى بكر كانت عقيب وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان الأنصار و المهاجرون و ساير المسلمين رغباتهم متوافره و أيديهم متناصره و آرائهم متّفقه و أبدانهم مجتمعه و أهوائهم متّحده و كلمتهم واحده فى حمايه الدّين و فى ذبّ الكفار عن شرع سيّد المرسلين، و كان المرتدّون شرذمه قليلين، فحارب أبو بكر هؤلاء الجماعه الكثيره المتّفقه ذوى الحميّه و العصبيّه هذه الشرذمه القليله مع ما بين الطرفين من عداوه الدّين و تضادّ المذهب على رأى المجاهدين المقتضى للجدّ و الثبات فى الحرب و أما حرب أمير المؤمنين عليه السّلام فقد كان بعد السنين المتطاوله و تعوّد الناس على محدثات المتخلّفين الثلاثه و بدعاتهم مع كون سيرته عليه السّلام فيهم بخلاف سيره الشيخين الموجب لتقاعدهم عنه و مخالفتهم له، و كون هوى أكثرهم فى الباطن خلاف هوى أمير المؤمنين عليه السّلام و رأيهم مخالفا لرأيه.

بل كان أكثرهم فى شكّ و تردّد من جواز قتال حرم رسول اللّه عايشه و جهاد قوم هم من أهل القبله على ظاهر الاسلام و قوم لهم ثفنات فى مساجدهم كثفنات البعير أجهد منهم عباده و أكمل قراءه.

ص:۶۱

فقاتل بهؤلاء الجماعه المختلفه الأهواء و المشتّته الاراء الضعفاء الاعتقاد المرتدّين على كثرتهم بمقتضى تصلّبه فى الدّين من دون أن يأخذه لومه لائم غير هائب و لا محتشم.

فحارب مع من حالهم ذلك بالناكثين و قد بلغوا تسعه آلاف و بالقاسطين و قد كانوا زهاء مأتى ألف، و بالمارقين و كانوا اثنى عشر ألفا فى أوّل أمرهم و أربعه آلاف فى آخره فانظر ما ذا ترى.

هل كان محاربته عليه السّلام و الحال بما وصفت أولى و أحقّ بالتعظيم و أن تقصد بالايه الشريفه أم محاربه أبى بكر؟! و ثانيا إنّ محاربه أبى بكر لم تكن إلّا بمحض الأمر و النهى و انهاض الجيش و السّرايا، و قد كان جالسا فى كسر بيته و حوله المهاجر و الأنصار فى أمن و راحه و طيب عيش و دعه على مصداق قوله:

ألا طعان ألا فرسان عاديه ألا تجشوكم حول التنانير

و أما أمير المؤمنين عليه السّلام فقد كان شاهرا سيفه واضعا له على عاتقه فى حروب يضطرب لها فؤاد الجليد، و يشيب لهو لها فود الوليد، و يذوب لتسعّر بأسها زبر الحديد، و يجب منها قلب البطل الصديد.

فتولى عليه السّلام الحرب بنفسه النفيسه فخاض غمارها و اصطلى نارها، و دوّخ أعوانها و أنصارها و أجرى بالدّماء أنهارها، و حكم فى مهج الناكثين و القاسطين و المارقين فجعل بوارها، فصارت الفرسان تتحاماه إذا بدر، و الشجعان تلوذ بالهزيمه إذا زأر عالمه أنه ما صافحت صفحه سيفه مهجه إلّا فارقت جسدها، و لا كافح كتيبه إلّا افترس ثعلب رمحه أسدها.

و هذا حكم ثبت له بطريق الاجمال و حال اتّصف به بعموم الاستدلال.

و أما تفصيله فليطلب من مظانه من الكتاب، فانه لا يخفى على ذوى البصاير و أولى الألباب.

فانشدك باللّه هل مجاهده ذلك أجدر و أحرى بالمجمده و الثناء؟ أم محاربه

هذا؟![١] جزى اللّه خير الجزاء من تجنّب العصبيّه و الهوى الرابع عشر - قوله: فلما ثبت أنّ المراد بهذه الايه أبو بكر ثبت أنّ قوله:

يحبّهم و يحبّونه وصف له.

فيه أنّ الاستدلال على اتّصاف أبى بكر بهذا الوصف و ما يتلوه من الأوصاف بسبب اختصاص الايه به أشبه شيء بالأكل من القفاء، إذ المناسب لرسم المناظره أن يقيم الدليل أولا على اتّصاف أبى بكر بهذه الأوصاف ثمّ يستدلّ بذلك على أنّ الايه فى حقّه لا بالعكس.

مع أنك قد علمت عدم دلاله الايه على خلافته فضلا عن الاختصاص فلم يثبت اتّصافه بها بما زعمه من الدليل، بل قد علمت بما ذكرناه و نذكره نزولها فى أمير المؤمنين عليه السّلام و أنه المتّصف بهذه الأوصاف لا غير.

الخامس عشر - قوله: و من وصفه اللّه بذلك يمتنع أن يكون ظالما.

هذا مسلّم لكن ظلمه محقّق فاتّصافه به ممتنع فمبطليّته فى الامامه محقّقه لا غبار عليها.

أما تحقّق ظلمه فلأنّ أعظم الظلم الشرك باللّه و عباده الأوثان كما قال عزّ من قائل «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » و أبو بكر قد كان مشركا مدّه مديده و زمنا طويلا من عمره فيكون ظالما البته، و من كان كذلك لا يستحقّ الإمامه بمقتضى قوله سبحانه: «لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ ».

روى أبو الحسن الفقيه ابن المغازلى الشافعى مسندا - حذفت الاسناد للاختصار - عن مينا مولى عبد الرّحمن بن عوف عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنا دعوه أبى إبراهيم، قلت: يا رسول اللّه و كيف صرت دعوه أبيك إبراهيم؟ قال:

أوحى اللّه عزّ و جلّ إليه إنّى جاعلك للناس إماما، فاستخفّ إبراهيم الفرح قال عليه السّلام و من ذرّيتى أئمّه مثلى، فأوحى اللّه عزّ و جلّ إليه أن يا إبراهيم إنّى لا اعطيك عهدا لا أفى لك به، قال: يا ربّ ما العهد الذى لا تفى لى به؟ قال: اعطيك عهدا لظالم من

١- (١) - أى أبى بكر

ذرّيتک قال إبراهيم عندها: «وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النّاسِ »، فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانتهت إلىّ و إلى علىّ لم يسجد أحدنا لصنم قط فاتّخذنى نبيا و اتّخذ عليا وصيا.

و قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى: «لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ »: اعلمه أنّ فى ذرّيته الظالم قال و قال السدى عهدى نبوّتى يعنى لا ينال ما عهدت إليک من النبوّه و الامامه فى الدّين من كان ظالما فى ولدک.

قال و قال الفراء: لا يكون للناس إمام مشرک.

و قد ظهر بذلک كون المشرک ظالما غير مستحقّ للامامه و لا كلام فى شرک أبى بكر فى أوّل أمره فظلمه فى بدايه حاله ثابت، و أما ظلمه بعد إسلامه فكذلک، لأنه لم يكن معصوما بالاتّفاق حتى يكون له قوّه العصمه المانعه من الظلم على نفسه و على غيره، و قد قال على المنبر: إنّ لى شيطانا يعترينى فاذا ملت فسدّ دونى، فمن كان محتاجا إلى تسديد الغير عند الميل و الانحراف عن الرّشاد كيف يكون مسدّدا لغيره على ما هى وظيفه الامامه.

و من ظلمه العظيم غصبه للخلافه و حكمه باخراج أمير المؤمنين عليه السّلام من بيته ملبّبا للبيعه و انتزاع الفدک من يد الصدّيقه الطاهره حسبما عرفت و تعرف فى تضاعيف الشرح ذلک كلّه بالأدلّه القاطعه و البراهين الساطعه.

و من عظيم ظلمه الذى صار عليه من أعظم المطاعن مضافا إلى مطاعنه الأخر محاربته مانعى الزكاه مع عدم كونهم مرتدّين و تركه إقامه الحدّ و القود على خالد بن الوليد و قد قتل مالک بن نويره و ضاجع المرأه من ليلته و أشار إليه عمر بقتله و عزله، فقال: انّه سيف من سيوف اللّه سلّه اللّه على أعدائه و قال عمر مخاطبا لخالد:

لان ولّيت الأمر لأقيدنّک له.

و قد روى تفصيل ذلک أرباب السير و رواه أصحابنا فى جمله مطاعن أبى بكر

ص:۶۴

و لا حاجه بنا فى هذا المقام إلى ذكر التّفصيل و إنّما نورد ما له مزيد مدخل فى إثبات المدّعى فأقول:

روى الطبرى فى تاريخه و رواه غيره أيضا فى جمله ما رواه من تلك القضيّه أنّ من جمله السّريه المبعوثه إلى بنى يربوع قوم مالك بن نويره أبا قتاده الحارث ابن ربعى فكان ممّن شهد أنّهم قد أذّنوا و أقاموا و صلّوا، فحدث أبو قتاده الأنصارى خالد بن الوليد بأنّ القوم ماذوا بالاسلام و أنّ لهم أمانا، فلم يلتفت خالد إلى قوله و أمر بقتلهم و قسم سبيهم، فحلف أبو قتاده أن لا يسير تحت لواء خالد فى جيش أبدا، و ركب فرسه شادّا إلى أبى بكر و أخبره بالقصّه و قال: إنّى نهيت خالدا عن قتله فلم يقبل قولى و أخذ بشهاده الأعراب الّذين غرضهم الغنائم، و أنّ عمر لمّا سمع ذلك تكلّم فيه عند أبى بكر فأكثر، و قال: إنّ القصاص قد وجب عليه، و لما أقبل خالد بن الوليد قافلا دخل المسجد و عليه قباء له عليه صداء الحديد معتجرا بعمامه له قد غرز فى عمامته أسهما فلما دخل المسجد قام إليه عمر فنزع الأسهم عن رأسه فحطمها ثمّ قال: يا عدىّ نفسه عدوت على امرء مسلم فقتلته ثمّ نزوت على امرأته و اللّه لنرجمنّك بأحجارك، و خالد لا يكلّمه و لا يظنّ إلّا أنّ رأى أبى بكر مثل ما راى عمر فيه، حتّى دخل إلى أبى بكر و اعتذر إليه فعذّره و تجاوز عنه.

و قد رواه الشّارح المعتزلى أيضا فى الشّرح و فى غير ذلك المقام و قال عقيب ذلك:

فكان عمر يحرّض أبا بكر على خالد و يشير عليه أن يقتصّ منه بدل مالك، فقال أبو بكر إيها يا عمر ما هو بأوّل من أخطأ فارفع لسانك عنهم، ثمّ ودى ذلك من بيت مال المسلمين، انتهى.

فقد علم بذلك أنّ أبا بكر كان ظالما فكيف يكون محبوبا للّه سبحانه و محبّا له.

ثمّ لا يخفى عليك إنّ اللّه وصف القوم المأتىّ بهم بالمحبّه و لم يخصّ المحبّه بالرئيس فقط و من جمله المحاربين للمرتدّين على زعمهم خالد بن الوليد الّذى

عرفت حاله من هتكه لناموس الاسلام و تضييعه لشرع سيّد الأنام أفترى من نفسک أن تحكم بأنّه محبوب اللّه و محبّه؟! حاشا ثمّ حاشا.

السادس عشر – قوله: أذلّه على المؤمنين أعزّه على الكافرين، صفه لأبى بكر للدّليل الّذى قدّمناه.

فيه أولا أنّک قد عرفت عدم تماميه الدّليل و عدم اختصاص الايه بأبى بكر، و الخبر الّذى رواه من قوله: أرحم أمّتى بامّتى أبو بكر. مما تفرّد العامّه بروايته لا يكون حجّه علينا.

و ثانيا أنّ قوله: ألا ترى انّ فى أوّل الأمر كيف كان يذبّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه أنّه لم يسمع إلى الان ذبّ منه عنه صلّى اللّه عليه و آله و لم يكن له نسب معروف، و لا حسب مشهور، و لا فضل مأثور، و لا صيت مذكور، و لم يكن يومئذ ممّن يعتنى بشأنه و يعبأ به فى عداد الرّجال حتّى يذبّ عن رسول اللّه، أ لم يكن يومئذ مثل شيخ بطحاء أبى طالب و أسد اللّه حمزه و ذى الجناحين جعفر و أسد اللّه الغالب أمير المؤمنين و ساير فتيه بنى هاشم و أنجاد بنى عبد مناف محدقين حوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حامين له ذابّين عنه حتّى يكون الذّاب عنه مثل أخى تيم الجلف الجافى الرّذل، و لو كان له تلک المقام و المنزله لم يعزله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن إبلاغ سوره برائه.

و ثالثا قوله: و فى آخر الأمر أصرّ على المحاربه مع مانعى الزّكاه.

فيه أنک قد علمت أنّ مانعى الزّكاه لم يكونوا من المرتدّين بل كانوا مسلمين و لذلک صار محاربته معهم من أعظم المطاعن عليه فاستحقّ بذلک عقابا و نكالا، و صار له وزرا و وبالا.

و رابعا قوله حتى جاء أكابر الصحابه و تضرّعوا إليه و منعوه من الذّهاب النكّه فى منعهم منه على تقدير صحّته أنّهم قد كانوا عارفين بجبنه، عالمين بضعف قلبه، مجرّبين له فى المعارک و المهالک، و أنّه و صاحبه عمر عند منازله الشجعان و مبارزه الأقران كان شيمتهما الفرار، و سجيّتهما عدم الحمايه للذّمار، و قد فرّا يوم خيبر و احد و الأحزاب و غزوه ذات السلسله و غيرها على أقبح الوجوه كما أثبتته

أربـاب السّـِير، و على لسـان الشّـعراء و المورّخين شـاع و اشـتهر قـال الشّارح المعتزلى فى اقتصاص غزوه خيبر يقصّ فرارهما فى قصايد السّبع العلويّات:

و ما أنس لا أنس اللّذين تقدّما و فرّهما و الفرّ قد علما حوب

و للرايه العظمى و قد ذهبا بها ملابس ذلّ فوقها و جلابيب

يشلّهما من آل موسى شمر دل طويل نجاد السّيف أجيد يعبوب

يمجّ منونا سيفه و سنانه و يلهب نارا غمده و الأنابيب

احضرهما أم حضرا خرج خاضب اذان هما ام ناعم الخدّ مخضوب

عذرتكما أنّ الحمام لمبغض و انّ بقاء النفس للنّفس مطلوب(۱)

فكان تضـرّع الصـحابه له فى الرّجوع و الاياب مخافه أن يذهب فيهرب بمجرى عادته و مجرب شيمته، فيبطل بالمرّه دين الاسلام و يضمحلّ شرع سيّد الأنام فتضرّعوا إليه بلسان المقال، و قالوا له بلسان الحال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

و يشـهد بمـا ذكرنـا أنه لو كـان عرف فى نفسه البـأس و النجـده لأصـرّ على المضـىّ و لم يصغ إلى تضـرّعهم، و كـان مثـل أمير المؤمنين عليه السّـلام لما عزم على المسير إلى البصـره تضـرّع إليه ابنه الحسن بأن لا يتبع طلحه و الزبير و لا يرصـد لهما القتال و بكى و قال أسألك أن لا تقدم العراق و لا تقتل بمضيعه.

۱- (۱) - الحوب الاثم و الرايه العظمى رايه رسول اللّه «صـلّى اللّه عليه و آله» و الجلابيب جمع الجلباب و هو الملحفه و يشلّهما اى يطردهما، و آل موسى هنا قومه أى اليهود، و الشمردل الابل القوى السير و أراد به مرحب و الأجيد طويل الجيد و هو العنق و اليعبوب الفرس الكثير الجرى و المجّ القذف و المنون الموت. و الحضـر العدو و الاخرج ذكر النعام و الخاضب الذى اكل الربيع فـاحمر طنبويـاه و نـاعم الخـدّ مخضوب كنـايه عن المرأه، يقول: اعـدوا هـذين الرّجلين حين طردهما مرحب انه عـدو نعامه قوى منفروهما رجلان ام امرأتان ناعمتا الخدّ بأيديهما خضاب و هذا تهكّم و استهزاء (منه)

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: و اللّه لا أكون كالضبع تنام على طول اللّدم حتّى يصل إليها طالبها و يختلها راصدها، و لكنّى أضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه، و بالسامع المطيع العاصى المريب أبدا حتى اتى على يومى، على ما عرفت تفصيله فى شرح سادس المختار فى باب الخطب.

و لعمرى إنّ هذه المنقبه الشريفه أعنى العزّه على الكافرين هو حظّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا غير، و استمع ما قاله الأديب النحرير الشاعر الماهر و الاستاد الفاضل.

بدر له شاهد و الشعب من احد و الخندقان و يوم الفتح إن علموا

و خيبر و حنين يشهدان له و فى قريظه يوم صيل قتم

مواطن قد علت فى كلّ نائبه على الصحابه لم اكتم و إن كتموا

و أما كونه عليه السّلام ذليلا على المؤمنين فلما عرفت فى تضاعيف الشرح و تعرفه أيضا من مكارم أخلاقه و محامد خصاله التى أقرّ بها المخالف كالمؤلف، و نقله المنحرف كالمعترف، و اعترف بها الخاصّه و العامّه و تصدقها المحبّ و المبغض

له شرف فوق النجوم محلّهأقرّ به حتّى لسان حسوده

حدّث الزّبير بن بكار عن رجاله قال دخل محفن بن أبى محفن الضّبى على معاويه فقال:

يا أمير المؤمنين جئتك من عند ألأم العرب «و أبخل العرب ظ» و أعيى العرب و أجبن العرب قال: و من هو يا أخا بنى تميم؟ قال: علىّ بن أبى طالب، قال معاويه: اسمعوا يا أهل الشام ما يقول أخوكم العراقى، فابتدروه أيّهم ينزله عليه و يكرمه، فلمّا تصدّع النّاس عنه قال له: كيف قلت؟ فأعاد عليه، فقال له: ويحك يا جاهل كيف يكون ألأم العرب و أبوه أبو طالب و جدّه عبد المطلب و امرأته فاطمه بنت رسول اللّه، و أنّى يكون أبخل العرب فو اللّه لو كان له بيتان بيت تبن و بيت تبر لأنفذ تبره قبل تبنه و أنّى يكون أجبن العرب فو اللّه ما التقت فئتان قطّ إلاّ كان فارسهم غير مدافع، و أنّى يكون أعيى العرب فو اللّه ما سنّ البلاغه لقريش غيره، فو اللّه لو لا ما تعلم لضربت الّذى فيه عيناك فايّاك عليك لعنه اللّه و العود إلى مثل هذا.

فقد أقرّ بفضله العنود الحسود، و قيام الحجّه بشهاده الخصم أوكد و إن

تعددت الشّهود.

و مليحه شهدت لها ضرّاتها و الفضل ما شهدت به الأعداء

السابع عشر - قوله: إلّا أنّ حظّ أبى بكر فيه أتمّ «إلى قوله» يوم بدر واحد.

أقول: لا يكاد ينقضى عجبى من هذا النّاصب المتعصّب كيف أعمته العصبيّه إلى أن جاوز حدّه و خرج عن زيّه و تكلّم فوق قدره حتّى رجّح ابن أبى قحافه على أبى تراب فوا عجبا عجبا كيف يقاس التراب بالتبر المذاب، و أىّ نسبه للسّراب إلى الشراب و أىّ شبه بين الدّرّ و الحصى و السّيف و العصا، و أىّ تطابق بين الشجاع المبارز الغالب على كلّ غالب، و الأجبن من كلّ الثعالب و هذا مقام التمثيل بقول أبى العلاء:

إذا وصف الطّائى بالبخل ما در و عيّر قسّا بالفهاهه باقل

و قال السهيل للشمس أنت خفيّه و قال الدّجى للصّبح لونک حائل

و طاولت الأرض السّماء ترفّعا و طاول شهبا الحصى و الجنادل

فيا موت زر إنّ الحياه ذميمه و يا نفس جدّى إنّ دهرک هازل

فيقال لهذا الخابط الهازل اللّاغى الّذى لا ينفعل من لغوه و هذيه: أىّ جهاد كان قبل غزوه بدر؟ و أىّ ذبّ نقل عن أبى بكر؟ و لو كان منه قدره الذّب و الدّفاع لنقل شىء منها فى محاربات الرّسول المختار مع الكفّار، و لنزل فيه ما نزل فى أبى الحسن الكرّار، من مثل «وَ كَفَى اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ » و لا فتى إلّا علىّ و لا سيف إلّا ذو الفقار.

و قد كانت العساكر فى هذه المعارک حسبما قال مجتمعه، و الصفوف متلاصقه، و الكتائب مترادفه، فاختار هو و صاحبه عمر و الحال هذه الفرّ على الكرّ، و وليّا عن العدوّ الدّبر، فمن كان هذه حاله كيف كان يذبّ عن سيّد الأنام حين ضعف الاسلام مع عدم العساكر، و لا معين و لا ناصر.

الثامن عشر - قوله: إنّه كان متقدّما عليه فى الزّمان.

فيه انّه إن أراد تقدّمه عليه من حيث الجهاد فقد عرفت بطلانه، إذ أوّل

غزوه فى الاسلام غزوه بدر و قد كانا كلاهما حاضرين فيها معا، ثمّ فيما بين حضوريهما من التفاوت ما لا يخفى، فانّ أبا بكر لم ينقل منه فيها فرد قتيل، و أمّا أمير المؤمنين عليه السّلام فقد روى جمهور المؤرّخين أنّ قتلاه فيها شطر جميع المقتولين و كانوا سبعين.

و إن أراد تقدّمه عليه فى السّن ففيه إنّ الزّمان الّذى تقدّم به على أمير المؤمنين عليه السّلام مع سبقه عليه السّلام عليه بالاسلام و مع كونه فيما تقدّم به عليه من أهل الشّرك و عبده الأصنام، فأىّ شرف لهذا التقدّم أو منقبه، أمّ أىّ خير فيه و منفعه.

التاسع عشر - قوله: جهاد أبى بكر فى وقت ضعف الرّسول.

فيه إنّك قد عرفت فساده لأنّه لم يكن قبل غزوه بدر غزوه معروفه إلّا غزوات مختصره مثل غزوه بواد بواط و عشيره و غزوه بدر الصغرى، و لم ينجرّ الأمر فيها إلى القتال فيجاهد أبو بكر و يقعد عنه أمير المؤمنين مع أنّ حضور أبى بكر فيها و غياب علىّ عنها غير ثابت.

و أيضا لم يكن الرّسول عند المسير إليها ضعيفا، و إن أراد أنّه كان لأبى بكر جهاد قبل تلك الوقايع فهو ممّا تفرّد به و لم ينقله عن غيره.

نعم لو قلنا إنّ أمير المؤمنين كان سابقا بالجهاد لأنّه جاهد الكفّار صبيحه ليله بات فيها على فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما ذهب إلى الغار، و جاهدهم أيضا عند الهجره بأهل بيت الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من مكّه إلى المدينه لمّا أرادت قريش المنع منها، لقلنا مقالا رواه أرباب السّير، و ورد فى صحيح الخبر.

و كيف كان فجهاد أمير المؤمنين عليه السّلام فى سبيل اللّه و كون حظّه فيه الأوفر أبين من الشمس فى رابعه النّهار، و لنعم ما قيل:

بعلىّ شيّدت معالم دين اللّه و الأرض بالعناد تمور

و به أيدّ الاله رسول اللّه إذ ليس فى الأنام نصير

أسد ما له إذا استفحل الناس سوى رنّه السلاح زئير

ثابت الجاش لا يردعه الخطب و لا يعتريه فتور

عزمات أمضى من القدر المحتوم يجرى بحكمه المقدور

فقد ظهر بذلك كلّه أنّ مصداق قوله سبحانه فى الايه الشريفه «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » هو أمير المؤمنين عليه السّلام.

و أمّا قوله سبحانه «لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ » فيظهر كونه مصداقا له و يصدّقه قوله صريحا فى الفصل الاتى: و انّى لمن قوم لا يأخذهم فى اللّه لومه لائم.

و قوله عليه السّلام فى المختار الرّابع و العشرين: و لعمرى ما علىّ من قتال من خالف الحقّ و خابط الغىّ من إدهان و لا ايهان.

و قوله عليه السّلام فى المختار الحادى و التسعين لما اريد على البيعه بعد قتل عثمان:

دعونى و التمسوا غيرى فانا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب و لا تثبت عليه العقول «إلى قوله» و اعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم و لم أصغ إلى قول القائل و عتب العاتب.

و قوله عليه السّلام فى المختار المأه و السادسه و العشرين لما عوتب على التسويه فى العطاء: أ تأمرونّى أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّيت عليه و اللّه ما أطور به ما سمر سمير و ما أمّ نجم فى السّماء نجما.

العشرون – قوله: و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و هذا لائق بأبى بكر متأكّد بقوله و لا يأتل أولو الفضل منكم و السعه اه و قد بيّنا أنّ هذه الايه فى أبى بكر.

فيه بعد الغضّ عمّا روى عن ابن عباس و غيره من أنّها نزلت فى جماعه من الصّحابه أقسموا على أن لا تتصدّقوا على رجل تكلّم بشىء من الافك و لا يواسوهم، و البناء على نزولها فى أبى بكر كما هو قول جمع من المفسّرين، انّ إحدى الايتين لا ارتباط لها بالاخرى، فانّ المراد بالفضل فى الايه الثانيه هو الغنى و الثروه، و به فى الايه الاولى اللّطف و التوفيق، و معنى قوله: و ذلك فضل اللّه إنّ محبّتهم للّه و لين جانبهم للمؤمنين و شدّتهم على الكافرين فضل من اللّه و توفيق و لطف منه و من جهته يمنّ به على من يشاء من عباده.

الحادى و العشرون - قوله: انا بيّنا بالدّليل.

فيه أنّك قد عرفت عدم تماميّه الدّليل بما لا مزيد عليه.

الثانى و العشرون - قوله: هذا الخبر من باب الاحاد.

فيه منع كونه من الأخبار الاحاد الّتى لا يعوّل عليها، بل هو خبر مستفيض رواه المخالف و المؤالف معتضد مضمونه بأخبار كثيره قطعيه، و نقتصر على بعض الأخبار العاميّه لكونه أدحض لحجّه الخصم.

ففى غايه المرام عن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل بسنده عن سعيد بن المسيّب أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يوم خيبر: لأدفعنّ الرّايه إلى رجل يحبّه اللّه و رسوله و يحبّ اللّه و رسوله، فدعا عليّا و أنّه لأرمد ما يبصر موضع قدميه، فتفل فى عينيه ثمّ دفعها إليه ففتح اللّه عليه.

و رواه أيضا عن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل عن عبد الرّحمن أبى ليلى و عن علىّ عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و عنه عن عبد اللّه بن بريده عن أبيه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عنه عن أبى هريره عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عنه بسند آخر أيضا عن عبد اللّه بن بريده عن أبيه بريده الأسلمى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و عنه عن سهل بن سعد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و رواه أيضا من صحيح البخارى من الجزء الرّابع فى رابع كراسه عن سلمه الأكوع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من الجزء الرّابع من صحيح البخارى أيضا فى ثلثه الأخير فى باب مناقب علىّ عن سلمه عنه صلّى اللّه عليه و آله و من الجزء الخامس منه أيضا عن سلمه عنه صلّى اللّه عليه و آله و من صحيح البخارى عن سهل بن سعد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و رواه أيضا من صحيح مسلم من الجزء الرابع فى نصف الكراس من أوّله باسناده عن عمر بن الخطاب بعد قتل عامر أرسلنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى علىّ عليه السّلام و هو أرمد

و قال: لاعطينّ الرّايه رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله، الحديث.

و من صحيح مسلم فى آخر كراس من الجزء الرابع منه عن أبى هريره عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من صحيح مسلم عن سهل بن سعد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و من صحيح مسلم عن سلمه بن الأكوع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و رواه أيضا من تفسير الثعلبى فى تفسير قوله «وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً » باسناده عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و رواه أيضا من مناقب ابن المغازلى بسند يرفعه إلى أياس بن سلمه عن أبيه فى ذكر حديث خيبر قال فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاعطينّ الرّايه اليوم رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله.

و من مناقبه أيضا عن أبى طالب محمّد بن عثمان يرفعه إلى عمران بن الحصين قال:

بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عمر إلى خيبر فرجع فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاعطين الرّايه غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله ليس بفرّار.

و من المناقب أيضا عن القاضى أبو الخطاب يرفعه إلى عمران بن الحصين قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأعطينّ الرّايه رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله، فأعطاها عليّا ففتح اللّه عزّ و جلّ خيبر به.

و من المناقب عن سعيد بن المسيّب عن أبى هريره قال: بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبا بكر إلى خيبر فلم يفتح عليه ثمّ بعث عمر فلم يفتح عليه فقال: لاعطينّ الرايه رجلا كرّارا غير فرّار يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله.

و من المناقب عن أحمد بن محمّد بن عبد الوهاب بن طاران يرفعه إلى أبى هريره قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لاعطينّ الرايه غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه فاستشرف لها أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فدفعها إلى علىّ بن أبى طالب.

و من المناقب قال: أخبرنا أبو القاسم عمر بن علىّ بن الميمونى و أحمد بن محمّد بن عبد الوهاب بن طاران الواسطيان بقراءتى عليهما فأقرّا به يرفعه إلى أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث كان أرسل عمر بن الخطاب إلى خيبر هو و من معه فرجعوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فبات تلك اللّيله و به من الغمّ غير قليل فلما أصبح

خرج إلى النّاس و معه الرّايه فقال: لاعطينّ اليوم رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله غير فرّار، فتعرّض لها جميع المهاجرين و الأنصار فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أين عليّ، فقالوا: يا رسول اللّه هو أرمد، فأرسل إليه أبا ذر و سلمان فجاء و هو يقاد لا يقدر على أنّه يفتح عينيه، ثمّ قال: اللّهمّ اذهب عنه الرّمد و الحرّ و البرد و انصره على عدوّه و افتح عليه فانّه عبدك و يحبّك و يحبّ رسولك «خ ل رسوله» غير فرّار، ثمّ دفع صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الرّايه إليه عليه السّلام و استأذنه حسّان بن ثابت فى أن يقول فيه شعرا، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له: قل، فأنشأ يقول:

و كان عليّ أرمد العين يبتغى دواء فلمّا لم يحسّ مداويا

شفاه رسول اللّه منه بتفله فبورك مرقيّا و بورك رافيا

و قال سأعطى اليوم رايه صار ما كميّا محبّا للرّسول محاميا

يحبّ إلهى و الاله يحبّه به يفتح اللّه الحصون الأوابيا

فأصفى بها دون البريّه كلّها عليّا و سمّاه الوزير المؤاخيا

و من المناقب أيضا عن عبد اللّه بن بريده عن أبيه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نزل بحضره أهل خيبر و قال: لاعطينّ اللّواء رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله، فلمّا كان من الغد صادف أبا بكر فدعا عليّا و هو أرمد العين فأعطاه الرّايه.

و من المناقب بسند مرفوع إلى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول يوم الخيبر: لاعطينّ الرّايه رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله.

و فيه من الجمع بين الصّحاح السته باسناده عن سهل بن سعد عن أبيه قال:

كان عليّ تخلّف عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى غزوه خيبر فلحق، فلمّا أتينا اللّيله الّتى فتحت فى صبيحتها قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لاعطينّ غدا الرّايه رجلا يفتح اللّه على يديه يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله.

و من الجمع بين الصّحاح الستّه من الصحيح الترمدى قال بالاسناد عن سلمه قال: أرسلنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى عليّ و هو أرمد فقال: لاعطينّ الرّايه رجلا

يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله.

و فيه عن إبراهيم بن محمّد الحموينى مسندا عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى فى ذكر حديث خيبر قال: فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لابعثنّ غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله لا يولّى الدّبر، هذا.

و اقتصرنا على مورد الحاجه فى أكثر هذه الرّوايات و حذفنا اسناد أكثرها للاختصار، و تركنا الأخبار الخاصيّه الوارده فى هذا المعنى حذرا من الاطاله و دفعا لمكابره الخصم و عناده، و ادّعى صاحب غايه المرام تواتر الخبر فى القصّه من طريق العامّه و الخاصّه.

أقول: و هذه الأخبار الّتى رواها المخالفون فى كتبهم فضلا عن أخبار الموالين له عليه السّلام كافيه لمن راقب العدل و الانصاف، و جانب التّعصب و الاعتساف فى إثبات كونه عليه السّلام محبّا للّه و رسوله و كون اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم محبّين له.

و لكنّى أضيف إلى هذه الأخبار على رغم الناصب المعاند الرّازى المتعصّب الجاحد حديث الطير الّذى قال فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اللّهمّ اعطنى «ايتنى ظ» بأحبّ الناس إليك و فى بعض روايته: إليك و إلى رسولك يأكل معى فجاء علىّ عليه السّلام و أكل معه و قد رواه فى غايه المرام بستّه و ثلاثين طريقا من طرق العامّه، و من جملتها أبو المظفر السمعانى فى كتاب مناقب الصّحابه عن السّدى عن أنس بن مالك قال:

كان عند النبىّ طير فقال: اللّهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير فجاء علىّ عليه السّلام فأكل معه.

و قد روى ذلك فى الجمع بين الصّحاح الستّه لرزين من مسند أبى داود السّجستانى و رواه أحمد بن حنبل بطريق واحد من طريق السفينه مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و رواه ابن المغازلى الشافعى الواسطى من عشرين طريقا.

و من جمله طرق غايه المرام أيضا القاصم لظهر المكابرين و الرّاغم لانوف الناصبين ما أورده من كتاب المناقب الفاخره فى العتره الطاهره، روى أبو جعفر بن

محمّد بن أحمد بن روح مولى بنى هاشم قال: حدّثنى العباس بن عبد اللّه الباكنانى عن محمّد بن يوسف السرى عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال: حدّثنى أبى صميم حوثن بن عدى عن أبى ذرّ ره قال:

بينا نحن قعود مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا هدى إليه طائر مشوىّ، فلمّا وضع بين يديه قال لأنس: انطلق به إلى المنزل، و تبعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتّى إذا دخل المنزل وضع أنس الطائر بين يديه، فرفع النبىّ يديه نحو السماء و قال: اللهمّ ايت إلىّ بأحبّ النّاس اليك تحبّه أنت و يحبّه من فى الأرض و من فى السماوات حتّى يأكل معى من هذا الطير، قال أنس: فقلت: اللهمّ اجعله من قومى و قالت عايشه: اللهمّ اجعله أبى و قالت حفصه: اللهمّ اجعله أبى فما لبثنا حتى أتى علىّ عليه السّلام فقال له أنس:

إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى حاجه حتى أتى علىّ عليه السّلام ثلاث مرّات.

فجثا النّبى صلّى اللّه عليه و آله على ركبتيه و رفع يديه إلى السماء حتّى بان بياض إبطيه و قال: حاجتى يا ربّ الساعه الساعه، فما لبثنا أن قرع الباب فقال أنس: من ذا؟ فقال: أنا علىّ و سمع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله صوته فقال افتح، ففتحته، فلما دخل و كز أنس بيده حتى ظنّ أنس أنه قد أنفذ يده من ظهره، فلما بصر به النبىّ صلّى اللّه عليه و آله وثب قائما و قبّل عينيه و قال: ما الذى أبطاك عنّى يا قرّه عينى، فقال عليه السّلام: يا رسول اللّه قد أقبلت ثلاثا و يردّنى أنس، فصفق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان لا يصفق حتّى يغضب، فقال:

يا أنس حجبت عنّى حبيبى، فقال: يا رسول اللّه إنى أحببت أن يكون رجلا من قومى فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا أنس أما علمت أنّ المرء يحبّ قومه، إنّ عليا يحبّنى و إنّ اللّه يحبّه و الملائكه تحبّه و يحبّه اللّه، يا أنس إنّى و عليا لم نزل ننقلب إلى مطهّرات الأرحام حتّى نقلنا إلى عبد المطلب فصار علىّ فى صلب أبى طالب و صرت أنا فى صلب عبد اللّه عمّ علىّ، فصارت فىّ النّبوه و فى علىّ الولايه و الوصيّه أما علمت يا أنس أنّ اللّه عزّ و جلّ اشتقّ لى اسما من أسمائه و لعلىّ اسما فسمّانى أحمد لتحمدنى امّتى و أما علىّ فاللّه العلىّ سمّاه عليا، يا أنس كما حجبت عنّى عليا ضربك اللّه بالوضح، و كان لا يدخل المسجد بعد الدّعوه إلّا متبرقع الوجه.

ص:٧۶

و هـذه الرّوايه كما ترى ظاهره بل صـريحه من جهات عديده فى فرط محبّه النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله له و محبّته للّه و محبّه اللّه له.

و الأخبـار فى كونه أحبّ النـاس إلى اللّه و إلى رسوله متجـاوزه عن حـدّ الاحصـاء، و لو أردنا أن نجمع ما نقـدر عليه منها لصار كتابا كبير الحجم و لكن اورد منها روايتين اختم بهما المقام ليكون ختامه مسكا فأقول:

روى فى كشف الغمه من مناقب الخوارزمى عن عبد اللّه بن عمر قال:

سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سئل بأى لغه خاطبك ربك ليله المعراج، قال: خاطبنى بلغه علىّ بن أبى طالب فألهمنى أن قلت يا ربّ أنت خاطبتنى أم علىّ؟ فقال: يا أحمـد أنا شـىء لا كالأشـياء و لا أقاس بالناس و لا اوصف بالأشـباه، خلقتك من نورى و خلقت عليـا من نورك فـاطلعت على سـرائر قلبـك فلم أجـد إلى قلبـك أحبّ من علىّ بن أبى طالب، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك.

و فيه من المناقب قال:

و أخبرنا بهذا الحديث عاليا الامام الحافظ سـليمان بن إبراهيم الاصفهانى مرفوعا إلى عايشه، قالت: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم، و هو فى بيتى لمّـا حضـره الموت. ادعوا إلىّ حبيبى، فـدعوت أبا بكر فنظر إليه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ثمّ وضع رأسه، ثمّ قـال: ادعوا إلىّ حبيبى فقلت: ويلكم ادعوا له علىّ بن أبى طالب فو اللّه ما يريـد غيره، فلما رآه فرج الثوب الـذى كان عليه ثمّ ادخله فيه فلم يزل يحتضنه حتّى قبض و يده عليه.

إذا عرفت هذا فأقول:

قال فيه البليغ ما قال ذو العىّ فكلّ بفضله منطيق

و كذاك العدوّ لم يعد أن قال فيه جميلا كما قال المحبّ الصديق

و مع ذلك كلّه فانظر هداك اللّه إلى سـلوك صراطه المستقيم إلى الرازى و استمراره على غيّه، و غرقه فى سبيل نصبه و تعصّبه، و مكابرته الحقّ اللايح، و تنكّبه الجدد الواضح، و عدوله عن السنن، و بقائه على غمط (۱) حقّ أبى الحسن، و إرادته

۱- (۱) - غمط حق فلان حقره م

ستر الشمس المجلّله بنورها للعالم بالنقاب، و النير الأعظم بالحجاب، فجزاه اللّه عن رسوله و عن أمير المؤمنين سلام اللّه عليهما شرّ الجزاء.

الثالث و العشرون - قوله: و لأنه معارض بالأخبار الدّاله على كون أبى بكر محبّا للّه و رسوله و كون اللّه محبّا له اه.

فيه أوّلا إنّه ليس هنا خبر متضمّن لمحبّه أبى بكر للّه أو محبّه اللّه له يحتجّ به على الاماميّه فضلا عن الأخبار، و ما رووه فى هذا المعنى ممّا تفرّدوا بروايته لا يكون حجّه علينا.

و مع ذلك فمعارض بالأخبار الكثيره المتضمّنه لكون علىّ عليه السّلام أحبّ النّاس إلى اللّه و إلى رسوله المستفيضه بل المتواتره معنى من طرقهم حسبما عرفت فى الاعتراض الثانى و العشرين، و هى أقوى منها سندا و أظهر دلاله فلا يكاد تكافوء الأخبار الاوله على تقدير وجودها لها كما لا يخفى صدق المدّعى على أهل البصيره و النهى الرابع و العشرون - قوله: قال تعالى فى حقّ أبى بكر و لسوف يرضى.

غير مسلّم نزولها فى أبى بكر و لما نزله الرازى عن ابن الزّبير و عن أبى بكر الباقلانى، و المروىّ عن المفسّرين خلافه، فقد روى الواحدى بالاسناد المتّصل المرفوع عن عكرمه عن ابن عبّاس أنّها نزلت فى رجل من الأنصار، و عن عطاء قال: اسم الرّجل أبو الدّحداح، و فى بعض روايات أصحابنا أنّها فى علىّ عليه السّلام و قال بعض المفسّرين: الأولى إبقاؤها على العموم فيرجع الضمير إلى كلّ من يعطى حقّ اللّه من ماله ابتغاء وجه ربّه، و إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال و قوله: و قال: إنّ اللّه يتجلّى للناس عامه و يتجلّى لأبى بكر خاصّه أنت خبير بأنّه لا غبار فى كونه من الأحاديث الموضوعه، لأنّه إن أريد من تجلّيه سبحانه تجلّيه بذاته فهو مستلزم للتجسّم مخالف للاصول المحكمه و البراهين القاطعه السّاطعه، و إن اريد تجلّيه ببرّه و فضله و عناياته و لطفه المقرّب إلى طاعته و المبعد عن معصيته، ففيه أنّ التجلّى بهذا المعنى لعموم النّاس غير جايز إذ فيهم المؤمن و المنافق و المسلم و الكافر، فكيف يتصوّر التجلّى فى حقّ الكافر المنافق

ص:۷۸

و إن خصّ بـالمؤمنين فهو مع كونه خلاف الظّاهر يتوجّه عليه أنّ من جمله المؤمنين الأنبياء و الرّسل و فيهم اولو العزم و غيرهم فيلزم أن يكون أبو بكر أعلى شأنا منهم و هو باطل بالاتفاق.

ثمّ كيف يتجلّى اللّه سبحانه على قلب أبى بكر و هو عشّ الشيطان و قد قال مخبرا عن نفسه: إنّ لى شيطانا يعترينى فان استقمت فأعينونى و إن زغت فقوّمونى و قوله: و قال صلّى اللّه عليه و آله: ما صبّ اللّه شيئا فى صدر إلّا و صبّه فى صدر أبى بكر.

هو كسابقه أيضا فى الوضع، لأنّ النكره فى سياق النفى مفيد للعموم، و من جمله ما صبّ فى صدر النّبىّ نور النبوّه و الوحى و الالهام و علم ما كان و ما يكون و ما هو كائن و نحوها، فهل ترى شيئا من ذلك ينصبّ فى قلب أبى بكر فضلا عن جميعها و لو صحّ ذلك الصبّ لم يخف عليه معنى الكلاله و الأبّ الخامس و العشرون - قوله: إنّا لا نسلّم دلاله الايه الّتى بعد هذه الايه على امامته و سنذكر الكلام فيه اه.

يريد عدم تسليم دلاله الايه «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ » الايه على إمامه أمير المؤمنين بما ذكره من الوجوه السخيفه فى تفسير هذه الايه، و أنت قد عرفت تماميّه دلالتها على امامته فى مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقيّه، كما عرفت بطلان ما ذكره من الأدلّه، لعدم تماميّتها بما لا مزيد عليه.

و الحمد للّه الّذى هدانا لهذا و ما كنّا لنتهدى لو لا أن هدينا اللّه، و أسأل اللّه أن يثبت ما أوردناه هنا فى ردّ الرّازى النّاصب فى صحائف أعمالى، و يردّه إلىّ يوم حشر الأوّلين و الاخرين، و يثقّل به ميزانى، و يحشرنى مع من أتولّاه و احبّه و أتعصّب له من محمّد و آله الطيّبين الطاهرين، و أن يكتب ما أورده النّاصب الرّازى فى صحيفه أعماله، و يردّه إليه، و يحشره يوم القيامه مع من تعصّب له من أوليائه الظالمين فى حقّ آل الرّسول، صلّى اللّه عليهم و عليه أجمعين إلى يوم الدّين.

ص:٧٩

التنبیه الثانی

قد أشرنا فی شرح قوله علیه السّلام: إنّک تسمع ما أسمع و تری ما أری، أنّه ظاهر فی سماع الامام ما یسمعه النبیّ من الملک و رؤیته له مثله، قد اختلفت الأخبار فی ذلک فمما یدلّ علی سماعه و رؤیته حدیث الأمالی المتقدّم فی شرح الفقره المذکوره و منه أیضا ما فی البحار من البصایر عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنّا نزاد فی اللّیل و النهار و لو لا أنّا نزاد لنفد ما عندنا، فقال أبو بصیر: جعلت فداک من یأتیکم؟ قال: إنا منا لمن یعاین معاینه، و منّا من ینقر فی قلبه کیت و کیت، و منا من یسمع باذنه وقعا کوقع السلسله فی الطست، قال: قلت: جعلنی اللّه فداک من یأتیکم بذاک؟ قال: هو خلق أکبر من جبرئیل و میکائیل.

و من کتاب المحتضر للحسن بن سلیمان باسناده عن الرّضا علیه السّلام فی حدیث طویل قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی کلام له: و ان شئتم أخبرتکم بما هو أعظم من ذلک قالوا: فافعل قال علیه السّلام: کنت ذات لیله تحت سقیفه مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و انی لاحصی ستا و ستّین وطئه من الملائکه کلّ وطئه من الملائکه أعرفهم بلغاتهم و صفاتهم و أسمائهم و وطئهم.

و مما یدلّ علی السماع فقط من دون الرّؤیه مثل ما فی الاحتجاج قال: کان الصادق علیه السّلام یقول: علمنا غابر و مزبور و نکت فی القلوب و نقر فی الأسماع، فسئل عن تفسیر هذا الکلام فقال علیه السّلام: أما الغابر فالعلم بما یکون، و أما المزبور فالعلم بما کان، و أما النکت فی القلوب فهو الالهام، و أما النقر فی الأسماع فحدیث الملائکه نسمع کلامهم و لا نری أشخاصهم.

و مثله الأخبار الکثیره الفارقه بین الرّسول و النبیّ و الامام و المحدث.

مثل ما رواه فی الکافی عن زراره قال سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ

«وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا »، ما الرّسول و ما النبیّ؟ قال علیه السّلام النبیّ الذی یری فی منامه و یسمع الصوت و لا یعاین الملک، و الرّسول الذی یسمع الصوت و یری فی المنام و یعاین الملک، قلت: الامام ما منزلته؟ قال: یسمع الصوت و لا یری و لا یعاین الملک ثمّ تلا هذه الایه: و ما أرسلنا من قبلک من رسول و لا نبیّ و لا محدث.

و فیه عن برید (زید خ) عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام فی قوله عزّ و جلّ «و ما ارسلنا من قبلک من رسول و لا نبیّ و لا محدّث، قلت جعلت فداک لیست هذه قراءتنا فما الرّسول و النبیّ و المحدّث قال: الرّسول الّذی یظهر له الملک فیکلّمه و النّبیّ هو الّذی یری فی منامه و ربما اجتمعت النبوّه و الرّساله لواحد، و المحدّث الذی یسمع الصوت و لا یری الصّوره، قال: قلت: أصلحک اللّه کیف یعلم أنّ الذی رأی فی النوم حقّ و أنّه الملک؟ قال: یوفق لذلک حتّی یعرفه و لقد ختم اللّه بکتابکم الکتب و ختم بنبیّکم الأنبیاء و فیه عن الأحول قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن الرّسول و النبیّ و المحدّث قال علیه السّلام: الرّسول الذی یأتیه جبرئیل قبلا فیراه و یکلّمه فهذا الرّسول، و أمّا النّبیّ فهو الّذی یری فی منامه نحو رؤیا إبراهیم علیه السّلام و نحو ما کان رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من أسباب النبوّه قبل الوحی حتّی أتاه جبرئیل علیه السّلام من عند اللّه عزّ و جلّ بالرّساله و کان محمّد صلّی اللّه علیه و آله حین جمع له النّبوه و جاءته الرّساله من عند اللّه عزّ و جلّ یجیئه بها جبرئیل علیه السّلام یکلّمه بها قبلاً و من الأنبیاء من جمع له النبوّه و یری فی منامه و یأتیه الرّوح و یکلّمه و یحدثه من غیر أن یکون یری فی الیقظه، و أمّا المحدّث فهو الّذی یحدّث فیسمع و لا یعاین و لا یری فی منامه.

و عن محمّد بن مسلم قال: ذکر المحدّث عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فقال إنّه یسمع الصّوت و لا یری الشّخص، قلت له: جعلت فداک کیف یعلم أنّه کلام الملک؟ قال: إنّه یعطی السّکینه و الوقار حتّی یعلم أنّه کلام ملک

بیان

السّکینه اطمینان القلب و عدم التزلزل، و الوقار الحاله الّتی بها یعلم أنّه کلام الملک

ص:۸۱

و فى روايه زراره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت: كيف يعلم أنّه كلام من الملك و لا يخاف أن يكون من الشّيطان إذا كان لا يرى الشّخص؟ قال: إنّه يلقى عليه السّكينه فيعلم أنّه من الملك و لو كان من الشيطان اعتراه فزع، و إن كان الشّيطان بازراره لا يتعرّض لصاحب هذا الأمر.

و فى البحار من أمالى الشّيخ عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كان علىّ محدّثا و كان سلمان محدّثا، قال: قلت: فما آيه المحدّث؟ قال عليه السّلام: يأتيه ملك فينكت فى قلبه كيت و كيت.

و من البصاير عن حمران عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من أهل بيتى اثنى عشر محدّثا.

و من البصاير عن زراره قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول الاثنى عشر الأئمه من آل محمّد عليه و عليهم السّلام كلّهم محدّث من ولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ولد علىّ عليه السّلام فرسول اللّه و علىّ هما الوالدان، فقال عبد الرّحمن بن زيد و أنكر (ذكر) ذلك و كان أخا لعلىّ بن الحسين عليهما السّلام لأمّه، فضرب أبو جعفر عليه السّلام فخذه فقال أمّا ابن امّک كان أحدهم.

و منه عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: كان علىّ عليه السّلام و اللّه محدّثا، قال: قلت له: اشرح لى ذلك أصلحك اللّه قال: يبعث اللّه ملكا يوقر فى اذنه كيت و كيت.

و منه عن حمران بن أعين قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: أ لست حدّثتنى أنّ عليّا عليه السّلام كان محدّثا؟ قال: بلى قلت: من يحدّثه؟ قال: ملك يحدّثه، قال:

قلت: فأقول إنّه نبىّ أو رسول؟ قال: لا بل مثله مثل صاحب سليمان و مثل صاحب موسى و مثل ذى القرنين، أما بلغك أنّ عليّا عليه السّلام سئل عن ذى القرنين فقالوا كان نبيّا؟ قال: لا، بل كان عبدا أحبّ اللّه فأحبّه، و ناصح اللّه فناصحه فهذا مثله و بمعناها أخبار كثيره احر تركنا ذكرها حذرا من الاطاله

ص:۸۲

بیان

المراد بصاحب موسى إمّا یوشع بن نون کما صرّح به فی بعض الأخبار، أو الخضر على نبیّنا و علیه السّلام کما فی البعض الاخر، فیدلّ على عدم نبوّه واحد منهما و یمکن أن یکون المراد عدم نبوّته فی تلک الحال فلا ینافی نبوّته بعد فی الأوّل و نبوّته قبل فی الثّانی، هکذا قال فی البحار، و المراد بصاحب سلیمان علیه السّلام إمّا خضر علیه السّلام أو آصف بن برخیا.

قال المحدّث العلاّمه المجلسیّ فی البحار بعد ایراد هذه الأخبار ما هذا لفظه استنباط الفرق بین النبیّ و الامام من تلک الأخبار لا یخلو من إشکال، و کذا الجمع بینها مشکل جدّا، و الّذی یظهر من أکثرها هو أنّ الامام لا یرى الحکم الشرعی فی المنام و النبیّ قد یراه فیه.

فی المنام و النبیّ قد یراه فیه.

و أمّا الفرق بین النّبیّ و الامام و بین الرّسول هو أنّ الرّسول یرى الملک عند إلقاء الحکم و النّبی غیر الرّسول و الامام لا یریانه فی تلک الحال و ان رأیاه فی سایر الأحوال، و یمکن أن یخصّ الملک الّذی لا یریانه بجبرئیل علیه السّلام و یعمّ الأحوال لکن فیه أیضا منافاه لبعض الأخبار.

و مع قطع النظر من الأخبار لعلّ الفرق بین الأئمه و غیر اولی العزم من الأنبیاء أنّ الأئمه علیهم السّلام نوّاب للرّسول صلّى اللّه علیه و آله لا یبلّغون إلاّ بالنیابه و أمّا الأنبیاء و إن کانوا تابعین لشریعه غیرهم لکنّهم مبعوثون بالاصاله و إن کانت تلک النیابه أشرف من تلک الاصاله.

و بالجمله لا بدّ من الاذعان بعدم کونهم علیهم السّلام أنبیاء و بأنّهم أشرف و أفضل من غیر نبیّنا علیه و علیهم السّلام من الأنبیاء و الأوصیاء، و لا نعرف جهه لعدم اتّصافهم بالنّبوّه إلاّ رعایه جلاله خاتم الأنبیاء صلوات اللّه علیه و آله، و لا یصل عقولنا إلى فرق بیّن بین النبوّه و الامامه، و ما دلّت علیه الأخبار فقد عرفته، و اللّه تعالى یعلم حقایق أحوالهم صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین و قال المفید رحمه اللّه علیه فی کتاب المقالات: إنّ العقل لا یمنع من نزول

الوحی الیهم صلوات اللّه علیهم و إن کانوا أئمه غیر أنبیاء فقد أوحی اللّه عزّ و جلّ إلی أمّ موسی أن أرضعیه الایه، فعرفت صحّه ذلک بالوحی و عملت علیه و لم تکن رسولاـ و لا نبیّا و لا إماما، و لکنّها کانت من عباده الصّالحین، و إنّما منعت نزول الوحی إلیهم و الایحاء بالأشیاء إلیهم للاجماع علی المنع من ذلک و الاتفاق علی أنه من زعم أنّ أحدا بعد نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله یوحی الیه فقد أخطأ و کفر، و لحصول العلم بذلک من دین النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کما أنّ العقل لم یمنع من بعثه نبیّ بعد نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و نسخ شرعنا کما نسخ ما قبله من شرایع الانبیاء علیهم السّلام و إنما منع ذلک العلم و الاجماع، فانه خلاف دین النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من جهه الیقین و ما یقارب الاضطرار(۱) ، و الامامیّه جمیعا علی ما ذکرت لیس بینها علی ما وصفت خلاف.

و قال رحمه اللّه علیه فی شرح عقاید الصدوق علیه الرّحمه: أصل الوحی هو الکلام الخفیّ، ثمّ قد یطلق علی کلّ شیء قصد به إفهام المخاطب علی الستر له عن غیره و التخصیص له به دون من سواه، و إذا اضیف إلی اللّه تعالی کان فیما یخصّ به الرّسل خاصّه دون من سواهم علی عرف الاسلام و شریعه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «إلی أن قال» و قد یری اللّه فی منامه خلقا کثیرا ما یصحّ تأویله و یثبت حقّه، لکنّه لا یطلق بعد استقرار الشریعه علیه اسم الوحی و لا یقال فی هذا الوقت لمن اطّلعه اللّه علی علم شیء أنه یوحی إلیه و عندنا أنّ اللّه تعالی یسمع الحجج بعد نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کلاما یلقیه إلیهم أی الأوصیاء فی علم ما یکون لکنّه لا یطلق علیه اسم الوحی لما قدّمناه من إجماع المسلمین علی أنه لا وحی لأحد بعد نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و أنه لا یقال فی شیء مما ذکرناه أنه وحی إلی أحد، و للّه تعالی أن یبیح اطلاق الکلام احیانا، و یحظره احیانا فأما المعانی فانها لا تتغیر عن حقایقها، انتهی کلامه رفع مقامه

۱- (۱) - یعنی أنه یکاد أن یکون ضروریّا، منه

التنبيه الثالث

فی ذکر الأخبار الوارده فی وزارته علیه السّلام و هی کثیره جدا من طرق الخاصّه و العامّه و لنقتصر علی بعضهما حذرا من الاطاله فأقول و باللّه التوفیق:

فی غایه المرام من مسند أحمد بن حنبل بسنده عن النسیم قال: سمعت رجلا من خثعم یقول: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: اللهمّ إنّی أقول کما قال موسی:

اللهمّ اجعل لی وزیرا من أهلی علیا أخی «اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِی وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً إِنَّکَ کُنْتَ بِنا بَصِیراً ».

و فیه عن أبی نعیم الحافظ باسناده عن رجاله عن ابن عباس قال: أخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بید علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و بیدی و نحن بمکه و صلّی أربع رکعات، ثمّ مدّ یدیه إلی السماء و قال: اللّهم إنّ نبیّک موسی بن عمران علیه السّلام سألک فقال «رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی » الایه، و أنا محمّد نبیّک أسألک: «رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی وَ احْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسانِی یَفْقَهُوا قَوْلِی وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی » علیّا أخی «اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِی وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی »، قال ابن عبّاس: فسمعت منادیا ینادی: قد اوتیت ما سألت.

و فیه عن أبی الحسن الفقیه من طریق العامّه باسناده عن الباقر عن أبیه عن جدّه الحسین بن علیّ بن أبی طالب علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: علیّ بن أبی طالب علیه السّلام خلیفه اللّه و خلیفتی، و حجّه اللّه و حجّتی، و باب اللّه و بابی، و صفیّ اللّه و صفیّی، و حبیب اللّه و حبیبی، و خلیل اللّه و خلیلی، و سیف اللّه و سیفی، و هو أخی و صاحبی، و وزیری، و محبّه محبّی، و مبغضه مبغضی، و ولیّه ولیّی، و عدوّه عدوّی، و زوجته ابنتی، و ولده ولدی، و حزبه حزبی، و قوله قولی، و أمره أمری، و هو سیّد الوصیّین و خیر امّتی و فیه عن ابن شاذان من طریق العامّه بحذف الاسناد عن سعید بن المسیّب قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: اللهمّ اجعل لی وزیرا من أهل السماء، و وزیرا من أهل

الأرض، فأوحى اللّه إليه أنى قد جعلت وزيرك من أهل السماء جبرائيل، و وزيرك من أهل الأرض علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

و أقنع من غايه المرام بهذه الأحاديث الأربعه، و قد روى فيه من طرق العامّه أحد عشر حديثا، و من طرق الخاصّه أحدا و عشرين حديثا، جلّها بل كلّها ناصّه بخلافته و وصايته عليه الصّلاه و السلام.

و روى الشارح المعتزلى عن الطبرى فى تاريخه عن عبد اللّه بن عبّاس عن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال:

لمّا نزلت هذه الايه «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دعانى فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لى: يا علىّ إنّ اللّه أمرنى أن انذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعا و إنّى علمت متى اناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتّ حتّى جاءنى جبرئيل عليه السّلام فقال: يا محمّد إنّك إن لم تفعل ما امرت به يعذّبك ربّك، فاصنع لنا صاعا من طعام و اجعل عليه رجل شاه و املاء لنا عسّا من لبن، ثمّ اجمع بنىّ عبد المطلب حتّى اكلّمهم و ابلّغهم ما امرت به، ففعلت ما أمرنى به، ثمّ دعوتهم و هم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه و فيهم أعمامه: أبو طالب و حمزه و العباس، و أبو لهب.

فلما اجتمعوا إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دعا بالطعام الّذى صنعت لهم، فجئت به، فلمّا وضعته تناول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بضعه من اللحم فشقّها بأسنانه، ثمّ ألقاها فى نواحى الصحفه، ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كلوا باسم اللّه فأكلوا حتّى ما لهم إلى شىء من حاجه، و أيم اللّه الّذى نفس علىّ بيده أن كان الرّجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمته لجميعهم قال صلّى اللّه عليه و آله:

اسق القوم يا علىّ، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتّى رووا جميعا و أيم اللّه ان كان الرّجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلمّا أراد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يكلّمهم بدر أبو لهب إلى الكلام فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم و لم يكلّمهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقال من الغد: يا علىّ إنّ هذا الرّجل قد سبقنى إلى ما سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن اكلّمهم فعدلنا

الیوم إلی ما سمعت بالأمس ثمّ اجمعهم لی، ففعلت ثمّ جمعهم، ثمّ دعانی بالطعام فقربته لهم ففعل کما فعل بالأمس فأکلوا حتّی ما لهم بشیء حاجه، ثمّ قال: اسقهم فجئتهم بذلک العسّ فشربوا منه جمیعا حتّی رووا.

ثمّ تکلّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال: یا بنیّ عبد المطلب إنّی و اللّه ما أعلم أنّ شابا فی العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتکم به، إنّی جئتکم بخیر الدّنیا و الاخره، و قد أمرنی اللّه أن أدعوکم الیه فأیّکم یوازرنی علی هذا الأمر علی أن یکون أخی و وصیّی و خلیفتی فیکم؟ فأحجم القوم عنها جمیعا و قلت أنا و إنّی لأحدثهم سنّا و أرمصهم عینا و أعظمهم بطنا و أحمشهم ساقا: أنا یا رسول اللّه أکون وزیرک علیه.

فأعاد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم القول فأمسکوا و أعدت ما قلت.

فأخذ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم برقبتی ثمّ قال لهم: هذا أخی و وصیّی و خلیفتی فیکم فاسمعوا له و أطیعوا، فقام القوم یضحکون و یقولون لأبی طالب: قد أمرک أن تسمع لابنک و تطیع.

قال الشارح المعتزلی و یدلّ علی أنّه وصیّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من نصّ الکتاب و السّنه قول اللّه تبارک و تعالی «وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی هارُونَ أَخِی اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِی وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی » و قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الخبر المجمع علی روایته بین سایر فرق الاسلام: أنت منّی بمنزله هارون من موسی إلّا أنّه لا نبیّ بعدی، فأثبت له جمیع مراتب هارون و منازله عن موسی فاذا هو وزیر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و شادّ ازره، و لو لا أنّه خاتم النبیّین لکان شریکا فی أمره.

أقول و هذه الأخبار کما تری صریحه فی إمامته علیه السّلام و وزارته و خلافته حسبما عرفت تحقیقه فی مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقیه.

قال المفید فی الارشاد بعد الاستدلال علی إمامته علیه السّلام بحدیث المنزله: فأوجب له الوزاره و التخصیص بالمودّه و الفضل علی الکافّه له و الخلافه علیهم فی حیاته و بعد وفاته لشهاده القرآن بذلک کلّه لهارون من موسی علیهما السّلام، قال اللّه عزّ و جلّ مخبرا عن موسی علیه السّلام «وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی هارُونَ أَخِی اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِی وَ أَشْرِکْهُ » (۱)

۱- (۱) ای ظهری

«فِی أَمْرِی کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً إِنَّکَ کُنْتَ بِنا بَصِیراً » قال اللّه تعالی «قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکَ یا مُوسی ».

فثبت لهارون شرکه موسی علیه السّلام فی النّبوه و وزارته علی تأدیه الرّساله و شدّ ازره به فی النصره.

و قال فی استخلافه له: «وَ «اُخْلُفْنِی فِی قَوْمِی وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِیلَ الْمُفْسِدِینَ » فثبت له خلافته بمحکم التنزیل فلمّا جعل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأمیر المؤمنین علیه الصّلاه و السّلام جمیع منازل هارون من موسی علی نبیّنا و علیه السّلام فی الحکم له منه إلّا النّبوه وجبت له وزاره الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و شدّ الازر بالنصره و الفضل و المحبّه لما تقتضیه هذه الخصال من ذلک فی الحقیقه ثمّ الخلافه فی الحیاه بالصّریح و بعد النّبوه بتخصیص الاستثناء لما اخرج منها(۱) بذکر البعد(۲) ، و أمثال هذه الحجج کثیره یطول بذکرها الکتاب.

و قال «ره» فی موضع آخر من الارشاد: فأمّا مناقبه علیه السّلام الغنیّه لشهرتها و تواتر النقل بها و اجماع العلماء علیها عن ایراد أسانید الأخبار بها فهی کثیره یطول بشرحها الکتاب و فی رسمنا منها طرفا کفایه عن ایراد جمیعها.

فمن ذلک أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم جمع خاصّه أهله و عشیرته فی ابتداء الدعوه إلی الاسلام فعرض علیهم الایمان و استنصرهم علی الکفر و العدوان و ضمن لهم علی ذلک الخطوه(۳) فی الدّنیا و الشرف و ثواب الجنان فلم یجبه منهم إلّا أمیر المؤمنین علیّ ابن أبی طالب علیه الصّلاه و السّلام فنحله(۴) بذلک تحقیق الاخوّه و الوزاره و الوصیّه و الوراثه و الخلافه، و أوجب له به الجنّه.

و ذلک فی حدیث الدّار الّذی أجمع علی صحّته نقّاد الاثار حین جمع

۱- (۱) - أی المنازل م

۲- (۲) - أی قوله لا نبیّ بعدی م

۳- (۳) - أی المکانه و المنزله

۴- (۴) - أی اعطاه

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب و هم أربعون رجلا يومئذ يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيما ذكره الرّواه.

و أمر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يصنع لهم طعاما فخذ شاه مع مدّ من برّ و يعدّ لهم صاع من اللّبن، و قد كان الرّجل منهم معروفا بأكل الجذعه - و هو من الضّأن ما له سنه كامله - فى مقام واحد، و يشرب الفرق(۱) من الشراب فى ذلک المقعد.

فأراد عليه و آله السلام باعداد قليل الطعام و الشراب لجماعتهم إظهار الايه لهم فى شبعهم و ريّهم مما كان لا يشبع واحدا منهم و لا يرويه ثمّ أمر بتقديمه لهم، فأكلت الجماعه كلّها من ذلک اليسير حتى تملوا منه و لم يبن ما أكلوه منه و شربوه فيه فبهرهم(۲) بذلک و بيّن لهم آيه نبوّته و علامه صدقه ببرهان اللّه تعالى فيه.

ثمّ قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام و رووا من الشراب: يا بنى عبد المطلب إنّ اللّه بعثنى إلى الخلق كافّه و بعثنى إليكم خاصّه فقال «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ » و أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللّسان ثقيلتين فى الميزان تملكون بهما العرب و العجم و تنقاد لكم بهما الامم و تدخلون بهما الجنّه و تنجون بهما من النّار: شهاده أن لا إله إلاّ اللّه، و أنّى رسول اللّه، فمن يجيبنى إلى هذا الأمر و يوازرنى عليه و على القيام به يكون أخى و وصيّى و وزيرى و خليفتى من بعدى.

فلم يجبه أحد منهم، فقال أمير المؤمنين عليه الصّلاه و السّلام فقمت بين يديه من بينهم و أنا إذ ذاک أصغرهم سنا و أحمشهم(۳) ساقا و أرمصهم عينا فقلت: أنا يا رسول اللّه اوازرک على هذا الأمر، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اجلس.

ثمّ أعاد صلّى اللّه عليه و آله القول على القوم ثانيه فاصمتوا، فقمت أنا و قلت مثل مقالتى الاولى، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اجلس.

ص:۸۹

۱- (۱) - كيل معروف بالمدينه و هو ستّه عشر رطلا و قد يحرّک صحاح م

۲- (۲) - أى غلبهم م

۳- (۳) - حمش الرجل حمشا صار دقيق الساقين فهو أحمش، و الرمص البياض الذى يجتمع فى روايا العين يقال رجل أرمص و هو كنايه عن صغر العين، منه

ثمّ أعاد على القوم ثالثه فلم ينطق أحد منهم بحرف فقمت و قلت: أنا أوازرک يا رسول اللّه على هذا الأمر.

فقال صلّى اللّه عليه و آله: اجلس فانت أخی و وصيّى و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى فنهض القوم و هم يقولون لأبى طالب: يا أبا طالب ليهنئك اليوم ان دخلت فى دين ابن اخيك فقد جعل ابنك أميرا عليك.

قال المفيد قدّس سرّه العزيز: و هذه منقبه جليله اختصّ بها أمير المؤمنين عليه الصّلاه و السّلام و لم يشركه فيها أحد من المهاجرين و الأنصار و لا أحد من أهل الاسلام، و ليس لغيره عليه السّلام عدل لها من الفضل و لا مقارب على حال.

و فى الخبر بها ما يفيد أنّ به عليه الصّلاه و السّلام تمكّن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من تبليغ الرساله و إظهار الدّعوه و الصدع بالاسلام، و لولاه لم تثبت الملّه و لا استقرّت الشريعه و لا ظهرت الدّعوه.

فهو عليه الصّلاه و السّلام ناصر الاسلام و وزيره الدّاعى اليه من قبل اللّه عزّ و جلّ، و بضمانه لنبىّ الهدى عليه و آله السلام النصره، تمّ له فى النّبوه ما أراد و فى ذلک من الفضل ما لا توازنه الجبال فضلا، و لا تعادله الفضايل كلّها محلاّ.

الترجمه

اين فصل از خطبهٔ شريفه مسوقست در بيان مناقب جليله و فضايل جميلهٔ خود آن بزرگوار مى فرمايد:

آگاه باشيد كه بتحقيق امر فرمود خداوند متعال مرا بقتال و جدال أهل ظلم و طغيان و أهل نقض بيعت و أهل فساد در زمين، پس أما ناقضان بيعت كه أهل جمل بودند پس بتحقيق مقاتله كردم با ايشان، و أمّا عدول كنندگان از حقّ كه أهل صفين بودند پس بتحقيق جهاد كردم با ايشان، و أمّا بيرون روندگان از دين كه أهل نهروان بودند پس بتحقيق كه ذليل گردانيدم ايشان را، و أما شيطان ردهه پس بتحقيق كفايت كرده شدم از او به آواز مهيبى كه شنيدم بجهت شدّت آن آواز اضطراب

قلب و حرکت سینهٔ او را، و باقی مانده بقیّهٔ از أهل ستم که معاویه و أهل شام است و اگر اذن بدهد خدای تعالی در رجوع بر ایشان هر آینه البته غالب می شوم بر ایشان و باز گیرم دولت را از ایشان مگر این که متفرّق شود در اطراف زمین متفرّق شدنی.

من پست کردم رؤسای عرب را، شکستم شاخهای ظاهر شدهٔ قبیلهٔ ربیعه و مضر را، و بتحقیق که شما دانسته اید مرتبه و مقام مرا در نزد رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم با قرابت نزدیک و با رتبه و منزلت مخصوصه، نهاد مرا در کنار تربیت خود در حالتی که طفل بودم، می چسباند مرا بسینهٔ خود، و ضمّ می کرد مرا در رختخواب خود، و مسّ می کرد بمن بدن شریف خود را، و می بوئید مرا بوی معطر خود را، و بود که مضغ می فرمود چیزی را از طعام پس می خوراند بمن آنرا.

پس بتحقیق که مقرون گردانید بان بزرگوار از وقتی که فطیم و از شیر واشده بود أعظم ملکی را از ملائکه خود که می برد آنرا براه مکرمتها و خوبترین خلقهای عالم در شب و روز او، و بتحقیق که تبعیّت می نمودم او را مثل تبعیّت شتر بچه در عقب مادر خود، بلند می گردانید از برای من در هر روز رایتی از خلقهای عظیمهٔ خود، و امر می فرمود مرا به پیروی کردن بخود.

و هر آینه بود آن سیّد أنام علیه صلوات اللّه الملك العلاّم مجاور می شد هر سال بکوه حرا پس می دیدم من او را و نمی دید او را احدی غیر از من، و جمع نکرده بود یک خانه آن روز در اسلام غیر رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و خدیجهٔ کبری علیها سلام اللّه و من ثالث ایشان بودم، می دیدم نور وحی را و می بوئیدم بوی پیغمبری را.

و بتحقیق شنیدم ناله شیطان را در وقت نزول وحی بر آن بزرگوار پس گفتم یا رسول اللّه این چه ناله است؟ پس فرمود که: این شیطانست بتحقیق نا امید شده است از این که عبادت و اطاعت کنند مردمان او را.

بدرستی که تو ای علی می شنوی آنچه که می شنوم من، و می بینی آنچه که می بینم من، مگر آنکه تو پیغمبر نیستی، و لکن تو وزیر منی، و بدرستی که تو ثابت هستی بر خیر دنیا و آخرت.

ص:۹۱

الفصل التاسع

اشاره

و لقد كنت معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا أتاه الملاء من قريش، فقالوا له:

يا محمّد إنّك قد إدّعيت عظيما لم يدّعه آباؤك و لا أحد من بيتك و نحن نسئلك أمرا إن أجبتنا إليه و أريتناه علمنا أنّك نبيّ و رسول و إن لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب. قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهم: و ما تسئلون؟ قالوا: تدع لنا هذه الشّجره حتّى تنقلع بعروقها و تقف بين يديك فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ اللّه على كلّ شيء قدير فإن فعل اللّه ذلك بكم أ تؤمنون و تشهدون بالحقّ؟ قالوا: نعم. قال: فإنّي ساريكم ما تطلبون، و إنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير، و أنّ فيكم من يطرح في القليب، و من يحزّب الأحزاب. ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا أيّتها الشّجره إن كنت تؤمنين باللّه و اليوم الاخر و تعلمين أنّي رسول اللّه فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن اللّه. و الّذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها و جاءت و لها دويّ شديد و قصف كقصيف أجنحه الطّير، حتّى وقفت بين يدي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

ص:٩٢

مرفرفه، و ألقت بغصنها الأعلى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ببعض أغصانها على منكبى، و كنت عن يمينه صلّى اللّه عليه و آله. فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّا و استكبارا: فمرها فليأتک نصفها و يبقى نصفها، فأمرها بذلک، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال و أشدّه دويّا، فكادت تلتفّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقالوا كفرا و عتوّا فمر هذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فرجع. فقلت أنا: لا إله إلّا اللّه فإنّى أوّل مؤمن بک يا رسول اللّه و أوّل من أقرّ بأنّ الشّجره فعلت ما فعلت بأمر اللّه تعالى، تصديقا لنبوّتک و إجلالا لكلمتک، و قال القوم كلّهم: بل ساحر كذّاب عجيب السّحر خفيف فيه و هل يصدّقک فى أمرک إلّا مثل هذا - يعنوننى و إنّى لمن قوم لا تأخذهم فى اللّه لومه لائم، سيماهم سيما الصّدّيقين، و كلامهم كلام الأبرار، عمّار اللّيل، و منار النّهار، متمسّكون بحبل القرآن، يحيون سنن اللّه و سنن رسوله لا يستكبرون، و لا يعلون، و لا يغلوّن، و لا يفسدون، قلوبهم فى الجنان، و أجسادهم فى العمل.

اللغه

(القليب) البئر يـذكّر و يؤنّث أو العـاديّه القـديمه منها و (الأحزاب) جمع الحزب الطائفه و جماعه الناس و تحزّبوا صاروا أحزابا و حزّبتهم تحزيبـا جعلتهم حزبـا حزبـا و (القصف و القصـيف) الصوت، و فى بعض النسـخ قصف كقصف أجنحه الطير، و الجميع بمعنى واحد و (رفرف) الطائر بجناحيه إذا بسـطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه (و السّيما) بالقصر و المدّ العلامه و (غلّ) يغلّ من باب قعد غلولا إذا خان فى الغنيمه كأغلّ أو مطلق الخيانه و غلّ غلاّ من باب ضرب أى حقد حقدا.

الاعراب

قوله: مرفرفه بالنصب حال من فاعل وقفت، و قوله: و ألقت عطف على وقفت، و علوّا و استكبارا منصوبان على المفعول لأجله، و دويّا منصوب على التميز، و كفرا و عتوّا أيضـا منصوبـان على المفعول له، و كـذلك تصـديقا و اجلالا، و عمّار اللّيل بالرّفع خبر لمبتدأ محذوف، قوله: و أجسادهم فى العمل، الواو فيه للعطف و تحتمل الحال.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه عليه الصّلاه و السّلام لمّا نبّه فى الفصـل السـابق على علوّ مقـامه و رفعه شأنه و شـرف محلّه، و ذكر المخاطبين بمناقبه الجميله و عدّ فيه منها تسـعا أردفه بهذا الفصل تذكيرا لهم بمنقبته العاشـره و هو ايمانه برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و تصديقه بالمعجزه الظاهره منه صلوات اللّه و سلامه عليه فى الشجره لمّا كفر به غيره و نسبوه إلى السّحر و الكذب و هو قوله عليه الصّلاه و السّلام:

(و لقد كنت معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا أتاه الملاء من قريش) أى الجماعه منهم (فقالوا له يا محمّد إنّك قد ادّعيت أمرا عظيمـا) و هو النّبوه و الرّساله (لم يـدّعه آباؤک) أى الأقربون منهم و إن كان الأبعـدون أنبياء و مرسـلين كاسـماعيل و إبراهيم و غيرهما (و لا أحد من) أهل (بيتک و نحن نسألک أمرا) خارقا للعاده (إن أجبتنا إليه) و أتيت به (و أريتناه

علمنا أنّک نبیّ و رسول) لاتیانک بما أتی به سایر الأنبیاء و الرّسل ممّا یعجز عنه غیرهم من الایات البیّنات المصدّقه لرسالتهم و نبوّتهم (و ان لم تفعل علمنا) بطلان دعواک و انّک ساحر کذّاب) لأنّ عدم فعلک لما نسأله کاشف عن عجزک من معاجزه النّبوه و دلائل الرّساله.

ف (قال لهم) النّبی صلّی اللّه علیه و آله (و ما تسألون).

(قالوا تدع لنا هذه الشجره حتّی تنقلع بعروقها) من الأرض و تأتی (و تقف بین یدیک) إجابه لدعوتک (فقال صلّی اللّه علیه و آله إنّ اللّه علی کلّ شیء قدیر) لا یعجزه شیء و لا یقصر قدرته عن شیء (فان فعل اللّه ذلک بکم) و أجاب إلی مسئولکم (أ تؤمنون) به (و تشهدون بالحقّ) و إنّما نسب الفعل إلی اللّه و لم ینسبه إلی نفسه تنبیها لهم علی أنّ ما یفعله و یصدر منه صلّی اللّه علیه و آله فانّما هو فعل اللّه سبحانه و هو علیه السّلام مظهر له کما قال تعالی «وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللّهَ رَمی » و لذلک ذکر أوّلا عموم قدرته تعالی و فرّع علیه قوله: فان فعل اللّه ذلک، ایماء إلی أنّ ما تسألونه من انقلاع الشجره من مکانها و وقوفها بین أیدیهم أمر یعجز عنه المخلوق الضعیف و یقدر علیه الخالق القاهر القادر علی کلّ شیء، فقال لهم:

فان فعلت ذلک مع کونی بشرا مثلکم فانّما هو بکونی مبعوثا من عنده خلیفه له و کون فعلی فعله أ تؤمنون حینئذ و تشهدون بأن لا إله إلاّ اللّه و أنّی رسول اللّه.

(قالوا نعم قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فانّی ساریکم ما تطلبون) أسند الارائه إلی نفسه القدسی بعد اسناد الفعل إلی اللّه، لما ذکرناه من النکته (و إنّی لأعلم أنکم لا تفیئون إلی خیر) أی لا ترجعون إلی الاسلام الجامع لخیر الدّنیا و الاخره و فی تصدیر الجمله بانّ و اللاّم تنبیها علی أنّ عدم رجوعهم إلی الحقّ و بقائهم علی الکفر و الضلال محقّق معلوم له صلّی اللّه علیه و آله بعلم الیقین لیس فیه شکّ و ریب (و انّ فیکم من) یبقی علی کفره و یقتل و (یطرح فی القلیب) قلیب بدر (و من) یستمرّ علی غیّه و (یحزّب الأحزاب) و یجمع جموع الکفّار و المشرکین علی

محاربتی و جهادی.

و هذه الخبر من أخباره الغیبیّه و دلائل نبوّته صلّی اللّه علیه و آله و قد وقع المخبر به علی طبق الخبر، فممّن طرح فی القلیب بعد قتلهم عتبه و شیبه ابنی ربیعه و أبی جهل و امیّه ابن عبد شمس و الولید بن المغیره و غیرهم، و ممّن حزّب الأحزاب أبو سفیان بن حرب و عمرو بن ود و صفوان بن امیّه و عکرمه بن أبی جهل و سهل بن عمرو و غیرهم.

(ثمّ قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یا أیتها الشجره إن کنت تؤمنین باللّه و الیوم الاخر و تعلمین أنّی رسول اللّه) خطابه للشّجره بخطاب ذوی العقول یدلّ علی أنّها صارت بتوجّه نفسه القدسی إلیها شاعره مدرکه قابله للخطاب کسایر ذوی العقول المتّصفه بالاحساس و الحیاه لأنّ مشیّته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مشیه اللّه و إذا أراد اللّه شیئا أن یقول له کن فیکون.

و نظیر هذا الخطاب خطاب اللّه سبحانه للأرض و السماء بقوله «یا أَرْضُ ابْلَعِی ماءَکِ وَ یا سَماءُ أَقْلِعِی » و فی قوله: ان کنت تؤمنین باللّه و الیوم الاخر، دلاله علی أنّ للنبات و الجماد تکلیفا کسایر المکلّفین، و قد مرّ بعض الکلام فی ذلک فی شرح المختار المأه و التسعین.

و کیف کان فقد خاطب الشّجره و قال لها (فانقلعی بعروقک حتّی تقفی بین یدیّ باذن اللّه) و مشیّته ف (و الّذی بعثه بالحقّ) نبیّا (لانقلعت بعروقها و جاءت و لها دویّ شدید) صوت کصوت الرّیح (و قصف کقصیف) أی صوت مثل صوت (أجنحه الطیر حتی وقفت بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم) ممتثله لأمره منقاده لحکمه (مرفرفه) رفرفه الطیر (و ألقت بغصنها الأعلی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم) متثله لأمر منقاده لحکمه (مرفوعه) رفرقه الطیر (و ألقت بغضها الأعلی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم) إجلالا له و إعظاما (و ببعض أغصانها علی منکبی) تکریما و تعظیما (و کنت) واقفا (عن یمینه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فلمّا نظر القوم إلی ذلک) الاعجاز (قالوا) له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم (علوا و استکبارا) لا اهتداء و استرشادا (فمرها فلیأتک نصفها و یبقی نصفها فأمرها بذلک) إتماما للحجّه و اکمالا للبیّنه(فأقبل إلیه نصفها کأعجب إقبال و أشدّه دویا)و هو کنایه عن سرعه إجابتها لأمره (فکادت تلتفّ

ص:۹۶

برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بمزيد دنوّها منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (فقالوا) ثالثه (كفرا و عتوّا) و تمرّدا و اعتلاء بقصد تعجيزه و افحامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (فمر هذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان فأمره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قطعا للعذر و حسما لمادّه المكابره (فرجع) إلى النّصف الاخر و انضمّ اليه.

قال أمير المؤمنين لما شاهد هذه المعجزه (فقلت أنا: لا إله إلاّ اللّه فانّى أوّل مؤمن بك) أى برسالتك (يا رسول اللّه و أوّل من أقرّ بأنّ الشجره فعلت ما فعلت بأمر اللّه) و اذنه (تصديقا لنبوّتك و إجلالا لكلمتك) و إجابه لأمرك.

(فقال القوم كلّهم بل ساحر كذّاب) أى أنت مموّه مدلّس لا حقيقه لما فعلته و إنّما هو تمويه و تخييل لا أصل له و أنّك كذّاب فيما تدعوننا إليه من التوحيد و الايمان.

و قد حكى اللّه عنهم ذلك بقوله فى سوره ص «وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذّابٌ أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْ ءٌ عُجابٌ ».

قال الطبرسى فى وجه نزول الايه: قال المفسّرون: إنّ أشراف قريش و هم خمسه و عشرون منهم الوليد بن المغيره و هو أكبرهم و أبو جهل و أبىّ و اميّه ابنا خلف و عتبه و شيبه ابنا ربيعه و النضر بن الحارث أتوا أبا طالب و قالوا أنت شيخنا و كبيرنا و قد أتيناك لتقضى بيننا و بين ابن اخيك فانّه سفّه أحلامنا و شتم آلهتنا، شيخنا و كبيرنا و قد أتيناك لتقضى بيننا و بين ابن اخيك فانّه سفّه أحلامنا و شتم آلهتنا، فدعى أبو طالب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال: يا ابن أخ هؤلاء قومك يسألونك: فقال: ما ذا يسألوننى قالوا دعنا و آلهتنا ندعك و إلهك فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أ تعطوننى كلمه واحده تملكون بها العرب و العجم، فقال أبو جهل: للّه أبوك نعطيك ذلك و عشر أمثالها فقال: قولوا: لا إله إلاّ اللّه، فقاموا و قالوا: أ جعل الالهه إلها واحدا، فنزلت هذه الايات، هذا.

و لمّا قالوا: إنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ساحر و لم يكونوا شاهدين مثل ما أتى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم به من غيره أعظموا أمره و وصفوه بأنّه (عجيب السّحر) لأنّه قد أتى بما يعجز عنه غيره و بأنّه (خفيف فيه) لأنّه فعل ما فعل سريعا من دون تراخ و تأخير.

ثمّ قالوا استحقارا و استصغارا:(و هل يصدّقك) و يؤمن بك (فى أمرك إلاّ مثل هذا) الغلام الحدث السنّ (يعنوننى) و قد حذا حذو هؤلاء الكفّار أتباعهم الّذين

فضّلوا ابن أبی قحافه علی أمیر المؤمنین علیه السّلام حیث قالوا: إنّ ابن أبی قحافه أسلم و هو ابن أربعین سنه و علیّ أسلم و هو حدث و لم یبلغ الحلم فکان إسلام الأوّل أفضل و قد نقل تفصیل مقالهم الشارح المعتزلی من کتاب العثمانیّه للجاحظ، و تفصیل الجواب عن ذلک من کتاب نقض العثمانیه لأبی جعفر الاسکافی تغمّده اللّه بغفرانه، و کفانا نقل الشّارح المعتزلی له مؤنه النقل هنا، من أراد الاطلاع فلیراجع شرحه.

ثمّ اشار علیه السّلام إلی مناقب له اخری و فصّلها بقوله (و انّی لمن قوم لا تأخذهم فی اللّه لومه لائم) أی لا تأخذهم فی سلوک سبیله و التقرّب إلیه سبحانه و اقامه أحکام الدّین و اعلاء کلمه الاسلام، ملامه لائم و وصف هؤلاء القوم بعشره أوصاف:

أولها أنّ (سیماهم سیما الصّدیقین) أی علامتهم علامه هؤلاء قال الطبرسیّ فی تفسیر قوله تعالی: من یطع اللّه و الرّسول فأولئک مع الذین أنعم اللّه علیهم من النبیّین و الصّدیقین، قیل: فی معنی الصّدیق إنّه المصدّق بکلّ ما أمر اللّه به و بأنبیائه لا یدخله فی ذلک شکّ و یؤیّده قوله تعالی «وَ الَّذِینَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِکَ هُمُ الصِّدِّیقُونَ » و قال فی قوله: «وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ إِبْراهِیمَ إِنَّهُ کانَ صِدِّیقاً نَبِیًّا » أی کثیر التصدیق فی امور الدّین، و قیل: صادقا مبالغا فی الصدق فیما یخبر عن اللّه.

أقول: مقتضی کون الصدّیق من أبنیه المبالغه أن یکون کثیر الصّدق مبالغا فیه، و ذلک مستلزم لکون عمله مطابقا لقوله مصدّقا له غیر مکذّب أی صادقا فی أقواله و أفعاله.

قال سبحانه فی وصف الصّادقین «وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلائِکَهِ وَ الْکِتابِ وَ النَّبِیِّینَ وَ آتَی الْمالَ عَلی حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ وَ السّائِلِینَ وَ فِی الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاهَ وَ آتَی الزَّکاهَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ وَ حِینَ الْبَأْسِ أُولئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » و فی البحار عن بصایر الدّرجات عن برید العجلی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام

عن قول اللّه «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ » قال عليه السّلام ايّانا عنى و فيه من البصاير عن أحمد بن محمّد قال: سألت الرّضا عليه السّلام عن هذه الايه قال: الصادقون الأئمه الصدّيقون بطاعتهم.

و فيه من كنز جامع الفوايد عن عباد بن صهيب عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السّلام قال: هبط على النبىّ ملك له عشرون ألف رأس فوثب النبىّ ليقبّل يده، فقال له الملك: مهلا مهلا يا محمّد فأنت و اللّه أكرم على اللّه من أهل السّماوات و أهل الأرضين أجمعين و الملك يقال له: محمود، فاذا بين منكبيه مكتوب لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علىّ الصّديق الأكبر، فقال له النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: حبيبى محمود كم هذا مكتوب بين منكبيك؟ قال: من قبل أن يخلق اللّه أباك باثنى عشر ألف عام.

فقد علم بما ذكرنا كلّه أنّ المراد بالصدّيقين خصوص الأئمه أو الأعمّ منهم و من ساير المتّقين، و على أىّ تقدير فرئيسهم هو أمير المؤمنين عليه السّلام.

(و) الثانى (أنّ كلامهم كلام الأبرار) أى المطيعين للّه المحسنين فى أفعالهم قال تعالى «إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً » قال الحسن فى تفسيره هم الذين لا يؤذون الذّر و لا يرضون الشرّ و قيل هم الّذين يقضون الحقوق اللاّزمه و النّافله قال الطبرسىّ و قد أجمع أهل البيت عليهم السّلام و موافقوهم و كثير من مخالفيهم أنّ المراد بذلك علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام، و الايه مع ما بعدها متعيّنه فيهم و أيضا فقد انعقد الاجماع على أنهم كانوا أبرارا و فى غيرهم خلاف، و على أىّ معنى فالمراد بكلامهم الذكر الدائم و قول الحقّ و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الثالث أنّهم (عمّار اللّيل) أى بالدّعاء و المناجاه و الصّلاه و تلاوه القرآن (و) الرابع أنّهم (منار النّهار) يعنى أنّهم يفرغون باللّيل لعباده الخالق و يقومون فى النّهار بهدايه الخلايق فالنّاس يهتدون بهم من ظلمات الجهاله و الضّلاله كما يهتدى بالمنار فى غياهب الدّجى.

الخامسأنّهم(متمسّكون بحبل القرآن)قال الشارح البحرانى استعار

لفظ الحبل للقرآن باعتبار كونه سببا لمتعلّميه و متدبّريه إلى التروّى من ماء الحياه الباقيه كالعلوم و الأخلاق الفاضله كالحبل هو سبب الارتواء و الاستسقاء من الماء أو باعتبار كونه عصمه لمن تمسّک به صاعدا من درکات الجهل إلى أقصى درجات العقل كالحبل يصعد فيه من السفل إلى العلو، انتهى و الأظهر أنّ تشبيهه بالحبل لأنّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض كما فى أخبار الثقلين: من اعتصم به فاز و نجا و ارتقى به إلى مقام القرب و الزلفى، و من تركه و لم يعتصم به ضلّ و غوى و فى مهواه المهانه هوى.

السادس أنّهم (يحيون سنن اللّه و سنن رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أى يقومون بنشر آثار الدّين و يواظبون على وظايف الشّرع المبين بأقوالهم و أعمالهم السابع أنّهم (لا يستكبرون و لا يعلون) لما قد علموا من مخازى الكبر و التّرفع و مفاسده التى تضمّنتها هذه الخطبه الشريفه و غيرها من الخطب المتقدّمه (و) الثامن أنّهم (لا يغلون) أى لا يحقدون و لا يحسدون علما منهم برذايل الحقد و الحسد المتكفله لبيانها الخطبه الخامسه و الثمانون و شرحها، و لرذاله هذه الصّفه و دنائتها أخرجها سبحانه من صدور أهل الجنّه كما قال فى وصفهم «وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ » أى أخرجنا ما فى قلوبهم من حقد و حسد و عداوه فى الجنّه حتّى لا يحسد بعضهم بعضا و إن رآه أرفع درجه منه، و على كون يغلون من الغلول فالمراد براءتهم من وصف الخيانه لمعرفتهم برذالتها.

(و) التاسع أنّهم (لا يفسدون) أى لا يحدثون الفساد لأنّه من صفه الفسّاق و المنافقين كما قال تعالى «وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ » الايه قال الطبرسىّ: معناه إذا قيل للمنافقين لا تفسدوا فى الأرض بعمل المعاصى و صدّ الناس عن الايمان أو بممايله الكفار فانّ فيه توهين الاسلام أو بتغيير الملّه و تحريف الكتاب.

و العاشر أنّ (قلوبهم فى الجنان و أجسادهم فى العمل) يعنى أنّ قلوبهم متوجّهه إلى الجنان مشتاقه إلى الرّضوان، فهم و الجنّه كمن قد رآها و هم فيها منعّمون، و محصّله أنّ نفوسهم بكلّيتها معرضه عن الدّنيا مقبله إلى الاخره،

ص:١٠٠

و الحال أنّ أجسادهم مستغرقه فى العباده و أوقاتهم مصروفه بالطاعه.

و على كون الواو للعطف يكون قوله: و أجسادهم فى العمل الوصف الحادى عشر، و على الاحتمالين فالمراد واحد.

تبصره

حديث الشجره مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد روى فى ضمن معاجزه على أنحاء مختلفه لا حاجه بنا إلى روايتها، و لكنّى أحببت أن اورد روايه مرويّه فى تفسير الامام متضمنه لمعجزه شجريه له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أوجب مشاهدتها لمشاهدها علما و ايمانا، كما أنّ مشاهده ما رواه أمير المؤمنين عليه السّلام لم يزد كفّار قريش إلاّ كفرا و عتوّا و طغيانا فاقول: فى تفسير الامام قال علىّ بن محمّد عليهما السّلام و أمّا دعاؤه صلّى اللّه عليه و آله الشجره فانّ رجلا من ثقيف كان أطبّ النّاس يقال له حارث بن كلده الثّقفى، جاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال يا محمّد جئت اداويك من جنونك فقد داويت مجانين كثيرا فشفوا على يدى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا حارث أنت تفعل فعل المجانين و تنسبنى إلى الجنون، قال الحارث: و ما ذا فعلته من أفعال المجانين، قال: نسبتك إيّاى إلى الجنون من غير محنه منك و لا تجربه و نظر فى صدقى أو كذبى، فقال الحارث:

أو ليس قد عرفت كذبك و جنونك بدعويك النّبوّه التى لا تقدر لها، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قولك لا تقدر لها، فعل المجانين، لأنّك لم تقل لم قلت كذا و لا طالبتنى بحجّه فعجزت عنها، فقال الحارث: صدقت و أنا أمتحن أمرك بايه اطالبك بها، إن كنت نبيّا فادع تلك الشّجره - و أشار بشجره عظيمه بعيد عمقها - فان أتتك علمت أنّك رسول اللّه و شهدت لك بذلك، و إلاّ فأنت المجنون الّذى قيل لى.

فرفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يده إلى تلك الشّجره و أشار إليها أن تعالى، فانقلعت الشّجره باصولها و عروقها و جعلت تخدّ فى الأرض اخدودا عظيما كالنهر حتّى دنت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فوقفت بين يديه و نادت بصوت فصيح: ها أنا ذا يا رسول اللّه ما تأمرنى؟.

فقال لها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: دعوتک لتشهد لی بالنبوّه بعد شهادتک للّه بالتوحید ثم تشهدی لعلیّ هذا بالامامه و أنّه سندی و ظهری و عضدی و فخری، و لولاه لما خلق اللّه شیئا ممّا خلق.

فنادت أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له، و أشهد أنّک یا محمّد عبده و رسوله أرسلک بالحقّ بشیرا و نذیرا و داعیا إلی اللّه باذنه و سراجا منیرا، و أشهد أنّ علیّا ابن عمّک هو أخوک فی دینک أوفر خلق اللّه من الدّین حظّا، و أجز لهم من الاسلام نصیبا، و أنّه سندک و ظهرک قاطع أعدائک و ناصر أولیائک، باب علومک فی امتک، و أشهد أنّ أولیاءک الّذین یوالونه و یعادون أعداءه حشو الجنّه، و أن أعداءک الذین یوالون أعداءک و یعادون أولیاءک حشو النّار.

فنظر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی الحارث بن کلده فقال: یا حارث أو مجنونا تعدّ من هذه آیاته؟! فقال: لا و اللّه یا رسول اللّه، و لکنّی أشهد أنّک رسول ربّ العالمین و سیّد الخلق أجمعین و حسن اسلامه.

و قد مضی نظیر هذه المعجزه لأمیر المؤمنین علیه السّلام فی شرح الفصل الأوّل من الخطبه المأه و السابعه فتذکر.

قال الشارح عفی اللّه عنه: إنّ الفصول السّبعه الاول من هذه الخطبه الشریفه کما کانت قاصعه للمستکبرین المتجبّرین، راغمه لأنفهم، لاطمه لرأسهم بمقامع التوبیخ و التّقریع و التهدید، فکذلک الفصل الثامن و التاسع منها قاصعان للمنحرفین عنه علیه السّلام من غاصبی الخلافه و النّاکثین و القاسطین و المارقین بما فصّله علیه السّلام فیهما من مناقبه و مفاخره، فتلک المناقب الجمیله له علیه السّلام:

علی قمم من آل صخر ترفّعت کجلمود صخر حطّه السّیل من عل

الترجمه

این فصل آخر از خطبه شریفه باز در ذکر مفاخر و مناقب خود آن بزرگوار است می فرماید:

ص:۱۰۲

و بتحقیق بودم من با حضرت رسالتماب صلّی اللّه علیه و آله و سلّم وقتی که آمدند نزد آن حضرت جماعتی از کفار قریش پس گفتند او را: أی محمّد بدرستی که تو ادّعا کردی أمر عظیمی را که ادّعا نکرده بود آنرا پدران تو و نه أحدی از خانوادهٔ تو و ما خواهش می کنیم از تو کاری را اگر اجابت کردی ما را بان کار و نمودی آن را بما می دانیم که تو پیغمبر مرسلی، و اگر اجابت نکردی می دانیم که تو جادوگر و بسیار دروغ گوئی.

پس فرمود آن حضرت بایشان چه خواهش دارید گفتند که بخوانی بجهت ما این درخت را تا پر کنده شود با ریشه های خود و بایستد پیش تو، پس فرمود آن حضرت که خدای تعالی بهر چیز قادر است پس اگر بکند خداوند عالم بجهت شما آن را آیا ایمان می آورید و شهادت می دهید بحق؟ پس گفتند: بلی فرمود پس بدرستی که بزودی بنمایم من بشما آن چیزی را که طلب می کنید و حال آنکه بدرستی که یقین منست که شما باز نمی گردید بسوی اسلام که خیر دنیا و آخرت است، و بدرستی که در میان شما است کسی که انداخته می شود در چاه بدر، و کسی که جمع سازد لشکرهای کفّار را بمحاربهٔ من.

بعد از آن فرمود آن حضرت بطریق خطاب بدرخت که ای درخت اگر هستی که ایمان داری بخدای تعالی و بروز آخرت و می دانی که منم پیغمبر خدا پس برکنده شو با ریشه های خود تا این که بایستی پیش من با اذن خدا.

پس قسم بخدائی که مبعوث فرمود او را بحق هر آینه بر کنده شد با رگ و ریشه های خود و آمد بسوی آن حضرت در حالتی که مر او را صدای سخت بود، و آوازی بود مانند آواز بالهای مرغان، تا این که ایستاد پیش حضرت رسالتماب صلّی اللّه علیه و آله حرکت کنان مثل مرغ بال زنان، و انداخت شاخه بلندتر خود را بر پیغمبر خدا و بعض شاخهای خود را بر دوش من، و بودم من در جانب راست آن حضرت.

پس وقتی که نظر کردند آن جماعت بان معجزه گفتند از روی تکبر و گردن کشی پس أمر کن تا بیاید بسوی تو نصف آن و باقی ماند بر جای خود نصف

ص:۱۰۳

دیگر آن، پس أمر فرمود آن را بـاین پس پیش آمـد بسوی او نصف آن درخت ماننـد عجب ترین روی آوردن و سـخت ترین آن از روی آواز پس نزدیک شـد که پیچیـده شود بحضـرت رسول خـدا پس گفتند آن ملاعین از روی کفر و ستیزه گی پس أمر کن این نصف را برگردد بسوی آن نصف دیگر چنانکه در اصل بود، پس أمر فرمود او را پس برگشت.

پس گفتم من: لا إله إلاّ اللّه بـدرستی که من أوّل ایمان آورنده ام بتو یا رسول اللّه و أوّل کسـی هسـتم که ایمان آورد باین که آن درخت کرد آنچه کرد بفرمان خدا از جهت تصدیق پیغمبری تو و تعظیم فرمایش تو.

پس گفتند آن کفّار شـقاوت آثار جمیعا که تو جادوگر دروغ گوئی عجیب و غریب است سـحر تو چابک و سـبک دستی در آن، و تصـدیق نمی کنـد تو را در پیغمبری تو مگر مثل این - و قصد می کردند در این حرف مرا - و بدرستی که من از قومی هستم که اخذ نمی کند ایشان را در راه خدا ملامت هیچ ملامت کننده که علامت ایشان علامت صدّیقین است، و کلام ایشان کلام نیکوکاران، آباد کنندگان شبند بعبادت، و منارهای روزند بهدایت، چنگ زنندگانند بریسمان محکم قرآن، زنده میکنند شریعت إلهی و سنّت رسالت پناهی را، تکبّر نمی نماینـد، بلنـدی نمی جویند، حقد و حسد نمی کنند، در راه فساد نمی پویند، قلبهای ایشان در بهشت برینست و بدنهای ایشان مشغول عبادت ربّ العالمین، و الحمد للّه و الصّلاه علی محمّد و آله.

قال الشارح المحتاج إلی غفران ربّه:

هـذا آخر المجلّد الخامس(۱) من مجلّـدات منهاج البراعه، و یتلوه إنشاء اللّه المجلـد السّادس بتوفیق منه سـبحانه، و قـد یسّـِر اللّه بفضـله الواسع ختامه، و بکرمه السّابغ اتمامه بعد حصول الایاس و تفرّق الحواس و اضـطراب النّاس و اختلال الحال بداهیه دهیا، و بلیّه عظمی، و زلزله شدیده أدّب اللّه أهل بلدنا بها فی هذه الأیام،

۱- (۱) - حسب تجزأته قدّس سرّه علی ما فی الطبعه الأولی

يـا لهـا رجفه مـا رأيت مثلها و قـد جاوزت خمسـين درجه أخـذتهم نصف الليل بينما كانوا راقـدين فقاموا من مضاجعهم ذعرين مرعوبين كأنّهم من الأجـداث إلى ربّهم ينسـلون بهول ترتعد منه الفرائص، و تفتّ الأكباد، و تصدّع القلوب، و تقشـعرّ الجلود، و كان النّاس سكارى من مهول البلا.

فلو لا أن تداركنا رحمته السابقه على غضبه سـبحانه لم يكن لأحد منها النجاه و لا لذى روح طماعيه فى الحياه، و قد حرمنا منذ ليـال من سـبت الرّقاد، و خرجنا من تحت الأبنيه و العروش بعـد ما أشـرفت على السّـقوط و الانهـدام، و اتّخـذنا الأخبيه مسـكنا و المظله أكنانا، و الرّجفه فى هذه المدّه و قد مضت منذ ظهرت عشره أيّام تطرقنا ساعه بعد ساعه.

نعوذ باللّه سـبحانه من غضـبه و نسأله عزّ و جلّ أن لا يخاطبنا بذنوبنا و لا يؤاخذنا بأعمالنا و لا يقايسنا بأفعالنا، و أن يرفع عنا هذه البليه، و ينجينا من تلك الرزيّه بمحمّد و آله خير البريه، فانّه ذو المنّ الكريم و الرّؤف الرّحيم.

و قد وقع الفراغ منه ثالث عشـر شـهر ذى القعده الحرام - من سـنه سـبع عشـره و ثلاثمأه بعد الألف - و هذه هى النسـخه الأصل كتبتها بيمينى و أسأله سبحانه أن يحشرنى فى أصحاب اليمين بجاه محمّد و آله الطاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمـد للّه الّذى شـرح صـدور المؤمنين بمصابيـح العرفـان و اليقين، و نوّر قلوب المتّقين بـأنوار التقوى فى الـدّين، فاهتـدوا إلى المحجّه البيضـاء و لزموا الشـرع المبين، و سـلكوا الجادّه الوسـطى و تمسّـكوا بالحبل المتين، و فاز العارفون منهم بعظيم الزلفى و حسن الماب، و خرجت أرواح الواصلين منهم من أبدانهم خوفا من العقاب و شوقا إلى الثواب.

و الصّلاه و السّلام على أشرف الأوّلين و الاخرين محمّد سيّد الأنبياء و المرسلين

ص:١٠٥

و وصیّه و وزیره الوارث لعلمه، و الحامل لسرّه، و باب مدینه علمه، و دار حکمته علیّ أمیر المؤمنین و سیّد الوصیین، و آلهما الخائضین فی بحار أنوار الحقائق، و الغائصین فی لجج تیّار الدّقائق، أئمه المسلمین الهداه المهدیّین الأطیبین الأنجبین الغرّ المیامین:

هم هداه الوری و هم اکرم النّاس أصولا شریفه و نفوسا

معشر حبّهم یجلّی الهموم و مزایاهم تحلّی طروسا

کرموا مولدا و طابوا اصولا و زکوا محتدا و طالوا غروسا

ملاؤا بالولاء قلبی رجاء و بمدحی لهم ملئت الطروسا

أما بعد فهذا هو المجلّد السّادس من مجلّدات منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه إملاء راجی عفو ربّه الغنی «حبیب اللّه بن محمد بن هاشم الهاشمی العلوی الموسوی» وفّقه اللّه لما یتمنّاه و جعل عقباه خیرا من اولاه إنّه ولیّ الاحسان و الکریم المنّان.

قال الشریف الرضی قدس سرّه العزیز:

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الثانیه

اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

و هی مرویّه فی الکافی فی باب علامات المؤمن و صفاته باختلاف کثیر تطلع علیه بعد الفراغ، من شرح ما أورده السیّد «ره» فی المتن.

قال «قده» روی أنّ صاحبا لأمیر المؤمنین علیه السّلام یقال له همّام: کان رجلا عابدا فقال له: یا أمیر المؤمنین صف لی المتّقین حتّی کأنّی أنظر الیهم، فتثاقل علیه السّلام عن جوابه ثمّ قال علیه السّلام یا همّام:

ص:۱۰۶

إتّق اللّه و أحسن فإنّ اللّه مع الّذين اتّقوا و الّذينهم محسنون، فلم يقنع همّام بذلك القول حتّى عزم عليه فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم قال:

أمّا بعد فإنّ اللّه سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيّا عن طاعتهم، آمنا من معصيتهم، لأنّه لا تضرّه معصيه من عصاه، و لا تنفعه طاعه من أطاعه، فقسّم بينهم معيشتهم، و وضعهم من الدّنيا مواضعهم. فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصّواب، و ملبسهم الإقتصاد، و مشيهم التّواضع، غضّوا أبصارهم عمّا حرّم اللّه عليهم، و وقفوا أسماعهم على العلم النّافع لهم، نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالّذى نزلت فى الرّخاء، و لو لا الأجل الّذى كتب اللّه لهم لم تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين شوقا إلى الثّواب و خوفا عن العقاب. عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم، فهم و الجنّه كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، و هم و النّار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون، قلوبهم محزونه، و شرورهم مأمونه، و أجسادهم نحيفه، و حاجاتهم خفيفه، و أنفسهم عفيفه، صبروا أيّاما قصيره أعقبتهم راحه طويله، تجاره مربحه يسّرها لهم ربّهم، أرادتهم الدّنيا فلم

یریـدوها، و أسـرتهم ففـدوا أنفسـهم منهـا. أمّـا اللّیـل فصـافّون أقـدامهم تالین لأجزاء القرآن یرتّلونه ترتیلا یحزّنون به أنفسـهم و یستثیرون به دواء دائهم، فـإذا مروّا بـایه فیها تشویق رکنوا إلیها طمعا، و تطلّعت نفوسـهم إلیها شوقا، و ظنّوا أنّها نصب أعینهم، و إذا مرّوا بـایه فیهـا تخویـف أصـغوا إلیهـا مسـامع قلـوبهم، و ظنّـوا أنّ زفیر جهنّـم و شـهیقها فی أصـول آذانهم، فهم حـانون علی أوسـاطهم، مفـترشون لجبـاههم، و أکفّهم و رکبهم و أطراف أقـدامهم، یطلبون إلی اللّه تعـالی فی فکـاک رقـابهم. و أمّـا النّهـار فحلماء، علماء، أبرار، أتقیاء، قد براهم الخوف بری القداح، ینظر إلیهم النّاظر فیحسبهم مرضی و ما بالقوم من مرض، و یقول: قد خولطوا و قـد خـالطهم أمر عظیم، لاـ یرضون من أعمـالهم القلیل، و لا یسـتکثرون الکثیر، فهم لأنفسـهم متّهمون، و من أعمالهم مشـفقون، إذا زکّی أحـدهم خـاف ممّا یقال له فیقول أنا أعلم بنفسـی من غیری و ربّی أعلم منّی بنفسـی، أللّهمّ لا تؤاخـذنی بما یقولون، و اجعلنی أفضل ممّا یظنّون، و اغفر لی ما لا یعلمون. فمن علامه أحدهم أنّک تری له قوّه فی دین، و حزما فی لین،

ص:۱۰۸

و إيمانا فى يقين، و حرصا فى علم، و علما فى حلم، و قصدا فى غنى، و خشوعا فى عباده، و تجمّلا فى فاقه، و صبرا فى شدّه، و طلبا فى حلال و نشاطا فى هدى، و تحرّجا عن طمع، يعمل الأعمال الصّالحه و هو على وجل، يمسى و همّه الشّكر، و يصبح و همّه الذّكر، يبيت حذرا، و يصبح فرحا: حذرا لما حذّر من الغفله، و فرحا بما أصاب من الفضل و الرّحمه، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحبّ قرّه عينه فيما لا يزول، و زهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، و القول بالعمل. تراه قريبا أمله، قليلا زلله، خاشعا قلبه، قانعه نفسه، منزورا أكله «أكله خ»، سهلا أمره، حريزا دينه، ميّته شهوته، مكظوما غيظه، الخير منه مأمول، و الشّرّ منه مأمون، إن كان فى الغافلين كتب فى الذّاكرين، و إن كان فى الذّاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عمّن ظلمه، و يعطى من حرمه، و يصل من قطعه، بعيدا فحشه، ليّنا قوله، غائبا منكره، حاضرا معروفه، مقبلا خيره مدبرا شرّه، فى الزّلازل وقور، و فى المكاره صبور، و فى الرّخاء شكور لا يحيف على من يبغض، و لا يأثم فيمن يحبّ، يعترف بالحق

قبل أن يشهد عليه، لا يضيّع ما استحفظ، و لا ينسى ما ذكّر، و لا ينابز بالألقاب، و لا يضارّ بالجار، و لا يشمت بالمصائب، و لا يدخل فى الباطل، و لا يخرج من الحقّ. إن صمت لم يغمّه صمته، و إن ضحك لم يعل صوته، و إن بغى عليه صبر حتّى يكون اللّه تعالى هو الّذى ينتقم له، نفسه منه فى عناء و النّاس منه فى راحه، أتعب نفسه لآخرته، و أراح النّاس من نفسه، بعده عمّن تباعد عنه زهد و نزاهه، و دنوّه ممّن دنا منه لين و رحمه، ليس تباعده بكبر و عظمه، و لا دنوّه بمكر و خديعه.

قال: فصعق همام صعقه كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين: أما و اللّه لقد كنت أخافها عليه، ثمّ قال عليه السّلام: هكذا تصنع المواعظ البالغه بأهلها، فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: ويحك إنّ لكلّ أجل وقتا لا يعدوه، و سببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك.

اللغه

(عزم) على الأمر يعزم من باب ضرب عزما و معزما و عزمانا و عزيما و عزيمه و عزمه أراد فعله و قطع عليه أوجدّ فيه فهو عازم و عزم الأمر نفسه عزم عليه و عزم على الرّجل اقسم و (الاقتصاد) ضدّ الافراط و (صغر) من باب شرف و فرح صغاره و صغرا و صغرا و صغرانا أى حقر و انحطّ قدره فهو صغير كحقير لفظا و معنا و (ثار) ثورا و ثورانا أى هاج و أثار الغبار و استثاره هيّجه.

و (تطلّع) الى وروده استشرف و (صغى) إلى الشيء كرضى مال إليه و أصغى اليه سمعه أى أماله نحوه و (حنيت) العود حنوا و حناء عطفته فانحنى و تحنّى، و حنت الناقه على ولدها حنوا عطفت و يقال لكلّ ما فيه اعوجاج من البدن كعظم اللّحى و الضلع و نحوهما

ص:۱۱۰

الحنو بالكسر و الفتح.

و (برى) السّهم و العود و القلم يبريها بريا نحتها و (القداح) جمع القدح بالكسر فيهما و هو السّهم قبل أن يراش و ينصل و (اختلط) فلان و خولط فى عقله أى فسد عقله و اختلّ فهو خلط بيّن الخلاطه أى أحمق، و خالطه مخالطه مازجه و خالطه الدّاء خامره و (تجمل) فلان تزيّن و تكلّف الجميل و (نزر) الشىء ككرم نزرا و نزاره و نزورا قلّ فهو نزر و نزير و منزور أى قليل.

و (اكله) فى بعض النسخ بفتح الهمزه و سكون الكاف فيكون مصدرا و فى بعضها بضمّهما و هو الرّزق و الحظّ من الدّنيا فيكون اسما و (الحريز) الحصين يقال هذا حرز حريز أى حصن حصين و الحريزه من الابل الّتى لا تباع نفاسه و (المنابزه) و التنابز التّعاير و التداعى بالألقاب و (صعق) صعقا كسمع و صعقا بالتحريك و صعقه غشى عليه و الصعق بالتحريك أيضا شدّه الصوت و (نفث) ينفث من باب ضرب و نصر نفخ.

الاعراب

قوله: حين خلقهم ظرف زمان، و فى بعض النسخ حيث خلقهم بدله، و قوله:

نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالّذى نزلت فى الرّخاء، اختلف الشّراح فى اعراب قوله كالذى، فقال الشارح المعتزلى تقدير الكلام من جهه الاعراب: نزلت أنفسهم منهم فى حال البلاء نزولا كالنزول الذى نزلت منهم فى حال الرّخاء، فموضع كالّذى نصب لأنّه صفه مصدر محذوف، و الذى الموصول قد حذف العايد اليه و هو الهاء فى نزلته كقولك: ضربت الّذى ضربت أى ضربت الذى ضربته.

و تبعه على ذلك الشّارح البحرانى حيث قال: و الّذى خلقه مصدر محذوف و الضمير العايد إليه محذوف أيضا، و التقدير: نزلت كالنّزول الّذى نزلته فى الرّخاء ثمّ احتمل وجها آخر و قال:

و يحتمل أن يكون المراد بالذى الذين فحذف النّون كما فى قوله تعالى«كَالَّذِي خاضُوا »و يكون المقصود تشبيههم حال نزول أنفسهم منهم فى البلاء بالّذين نزلت أنفسهم منهم فى الرّخاء.

ص:۱۱۱

و قال بعضهم: إنّه لا بدّ من تقدير مضاف لأنّ تشبيه الجمع بالواحد لا يصحّ، أى كلّ واحد منهم إذا نزلت فى البلاء يكون كالرّجل الذى نزلت نفسه فى الرّخاء و نحوه قوله تعالى«مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ ».

أقول: و أنت خبير بأنّ هذه كلّها تكلّفات يأبى عنها الذّوق السّليم مضافا إلى ما فى الوجه الاخر الذى احتمله البحرانى و كذلك الوجه الأخير الذى حكيناه عن بعضهم أنّ المنساق من ظاهر كلامه عليه السّلام تشبيه إحدى حالتى المتّقين بحالتهم الاخرى لا تشبيههم بغيرهم من أهل الرّخاء.

ثمّ بعد الغضّ عن ذلك و البناء على ما ذكر فلا حاجه فى تصحيح تشبيه الجمع بالمفرد إلى تأويل ما هو المفرد ظاهرا بالجمع و المصير إلى حذف النون كما تمحّله الأوّل، أو تأويل الجمع بالمفرد بالمصير إلى تقدير المضاف كما تجشّمه الاخر، لجواز تقدير موصوف الذى لفظ الرّهط و الجمع و نحوهما ممّا يكون مفردا لفظا و جمعا فى المعنى، و يكون المعنى نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالرّهط أو الجمع الذى نزلت نفسهم منهم فى الرّخاء.

قال نجم الأئمه بعد ما قال بأنه قد يحذف نون الذين مستشهدا بقول الشاعر:

و إنّ الّذى حانت بفيح دمائهم هم القوم كلّ القوم يا امّ خالد

و يجوز فى هذا أن يكون مفردا وصف به مقدّر مفرد اللّفظ مجموع المعنى أى و انّ الجمع الّذى و انّ الجيش الّذى كقوله تعالى «كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً » فحمل على اللّفظ أى الجمع الّذى استوقد نارا، ثمّ قال: بنورهم فحمل على المعنى و لو كان فى الايه مخفّفا من الّذين لم يجز إفراد الضّمير العايد إليه و كذا قوله تعالى «وَ الَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » و هذا كثير أعنى ذكر الّذى مفردا موصوفا به مقدّر مفردا للّفظ مجموع المعنى و أمّا حذف النّون من الّذين فهو قليل، انتهى.

و بعد ذلك كلّه فالأقرب عندى أن يجعل الّذى مصدريّا بأن يكون حكمه حكم

ماء المصدريّه كما ذهب اليه يونس و الأخفش فى قوله سبحانه «ذلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللّهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا » أى ذلك تبشير اللّه و كـذلك قالا ـ فى قوله تعالى «وَ خُضْتُمْ كَالَّذِى خاضُوا » و على هـذا فيكون المعنى: نزلت أنفسـهم منهم فى البلاء مثل نزولها فى الرّخاء و هذا لا تكلّف فيه أصلا.

و قوله: تجاره مربحه، بالرّفع على أنّه خبر محـذوف المبتـدأ، أى تجارتهم تجاره مربحه، و فى بعض النسخ بالنصب على المصدر أى اتّجروا تجاره.

و قوله: أمّا الليـل فصـافون، بالنصب على الظرف، و الناصب، إما لتضـمّنها معنى الفعل أو الخبر كما فى نحو قولك: أما اليوم فأنا ذاهب و أمّا إذا قلت اما فى الـدّار فزيـد، فالعامل هو أما لا غير كما فى قولهم أما العبيـد فذو عبيد، أى مهما ذكرت العبيد فهو ذو عبيد، هذا.

و يروى بـالرّفع على الابتـداء فيحتـاج إلى العايـد فى الخبر أى صـافّون أقـدامهم فيهـا و قوله: تـالين حـال من فاعل صافّون أو من الضـمير المجرور بالاضافه فى أقدامهم: و الأول أولى، و جمله يرتّلونه حال من فاعل تالين، و فى بعض النسخ يرتّلونها، فالضـمير عايد إلى أجزاء القرآن، و نصب أعينهم بنصب النصب على الظرفيه، و يروى بالرّفع على أنه خبر انّ و المصدر بمعنى المفعول.

و قوله: يطلبون إلى اللّه فى فكاك رقابهم، تعديه الطلب بحرف الجرّ أعنى إلى لتضمينه معنى التضرع و فى للظرفيه المجازيه، أى يتضرّعون إليه سبحانه فى فكاك رقابهم.

و أما ما قاله الشارح المعتزلى من أنّ الكلام على الحقيقه مقدّر فيه حال محذوفه يتعلّق بها حرف الجرّ أى يطلبون الى اللّه سائلين فى فكاك رقابهم لأنّ طلبت لا يتعدّى بحرف الجرّ فليس بشىء لأنّ تأويل الطلب بالسؤال لا ينهض باثبات ما رامه كما لا يخفى.

و فى فى قوله: و قوّه فى دين، ظرف لغو متعلّق بقوّه، و فى قوله: و حزمـا فى لين ظرف مسـتقرّ متعلّق بمقـدّر صـفه لقوله حزما، و فى المعطوفات بعد ذلك فى بعضها

ص:۱۱۳

ظرف لغو و فی بعضها ظرف مستقرّ وصف لسابقه، فتدبّر تفهم.

المعنی

اشاره

اعلم أنه قد (روی أنّ صاحبا لأمیر المؤمنین) أی رجلا من أصحابه و شیعته و موالیه (یقال له همام) بالتشدید، و هو کما فی شرح المعتزلی همام بن شریح بن یزید بن مرّه بن عمر بن جابر بن یحیی بن الأصهب بن کعب بن الحارث بن سعد ابن عمرو بن ذهل بن سیف بن سعد العشیره.

و فی البحار و الأظهر أنه همام بن عباده بن خثیم ابن أخ الرّبیع بن خثیم أحد الزّهاد الثمانیه کما رواه الکراجکی فی کنزه.

و کیف کان فقد (کان رجلا عابدا) زاهدا ناسکا (فقال له یا أمیر المؤمنین صف لی المتّقین) و اشرح لی حالهم (حتّی کأنی أنظر إلیهم) و ابصر بهم لأقتفی آثارهم و أقتبس أنوارهم.

(فتثاقل علیه السّلام عن جوابه) قال الشارح المعتزلی تثاقله علیه السّلام عن الجواب لعلمه بأنّ المصلحه فی تأخیر الجواب، و لعلّه کان فی مجلسه علیه السّلام من لا یحبّ أن یجیب و هو حاضر، فلما انصرف أجاب، أو لأنّه رأی أنّ تثاقله عنه یزید شوق همام إلی سماعه فیکون أنجع فی موعظته، أو أنه تثاقل عنه لترتیب المعانی و نظمها فی ألفاظ مناسبه ثمّ النطق بها کما یفعله المتروّی فی الخطبه و القریض.

و الأولی ما قاله الشارح البحرانی: من أنه علیه السّلام تثاقل عنه لما رأی من استعداد نفسه لأثر الموعظه و خوفه علیه أن یخرج به خوف اللّه إلی انزعاج نفسه و صعوقها.

(ثمّ) إنه علیه السّلام بعد تثاقله عن الجواب و وصف حال المتّقین تفصیلا لما رآه من المصلحه المقتضیه لترک التفصیل أجابه بجواب إجمالی و (قال) له (یا همام اتّق اللّه و أحسن) یعنی أنّ الفرض علیک القیام بالتقوی و الأخذ بها علی قدر ما حصل لک المعرفه به من معناها و حقیقتها من الکتاب و السنه، و تبین لک إجمالا ـ من ماهیّتها کما یعرفها جمیع المؤمنین، و الزائد عن ذلک غیر مفروض علیک و لا یجب البحث عنه

و قد تقدّم شرح معناها و حقيقتها و بعض ما يترتّب عليها من الثمرات الدنيويّه و الاخرويّه فى شرح الخطبه الرّابعه و العشرين، و قد روينا هناك عن الصّادق عليه السّلام انّه قال فى تفسيرها: أن لا يفقدك اللّه حيث أمرك و لا يراك حيث نهاك، هذا.

و المراد بقوله: و أحسن هو الاحسان فى العمل، يعنى أنّ اللازم عليك الأخذ بالتقوى و القيام بالحسنى من الأعمال الصّالحه.

و هذا الّذى قلنا أولى ممّا قاله الشارح البحرانى من أنّ معنى كلامه أنّه أمره بتقوى اللّه أى فى نفسه أن يصيبها فادح بسبب سؤاله، و أحسن أى أحسن إليها بترك تكليفها فوق طوقها.

و كيف كان فلمّا أمره بالتّقوى و الاحسان علّله بقوله(فانّ اللّه مع الّذين اتّقوا و الّذين هم محسنون)ترغيبا له إلى القيام بهما، و هو اقتباس من الايه الشريفه خاتمه سوره النحل، يعنى أنّه سبحانه مع الّذين اتّقوا ما حرّم عليهم و أحسنوا فيما فرض عليهم أى معين لهم و ناصر لهم و هو وليّهم فى الدّنيا و الاخره.

(فلم يقنع همّام بذلك القول) و لم يكتف بالاجمال (حتّى عزم عليه عليه السّلام) و أقسم و ألحّ فى السؤال.

(ف) أجاب عليه السّلام مسئوله و أنجح مأموله و (حمد اللّه) عزّ و جلّ (و أثنى عليه) بما هو أهله (و صلّى على النبيّ و آله ثمّ قال أما بعد فانّ اللّه سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنا من معصيتهم).

و انما مهّد هذه المقدّمه لأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما كان بصدد شرح حال المتقين تفصيلا حسبما اقترحه همام و كان ربما يسبق إلى الأوهام القاصره أنّ ما يأتى به المتّقون من مزايا الأعمال و الصالحات و ما كلّفهم اللّه سبحانه به من محامد الخصال و القربات من أجل حاجه منه تعالى عن ذلك إليها، قدّم هذه المقدّمه تنبيها على كونه سبحانه منزّها عن ذلك، متعاليا عن صفات النقص و الحاجه فى الأزل كما فى الأبد، و أنه لم يكن غرضه تعالى من الخلق و الايجاد تكميل ذاته بجلب المنفعه و دفع المضرّه كما فى ساير الصناع البشريه يعملون الصنائع لافتقارهم إليها و استكمالهم بها بما فى ذاتهم

من النقص و الحاجه، و أمّا اللّه الحىّ القيّوم فهو الغنىّ الكامل المطلق فى ذاته و صفاته و أفعاله و لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان و لا تخوّف من عواقب زمان و لا استعانه على ندّ مثاور و لا شريك مكاثر و لا ضدّ منافر حسبما عرفته فى الخطبه الرّابعه و الستّين و شرحها بما لا مزيد عليه.

و هذا معنى قوله (لأنه لا تضرّه معصيه من عصاه و لا تنفعه طاعه من أطاعه) و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين أنّ غرضه من الخلق و الايجاد و من الأمر بالطاعه و الانقياد هو ايصال النفع إلى العباد و إكمالهم بالتكاليف الشرعيّه و رفعهم بالعمل بها إلى حظاير القدس و محافل الانس.

و قوله (فقسّم بينهم معايشهم و وضعهم من الدّنيا مواضعهم) تفريع على قوله:

خلق الخلق لا تقرير و تاكيد، لغناه المطلق كما قاله الشارح البحرانى.

و المراد أنه تعالى أعطى كلّ شىء خلقه ثمّ هدى و قسّم بينهم معيشتهم أى ما يعيشون به فى الحياه الدّنيا من أنواع الرّزق و الخير و المنافع و النعماء، و وضع كلا منهم موضعه اللاّيق بحاله من الفقر و اليسار و الغنى و الافتقار و السعه و الاقتار على ما يقتضيه حكمته البالغه و توجبه المصلحه الكامله كما اشير اليه فى قوله عزّ و جلّ «نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ » هذا.

و انما فرّع عليه السّلام هذه الجمله على ما سبق و عقّبه بها لتكون توطئه و تمهيدا بقوله (فالمتّقون فيها هم أهل الفضايل) يعنى أنّ معايش الخلق فى الدّنيا لما كانت بحسب تقسيم اللّه سبحانه و اقتضاء حكمته اقتضى العنايه الالهيه و النظم الأصلح فى حقّ المتّقين بمقتضى كونهم من أهل السبق و القربى أن يكون عيشهم فى الدّنيا بخلاف معايش ساير الخلق و يكون حركاتهم و سكناتهم و حالاتهم وراء حالات أبناء الدّنيا، فاتّصفوا بالفضايل النفسانيه و تزيّنوا بمكارم الأخلاق و محامد الأوصاف الّتى فصّلها عليه السّلام بالبيان البديع و التفصيل العجيب.

اولها أنّ (منطقهم الصواب) و هو ضدّ الخطاء يعنى أنهم لا يسكتون عما ينبغى أن يقال فيكونون مفرّطين، و لا يقولون ما ينبغى أن يسكت عنه فيكونون مفرطين

و يحتمل أن يراد به خصوص توحيد اللّه تعالى و تمجيده و الصّلاه على نبيّه و به فسّر فى قوله سبحانه «لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ قالَ صَواباً ».

(و) الثانى أنّ(ملبسهم الاقتصاد)أى التوسّط بين الافراط و التفريط، و فى الاسناد توسّع يعنى أنّ لباسهم ليس بثمين جدا مثل لباس المترفين المتكبرين، و لا بذله كلباس أهل الابتذال و الخسّه و الدّنائه بل متوسّط بين الأمرين.

(و)الثالث أنّ(مشيهم التواضع)و فى الاسناد أيضا توسّع، يعنى أنهم لا يمشون على وجه الأشر و البطر و الخيلاء لنهى اللّه سبحانه عن المشى على هذا الوجه فى قوله «وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً »و أمره بخلافه فى قوله«وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ».

و قد روى فى الكافى عن عمرو بن أبى المقدام عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

فيما أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى داود: كما أنّ أقرب الناس من اللّه المتواضعون كذلك أبعد الناس من اللّه المتكبّرون.

(و) الرابع أنهم (غضّوا أبصارهم عمّا حرّم اللّه عليهم) امتثالا لأمره تعالى به فى قوله «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ » أى يغضّوا أبصارهم عما لا يحلّ لهم النظر اليه.

و فى الوسائل من الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام كلّ عين باكيه يوم القيامه إلاّ ثلاثه أعين: عين غضّت عن محارم اللّه، و عين سهرت فى طاعه اللّه، و عين بكت فى جوف اللّيل من خشيه اللّه.

(و) الخامس أنّهم (وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم) فى الدّنيا و الاخره الموجب لكمال القوّه النظريه و الحكمه العمليّه، و أعرضوا عن الاصغاء إلى اللّغو و الأباطيل كالغيبه و الغناء و الفحش و الخناء و نحوها، و قد وصفهم اللّه سبحانه بذلك فى قوله «وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ » و فى قوله «وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً ».

و السادس أنّهم (نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالّذى نزلت فى الرّخاء) يعنى

أنّهم موطّنون أنفسهم على ما قدّره اللّه فى حقّهم من الشدّه و الرّخاء و السّراء و الضّراء و الضّيق و السّعه و المنحه و محصّله وصفهم بالرّضاء بالقضاء.

روى فى الكافى عن ابن سنان عمّن ذكره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له:

بأىّ شىء يعلم المؤمن بأنّه مؤمن؟ قال عليه السّلام: بالتسليم للّه و الرّضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط.

و فى روايه أخرى فيه عنه عليه السّلام قال: رأس طاعه اللّه الصّبر و الرّضا عن اللّه فيما أحبّ العبد أو كره، و لا يرضى عبد عن اللّه فيما أحبّ أو كره إلاّ كان خيرا له فيما أحبّ أو كره.

و عن محمّد بن عذافر عن أبيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: بينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السّلام عليك يا رسول اللّه، فقال: ما أنتم؟ فقالوا:

نحن المؤمنون يا رسول اللّه، قال: فما حقيقه ايمانكم؟ قالوا: الرّضا بقضاء اللّه، و التفويض الى اللّه، و التسليم لأمر اللّه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمه أنبياء، فان كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، و لا تجمعوا ما لا تأكلون، و اتّقوا اللّه الّذى إليه ترجعون.

(و) السابع أنه (لو لا الأجل الّذى كتب اللّه لهم لم تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين شوقا إلى الثواب و خوفا من العقاب) و هو إشاره إلى غايه نفرتهم عن الدّنيا و فرط رغبتهم إلى الآخره لما عرفوا من عظمه وعده و وعيده، يعنى أنّهم بكليّتهم متوجّهون إلى العقبى مشتاقون إلى الانتقال إليها شدّه الاشتياق، لا مانع لهم من الانتقال إلاّ الآجال المكتوبه و عدم بلوغها غايتها.

روى فى الوسائل من الكافى عن أبى حمزه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: من عرف اللّه خاف اللّه و من خاف اللّه سخت نفسه عن الدّنيا.

و الثامن أنّه (عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم) علما منهم بأنّه سبحانه موصوف بالعظمه و الكبرياء و الجلال غالب على الأشياء كلّها، قادر قاهر عليها، و انّ كلّ من سواه مقهور تحت قدرته داخر ذليل فى قيد عبوديّته، فهو

سبحانه عظيم السلطان عظيم الشأن و غيره أسير فى ذلّ الامكان مفتقر اليه لا يقدر على شىء إلّا باذنه.

و أشار عليه السّلام بهذا الوصف إلى شدّه يقين المتّقين و غايه توكّلهم و أنّ اعتصامهم فى جميع امورهم به و توكلهم عليه و أنهم لا يهابون معه ممّن سواه.

روى فى الكافى عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ليس شىء إلاّ و له حدّ قال: قلت: جعلت فداك فما حدّ التوكّل؟ قال: اليقين، قلت: فما حدّ اليقين؟ قال: ألاّ تخاف مع اللّه شيئا.

و عن مفضل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى داود: ما اعتصم بى عبد من عبادى دون أحد من خلقى عرفت ذلك من نيّته ثمّ تكيده السماوات و الأرض و من فيهنّ الاّ جعلت له المخرج من بينهنّ، و ما اعتصم عبد من عبادى بأحد من خلقى عرفت ذلك من نيّته إلاّ قطعت أسباب السماوات من يده و أسخت الأرض من تحته و لم ابال بأىّ واد هلك، هذا.

و لما ذكر فى الوصف السابع شدّه اشتياق المتّقين إلى الجنّه و خوفهم من العقاب أتبعه بقوله (فهم و الجنّه كمن قد رآها فهم فيها منعّمون و هم و النار كمن قد رآها و هم فيها معذّبون) إشاره إلى أنهم صاروا فى مقام الرّجاء و الشوق إلى الثواب و قوّه اليقين بحقايق وعده سبحانه بمنزله من رأى بحسّ بصره الجنّه و سعادتها، فتنعّموا فيها و التذّوا بلذائذها، و فى مقام الخوف من النار و العقاب و كمال اليقين بحقايق وعيده تعالى بمنزله من شاهد النّار و شقاوتها فتعذّبوا بعذابها و تألّموا بالامها.

و محصّله جمعهم بين مرتبتى الخوف و الرّجاء و بلوغهم فيه إلى الغايه القصوى، و هى مرتبه عين اليقين كما قال عليه السّلام مخبرا عن نفسه. لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، و هذه المرتبه أعنى مرتبه عين اليقين مقام جليل لا يبلغه إلاّ الأوحدى من النّاس.

و قد روى فى الكافى عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صلّى بالنّاس الصبح فنظر إلى شاب فى المسجد و هو يخفق و يهوى برأسه مصفرّا لونه قد نحف جسمه و غارت عيناه فى رأسه، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول اللّه موقنا، فعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من قوله و قال: إنّ لكلّ يقين حقيقه فما حقيقه يقينك؟ فقال: إنّ يقينى يا رسول اللّه هو الّذى أحزننى و أسهر ليلى و أظمأ هو اجرى فعزفت نفسى عن الدّنيا و ما فيها حتّى كأنّى أنظر إلى عرش ربّى و قد نصب للحساب و حشر الخلايق لذلك و أنا فيهم، و كانّى أنظر إلى أهل الجنّه يتنعّمون فى الجنّه و يتعارفون على الأرائك يتكئون، و كأنّى أنظر إلى أهل النّار و هم فيها معذّبون مصطرخون، و كأنّى الان أسمع زفير النّار يدور فى مسامعى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هذا عبد نوّر اللّه قلبه بالايمان ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له: الزم ما أنت عليه، فقال الشّاب: ادع اللّه لى يا رسول اللّه أن ارزق الشهاده معك، فدعا له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النّبى فاستشهد بعد تسعه نفر و كان هو العاشر.

و قد مرّ هذا الحديث فى شرح الخطبه المأه و الثالثه عشر، و رويناه هنا أيضا لاقتضاء المقام كما هو ظاهر.

و التاسع أنّ (قلوبهم محزونه) لما غلب عليهم من الخوف.

روى فى الكافى عن معروف بن خربوز عن أبى جعفر عليه السّلام قال: صلّى أمير المؤمنين عليه السّلام بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف و عظهم فبكى و أبكاهم من خوف اللّه ثمّ قال: أما و اللّه لقد عهدت أقواما على عهد خليلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنهم ليصبحون و يمسون شعثا غبرا خمصا بين أعينهم كركب المعزى يبيتون لربّهم سجّدا و قياما، يراوحون بين أقدامهم و جباههم، و يناجون فى فكاك رقابهم من النار، و اللّه لقد رأيتهم مع هذا و هم خائفون مشفقون.

و فيه عن أبى حمزه عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: صلّى أمير المؤمنين عليه السّلام الفجر و لم يزل فى موضعه حتّى صارت الشمس على قدر رمح و أقبل على الناس بوجهه فقال: و اللّه لقد أدركت أقواما يبيتون لربّهم سجدا و قياما يخالفون بين جباههم و ركبهم كأنّ زفير النار فى آذانهم، إذا ذكر اللّه عندهم مادوا كما يميد الشجر كأنّما القوم باتوا غافلين، قال عليه السّلام: ثمّ قام فما رئى ضاحكا حتّى قبض.

ص:۱۲۰

(و) العاشـر أنّ (شـرورهم مأمونه) لأنّ مبـدء الشـرور و المفاسـد كلّها و رأس كلّ خطيئه هو حبّ الـدّنيا، و المتّقون زاهدون فيها معرضون عنها مجانبون عن شرّها و فسادها.

(و) الحادى عشر أنّ (أجسادهم نحيفه) لا تعاب أنفسهم بالصيام و القيام و قناعتهم بالقدر الضرورى من الطعام.

(و) الثانى عشر أنّ (حاجاتهم خفيفه) لاقتصارهم من حوائج الدّنيا على ضروريّاتها و عدم طلبهم منها أكثر من البلاغ.

(و) الثالث عشر أنّ (أنفسهم عفيفه) أى مصونه عن المحرّمات لكسرهم سوره القوّه الشهويّه.

روى فى الوسائل من الكافى عن منصور بن حازم عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

ما من عباده أفضل عند اللّه من عفّه فرج و بطن.

و عن عبـد اللّه بن ميمون القداح عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّـلام يقول: ما من عباده أفضل من عفّه بطن و فرج و الرابع عشر أنّهم (صـبروا أياما قصـيره أعقبتهم) تلـك الأيّـام القصـيره (راحه طويله) يعنى أنهم صبروا فى دار الـدّنيا على طوارق المصـائب و على مشاق الطاعات و عن لـذّات المعاصـى بل احتملوا جميع مكاره الـدّنيا و اسـتعملوا الصبر فى جميع أهوالها فأوجب ذلك السعاده الدائمه فى الدّار الاخره.

و يدلّ على ذلك ما رواه فى الكافى عن حمزه بن حمران عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

الجنّه محفوفه بالمكاره و الصبر، فمن صبر على المكاره فى الـدّنيا دخل الجنّه، و جهنّم محفوفه باللّـذات و الشـهوات فمن أعطى نفسه لذّتها و شهوتها دخل النار.

و فيه عن أبى حمزه الثمـالى قـال: قـال أبو عبـد اللّه عليه السّـلام: من ابتلى من المؤمنين ببلاـء فصـبر عليه كـان له مثـل أجر ألف شهيد.

و فيه عن العزرمى عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قـال: قـال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله: سـيأتى على النّـاس زمـان لا ينال فيه الملك إلّا بالقتل و التّجبّر، و لا الغنى إلّا بالغصب و البخل،

ص:۱۲۱

و لا ـ المحبّه إلاّ ـ باستخراج الـدّين و اتبـاع الهوى، فمن أدرک ذلـک الزّمان فصبر على الفقر و هو يقـدر على الغنى، و صبر على البغضه و هو يقـدر على المحبّه، و صبر على الـذّل و هو يقدر على العزّ آتاه اللّه ثواب خمسـين صدّيقا ممّن صدّق بى، هذا و فى وصـف أيّام الصـبر بالقصـر و الرّاحـه بـالطول تحريص و ترغيـب اليه، و أكّـد ذلـک بقـوله(تجـاره مربحه)اسـتعار لفـظ التجـاره لاكتسابهم الرّاحه فى مقابل الصبر، و رشّح بلفظ الرّبح.

و كونهـا مربحه باعتبـار قصـر مـدّه الصّبر على المكـاره و طول مـدّه الرّاحه و فنـاء الشّـهوات الـدّنيويّه و اللّذائـذ النّفسـانيّه و بقـاء السّعادات الاخرويّه مضافه إلى خساسه الاولى فى نفسها و حقارتها، و نفاسه الثّانيه و شرافتها.

و أكّد ثالثا بقوله (يسّرها لهم ربّهم) يعنى أنّ فوزهم بتلک النّعمه العظمى و السّعاده الدّائمه قد حصل بتوفيق اللّه سبحانه و تأييده و لطفـه، ففيـه ايمـاء إلى تـوجّه العنـايه الرّبـانيّه إليهم و شـمول الألطـاف الالـهيّه عليهم و إلى كـونهم بعين رحمه اللّه و كرامته و الخامس عشـر أنّهم (أرادتهم الـدّنيا فلم يريدوها) أى أرادت عجوزه الدّنيا أن تفتنهم و تغرّهم و أن يتزوّجوا بها، فأعرضوا عنها و زهـدوا فيهـا بمـا كـانوا يعرفونه من حالهـا و أنّهـا قتّاله غوّاله ظـاهره الغرور كاسـفه النّور يونق منظرهـا و يوبق مخبرها قـد تزيّنت بغرورها و غرّت بزينتها لا تفى بأحد من أزواجها الباقيه كما لم تف بأزواجها الماضيه.

(و) السادس عشـر أنّ الدّنيا (أسـرتهم ففدوا أنفسـهم منها) الأشـبه أن يكون المراد بقوله: أسرتهم، هو الاشراف على الاسر، يعنى أنّهم بمقتضـى المزاج الحيوانى و القوى النّفسانيّه الّتى لهم كاد أن تغرّهم الدّنيا فيميلوا إليها و يقعوا فى قيد اسره و سلسله رقيّته، لكنّهم نظروا إليهـا بعين البصـيره و عرفوهـا حـقّ المعرفه و غلب عقلهم على شـهوتهم فرغبـوا عنهـا و زهـدوا فيهـا و أعرضـوا عن زبرجها و زخارفها، فالمراد بفداء أنفسهم منها هو الاعراض عن الزّخارف الدّنيويّه، فكأنّهم بذلوا تلک الزّخارف

لها و خلصوا أنفسهم منها.

و إنّما أتى بالواو فى قوله: أرادتهم الدّنيا و لم يريدوها، و بالفاء فى قوله:

و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها، لعدم التّرتيب بين الجملتين المتعاطفتين فى القرينه السّابقه، بخلاف هذه القرينه فانّ الفديه مترتّبه على الاسر كما لا يخفى.

و السابع عشر اتّصافهم بالتهجّد و قيام الليل و إليه أشار بقوله (أمّا الليل فصافّون أقدامهم) فيها للصّلاه علما منهم بما فيه من الفضل العظيم و الأجر الخطير و قد مدح اللّه القيام فيها و القائمين فى كتابه الكريم بقوله «سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ».

قال الصّادق عليه السّلام فى تفسيره: هو السّهر فى الصّلاه و بقوله «أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَهَ وَ يَرْجُوا رَحْمَهَ رَبِّهِ » و قال تعالى أيضا «إِنَّ ناشِئَهَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلًا ».

قال الصّادق عليه السّلام فيه قيام الرّجل عن فراشه يريد به وجه اللّه تعالى عزّ و جلّ لا يريد به غيره.

و كفى فى فضله ما رواه فى الفقيه عن جابر بن إسماعيل عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام أنّ رجلا سأل علىّ بن أبى طالب عن قيام اللّيل بالقرآن، فقال عليه السّلام ابشر:

من صلّى من الليل عشر ليله مخلصا ابتغاء ثواب اللّه قال اللّه لملائكته: اكتبوا لعبدى هذا من الحسنات عدد ما انبت فى الليل من حبّه و ورقه و شجره و عدد كلّ قصبه و خوص و مرعى.

و من صلّى تسع ليله أعطاه اللّه عشر دعوات مستجابات و أعطاه اللّه كتابه بيمينه.

و من صلّى ثمن ليله أعطاه اللّه أجر شهيد صابر صادق النّيه و شفّع فى أهل بيته.

و من صلّى سبع ليله خرج من قبره يوم يبعث و وجهه كالقمر ليله البدر حتى

يمرّ على الصراط مع الامنين و من صلّى سدس ليله كتب من الأوابين و غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر.

و من صلّى خمس ليله زاحم إبراهيم خليل الرّحمن فى قبّته.

و من صلّى ربع ليله كان فى أوّل الفائزين حتى يمرّ على الصراط كالريح العاصف و يدخل الجنه بلا حساب.

و من صلّى ثلث ليله لم يلق ملكا إلاّ غبطه لمنزلته من اللّه و قيل ادخل من أىّ أبواب الجنه شئت.

و من صلّى نصف ليله فلو اعطى ملؤ الأرض ذهبا سبعين ألف مرّه لم يعدل جزاه و كان له بذلك عند اللّه أفضل من سبعين رقبه يعتقها من ولد إسماعيل عليه السّلام.

و من صلّى ثلثى ليله كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنه أثقل من جبل احد عشر مرّات.

و من صلّى ليله تامّه تاليا لكتاب اللّه راكعا و ساجدا و ذاكرا اعطى من الثواب ما أدناه يخرج من الذنوب كما ولدته امّه، و يكتب له عدد ما خلق اللّه من الحسنات و مثلها درجات و يثبت النّور فى قبره و ينزع الاثم و الحسد من قلبه، و يجار من عذاب القبر و يعطى براءه من النّار و يبعث من الامنين، و يقول الربّ لملائكته يا ملائكتى انظروا إلى عبدى أحيا ليله ابتغاء مرضاتى اسكنوه الفردوس و له فيها مأئه ألف مدينه فى كلّ مدينه جميع ما تشتهى الأنفس و تلذّ الأعين و لم يخطر على بال سوى ما أعددت له من الكرامه و المزيد و القربه، هذا.

و لما وصف قيامهم بالصّلاه فى اللّيل أشار إلى قراءتهم و وصف قراءتهم تفصيلا بقوله (تالين لأجزاء القرآن) فانّ البيوت الّتى يتلى فيها القرآن تضىء لأهل السّماء كما تضىء الكواكب لأهل الأرض كما روى فى غير واحد من الأخبار و تكثر بركتها و تحضرها الملائكه و تهجرها الشّياطين كما رواه فى الكافى عن ابن القداح عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن أمير المؤمنين عليه السّلام.

ص:۱۲۴

(يرتّلونه ترتيلا) قال فى مجمع البحرين: التّرتيل فى القرآن التّأنى و تبيين الحروف بحيث يتمكّن السّامع من عدّها.

و فى الكافى عن عبد اللّه بن سليمان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ «وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: بيّنه تبيانا و لا تهذّه هذّ الشّعر، و لا تنثره نثر الرّمل، و لكن افزعوا قلوبكم القاسيه و لا يكن همّ أحدكم آخر السّوره.

و فى مجمع البحرين عن أمير المؤمنين عليه السّلام: ترتيل القرآن حفظ الوقوف و بيان الحروف، و فسّر الوقوف بالوقف التامّ و هو الوقوف على كلام لا تعلّق له بما بعده لا لفظا و لا معنا، و بالحسن و هو الّذى له تعلّق، و فسّر الثانى بالاتيان بالصّفات المعتبره عند القراءه من الهمس و الجهر و الاستعلاء و الاطباق.

و عن الصّادق عليه السّلام الترتيل أن تتمكث فيه و تحسن به صوتک، و إذا مررت بايه فيها ذكر الجنه فاسأل اللّه الجنه، و إذا مررت بايه فيها ذكر النار فتعوّذ باللّه من النار.

و قوله عليه السّلام (يحزنون به أنفسهم) أى يقرؤنه بصوت حزين.

روى فى الكافى عن ابن أبى عمير عمّن ذكره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ القرآن نزل بالحزن فاقرءوه بالحزن.

و فى الوسائل من الكافى عن حفص قال: ما رأيت أحدا أشدّ خوفا على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السّلام و لا أرجى للناس منه، و كانت قراءته حزنا، فاذا قرء فكأنه يخاطب إنسانا.

و قوله:(و يستثيرون به دواء دائهم) الظاهر أنّ المراد بدائهم هو داء الذّنوب الموجب للحرمان من الجنّه و الدّخول فى النّار، و بدوائه هو التّدبّر و التفكّر الموجب لقضاء ما عليهم من الحقّ و سؤال الجنّه و طلب الرّحمه و المغفره و التعوّذ من النّار عند قراءه آيتى الوعد و الوعيد.

كما أوضحه و شرحه بقوله (فاذا مرّوا بايه فيها تشويق) إلى الجنّه (ركنوا)

أى مالوا و اشتاقوا (إليها طمعا و تطلعت) أى أشرفت (نفوسهم إليها شوقا و ظنّوا أنّها نصب أعينهم) أى أيقنوا أنّ تلك الايه أى الجنّه الموعوده بها معدّه لهم بين أيديهم و إنما جعلنا الظنّ بمعنى اليقين لما قد مرّ من اتّصافهم بعين اليقين و أنهم و الجنّه كمن قد رآها فهم فيها منعّمون.

(و إذا مرّوا بايه فيها تخويف) و تحذير من النار (أصغوا) أى أمالوا (إليها مسامع قلوبهم و ظنّوا) أى علموا (أنّ زفير جهنّم و شهيقها) أى صوت توقدها (فى اصول آذانهم) أو المراد زفير أهلها و شهيقهم، و الزّفير إدخال النفس و الشهيق إخراجه، و منه قيل: إنّ الزّفير أوّل الصوت و الشهيق آخره، و الزّفير من الصّدر و الشهيق من الحلق، و كيف كان فالمراد أنهم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون.

و محصل المراد أنّ المتّقين يقرؤن القرآن بالتّرتيل و الصوت الحسن الحزين و يشتدّ رجاؤهم عند قراءه آيات الرّجا و خوفهم عند تلاوه آيات الخوف.

روى فى الوسائل عن الشيخ عن البرقى و ابن أبى عمير جميعا عن بعض أصحابنا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ينبغى للعبد إذا صلّى أن يرتّل فى قراءته فاذا مرّ بايه فيها ذكر الجنّه و ذكر النار سأل اللّه الجنه و تعوّذ باللّه من النار، و إذا مرّ بيا أيها الناس و يا أيها الّذين آمنوا يقول لبّيك ربّنا.

و عنه عن عثمان بن عيسى عن سماعه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام ينبغى لمن قرء القرآن إذا مرّ بايه فيها مسأله أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو و يسأل العافيه من النار و من العذاب.

و فيه عن الكلينى عن الزّهرى فى حديث قال: كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام إذا قرء مالك «ملك» يوم الدّين يكرّرها حتى يكاد أن يموت، هذا.

و لما ذكر عليه السّلام وصف قيامهم و قراءتهم أشار إلى ركوعهم بقوله (فهم حانون) أى عاطفون (على أوساطهم) يعنى أنّهم يحنون ظهرهم فى الرّكوع أى يميلونه فى استواء من رقبتهم و من ظهرهم من غير تقويس.

و أشار إلى سجودهم بقوله (مفترشون لجباههم واه كفّهم و ركبهم و أطراف أقدامهم)

ص:۱۲۶

أی باسطون لهذه الأعضاء السبعه فی حاله السجده علی الأرض قال سبحانه «وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً ».

قال فی مجمع البیان روی أنّ المعتصم سأل أبا جعفر محمّد بن علیّ بن موسی الرّضا علیه السّلام عن هذه الایه فقال علیه السّلام: هی الأعضاء السبعه التی یسجد علیها.

و فی الوسائل عن الشیخ باسناده عن زراره قال: قال أبو جعفر علیه السّلام قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: السجود علی سبعه أعظم: الجبهه، و الیدین، و الرّکبتین، و الابهامین من الرّجلین، و ترغم بأنفک إرغاما أمّا الفرض فهذه السبعه و أمّا الارغام بالأنف فسنّه من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و قوله علیه السّلام (یطلبون إلی اللّه تعالی فی فکاک رقابهم) إشاره إلی العلّه الغائیّه لهم من عباداتهم اللیلیه، یعنی أنهم یتضرّعون الیه سبحانه و یلحّون فی فکاک رقابهم من النار و ادخالهم الجنه.

و الثامن عشر اتّصافهم بأوصاف یطلع علیها النّاظرون لهم نهارا، و إلیه أشار بقوله (و أمّا النّهار فحلماء علماء أبرار أتقیاء) یعنی أنّهم متّصفون بالحلم و العلم و البرّ و التّقوی.

أما الحلم فهو فضیله متوسّطه بین رذیلتی المهانه و الافراط فی الغضب، و هو من جنود العقل و یقابله السّفه و هو من جنود الجهل، کما فی الحدیث المرویّ فی الکافی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام.

قال صدر المتألهین فی شرح الکافی: الحلم الاناه و هو من شعب الاعتدال فی الغضب، و السفه الخفّه و الطیش، و سفه فلان رأیه إذا کان مضطربا لا استقامه له فیکون من شعب الافراط فی الغضب ضدّ الحلم الذی من شعب الاعتدال فیه.

و قال بعض شرّاح الکافی: الحلم الاناه و التثبّت فی الامور، و هو یحصل عن الاعتدال فی القوّه الغضبیه و یمنع من الانفعال عن الواردات المکروهه المؤذیه، و من آثاره عدم جزع النفس عند الامور الهایله و عدم طیشها فی المؤاخذه و عدم صدور

حركات غير منتظمه منها و عدم إظهار المزيه على الغير و عدم التهاون فى حفظ ما يجب حفظه شرعا و عقلا.

أقول و يشهد بفضل هذا الوصف:

ما رواه فى الكافى عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ اللّه يحبّ الحييّ الحليم العفيف المتعفّف.

و عن سعيد بن يسار عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا وقع بين رجلين منازعه نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما: قلت و قلت و أنت أهل لما قلت ستجزى بما قلت، و يقولان للحليم منهما: صبرت و حلمت سيغفر اللّه لك إن أتممت ذلك، قال: فان ردّه الحليم عليه ارتفع الملكان، هذا.

و فى بعض النسخ بدل قوله عليه السّلام فحلماء: فحكماء بالكاف فيفيد اتّصافهم بالحكمه و هو أيضا من جنود العقل، و يقابله الهوى و هو من جنود الجهل كما فى الحديث الذى أشرنا إليه.

قال صدر المتألهين فى شرح هذا الحديث من الكافى: الحكمه هى العلم بحقايق الأشياء كما هى بقدر الطاقه و العمل على طبقه، و الهوى الرّأى الفاسد و اتّباع النفس شهواتها الباطله، و يحتمل أن يكون المراد بالحكمه ما يستعمل فى كتب الأخلاق و هو التوسط فى القوّه الفكريّه بين الافراط الذى هو الجربزه و التفريط الذى هو البلاهه فيكون المراد بالهوى الجربزه بما يلزمها من الاراء الفاسده و العقائد الباطله، لأنّها تضادّ الحكمه التى بهذا المعنى، و كلا المعنيين من صفات العقل و ملكاته و مقابلاتهما من صفات الجهل و توابعه.

و أما العلم فهو أيضا من جنود العقل، و يقابله الجهل كما فى الحديث المتقدّم إليه الاشاره، و المراد بكونهم علماء كما لهم فى القوّه النظريه بالعلم النظرى الذى هو معرفه الصانع و صفاته و العلم الشرعى الذى هو معرفه تكاليفه و أحكامه.

و أما البر فقد يطلق و يراد به الصادق، و قد يطلق على الذى من عادته الاحسان

و بهما فسّر قوله «انّه هو البرّ الرّحيم» و كثيرا ما يخصّ الأبرار بالأولياء و الزّهاد و العبّاد و به فسّر قوله تعالى «إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ » أي الأولياء المطيعون فى الدّنيا و قال فى مجمع البيان فى تفسير قوله «إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً » هو جمع البرّ المطيع للّه المحسن فى أفعاله، و قال الحسن: هم الّذين لا يؤذون الذّر و لا يرضون الشرّ و قيل: هم الذين يقضون الحقوق اللازمه و النّافله.

و اما التقوى فالمراد به هنا الخوف، يعنى أنّهم خائفون من اللّه تعالى و تاركون جميع القبايح البدنيّه و النفسانيّه.

و أشار إلى كمال خوفهم بقوله (قد بريهم الخوف برى القداح) أى نحتهم مثل نحت السّهام و صاروا مثلها فى الدّقه و النحافه و إنّما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النّفس المدبّره للبدن به عن النظر فى صلاح البدن و وقوف القوّه الشّهويّه و الغاذيه عن أداء بدل ما يتحلّل.

و قد كان هذا الوصف أعنى كمال الخوف من اللّه سبحانه و نحول البدن من شدّته مأثورا عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام.

فقد روى المفيد فى الارشاد عن أبى جعفر عليه السّلام قال: كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام يصلّى فى اليوم و اللّيله ألف ركعه و كانت الرّيح تميله بمنزله السّنبله.

و فيه أيضا عن عبد اللّه بن محمّد القرشى قال: كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام إذا توضّأ يصفرّ لونه فيقول له أهله: ما هذا الّذى يغشاك؟ فيقول: أ تدرون لمن أتأهّب للقيام بين يديه.

و فيه أيضا عن سعيد بن كلثوم عن الصّادق عليه السّلام فى حديث مدح فيه علىّ بن أبى طالب بما هو أهله و أطراه إلى أن قال: و ما أشبهه من ولده و لا أهل بيته أحد أقرب شبها به فى لباسه و فقهه من علىّ بن الحسين عليهما السّلام، و لقد دخل ابنه أبو جعفر عليه فاذا هو قد بلغ من العباده ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفرّ لونه من السّهر و رمصت عيناه من البكاء و دبرت جبهته و انخرم أنفه من السّجود و ورمت ساقاه و قدماه من

القيام فى الصّلاه قال أبو جعفر: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمه له الحديث.

و قد كان شيعتهم عليهم السّلام أيضا متّصفون بذلك.

كما رواه فى الوسايل من الخصال عن عمرو بن أبى المقدام عن أبيه قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام يا أبا المقدام إنّما شيعه علىّ الشّاحبون النّاحلون الذّابلون، ذابله شفاههم خميصه بطونهم متغيّره ألوانهم مصفرّه وجوههم، إذا جنّهم اللّيل اتّخذوا الأرض فراشا و استقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم كثيره دموعهم كثير دعاؤهم كثير بكاؤهم يفرح النّاس و هم محزونون.

و فيه من أمالى ابن الشيخ قال: روى انّ أمير المؤمنين خرج ذات ليله من المسجد و كانت ليله قمراء فأمّ الجبانه و لحقه جماعه يقفون أثره فوقف عليهم ثمّ قال: من أنتم؟ قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين، فتفرّس فى وجوههم قال: فما لى لا أرى عليكم سيماء الشيعه؟ قالوا: و ما سيماء الشيعه يا أمير المؤمنين؟ قال: صفر الوجوه من السهر عمش العيون من البكاء حدب الظهور من القيام خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدّعاء عليهم غبره الخاشعين، هذا.

و لغلبه الخوف عليهم و نحول أجسادهم و انحلال أعضائهم و شحب ألوانهم من الجدّ و الاجتهاد فى العباده (ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى و) الحال أنه (ما بالقوم من مرض و) لتوجّه نفوسهم بالملاء الأعلى، و خروج أفعالهم عن المعتاده المتعارفه بين الناس (يقول) الناظر لهم إنهم (قد خولطوا) أى اختلّ عقلهم و فسد (و) الحال أنهم ما خولطوا بل (قد خالطهم) أى مازجهم (أمر عظيم) من الخوف فتولهوا لأجله.

التاسع عشر أنّهم (لا يرضون من أعمالهم القليل) أى لا يقنعون بالقليل لعلمهم بشرف الغايات المقصوده من العبادات و عظم ما يترتّب عليها من الثمرات، و هو العتق من النار و الدّخول فى الجنه و الوصول إلى رضوان اللّه الذى هو أعظم اللّذات و أشرف الغايات.

ص:١٣٠

و لذلک أنّ أولیاء الدّین و أئمه التقوی و الیقین کان هممهم مقصوره علی الجدّ و الاجتهاد و التفرّغ للعباده.

و لقد قام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کما فی روایه الاحتجاج عن الکاظم عن أبیه عن آبائه عن أمیر المؤمنین علیهم السّلام عشر سنین علی أطراف أصابعه حتی تورّمت قدماه و اصفرّ وجهه یقوم اللّیل أجمع حتی عوتب فی ذلک فقال اللّه تعالی «طه ما أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقی » بل لتسعد به.

و فی روایه الکافی عن أبی بصیر عن الباقر علیه السّلام قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عند عایشه لیلتها فقالت: یا رسول اللّه لم تتعب نفسک و قد غفر لک ما تقدّم من ذنبک و ما تأخّر؟ فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: یا عایشه ألا أکون عبدا شکورا و کان أمیر المؤمنین علیه السّلام یصلّی فی الیوم و اللّیله ألف رکعه، و کذلک ولده علیّ بن الحسین علیهما السّلام حسبما عرفت آنفا.

و روی فی الوسایل من العلل عن أبی حمزه قال: سألت مولاه لعلیّ بن الحسین علیهما السّلام بعد موته فقلت: صفی لی امور علیّ بن الحسین علیهما السّلام فقالت: اطنب أو اختصر؟ فقلت: بل اختصری، قال: ما أتیته بطعام نهارا قطّ و لا فرشت له فراشا بلیل قطّ.

و روی فیه أیضا من العیون عن عبد السلام بن صالح الهروی فی حدیث انّ الرّضا علیه السّلام کان ربما یصلّی فی یومه و لیلته ألف رکعه، و انما ینفتل من صلاته ساعه فی صدر النهار و قبل الزّوال و عند اصفرار الشمس، فهو فی هذه الأوقات قاعد فی صلاه «مصلاه ظ» یناجی ربه.

إلی غیر ذلک من الأخبار الوارده فی وصف عباداتهم علیهم السّلام، و کفی فی تأکد المداومه علی العباده و التفرّغ لها بقوله سبحانه «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ ».

روی فی الوسایل من العلل بسنده عن جمیل بن درّاج قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: جعلت فداک ما معنی قول اللّه عزّ و جلّ «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ »؟ فقال: خلقهم للعباده.

و فیه عن الکلینی عن عمر بن یزید عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال فی التوراه مکتوب یا ابن آدم تفرغ لعبادتی أملاء قلبک غنی و لا أکلک إلی طلبک، و علیّ أن أسدّ فاقتک و أملاء قلبک خوفا منّی.

و عن عمر بن جمیع عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أفضل النّاس من عشق العباده فعانقها و أحبّها بقلبه و باشرها بجسده و تفرغ لها فهو لا یبالی علی ما أصبح من الدّنیا علی عسر أم یسر.

و عن أبی جمیله قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: قال اللّه تبارک و تعالی: یا عبادی الصّدیقین تنعّموا بعبادتی فی الدّنیا فانّکم تنعّمون بها فی الاخره.

(و) العشرون أنّهم (لا یستکثرون) من أعمالهم (الکثیر) أی لا یعجبون بکثره العمل و لا یعدّونه کثیرا و ان أتعبوا فیه أنفسهم و بلغوا غایه جهدهم، لمعرفتهم بأنّ ما أتوا به من العبادات و إن بلغت فی کثرتها غایه الغایات زهیده قلیله فی جنب ما یترتّب علیها من الثّمرات، کما أشار إلیه فی الخطبه الثانیه و الخمسین بقوله:

فو اللّه لو حننتم حنین الوله العجال و دعوتهم بهدیل الحمام و جأرتم جؤار المتبتّلی الرّهبان و خرجتم إلی اللّه من الأموال و الأولاد التماس القربه الیه فی ارتفاع درجه عنده أو غفران سیئه أحصتها کتبه و حفظها رسله، لکان قلیلا فیما أرجو لکم من ثوابه و أخاف علیکم من عقابه، هذا.

مع ما فی استکثار العمل من العجب الموجب لاهباطه و للوقوع فی الخزی العظیم و العذاب الألیم.

روی فی الوسائل من الخصال عن سعد الاسکاف عن أبی جعفر علیه السّلام قال: ثلاث قاصمات الظّهر: رجل استکثر عمله، و نسی ذنوبه، و أعجب برأیه.

و من الخصال عن عبد الرّحمن بن الحجاج عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال ابلیس: إذا استمکنت من ابن آدم فی ثلاث لم ابال ما عمل فانّه غیر مقبول: إذا استکثر عمله، و نسی ذنبه، و دخله العجب.

و فیه عن الکلینی عن سماعه قال: سمعت أبا الحسن علیه السّلام یقول: لا تستکثروا

الخير و لا تستقلّوا قليل الذّنوب.

و عن الكلينى عن يونس عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث: قال موسى بن عمران لابليس: أخبرنى بالذّنب الّذى إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه قال: إذا أعجبته نفسه، و استكثر عمله، و صغر فى عينه ذنبه.

و قال: قال اللّه عزّ و جلّ لداود: يا داود بشّر المذنبين و أنذر الصّديقين، قال:

كيف ابشّر المذنبين و أنذر الصدّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين أنى أقبل التوبه و أعفو عن الذّنب، و أنذر الصدّيقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فانّه ليس عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك و لمّا ذكر عدم رضاهم بالقليل و اعجابهم بالكثير فرّع عليه قوله (فهم لأنفسهم متّهمون و من أعمالهم مشفقون) يعنى أنّهم يتّهمون أنفسهم و ينسبونها إلى التقصير فى العباده.

روى فى الوسائل عن الكلينى عن سعد بن أبى خلف عن أبى الحسن موسى عليه السّلام قال: قال لبعض ولده: يا بنىّ عليك بالجدّ و لا تخرجنّ نفسك من حدّ التقصير فى عباده اللّه عزّ و جل فانّ اللّه لا يعبد حقّ عبادته.

و عن الفضل بن يونس عن أبى الحسن عليه السّلام قال: أكثر من أن تقول: اللّهم لا تجعلنى من المعارين و لا تخرجنى من التقصير، قال: قلت له: أمّا المعارون فقد عرفت إنّ الرّجل يعار الدّين ثمّ يخرج منه، فما معنى لا تخرجنى من التقصير؟ فقال: كلّ عمل تريد به وجه اللّه فكن فيه مقصّرا عند نفسك فانّ النّاس كلّهم فى أعمالهم فيما بينهم و بين اللّه مقصّرون إلاّ من عصمه اللّه.

و عن أبى عبيده الحذاء عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قال اللّه عزّ و جلّ: لا يتّكل العاملون لى على أعمالهم الّتى يعملونها لثوابى، فانّهم لو اجتهدوا و أتّعبوا أنفسهم أعمارهم فى عباداتى كانوا مقصّرين غير بالغين فى عبادتهم كنه عبادتى فيما يطلبون عندى من كرامتى و النعيم فى جنّاتى و رفيع الدّرجات العلى فى جوارى و لكن برحمتى فليتّقوا «فليثقوا ظ»، و فضلى فليرجوا، و الى حسن الظنّ بى فليطمئنّوا و أمّا اشفاقهم من أعمالهم فخوفهم من عدم قبولها أو من عدم كونها جامعه

لشرائط الصّحه و الكمال على الوجه الّذى يليق به تعالى فيؤاخذوا به، و قد مدح اللّه سبحانه المؤمنين بذلك فى قوله «وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ».

روى فى الصافى من الكافى عن الصادق عليه السّلام أنّه سئل عن هذه الايه فقال:

هى اشفاقهم و رجاؤهم يخافون أن تردّ عليهم أعمالهم إن لم يطيعوا اللّه و يرجون أن تقبل منهم.

و فى مجمع البيان قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: معناه خائفه أن لا يقبل منهم.

و فى الوسائل من الكافى عن عبد الرّحمن بن الحجاج قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام الرّجل يعمل العمل و هو خائف مشفق ثمّ يعمل شيئا من البرّ فيدخله شبه العجب به فقال عليه السّلام: هو فى حاله الأولى و هو خائف أحسن حالا منه فى حال عجبه.

الحادى و العشرون أنّه (إذا زكى أحدهم) أى وصف و مدح بما فيه من محامد الأوصاف و مكارم الأخلاق و مراقبه العبادات و مواظبه الطاعات (خاف مما يقال له) و اشمئزّ منه (فيقول أنا أعلم بنفسى) أى بعيوبها (من غيرى و ربّى أعلم منّى بنفسى) و إنّما يشمئزّ و يخاف من التّزكيه لكون الرّضا بها مظنّه الاعجاب بالنفس و الادلال بالعمل.

و لهذه النّكته أيضا نهى اللّه سبحانه عن تزكيه النفس قال تعالى «فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى » أى لا تثنوا عليها بزكاء العمل و زياده الخير و الطهاره من المعاصى و الرّذائل، فانّه يعلم التّقى و غيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم.

قال فى مجمع البيان: أى لا تعظّموها و لا تمدحوها بما ليس لها فانّى أعلم بها، و قيل: معناه لا تزكوها بما فيها من الخير ليكون أقرب إلى النسك و الخشوع، و أبعد من الرّيا هو أعلم بمن برّ و أطاع و أخلص العمل.

و روى فى الصافى من العلل عن الصّادق عليه السّلام أنّه سئل عنها قال: يقول:

لا يفتخر أحدكم بكثره صلاته و صيامه و زكاته و نسكه، لأنّ اللّه عزّ و جل أعلم بمن اتّقى منكم.

و قوله (اللهمّ لا تؤاخذنى بما يقولون و اجعلنى أفضل مما يظنّون و اغفر لى

ما لا يعلمون) أى لا تؤاخذنى بتزكيه المزكين التى هى مظنه الاعجاب الموجب للسخط و المؤاخذه، و اجعلنى أفضل مما يظنّون فى التّقوى و الورع، و اغفر لى الهفوات و الاثام التى أنت عالم بها و هى مستوره عنهم و على ما ذكرنا فهذه الجمله الدّعائيه متمّ كلام المتّقين الذى حكاه عليه السّلام عنهم، يعنى إذا زكى أحدهم يخاف منه و يجيب المزكّى بقوله: أنا أعلم بنفسى اه، و يدعو ربه بقوله: اللهمّ لا تؤاخذنى اه.

و العجب من الشارح المعتزلى حيث زعم أنّ هذه الجمله من كلام أمير المؤمنين نفسه لا حكايه عن المتّقين قال: و قوله: اللهمّ لا تؤاخذنى بما يقولون، إلى آخر الكلام مفرد مستقلّ بنفسه منقول عنه عليه السّلام أنه قاله لقوم مرّ عليهم و هم مختلفون فى أمره فمنهم الحامد له و منهم الذّام فقال: اللهمّ لا تؤاخذنى اه، و معناه: اللهمّ إن كان ما ينسبه الذّامون إلىّ من الأفعال الموجبه للذمّ حقا فلا تؤاخذنى بذلك، و اغفر لى ما لا يعلمونه من أفعالى، و ان كان ما يقوله الحامدون حقا فاجعلنى أفضل مما يظنّونه فىّ، انتهى.

و الأظهر ما ذكرنا كما لا يخفى، هذا.

و لما ذكر جمله من أوصافهم الجميله أردفها بساير أوصافهم التى بها يعرفون و قال:(فمن علامه أحدهم أنك ترى له قوّه فى دين) أى تراه متصلّبا فيه لا يؤثّر فيه تشكيك المشكك و لا ينخدع بخداع الناس.

(و حزما فى لين) أى يكون لينه عن حزم و تثبت لا عن مهانه و قال الشارح البحرانى يكون له الحزم فى الامور الدّنيويه و التّثبت فيها ممزوجا باللّين للخلق و عدم الفظاظه، و هى فضيله العدل فى المعامله مع الخلق.

(و ايمانا فى يقين) أى ايمانا مع يقين، فانّ الايمان و هو معرفه الصّانع و الرّسول و التّصديق بما جاء به من عند اللّه لما كان قابلا للشدّه و الضّعف، فتاره يكون عن وجه التقليد و هو الاعتقاد المطابق لا لموجب، و اخرى عن وجه العلم و هو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدّليل، و ثالثه عن العلم به مع العلم بأنّه لا يكون إلّا كذلك و هو علم اليقين، أراد أنّ علمهم باصول العقائد علم يقين لا يتطرّق إليه احتمال

ص:١٣٥

و فی الکافی عن جابر قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: یا أخا جعفی انّ الایمان أفضل من الاسلام و إنّ الیقین أفضل من الایمان، و ما من شیء أعزّ من الیقین.

و عن علیّ بن إبراهیم عن محمّد بن عیسی عن یونس قال: سألت أبا الحسن الرّضا علیه السّلام عن الایمان و الاسلام فقال: قال أبو جعفر علیه السّلام: إنّما هو الاسلام و الایمان فوقه بدرجه و التقوی فوق الایمان بدرجه، و الیقین فوق التقوی بدرجه، و لم یقسّم بین النّاس شیء أقلّ من الیقین، قال: قلت: فأیّ شیء الیقین؟ قال: التوکّل علی اللّه و التسلیم للّه، و الرّضا بقضاء اللّه، و التفویض إلی اللّه، قلت: فما تفسیر ذلک؟ قال: هکذا قال أبو جعفر علیه السّلام.

قال بعض شرّاح الکافی فی شرح هذا الحدیث: الاسلام هو الاقرار و الایمان إما التصدیق أو التّصدیق مع الاقرار، و علی التقدیرین فهو فوق الاسلام بدرجه أما علی الثانی فظاهر و أمّا علی الأوّل فلأنّ التصدیق القلبی أفضل و أعلی من الاقرار اللّسانی کما أنّ القلب أفضل من اللّسان، و التقوی فوق الایمان بدرجه لأنّ التقوی هو التجنّب عمّا یضرّ فی الاخره و إن کان ضرره یسیرا، و الیقین فوق التقوی لأنّ التقوی قد لا یکون فی مرتبه الیقین، و هی الّتی أشار إلیها أمیر المؤمنین علیه السّلام بقوله:

لو کشف الغطاء لما ازددت یقینا.

(و حرصا فی علم) أی و حرصا فی طلب العلم النّافع فی الاخره و الازدیاد منه (و علما فی حلم) أی علما ممزوجا بالحلم و قد مرّ توضیحه فی شرح قوله و أمّا النّهار فعلماء حلماء.

(و قصدا فی غنی) یحتمل أن یکون المراد اقتصاده فی طلب المال و تحصیل الثروه، یعنی أنّه لا یجاوز الحدّ فی کسب المال و تحصیل الغنی بحیث یؤدّی إلی فوات بعض ما علیه من الفرائض کما هو المشاهد فی أبناء الدّنیا، و أن یکون المراد أنّه مع غناه مقتصد فی حرکاته و سکناته و مصارف ماله بل جمیع أفعاله یعنی أنّ غناه لم یوجب طغیانه و خروجه عن القصد و تجاوزه عن الحدّ کما قال تعالی «إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغی أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی».

(و خشوعا فى عباده) أى خضوعا و تذللا فى عباداته، و قد وصف اللّه المؤمنين بذلك فى قوله «اَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ » قال فى مجمع البيان أى خاضعون متواضعون متذلّلون لا يدفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم و لا يلتفتون يمينا و شمالا.

و روى أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رأى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال: أما انّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.

و فى هذا دلاله على أنّ الخشوع فى الصّلاه يكون بالقلب و بالجوارح، فأمّا بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجميع الهمّه لها و الاعراض عمّا سواها فلا يكون فيه غير العباده و المعبود، و أمّا بالجوارح فهو غضّ البصر و الاقبال عليها و ترك الالتفات و العبث قال ابن عبّاس خشع فلا يعرف من على يمينه و من على يساره.

(و تجمّلا فى فاقه) أى يتعفّف و يظهر الغنى فى حال فقره و يترك السّؤال و يستر ما هو عليه من الفقر، و أصل التجمّل هو تكلّف الجميل.

و قد مدح اللّه سبحانه أصحاب الصفه بذلك فى قوله «يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً » و كانوا نحوا من أربعمائه من فقراء المهاجرين يسكنون صفّه مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يستغرقون أوقاتهم بالتعلّم و العباده و كانوا يخرجون فى كلّ سريّه يبعثها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يظنّهم الجاهل بحالهم و باطن امورهم أغنياء من التعفّف أى من أجل التعفّف و الامتناع من السّؤال و التجمّل فى اللّباس و السّتر لما هم عليه من الفقر و سوء الحال طلبا لرضوان اللّه و جزيل ثوابه تعرفهم بسيماهم أى تعرف حالهم بما يرى فى وجوههم من علامه الفقر من رثاثه الحال و صفره الوجه لا يسئلون النّاس أصلا فيكون إلحاح أى إصرار فى السّؤال، فهو من قبيل السّالبه بانتفاء الموضوع مثل قولك: ما رأيت مثله و أنت تريد أنّه لا مثل له فيرى، لا أنّ له مثلا ما رأيته.

قال فى مجمع البيان فى الحديث: إنّ اللّه يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده

ص:١٣٧

و یکره البؤس و التّباؤس، و یحبّ الحلیم المتعفّف من عباده و یبغض البذی السّائل الملحف(۱).

(و صبرا فی شدّه) أی یتحمّل علی شداید الدّنیا و مکارهها و یستحقرها بجنب ما یتصوّره من الفرحه بلقاء اللّه و بما بشّر به من عظیم الأجر للصّابرین فی کتابه المبین مضافا إلی ما فیه من التّأسّی و الاتباع للسلف الصالحین من الأنبیاء و المرسلین و أولیاء الدّین.

روی فی الکافی عن حفص بن غیاث قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: یا حفص إنّ من صبر صبر قلیلا و انّ من جزع جزع قلیلا ثمّ قال: علیک بالصبر فی جمیع امورک فانّ اللّه عزّ و جلّ بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فأمره بالصبر و الرّفق فقال «وَ اصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِیلاً وَ ذَرْنِی وَ الْمُکَذِّبِینَ أُولِی النَّعْمَهِ » و قال تبارک و تعالی «اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ وَ ما یُلَقّاها إِلاَّ الَّذِینَ صَبَرُوا وَ ما یُلَقّاها إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظِیمٍ » فصبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی نالوه بالعظایم و رموه بها، فضاق صدره فأنزل اللّه عزّ و جلّ «وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّکَ یَضِیقُ صَدْرُکَ بِما یَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ کُنْ مِنَ السّاجِدِینَ » ثمّ کذّبوه و رموه فحزن لذلک فأنزل اللّه عزّ و جلّ «قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَیَحْزُنُکَ الَّذِی یَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا یُکَذِّبُونَکَ وَ لکِنَّ الظّالِمِینَ بِآیاتِ اللّهِ یَجْحَدُونَ وَ لَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ فَصَبَرُوا عَلی ما کُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّی أَتاهُمْ نَصْرُنا » فألزم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نفسه الصبر فتعدّوا فذکروا اللّه تعالی و کذّبوه فقال: قد صبرت فی نفسی و عرضی و لا صبر لی علی ذکر إلهی فأنزل اللّه عزّ و جلّ «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما فِی سِتَّهِ أَیّامٍ وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ » فصبر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی جمیع أحواله ثمّ بشر فی عترته بالأئمه و وصفوا بالصبر فقال جلّ ثناؤه «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا »

۱- (۱) - فی الحدیث: ان اللّه یحب الجمال و التجمل و یبغض البؤس و التباؤس، کان المراد اظهار الفقر و الحاجه هکذا فی مجمع البحرین، و قال الفیروز آبادی: التباؤس التفاقر و أن یری تخشع الفقراء اخباتا و تضرعا، منه.

«لَمّـا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ » فعنـد ذلك قال صـلّى اللّه عليه و آله الصبر من الايمان كالرّأس من الجسـد، فشـكر اللّه عزّ و جلّ ذلك له فأنزل اللّه عزّ و جلّ «وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْـنى عَلى بَنِی إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ مـا كـانُوا يَعْرِشُونَ » فقـال صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: إنه بشـرى و انتقام فأباح اللّه عزّ و جلّ له قتال المشـركين فأنزل «فَاقْتُلُوا الْمُشْـرِكِينَ حَيْثُ وَجَـدْتُمُوهُمْ وَ خُـذُوهُمْ وَ احْصُـرُوهُمْ وَ اقْعُـدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَـدٍ » و «اُقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ » فقتلهم اللّه على يدى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و أحبائه و عجّل له ثواب صبره مع ما ادّخر له فى الاخره، فمن صبر و احتسب لم يخرج من الدّنيا حتى يقرّ اللّه عينه فى أعدائه مع ما ادّخر له فى الاخره.

(و طلبا فى حلال) أى يطلب الرّزق من الحلال و يقتصر عليه و لا يطلبه من الحرام.

روى فى الوسايل عن الكلينىّ باسـناده عن أبى حمزه الثمالى عن أبى جعفر عليه السّـلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى حجه الوداع: ألاـ إنّ الرّوح الأمين نفث فى روعى أنه لا تموت نفس حتى تسـتكمل رزقها فاتّقوا اللّه و أجملوا فى الطلب و لا يخفنكم اسـتبطاء شـىء من الرّزق أن تطلبوه بمعصـيه اللّه، فـانّ اللّه تبـارك و تعـالى قسّم الأـرزاق بين خلقه حلالا و لم يقسّـمها حرامـا، فمن اتّقى و صبر آتـاه اللّه برزقه من حلّه و من هتـك حجـاب السرّ «كـذا» و عجـل فأخـذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال و حوسب عليه يوم القيامه و فيه عن المفيـد فى المقنعه قال: قال الصادق عليه السّـلام الرّزق مقسوم على ضـربين أحدهما واصـل إلى صـاحبه و ان لم يطلبه، و الاـخر معلّق بطلبه، فالـذى قسّم للعبـد على كـلّ حـال آتيه و إن لم يسع له، و الـذى قسّم له بالسعى فينبغى أن يلتمسه من وجوهه و هو ما أحلّه اللّه له دون غيره، فان طلبه من جهه الحرام فوجده حسب عليه برزقه و حوسب به.

(و نشاطا فى هدى) أى خفه و اسـراعا فيه، و بعباره اخرى أن يكون سـلوكه لسبيل اللّه و اتيانه بالعبادات المشـروعه الموصله إلى رضوان اللّه سبحانه بطيب النفس

و على وجه الخفّه و السهوله لا ـ عن الكسل و التغافل، و ذلک ينشأ عن قوّه اليقين فيما وعد اللّه المتّقين من الجزاء الجميل و الأجر العظيم بخلاف أهل الرّيا فانّه يكسل فی الخلوه و ينشط بين الناس.

كما روی فی الوسايل عن الكلينیّ عن السكونیّ عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: ثلاث علامات للمرائی: ينشط إذا رأی الناس، و يكسل إذا كان وحده، و يحبّ أن يحمد فی جميع اموره.

(و تحرّجا عن طمع) أی تجنّبا عنه أی لا يطمع فيما فی أيدی النّاس لعلمه بأنّه من الرّذايل النّفسانيّه و منشأ المفاسد العظيمه لأنّه يورث الذّل و الاستخفاف و الحقد و الحسد و العداوه و الغيبه و ظهور الفضايح و المداهنه لأهل المعاصی و النّفاق و الرّيا و سدّ باب النّهی عن المنكر و الأمر بالمعروف و ترک التوكّل علی اللّه و التّضرع إليه و عدم الرّضا بقسمه إلی غير ذلک ممّا لا يحصی.

روی فی الكافی عن سعدان عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال قلت له: الّذی يثبت الايمان فی العبد؟ قال: الورع و الذی يخرجه منه قال: الطمع.

و عن الزّهری قال: قال علیّ بن الحسين عليهما السّلام: رأيت الخير كلّه قد اجتمع فی قطع الطمع مما فی أيدی الناس.

و فيه مرفوعا عن أبی جعفر عليه السّلام قال: بئس العبد عبد له طمع يقوده و بئس العبد عبد له رغبه تذلّه.

(يعمل الأعمال الصالحه و هو علی وجل) أی علی خوف من ردّها و عدم قبولها لعدم اقترانها بالشرايط المقتضيه للقبول كما قال تعالی «وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ » و قد مضی توضيح ذلک فی شرح قوله عليه السّلام من هذه الخطبه: و من أعمالهم مشفقون.

(يمسی و همه الشكر و يصبح و همه الذّكر) قال الشارح البحرانی أی يكون همّه عند المساء الشكر علی ما رزق بالنهار و ما لم يرزق، و يصبح و همّه ذكر اللّه ليذكره اللّه فيرزقه من الكمالات النفسانيه و البدنيّه كما قال تعالی «فَاذْكُرُونِی »

«أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لا تَكْفُرُونِ» أقول: ما ذكره (ره) قاصر عن تأديه المراد غير واف بافاده نكته تقييد الاهتمام بالذكر بالصباح و الاهتمام بالشكر بالمساء، فالأولى أن يقال:

أما كون همّه مقصورا على الذّكر فى الصباح فلتأكّد استحباب الذكر فيه و يدلّ عليه ما رواه فى الوسايل من مجالس الصدوق باسناده عن عمير بن ميمون قال: رأيت الحسن بن علىّ عليهما السّلام يقعد فى مجلسه حين يصلّى الفجر حتى تطلع الشمس، و سمعته يقول سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: من صلّى الفجر ثمّ جلس فى مجلسه يذكر اللّه حتى تطلع الشمس ستره اللّه من النار ستره اللّه من النار ستره اللّه من النار.

و فيه أيضا من المجالس عن أنس فى حديث قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعثمان ابن مظعون: من صلّى الفجر فى جماعه ثمّ جلس يذكر اللّه حتى يطلع الشمس كان له فى الفردوس سبعون درجه بعد ما بين درجتين كحضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنه.

و فيه عن الشيخ عن ابن عمر عن الحسن بن علىّ عليهما السّلام قال: سمعت أبى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أيما امرء جلس فى مصلاّه الذى صلّى فيه الفجر يذكر اللّه حتى تطلع الشمس كان له من الأجر كحجاج بيت اللّه و غفر له.

و النكته الاخرى فى ذلك أنّ اللّه سبحانه لما خلق النهار لتحصيل المعاش و طلب الرّزق و الابتغاء من فضله كما أنّه خلق اللّيل للدّعه و السّكون و الراحه و النوم و كان للذكر عند الصباح مدخل عظيم فى الرّزق لا جرم كان اهتمامهم بالذكر فيه أما أن خلق النهار للرّزق و المعاش فلقوله سبحانه «وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً» و أما أنّ الذّكر فى الصبح جالب للرّزق.

فلما رواه فى الوسائل عن الصادق عليه السّلام قال: الجلوس بعد صلاه الغداه فى التعقيب و الدعاء حتى تطلع الشمس أبلغ فى طلب الرّزق من الضرب فى الأرض و فيه عن الكلينى عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

لجلوس الرّجل فى دبر صلاه الفجر إلى طلوع الشمس أنفذ فى طلب الرزق من

ركوب البحر، قلت: قد يكون للرجل الحاجه يخاف فوتها فقال عليه السّلام: يدلج فيها و ليذكر اللّه عزّ و جلّ فانه فى تعقيب ما دام على وضوئه.

و بمعناهما أخبار اخر لا نطيل بروايتها.

و اما كون همّه بالشكر عند المساء، فلأنّ المساء ضدّ الصّباح و إذا كان طلب الرّزق و استنزال النعمه بالذّكر فى أوّل النّهار حسبما عرفت، فناسب أن يكون الشكر على النعم النّازله فى النّهار فى آخره كما هو واضح.

(يبيت حذرا و يصبح فرحا) الظاهر عدم القصد إلى تخصيص الحذر بالبيات و الفرح بالصّباح، و إنّما المراد أنّه يبيت و يصبح جامعا بين وظيفتى الخوف و الرّجا، فعبّر عن الخوف بالحذر و عن الرّجاء بالفرح لكونه موجبا للفرح و السرور.

و أشار إلى علّتهما بقوله (حذرا لما حذّر) منه (من الغفله) و التقصير فى رعايه وظايف العبوديه، لما عرفت فى شرح قوله: فهم لأنفسهم متّهمون و من أعمالهم مشفقون، من عدم جواز إخراج النّفس من حدّ التّقصير فى عبادته تعالى و إن بولغ فيها.

و بقوله (و فرحا بما أصاب من الفضل و الرّحمه) أى بما وفّق له من فضل اللّه سبحانه و ما تفضّل به عليه من دين الاسلام و موالاه محمّد و آل محمّد عليهم السّلام و ما أتى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم به من شرايع الأحكام، فانّ ذلك كلّه فضل منه عزّ و جلّ و رحمه يوفّق له من يشاء من عباده كما قال تعالى «قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ».

و يحتمل أن يكون المراد بما أصاب خصوص ما أتى به من الفروعات العمليّه و العبادات الشرعيه الموجبه لفضل اللّه و رحمته عليه فى الاخره، فيكون محصل المراد بهذه الجمله سروره و فرحه بحسناته، لما فيها من رجاء الأجر و الثواب، و بالجمله السابقه مساءته و خوفه من الغفله لما فيها من الوزر و العقاب.

روى فى الوسائل عن الكلينى، عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

من سرّته حسنته و ساءته سيّئته فهو مؤمن.

و عن سليمان عمّن ذكره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سئل النّبى صلّى اللّه عليه و آله عن خيار العباد فقال: الّذين إذا احسنوا استبشروا، و إذا أساؤا استغفروا، و إذا اعطوا شكروا، و إذا ابتلوا صبروا، و إذا غضبوا غفروا.

(ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحبّ) لما كان من شأن المتّقى كراهته للمعاصى و محبّته للحسنات، و من شأن نفسه الأماره بالسوء عكس ذلك أى كراهته للحسنات و محبّته للمعاصى يقول عليه السّلام إنّ نفسه إن لم تطعه و لم يتمكّن له فى إتيان العبادات و الحسنات التى تكرهها و كان ميلها و محبّتها فى السيئات لم يعطها سؤلها و لا يطاوعها فيما تريد، بل يقهرها على خلاف ما تكره و تحبّ، و محصّله أنّه يجاهد نفسه لعلمه بأنّها عدوّ له.

روى فى الوسائل عن الكلينى عن أحمد بن محمّد بن خالد رفعه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام لرجل: اجعل قلبك قرينا برّا و ولدا واصلا و اجعل علمك والدا تتبعه و اجعل نفسك عدوّا تجاهده و اجعل مالك عاريه تردّها.

و فيه عن الصّدوق قال: و من ألفاظ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: الشّديد من غلب نفسه.

و عن الصّدوق عن المفضّل بن عمر قال قال الصّادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام: من لم يكن له واعظ من قلبه و زاجر من نفسه و لم يكن له قرين مرشد استمكن عدوّه من عنقه.

و هذا الجهاد أعنى مجاهده النفس هو الّذى سمّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالجهاد الأكبر كما مرّ فى الحديث الّذى رويناه فى شرح الخطبه الخامسه و الثمانين و مضى هنالك أيضا بعض الأخبار المناسبه لهذا المقام فلينظر ثمّه.

(قرّه عينه فيما لا يزول) أى سروره و ابتهاجه المستلزم لقرّه عينه فى الباقيات الصالحات و السعادات الاخرويّه الباقيه.

(و زهادته فيما لا يبقى) أى زهده فى الدّنيا و زخارفها الفانيه.

(يمزج الحلم بالعلم) قد مرّ الوصف بالحلم و العلم فى قوله: و أما النهار فحلماء علماء، و قدّمنا هناك تفسير معناهما و لا حاجه إلى الاعاده و إنّما أعاد عليه السّلام الوصف بهما

ص:١۴٣

قصدا إلى أنّه قد خلط حلمه بعلمه يعنى قد تزيّن مع علمه بالحلم و الوقار و ليس بعالم سفيه جبّار.

كما قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فى روايه الكافى: اطلبوا العلم و تزيّنوا معه بالحلم و الوقار و تواضعوا لمن تعلّمونه العلم و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم، و لا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم.

و فيه باسناده عن معاويه بن وهب عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: يا طالب العلم إنّ للعالم ثلاث علامات: العلم، و الحلم، و الصّمت، و للمتكلّف ثلاث علامات: ينازع من فوقه بالمعصيه، و يظلم من دونه بالغلبه، و يظاهر الظّلمه.

و فيه بسند مرفوع عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال عليه السّلام لا يكون السّفه و الغرّه فى قلب العالم، هذا.

و قال بعض الشارحين: معنى قوله يمزج الحلم بالعلم أنّه يحلم مع العلم بفضيله الحلم لا كحلم بعض الجاهلين عن ضعف النفس و عدم المبالاات بما قيل له و فعل به، و لا بأس به.

(و) يمزج (القول بالعمل) أى يكون عمله موافقا لقوله بأن يأمر بالمعروف و يأتى به، و ينهى عن المنكر و يتناهى عنه، و يعد و يفى بوعده لا أن يقول ما لا يفعل و يعد فيخلف فيستحقّ بذلك السخط العظيم و المقت الشديد قال تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ » و قال «فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ ».

روى فى الكافى عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام فى هذه الايه قال: هم قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره.

(تراه قريبا أمله) لأنّ بعد الأمل و طوله ينشأ من حبّ الدّنيا و نسيان الاخره، حسبما عرفته تحقيقا و تفصيلا فى شرح الخطبه الثانيه و الأربعين، و المؤمن المتّقى لزهده فى الدّنيا و نفرته عنها و اشتياقه إلى الاخره لا يطول له الأمل البتّه كما

هو ظاهر (قليلا زلله) أى خطاه و ذنبه لما له من ملكه العداله المانعه من ارتكاب الكبائر و إصرار الصغائر.

(خاشعا قلبه) أى خاضعا ذليلا من تصوّر عظمه الربّ المتعال جلّ جلاله (قانعه نفسه) بما قدّره اللّه تعالى فى حقّه راضيه بالقسم المقسوم مستغنيه عن الناس.

روى فى الكافى باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

من أراد أن يكون أغنى النّاس فليكن بما فى يد اللّه أوثق منه بما فى يد غيره.

و فيه عن عمر بن أبى المقدام عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: مكتوب فى التوراه يا ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان من رضى من اللّه بالقليل من الرّزق قبل اللّه منه اليسير من العمل، و من رضى باليسير من الحلال خفّت مؤنته و زكت مكسبته و خرج من حدّ الفجور.

و فيه عن محمّد بن عرفه عن أبى الحسن الرّضا عليه السّلام قال: من لم يقنعه من الرّزق إلاّ الكثير لم يكفه من العمل إلاّ الكثير، و من كفاه من الرّزق القليل فانّه يكفيه من العمل القليل.

(منزورا اكله) أى قليلا فانّ الجوع و التقليل من الطعام يورث رقّه القلب و صفاء الذّهن و انفاذ البصيره و ايقاد القريحه و الاستعداد للذّه المناجاه و التأثّر بالذّكر و الموعظه، مضافا إلى ما فيه من المنافع الكثيره الّتى أشرنا إليها فى شرح الفصل الثانى من الخطبه المأه و التاسعه و الخمسين.

و كفى فى فضله أنّ فيه تأسّيا بالسّلف الصالحين من الأنبياء و المرسلين و الأئمه المعصومين و أصحابهم الأكرمين حسبما عرفت فى شرح الخطبه المذكوره فليراجع ثمّه.

(سهلا أمره) أى خفيف المؤنه لا يتكلّف لأحد و لا يكلّفه فانّ شرّ الأخوان من يتكلّف له.

(حريزا دينه) أى محرزا محفوظا من تطرّق الشكوك و الشّبه لرسوخه و كونه عن علم اليقين المانع من عروض الاحتمال و الخلل حسبما عرفت فى شرح قوله

و ایمانا فی یقین.

(میته شهوته) قال الشارح البحرانی لفظ الموت مستعار لخمود شهوته عما حرّم علیه و یعود إلی العفّه.

أقول روی فی الکافی عن السّکونی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثلاث أخافهنّ علی امتی بعدی: الضلاله بعد المعرفه، و مضلّات الفتن، و شهوه البطن و الفرج و فیه عن میمون القداح قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام: یقول: ما من عباده أفضل من عفّه بطن و فرج.

و عن عبد اللّه بن میمون القداح عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: کان أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: أفضل العباده العفاف.

و فی الوسائل عن الصّدوق باسناده عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی وصیّته لمحمّد ابن الحنفیّه قال: و من لم یعط نفسه شهوتها أصاب رشده.

(مکظوما غیظه) أی محبوسا و کظم الغیظ حبسه و تکلّف الحلم عند هیاج الغضب قال تعالی «وَ الْکاظِمِینَ الْغَیْظَ وَ الْعافِینَ عَنِ النّاسِ » مدحهم بهذه الصفه یعنی أنّهم یحبسون غیظهم و یتجرّعونه عند القدره.

روی فی الکافی عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن بعض أصحابه عن مالک بن حصین السّکونی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: ما من عبد کظم غیظا إلاّ زاده اللّه عزّ و جلّ عزّا فی الدّنیا و الاخره و قد قال اللّه عزّ و جلّ «وَ الْکاظِمِینَ الْغَیْظَ وَ الْعافِینَ عَنِ النّاسِ وَ اللّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ » و أثابه اللّه مکان غیظه ذلک.

و فیه باسناده عن أبی حمزه قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: ما من جرعه یتجرّعها العبد أحبّ إلی اللّه عزّ و جلّ من جرعه غیظ یتجرّعها عند تردّدها فی قلبه إمّا بصبر و إمّا بحلم.

و عن سیف بن عمیره قال: حدّثنی من سمع أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: من کظم غیظا و لو شاء أن یمضیه أمضاه ملأ اللّه قلبه یوم القیامه رضاه و عن أبی حمزه عن علیّ بن الحسین علیهما السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: من أحبّ السبیل إلی اللّه عزّ و جلّ جرعتان: جرعه غیظ تردّها بحلم و جرعه مصیبه تردّها بصبر.

ص:۱۴۶

و الأخبار فى فضله كثيره و قد عقد فى الكافى بابا عليه و ما أوردناها كافيه فى المقام.

(الخير منه مأمول) لكثره الخيرات الصّادره منه و غلبتها الموجبه لأن يرجى و يؤمّل منه خيره.

(و الشرّ منه مأمون) لملكه التّقوى المانعه من إقدامه على الشرور الباعثه على الأمن من شرّه.

(ان كان فى الغافلين كتب فى الـذاكرين) قال الشّارح المعتزلى و البحرانى و غيرهما: يعنى أنّه إن كان مع الغافلين عن ذكر اللّه و فى عدادهم كتب فى الذاكرين لكونه ذاكرا للّه بقلبه و إن لم يذكره بلسانه.

أقول: و الأظهر عنـدى أنّ الغرض به الاشاره إلى دوام ذكره، يعنى أنّه مع كونه بين الغافلين و فى مجلسـهم لا يغفل عن ذكره عزّ و جلّ كغفلتهم عنه، بل يداوم عليه و يكتب فى زمره الذّاكرين لعلمه بأنّ الذّكر فى الغافلين يوجب مزيد الأجر.

و يدل عليه ما فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن الحسين بن مختار عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: الذّاكر للّه عزّ و جلّ فى الغافلين كالمقاتل فى المحاربين.

و عنه عن أبيه عن النّوفلى عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ذاكر اللّه فى الغـافلين كالمقاتـل عن الفارّين، و المقاتل عن الفارّين له الجنّه و فى الوسائل عن الشـيخ باسـناده عن أبى ذر عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قال: يا أبا ذر الذاكر فى الغافلين كالمقاتل فى الفارّين فى سبيل اللّه.

و فيه من عدّه الدّاعى قال: قال النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من ذكر اللّه فى السوق مخلصا عند غفله الناس و شغلهم بما فيه كتب اللّه له ألف حسنه و غفر اللّه له يوم القيامه مغفره لم تخطر على قلب بشر.

(و إن كان فى الـذاكرين لم يكتب من الغافلين) لعـدم غفلته عن الـذّكر، لأنه مع عدم غفلته عنه مع كونه بين الغافلين كما عرفت آنفا فعدم غفلته عنه إذا كان فى

الـذّاكرين بطريـق اولى، و يجـوز أن يراد به معنى آخر و هو الاشـاره إلى كون ذكره عن وجه الخلوص و القربه و عـدم كتبه من الغـافلين لأجـل ذلـك، و أمّـا غيره فربما يكتب من الغافلين و إن كان ذاكرا لعـدم كون ذكره عن وجه الاخلاص بل بقصـد الرّيا كما قال تعالى فى حقّ المنافقين «يُخادِعُونَ اللّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ وَ إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النّاسَ وَ لا يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاّ قَلِيلاً ».

قال بعض المفسّرين: إنّما وصف الذّكر بالقلّه لأنّه سبحانه لم يقبله و كلّ ما ردّه اللّه فهو قليل.

روى الطبرسـى فى مجمع البيان عن العياشـى باسـناده عن مسعده بن زياد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سئل فيم النّجاه غدا؟ قال:

النّجاه أن لا تخادعوا اللّه فيخدعكم فانّه من يخادع اللّه يخدعه و نفسه يخدع لو شعر، فقيل: إنّه فكيف يخادع اللّه، قال: يعمل بما أمره اللّه ثمّ يريـد به غيره، فـاتّقوا الرّيـا فانّه شـرك باللّه إنّ المرائى يـدعى يوم القيامه بأربعه أسـماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك و بطل أجرك و لا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل به.

فقد ظهر بذلك أنّ الذّكر المشوب بالرّيا غير مكتوب فى صحايف الحسنات بل فى صحايف السيّئات، و الذّاكر كذلك مكتوب فى الخائبين الخاسرين فضلا عن الغافلين، هذا.

و لا يخفى حسن المقابله و المطابقه بين هذه القرينه و القرينه السابقه من كلامه عليه السّلام و هى من مقابله الثلاثه بالثلاثه.

(يعفو عمّن ظلمه و يعطى من حرمه و يصـل من قطعه) هـذه الصّـِفات الثلاثـ من مكـارم الأخلاـق و محامـد الخصـال، فالاـولى مندرجه تحت الشجاعه، و الثانيه مندرجه تحت السخاء، و الثالثه مندرجه تحت العفّه، و قد ورد الأخبار فى فضلها كثيرا.

منها ما رواه فى الكافى باسـناده عن عبد اللّه بن سـنان عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى خطبه: ألا أخبركم بخير خلايق «أخلاق خ» الدّنيا و الاخره: العفو عمّن ظلمك

و تصل من قطعک، و الاحسان إلی من أساء إلیک، و إعطاء من حرمک.

و عن أبی حمزه الثمالی عن علیّ بن الحسین علیهما السّلام قال: سمعته یقول: إذا کان یوم القیامه جمع اللّه تبارک و تعالی الأوّلین و الاخرین فی صعید واحد ثمّ ینادی مناد أین أهل الفضل، قال: فیقوم عنق من النّاس فتلقّاهم الملائکه فیقولون: و ما کان فضلکم؟ فیقولون: کنّا نصل من قطعنا و نعطی من حرمنا و نعفو عمن ظلمنا، قال:

فیقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنّه و عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: ثلاث لا یزید اللّه بهنّ المرء إلاّ عزّا: الصّفح عمّن ظلمه، و إعطاء من حرمه، و الصّله لمن قطعه.

و الأخبار فی هذا المعنی کثیره أوردها الکلینی فی باب العفو من الکافی و لا مهمّ بنا إلی الاطاله، هذا.

و انّما خصّ العفو بمن ظلمه لقوّه الدّاعی الی الانتقام عنه و حاجه العفو حینئذ إلی مجاهده نفسانیّه کامله و کذلک إعطاء من حرمه وصله من قطعه.

قال بعض شرّاح الکافی: من صفات الکرام العفو عن الظّلم و التّجاوز عن المسیء، و من صفات اللّئام الانتقام و طلب التّشفی و المعاقبه لدفع الغیظ و هو آفه نفسانیه تغیّر الجهّال و النّاقصین من أجل تأثّر نفوسهم عن کلّ ما یخالف هواها.

و أمّا إعطاء من حرمک فالمقصود به أنّه إذا أحسنت إلی أحد و لم یقابل إحسانک باحسان أو قابلک بالاساءه و الکفران، فلا ترغب عن احسانه بکفرانه، فانّه إذا لم یشکرک فقد یشکرک غیره و لو لم یشکرک أحد فانّ اللّه یحبّ المحسنین کما نطق به الکتاب المبین، و کفی شرفا و فضلا بأن تخاطب بخطاب أین أهل الفضل یوم حشر الأوّلین و الاخرین.

و أمّا صله من قطعک فالمراد بها وصله بالمال و الید و اللّسان و مراقبه أحواله بقدر الامکان لا سیما إذا کان من الأرحام حسبما عرفت فی شرح الفصل الثانی من الخطبه الثّالثه و العشرین علی بسط و تفصیل.

(بعیدا فحشه) إن ارید بالفحش معناه الظاهر أی السبّ و بذاءه اللّسان فلا بدّ

من صرف لفظ البعيد عن ظاهره و جعله كنايه عن العدم، و إن ابقى البعد على ظاهره المفيد لاقدامه على الفحش احيانا فلا بدّ من ارتكاب التأويل فى لفظ الفحش و جعل المراد به فضول الكلام و القول القبيح الغير البالغ إلى حدّ الحرام لئلاّ ينافى ملكه العداله و التّقوى الّتى للمتّقى.

و كيف كان فالفحش بمعناه الظاهر من الموبقات العظيمه، و قد حذّر منه فى الأخبار الكثيره و بشّر الفحّاش بالنّار.

مثل ما فى الكافى باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من علامات شرك الشّيطان الّذى لا يشكّ فيه أن يكون فحاشا لا يبالى بما قال و لا بما قيل له.

و عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إذا رأيتم الرّجل لا يبالى ما قال و لا ما قيل له فانّه لغيّه أو شرك شيطان.

و عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ اللّه حرّم الجنّه على كلّ فحّاش بذىّ قليل الحياء لا يبالى ما قال و لا ما قيل له، فانّك إن فتّشته لم تجده إلاّ لغيّه أو شرك شيطان قيل: يا رسول اللّه و فى النّاس شرك شيطان؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أما تقرء قول اللّه عزّ و جل «وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ » قال: و سأل رجل فقيها هل فى النّاس من لا يبالى ما قيل له؟ قال: من تعرّض النّاس بشتمهم و هو يعلم انّهم لا يتركونه فذلك لا يبالى ما قال و لا ما قيل له.

و عن سماعه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ من شرّ عباد اللّه من تكره مجالسته لفحشه.

و عن أبى عبيده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: قال: البذاء من الجفاء و الجفاء فى النّار.

(ليّنا قوله) أى يتكلّم بالرّفق و لا يغلظ فى كلامه، فانّ الرّفق فى القول يوجب المحبّه و يجلب الالفه و يدعو إلى الاجابه عند الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و لذلك أمر اللّه عزّ و جل موسى و هارون عليهما السّلام عند بعثهما إلى فرعون بأن يقولا له قولا ليّنا ليكون أسرع إلى القبول و أبعد من النّفور.

و روى فى الكافى باسناده عن عمّار السّاباطى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال كان:

أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: لیجتمع فی قلبک الافتقار إلی النّاس و الاستغناء عنهم، فیکون افتقارک الیهم فی لین کلامک و حسن بشرک، و یکون استغناؤک عنهم فی نزاهه عرضک و بقاء عزّک.

(غائبا منکره حاضراً معروفه) أی مفقودا أعماله القبیحه المحرّمه موجودا أعماله الحسنه المتضمّنه للرّجحان الشرعی من الواجبات و المندوبات.

(مقبلا خیره مدبرا شرّه) یعنی أنّه من الأخیار کثیر الخیر قلیل الشرّ کما وصفه سابقا بقوله: الخیر منه مأمول و الشرّ منه مأمون.

و محصّل معناه أنّ خیره فی إقبال یزید شیئا فشیئا و شرّه فی إدبار ینقص شیئا فشیئا إذ بقدر الزیاده فی طلب الخیر یحصل النّقیصه فی جانب الشرّ لأنّ کثره أحد المتضادّین توجب بمقتضی التضّاد قلّه الاخر کما هو ظاهر.

(فی الزّلازل وقور) یعنی أنّه فی النوازل و الشّداید و الحوادث العظیمه الموجبه لاضطراب النّاس متّصف بشدّه الوقار و الرّزانه و السّکینه و الثّبات کالجبل لا تحرّکه العواصف، و الوقار من جنود العقل و یقابله الخفّه و هی الطیش و العجله من جنود الجهل.

(و فی المکاره صبور و فی الرّخاء شکور) لأنّ الایمان نصفان: نصف صبر و نصف شکر کما فی الحدیث المرفوع فی احیاء العلوم عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المتّقی بما له من وصف التّقوی و الایمان قد أکمل بأخذهما کلا شطری الایمان.

و إنّما کانا نصف الایمان لأنّ الایمان الکامل حسبما عرفت فیما تقدّم هو ما تضمّن العلم و العمل، و کلّ ما یلاقیه العبد من الأعمال ینقسم الی ما ینفعه فی الدّنیا و الاخره و إلی ما یضرّه فیهما، و له بالاضافه إلی ما یضرّه و یکرهه طبعه حال الصبر و بالاضافه الی ما ینفعه حال الشکر.

(لا یحیف علی من یبغض) أی لا یظلمه مع قوّه الدّاعی إلی الحیف و هو البغض و العداوه (و لا یأثم فیمن یحبّ) مع قیام الدّاعی إلی الاثم و هو المحبّه.

و محصّل هاتین الفقرتین أنّه لا یخرجه الحبّ و البغض عن تکلیفه الشرعی

إلى ما يخالفه كما هو شأن قضاه السوء و امراء الجور و وظيفه أهل الهوى و العصبيّه.

(يعترف بـالحقّ قبـل أن يشـهد عليه) لأنّ مسيس الحاجه إلى الاشـهاد إنّما يكون فى صوره الانكار و إنكار الحق كـذب صـريح مناف للتّقوى و العداله.

(لا ـ يضيّع ما استحفظ) أى لا يضيّع ما أمر اللّه بمحافظته من الصلوات الخمس و نحوها من الطاعات قال سبحانه «حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاهِ الْوُسْطى » و قال أيضا «وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ » و بشّر الحافظين لها فى سوره المؤمنين بقوله «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ أُولئِکَ هُمُ الْوارِثُونَ اَلَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ » و فى سوره المعارج بقوله «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ أُولئِکَ فِی جَنّاتٍ مُکْرَمُونَ ».

و المراد بمحافظتها محافظه أوقاتها و حدودها و مراعات آدابها و شرايطها و المداومه عليها، و ضدّ المحافظه التّهاون و الأوّل من جنود العقل، و الثانى من جنود الجهل كما فى حديث الكافى، و المراد بالتضييع هنا الأعمّ من الترك و التهاون و الاخلال بالحدود الموظفه.

(و لا ينسى ما ذكر) التذكّر و النّسيان أمران متقابلان، و الأول من جنود العقل و الثّانى من جنود الجهل.

و توضيح معناهما حسبما أوضحه بعض المحقّقين أنّ الادراك فينا عباره عن حصول الصّوره العقليّه أو الحسّيه فى قوّه من قوانا، و تلك القوّه هى المسمّاه بالمدركه، و الحفظ عباره عن وجود تلك الصّوره فى قوّه اخرى فوقها هى المسمّاه بالخزانه و الحافظه، و التّذكّر عباره عن استحضار تلك الصّوره مرّه اخرى من الحافظه بعد اختزانها فيها، و النّسيان عباره عن زوالها عن المدركه و الحافظه بما هى حافظه جميعا، و السّهو عباره عن زوالها من المدركه فقط لا من الحافظه.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ المراد بقوله لا ينسى ما ذكر أنّه لا ينسى المتّقى ما ذكره اللّه سبحانه بايات كتابه الكريم من الفرائض و الأحكام و العبر و الأمثال و غيرها ممّا فيه تذكره و ذكرى لاولى الألباب، بل يعمل بها و يداوم على ملاحظتها

و يكثر من اخطارها بباله و لا يغيبها عن نظره.

(و لا ينابز بالألقاب) لكون النّبز منهيّا عنه فى الكتاب الحكيم قال سبحانه «وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ» أى لا يدعو بعضكم بعضا باللقب السوء مثل قول الرّجل للرّجل يا كافر يا فاسق يا منافق بئس الشىء تسميته باسم الفسوق يعنى الكفر بعد الايمان، و النكته فى النهى عنه كونه موجبا للتباغض و العداوه و إثاره الفتن.

(و لا يضارّ بالجارّ) لوجوب كفّ الأذى عن الجار كما صرّح به فى غير واحد من الأخبار.

روى فى الوسائل عن الكلينى باسناده عن طلحه بن زيد عن أبى عبد اللّه عن أبيه عليهما السّلام قال: قال: قرأت فى كتاب علىّ عليه السّلام انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كتب بين المهاجرين و الأنصار و من لحق بهم من أهل يثرب: انّ الجار كالنفس غير مضارّ و لا اثم و حرمه الجار على الجار كحرمه امه.

و عن عمرو بن عكرمه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أتاه رجل من الأنصار فقال: إنى اشتريت دارا من بنى فلان و انّ أقرب جيرانى منّى جوارا من لا أرجو خيره و لا آمن شرّه، قال: فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليا و سلمان و أبا ذر و نسيت آخر و أظنه المقداد أن ينادوا فى المسجد بأعلى صوتهم بأنه: لا ايمان لمن لم يأمن جاره بوايقه، فنادوا بها ثلاثا ثمّ اومى بيده إلى كلّ أربعين دارا من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله.

و عن أبى حمزه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: المؤمن من آمن جاره بوايقه، قلت: ما بوايقه؟ قال: ظلمه و غشمه.

و فيه عن الصدوق باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عن علىّ عليهم السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث المناهى قال: من أذى جاره حرّم اللّه عليه ريح الجنه و مأواه جهنّم و بئس المصير، و من ضيّع حقّ جاره فليس منّا و ما زال جبرئيل يوصينى بالجار حتّى ظننت أنه سيورثه، و ما زال يوصينى بالمماليك

حتى ظننت أنه سيجعل لهم وقتا إذا بلغوا ذلك الوقت اعتقوا، و ما زال يوصينى بالسواک حتى ظننت أنه سيجعله فريضه، و ما زال يوصينى بقيام اللّيل حتى ظننت أنّ خيار امتى لن يناموا.

(و لا يشمت بالمصائب) لأنّ المصائب النازله إنما هى بقضاء من اللّه عزّ و جلّ و قدر و الشامت بسبب نزولها بغيره فى معرض أن تصيبه مثلها فكيف يشمت و يفرح بمصيبه نزلت به.

روى فى الكافى باسناده عن أبان بن عبد الملک عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لا تبدى الشماته لأخيک فيرحمه اللّه و يصيّرها بک.

و قال عليه السّلام من شمت بمصيبه نزلت بأخيه لم يخرج من الدّنيا حتى يفتتن، هذا.

مضافا إلى أنّ فى الشماته بالمؤمن كسرا لقلبه و إدخالا للحزن عليه، و هو خلاف غرض الشارع.

و لذلک قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا رأيتم أهل البلا فاحمدوا اللّه و لا تسمعوهم فانّ ذلک يحزنهم رواه فى الكافى عن حفص بن عمر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و لا يدخل فى الباطل و لا يخرج من الحقّ) الأولى أن يراد بالباطل كلّما يبعد من اللّه تعالى، و بالحقّ كلّما يقرب منه عزّ و جلّ، فالمعنى أنه لا يخرج عن سمت الهدى إلى مسلک الضلال و الرّدى.

(إن صمت لم يغمه صمته) لأنه بمقتضى عقله و كماله يضع كلّا من الصمت و الكلام فى موضعه اللّايق به و مقامه المناسب له، فلا يكون داع إلى التكلّم فى مقام مقتض للصمت حتى يكون إمساكه عن التكلّم موجبا لاغتمامه.

و بعباره اخرى الاغتمام بالصمت إنما يكون ممن تعود لسانه بالهذر أى الهذيان و فضول الكلام و اعتاد الخوض فيما لا يعنى، و أهل التقوى لعلمهم بما فى الصمت من الثمرات الدّنيويه و الاخرويه، و بما فى الكلام من المفاسد و الافات الكثيره كالخطاء و الكذب و الغيبه و النميمه و الرّيا و النفاق و الفحش و الجدال و تزكيه النفس و الخوض

فى الباطل و الفضول و التحريف و الزّياده و النقصان و إيذاء الخلق و هتك العورات إلى غير هذه من الافات اعتادوا أن لا يزيدوا فى كلامهم على قدر الحاجه، و التزموا الصمت إلاّ فى مقام الضروره.

و الى ذلك ينظر قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه و أنفق الفضل من ماله.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام إن كان كلامك من فضّه فأيقن أن السكوت من ذهب و قيل: أليق شىء يكون فى السجن هو اللسان، و قيل: اللسان صغير الجرم عظيم الجرم قال ابو بكر بن عياش: اجتمع أربعه ملوك: ملك الهند و ملك الصين و كسرى و قيصر فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت و لا أندم على ما لم أقل، و قال الثانى: إنى إذا تكلّمت بكلمه ملكتنى و لم أملكها و إذا لم أتكلّم بها ملكتها و لم تملكنى، و قال الثالث: عجبت للمتكلّم إن رجعت عليه كلمته ضرّته و إن لم ترجع لم تنفعه، و قال الرابع: أنا على ردّ ما لم أقل أقدر منى على ردّ ما قلت.

و قد ورد فى مدح الصمت و ذمّ التكلّم من الأخبار ما هو غير محصور.

مثل ما فى الكافى باسناده عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر قال: قال أبو الحسن عليه السّلام: من علامات الفقه العلم و الحلم و الصمت إنّ الصمت باب من أبواب الحكمه إنّ الصمت يكسب المحبه انه دليل على كلّ خير.

و عن الحلبى رفعه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أمسك لسانك فانها صدقه تصدق بها على نفسك ثمّ قال: و لا يعرف عبد حقيقه الايمان حتى يخزن من لسانه.

و عن الحلبى أيضا رفعه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: نجاه المؤمن من حفظ لسانه.

و عن أبى بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: كان أبو ذر يقول: يا مبتغى العلم إنّ هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شرّ فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك و ورقك.

و عن عمر بن جميع عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: قال: كان المسيح يقول: لا تكثروا

الكلام فی غیر ذکر اللّه فانّ الذین یکثرون الکلام فی غیر ذکر اللّه قاسیه قلوبهم و لکن لا یعلمون.

و عن الوشا قال: سمعت الرّضا علیه السّلام یقول: کان الرّجل من بنی إسرائیل إذا أراد العباده صمت قبل ذلک عشر سنین.

و عن منصور بن یونس عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: فی حکمه آل داود: علی العاقل أن یکون عارفا بزمانه مقبلا علی شأنه، حافظا للسانه.

إلی غیر هذه ممّا لم نطل بروایتها، و قد مضی بعضها فی شرح الخطبه السّابعه و السّبعین.

(و إن ضحک لم یعل صوته) لأنّ ضحک المؤمن التّبسّم و القهقهه من الشیطان کما رواه فی الوسائل من الکافی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام.

و فیه أیضا من مجالس الشّیخ عن هارون بن عمرو بن عبد العزیز عن محمّد بن جعفر بن محمّد عن أبیه أبی عبد اللّه عن آبائه عن علیّ علیهم السّلام قال: کان ضحک النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم التّبسّم، فاجتاز ذات یوم بفتیه من الأنصار و إذا هم یتحدّثون و یضحکون ملأ أفواههم، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: مه یا هؤلاء من غرّه منکم أمله و قصّر به فی الخیر عمله فلیطلع القبور و لیعتبر بالنّشور و اذکروا الموت فانّه هادم اللّذات و من مجالس الصّدوق بسنده عن معاویه بن عمّار عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال کان بالمدینه رجل بطّال یضحک النّاس فقال: قد أعیانی هذا الرّجل أن اضحکه یعنی علیّ بن الحسین علیهما السّلام، الحدیث و فیه إن علیّ بن الحسین علیهما السّلام قال: قولوا له: إنّ للّه یوما یخسر فیه المبطلون.

و من عیون الأخبار عن الرّضا عن أبیه موسی بن جعفر علیهم السّلام قال: قال الصّادق علیه السّلام: کم ممّن أکثر ضحکه لاغیا یکثر یوم القیامه بکاؤه، و کم ممّن کثر بکاؤه علی ذنبه خائفا یکثر یوم القیامه فی الجنّه ضحکه و سروره.

(و إن بغی علیه صبر حتّی یکون اللّه هو الّذی ینتقم له) یعنی إن ظلمه أحد

و تعـدّى عليه صبر على ذلـك و فوّض أمره إلى اللّه عزّ و جـلّ حتّى ينتقم له من الباغى لأنّه تعالى قـد وعـد له النصـره فى كتابه العزيز بقوله «وَ مَنْ عـاقَبَ بِمِثْـلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُـرَنَّهُ اللّٰهُ » أى من جازى الظالم بمثل ما ظلمه ثمّ ظلم عليه لينصـرنّه اللّه أى المظلوم الّـذى بغى عليه لاـ محـاله، و إنّمـا يصبر المتّقى على بغى البـاغى و لاـ يجـازيه عملاـ بقوله سـبحانه «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعـاقِبُوا بِمِثْـلِ مـا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّـٰابِرِينَ » يعنى إن أردتـم معـاقبه غيركـم على وجه المجازاه و المكافاه فعاقبوا بقـدر ما عوقبتم به و لا تزيـدوا عليه و لئن تركتم المكافاه و القصاص و جرعتم مرارته لهو أى الصّبر خير و أنفع للصّابرين لما فيه من جزيل الثواب.

(نفسه منه فى عنـاء و النّـاس منه فى راحه) أى نفسه منه فى تعب و مشـقّه لمجاهـدته لهـا و مخـالفته لهواهـا و حمله إيّاها على ما تكره و ردعه لها عمّا تحبّ كما عرفت فى شـرح قوله عليه السّلام: إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحبّ، كلّ ذلك لعلمه بأنّها أمّاره بالسّوء و أنّها له عـدوّ مبين، و لـذلك كان النّاس منه فى راحه، لأنّ ايذاء النّاس من هوى الأنفس فاذا كان قاهرا لها على خلاف هواها يكون النّاس مأمونين من شرّها مستريحين من أذاها (أتعب نفسه لاخرته و أراح النّاس من نفسه) و هـذه الجمله فى الحقيقه تعليـل و توضـيح للجمله السّـابقه، لأنّه لما قال هناك: نفسه منه فى عناء، علّله هنا بأنّ إتعابه لنفسه إنّما هو لأجل آخرته.

فقد روى فى الوسائل عن الصّدوق عن شعيب العرقوفى عن الصّادق عليه السّلام:

قال: من ملك نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا اشتهى و إذا غضب و إذا رضى حرّم اللّه جسده على النّار.

و لمّا قال ثمّه: النّاس منه فى راحه، أوضحه هنا بأنّ استراحتهم من شرور نفسه لمجاهدته لها.

كما روى فى الوسائل عن الصدوق عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السّـلام فى وصـيّه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلىّ عليه السّلام: قال: يا على أفضل الجهاد من أصبح لا يهمّ بظلم أحد

ص:۱۵۷

(بعده عمّن تباعد عنه زهد و نزاهه) يعنى بعده عن أهل الدّنيا و عن مجالسهم من باب الزّهد و التباعد عن مكروههم و أباطيلهم.

(و دنوّه ممّن دنـا منه لين و رحمه) أى قربه من المؤمنين من بـاب التعـاطف و التواصل كما قال تعالى «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ».

قـال فى مجمع البيان: قال الحسن: بلغ تشـدّدهم على الكفّار أن كانوا يتحرّزون من ثياب المشـركين حتّى لا يلتزق بثيابهم، و عن أبدانهم حتّى لا تمسّ أبدانهم، و بلغ تراحمهم فيهما بينهم أن كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلّا صافحه و عانقه.

روى فى الكافى باسـناده عن شـعيب العقرقوفى قال: سـمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول لأصحابه: اتّقوا اللّه و كونوا اخوه برره متحابّين فى اللّه متواصلين متراحمين تزاوروا و تلاقوا و تذاكروا أمرنا و أحيوه.

و عن كليب الصّـيداوى عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قـال: تواصـلوا و تبارّوا و تراحموا و كونوا اخوه برره كما أمركم اللّه عزّ و جلّ.

و عن أبى المعزا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: تواصلوا و تبارّوا و تراحموا و كانوا اخوه برره كما أمركم اللّه عزّ و جلّ.

و عن أبى المعزا عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: يحقّ على المسـلمين الاجتهاد فى التواصل و التعاون على التعاطف و المواساه لأهل الحاجه و تعاطف بعضـهم على بعض حتّى تكونوا كما أمركم اللّه عزّ و جلّ رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقـد ظهر بـذلك أنّ تباعـده و تـدانيه عمّن تباعـد عنه و دنى منه من بـاب المواظبه على الوظايف و الاداب الشـرعيّه و أنّه (ليس تباعده بكبر و عظمه و لا دنوّه بمكر و خديعه) كما هو فعل أبناء الدّنيا و ذوى الأغراض الفاسده و من شأن أهل النفاق يخادعون اللّه و هو خادعهم، و إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا و اذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزؤن.

(قال) الرّاوى للحديث (فصـعق همام صـعقه) أى غشى عليه غشوه من فزع ما سمع من الموعظه البالغه كما خرّ موسى عليه السّلام صعقا أى مغشيا عليه من هول ما رأى (كانت نفسه فيها) أى مات فى تلك الغشوه و خرج روحه من بدنه

ص:۱۵۸

قال الشارح المعتزلى: اعلم أنّ الوجد أمر شريف قد اختلف الناس فيه فقالت الحكماء فيه أقوالا، و قالت الصوفيه فيه أقوالا.

أما الحكماء فقالوا: الوجد حاله تحدث للنفس عند انقطاع علايقها عن المحسوسات بغته إذا كان قد ورد عليها وارد مشوّق، و قال بعضهم: الوجد هو اتّصال النفس بمباديها المجرّده عند سماع ما يقتضى ذلك الاتّصال.

و أمّا الصّوفيّه فقد قال بعضهم: الوجد رفع الحجاب و مشاهده المحبوب و حضور الفهم و ملاحظه الغيب و محادثه السرّ و هو فناؤك من حيث أنت أنت، و قال بعضهم: الوجد سرّ اللّه عند العارفين و مكاشفه من الحقّ يوجب الفناء، و الأقوال فيه متقاربه المعنى و ان اختلّ العباره، انتهى.

و هى كلّها مخالفه لمذاق أهل الشّرع ما فيه للأخبار.

و كيف كان (فقال أمير المؤمنين عليه السّلام أما و اللّه لقد كنت أخافها) أى تلك الصعقه الّتى فيها موت همّام (عليه ثمّ قال عليه السّلام: هكذا تصنع المواعظ البالغه بأهلها، فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين) لا تصنع موعظتك بك ما صنعت بهمّام (فقال:

ويحك إنّ لكلّ أجل) محتوم (وقتا) معيّنا (لا يعدوه) أى لا يتجاوزه و لا يتأخّر عنه كما قال تعالى «إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ »(و سببا) أى علّه معيّنه (لا يتجاوزه) أى لا يتجاوز عنه إلى سبب آخر.

و محصّل الجواب أنّ كلّ انسان له أجل حتمى مقدّر و وقت معيّن لموته لا يتقدّم و لا يتأخّر و علّه معيّنه لأجله لا تتبدّل و لا تتغيّر كما قال تعالى «وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً » و على ذلك فانّما مات همّام باستماع الموعظه البالغه لأنّه قد تمّ عمره و بلغت مدّه حياته الّتى قدّرت فى حقّه غايتها مع حصول السبب المعين المكتوب فى امّ الكتاب لموته و هو الانفعال بالموعظه و أما أنا فلم يكمل أيامى بعد و لم يبلغ أجلى غايته و السبب المقدّر فى حقى غير هذا السبب و هو ما أنتظره من ضربه ابن ملجم المرادى عليه اللّعنه و العذاب.

و الحاصل أنّ مشيه اللّه و اذنه عزّ و جلّ قد تعلّق بموت همام عن سببه الذى حصل

و لم يتعلّق بعد بموتى و لم يحصل سببه، و ان شئت مزيد توضيح لذلک فعليک بالکلام الحادى و السّتّين و شرحه، هذا.

و لما أجاب عليه السّلام عن اعتراض القائل نهاه عن العود إلى مثل ذلک بقوله (فمهلا لا تعد لمثلها) أى لا ترجع إلى مثل تلک الکلمه (فانما نفث الشيطان) أى نفخ و تکلّم (على لسانک).

تکمله

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه حسبما اشرت اليه سابقا مرويّه فى الکافى باختلاف کثير جدّا اقتضى المقام روايتها بالسّند الّذى فيه و اتباعها ببيان غرايب ألفاظها فأقول و باللّه التوفيق:

روى ثقه الاسلام محمّد بن يعقوب الکلينى قدّس اللّه روحه عن محمّد بن يحيى عن جعفر عن محمّد بن إسماعيل عن عبد اللّه بن زاهر عن الحسن بن يحيى عن قثم بن أبى قتاده الحرّانى عن عبد اللّه بن يونس عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

قام رجل يقال له همّام و کان عابدا ناسکا مجتهدا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يخطب، فقال يا أمير المؤمنين صف لنا صفه المؤمن کأنّنا ننظر إليه فقال عليه السّلام:

يا همام المؤمن هو الکيّس الفطن، بشره فى وجهه، و حزنه فى قلبه، أوسع شىء صدرا، و أذلّ شىء نفسا، زاجر عن کلّ فان، حاض عن کلّ حسن، لا حقود، و لا حسود، و لا وثّاب، و لا سبّاب، و لا عيّاب، و لا مغتاب، يکره الرّفعه، و يشنأ السمعه، طويل الغمّ، بعيد الهمّ، کثير الصّمت، وقور، ذکور، شکور، مغموم بفکره، مسرور بفقره، سهل الخليقه، لين العريکه، رصين الوفاء، قليل الاذى، لا متأفّک، و لا متهتّک، إن ضحک لم يخرق، و إن غضب لم ينزق، ضحکه تبسّم، و استفهامه تعلّم، و مراجعته تفهّم، کثير علمه، عظيم حلمه، کثير الرّحمه، لا يبخل، و لا يعجل، و لا يضجر، و لا يبطر، و لا يحيف فى حکمه، و لا يجور فى علمه، أصلب من الصلد، و مکادحته أحلى من الشهد، لا جشع، و لا هلع، و لا عنف، و لا

صلف، و لاـ متكلّف، و لاـ متعمّق، جميل المنازعه، كريم المراجعه، عـدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهوّر، و لا يتهتّك، و لا يتجبّر، خالص الودّ، وثيق العهـد، و فيّ العقد، شـفيق وصول، حليم خمول، قليل الفضول، راض عن اللّه عزّ و جلّ، مخالف لهواه، لاـ يغلـظ على من دونه، «يؤذيه خ» و لا يخوض فيما لا يعنيه، ناصـر للـدّين، محام عن المؤمنين كهف للمسـلمين، لا يخرق الثناء سمعه، و لاـ ينكى الطمع قلبه، و لاـ يصـرف اللّعب حكمه، و لاـ يطلع الجاهـل علمه، قوّال، عمـال، عـالم، حـازم، لا بفحّاش، و لا بطيّاش، وصول فى غير عنف، بذول فى غير سـرف، لا بختّار، و لا بغدّار، و لا يقتفى اثرا، و لا يحيف بشرا، رفيق بالخلق، ساع فى الأرض، عون للضـعيف، غوث للملهوف، لا يهتك سترا، و لا يكشف سرّا، كثير البلوى، قليل الشكوى، إن رأى خيرا ذكره، و ان عاين شرّا ستره، يستر العيب، و يحفظ الغيب، و يقيل العثره، و يغفر الزّلّه، لا يطلع على نصح فيذره، و لا يدع جنح حيف فيصلحه، أمين، رصـين، تقىّ، نقىّ، زكىّ، رضـىّ، يقبل العـذر، و يجمل الـذّكر، و يحسن بالنّاس الظنّ، و يتّهم على العيب نفسه، يحبّ فى اللّه بفقه و علم، و يقطع فى اللّه بحزم و عزم، لا يخرق به فرح، و لا يطيش به مرح، مـذكّر للعالم، معلّم للجاهل، لا يتوقّع له بائقه، و لا يخاف له غائله، كلّ سعى أخلص عنده من سعيه، و كلّ نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيبه، شاغل بغمّه، لا يثق بغير ربّه، غريب «خ ل قريب»، وحيـد حزين، يحبّ فى اللّه و يجاهد فى اللّه ليتّبع رضاه، و لا ينتقم لنفسه بنفسه، و لا يوالى فى سـخط ربّه، مجالس لأهل الفقر، مصادق لأهل الصّدق، موازر لأهل الحقّ، عون للغريب، أب لليتيم بعل للأرمله، حفى بأهل المسـكنه، مرجو لكلّ كريهه، مأمول لكل شدّه، هشّاش، بشّاش، لا بعبّاس، و لا بجسّاس، صـليب، كظّام، بسّام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لا يبخل، و إن بخـل عليه «خ ل عنه» صبر، عقل فاسـتحيى، و قنع فاسـتغنى، حياؤه يعلو شـهوته، و ودّه يعلو حسـده، و عفوه يعلو حقـده، لا ينطق بغير صواب، و لا يلبس إلاّ الاقتصاد، مشيه التّواضع، خاضع لربّه بطاعته، راض عنه فى كل حالاته، نيّته خالصه، أعماله ليس فيها غشّ و لا خديعه،

نظره عبره، و سکوته فکره، و کلامه حکمه، مناصحا، متبادلا، متواخیا، ناصح فی السرّ و العلانیه، لا یهجر أخاه، و لا یغتابه، و لا یمکر به، و لا یأسف علی ما فاته، و لا یحزن علی ما أصابه، و لا یرجو ما لا یجوز له الرّجا، و لا یفشل فی الشدّه، و لا یبطر فی الرّخا، یمزج العلم بالحلم، و العقل بالصبر، تراه بعیدا کسله، دائما نشاطه، قریبا أمله، قلیلا زلله، متوقعا لأجله، خاشعا قلبه، ذاکرا ربّه، قانعه نفسه، منفیا جهله، سهلا أمره، حزینا لذنبه، میته شهوته، کظوما غیظه، صافیا خلقه، آمنا منه جاره، ضعیفا کبره، قانعا بالذی قدّر له، مبینا «متینا خ» صبره، محکما أمره کثیرا ذکره، یخالط النّاس لیعلم، و یصمت لیسلم، و یسأل لیفهم، و یتّجر لیغنم، لا ینصب للخیر لیفخر به، و لا یتکلّم لیتجبّر به علی من سواه، نفسه منه فی عناء، و الناس منه فی راحه، أتعب نفسه لاخرته فأراح النّاس من نفسه، إن بغی علیه صبر حتی یکون اللّه الّذی ینتصر له، بعده ممّن تباعد منه بغض و نزاهه، و دنوّه ممّن دنا منه لین و رحمه، لیس تباعده تکبرا و لا عظمه، و لا دنوّه خدیعه و لا خلابه، بل یقتدی بمن کان قبله من أهل الخیر، فهو إمام لمن بعده من أهل البرّ.

قال: فصاح همّام صیحه ثمّ وقع مغشیا علیه، فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: أما و اللّه لقد کنت أخافها علیه و قال: هکذا تصنع الموعظه «المواعظ خ» البالغه بأهلها فقال له علیه السّلام قائل: فما بالک یا أمیر المؤمنین؟ فقال علیه السّلام: إنّ لکلّ أجلا لن «لا خ» یعدوه و سببا لا یجاوزه، فمهلا لا تعد فانما نفث علی لسانک شیطان.

بیان

«الکیس» العاقل من الکیس وزان فلس خلاف الحمق و قیل: جوده القریحه و قوله: «و لا وثاب» أی لیس بخفیف من وثب وثوبا قام بسرعه قوله: «وقور» أی کثیر الوقار فی الامور الموجبه لاضطراب النّاس.

قوله «لین العریکه» أی سلس مطیع منقاد و العریکه الطّبیعه قوله «رصین الوفاء» بالصّاد المهمله الحکم الثابت و الحفیّ بحاجه صاحبه من رصنه أی أحکمه

و أكمله قوله «إن ضحكك لم يخرق» أى لم يشقّ فاه حتّى يبلغ ضحكه القهقهه قوله «إن غضب لم ينزق» أى لا ـ يأخذه الخفّه و الطيش عند الغضب قوله «و لا بطر» من البطر و هو الطغيان عند النعمه. و قيل التّجبّر و شدّه النشاط.

قوله «أصلب من الصّيلد» أى لا ـ يدخل قلبه ريب و لا ـ جرع، و الصّيلد الحجر الصّيلب الأملس قوله «مكادحته» أى عمله و سعيه أحلى من العسل قوله «لا ـ جشع و لا ـ هلع» الجشع أشدّ الحرص على الطّعام و أسوئه، و الهلع أفحش الجزع قوله «و لا عنف و لا صلف» العنف وزان كتف من لا رفق له فى قوله و فعله، و العنيف مثله و الصّيلف ككتف أيضا من لا يتكلّم بما يكرهه صاحبه و يمدح نفسه و لا خير عنده يقال سحاب صلف أى قليل الماء كثير الرّعد.

قوله «لا ـ يتهوّر و لا ـ يتهتّيک» التّهوّر الوقوع فى الأمر بقلّه مبالاه، و التهتّك خرق السّتر و الافتضاح قوله «خمول قليل الفضول» أى خامل الذكر و قليل فضول كلامه قوله «لا يخرق الثّناء سمعه» لكون أعماله للّه لا للنّاس، فلا يؤثّر فيه ثناؤهم و مدحهم.

قوله: «و لا ـ ينكى الطمع قلبه» أى لا يجرحه و لا يؤثّر فيه تأثير الجرح قوله «عالم حازم» فى بعض النّسخ بالحاء المهمله من الحزم و هو التثبّت فى عواقب الامور، و فى بعضها بالجيم قوله «و لا ـ بطيّاش» الطيش النّزق و الخفّه قوله «و لا ـ بختّال» أى بخدّاع من الختل و هو المخادعه قوله «و لا يدع جنح حيف فيصلحه» أى لا يترك ظلام ظلم و اصلاحه قوله «لا يخرق به فرح» من الخرق بالخاء المعجمه و الرّاء المهمله و هو الحمق و الجهل و ضعف العقل قوله «و لا يطيش به مرح» المرح شدّه النّشاط و الفرح.

و «البائقه» النّازله الشّديده و الشرّ و الدّاهيه و «الغائله» الفساد و الشرّ و قوله «حفىّ بأهل المسكنه» أى بارّ معين قوله «هشّاش بشّاش» من الهشاشه و هو طلاقه الوجه قوله «لا ـ يهجر أخاه» الهجر الهذيان و يحتمل أن يكون من الهجر أى الترک و المفارقه قوله «و يتّجر ليغنم» أى يتّجر للاخره.

قوله «و لا دنوّه خدیعه و لا خلابه» الخلابه بکسر الخاء المعجمه و تخفیف اللاّم الخدیعه باللسان بالقول اللطیف من خلبه یخلبه من باب قتل و ضرب خدعه، و الاسم الخلابه و الفاعل خلوب کرسول.

الترجمه

از جمله خطب شریفهٔ آن امام دین است در وصف متقین.

روایت شده که مصاحبی بود از برای أمیر المؤمنین علیه السّلام همام نام که شخص عابدی بود پس گفت به آن حضرت که یا أمیر المؤمنین وصف کن از برای من پرهیز کاران را تا این که گویا من نگاه می کنم بسوی ایشان، پس سنگینی ورزیدند و درنگ کردند آن حضرت از جواب او، و بعد از آن فرمود ای همّام بپرهیز از خدا و کار نیک بکن پس بدرستی که خدای تعالی یار پرهیز کارانست و با نیکو کاران.

پس قناعت نکرد همام باین جواب تا این که سوگند داد بر حضرت در جواب گفتن پس حضرت حمد و ثنای خدا را بجا آورد و صلوات فرستاد بر پیغمبر و آل او پس گفت:

أما بعد پس بتحقیق که خداوند سبحانه ایجاد فرمود مخلوقات را وقتی که ایجاد فرمود ایشان را در حالتی که بی نیاز بود از طاعت ایشان، و ایمن بود از ضرر معصیت ایشان، از جهت این که ضرر نمی رساند او را معصیت کسی که معصیت نمود، و منفعت نمی بخشد او را اطاعت کسی که اطاعت نمود، پس قسمت فرمود در میان مخلوقات معیشتها و گذرانی ایشان را، و گذاشت ایشان را از دنیا در جایگاه ایشان که لایق شأن و مناسب حال هر یکی باشد.

پس پرهیز کاران در دنیا ایشانند أهل فضیلتها، گفتار ایشان راست و درست، و لباس ایشان حدّ وسط است، و رفتار ایشان تواضع و فروتنی است، پوشیده اند چشمهای خود را از چیزی که خدا حرام کرده برایشان، و واداشته اند گوشهای خود را بر شنیدن علم منفعت بخشنده از برای ایشان، نازل شد نفسهای ایشان از ایشان

ص:۱۶۴

در بلاـ و شدّت مثل نزول آنها در رفاه و فراخی - یعنی ایشان رضا بقضا دارند و شاکرند بطیب نفس به آن چه که در حقّ ایشان مقدّر شده - اگر نبود أجل معیّنی که نوشته شده است از برای ایشان هر آینه قرار نمی گرفت روحهای ایشان در بدنهای ایشان لحظهٔ از جهت اشتیاق بثواب و ترسیدن از عقاب.

بزرگ شد خالق تعالی در پیش نفسهای ایشان پس کوچک شد ما سوای خالق در نظر ایشان پس حال ایشان با بهشت حال کسی است با رأی العین دیده باشد او را پس در آنجا بناز و نعمت گذرانده باشد، و حال ایشان با جهنم حال کسی است که دیده باشد آنرا پس در آنجا معذّب باشد - یعنی ایشان در امر بهشت و جهنم اعتقاد یقینی دارند بمنزله مشاهده -.

قلبهای ایشان غمگین و محزونست و مردم از شرهای ایشان آسوده و ایمنند، و بدنهای ایشان لاـغر و ضعیف، و حاجت و خواهشات ایشان سبک و خفیف، نفسهای ایشان با عفت است، صبر و تحمل کردند بر زحمات چند روز کوتاه که عاقبت آن راحت و آسایش دراز گردید، تجارت با منفعتی است که میسر ساخت از برای ایشان پروردگار ایشان.

خواست ایشان را دنیا پس نخواستند ایشان دنیا را، و اسیر کرد ایشان را دنیا پس دادند نفسهای خودشان از دنیا - یعنی بمقتضای شهوت و غضب جبلی انسانی که در ایشان بود نزدیک بود که ایشان مفتون دنیا باشند و أسیر شهوات نفسانیهٔ آن شوند و لیکن ایشان بمقتضای قوّهٔ عقلانیه ترک لذایذ دنیویه کرده خودشان را از قید اسیری دنیا خلاص نمودند - أما حالت ایشان در شب پس صف زنندگانند بپاهای خودشان در حالتی که تلاوت کنندگان باشند جزئهای قرآن را در حالتی که نیک قرائت می کنند آن را نیک قرائت کردنی، با تأنّی و حفظ وقوف و أداء حروف، محزون می نمایند بسبب قراءه آن نفسهای خودشان را، و بهیجان می آورند با آن دواء درد خودشان را پس اگر بگذرند در اثنای قرائت آن بایهٔ که در آن تشویقی باشد بسوی بهشت

اعتماد می کنند بان و مایل می شوند بسوی آن آیه از جهت طمع آن بشارت و مطلع باشد نفسهایشان بسوی آن از روی شوق و گمان کنند که آن آیه – یعنی وعدهٔ بهشت که مضمون آن آیه است – پیش چشم ایشان است.

و اگر بگذرند بایهٔ که در آن ترساندن از عذاب باشد متوجه باشند بسوی آن با گوشهای قلبهای خودشان، و گمان می کنند که صدای افروخته شدن جهنم و شیون اهل آن در بیخهای گوشهای ایشانست، پس ایشان خم شوندگان باشند بر کمرهای خود، پهن سازندگان باشند مر پیشانیهای خود را و کفهای دست خود را و زانوهای خود را و سرهای پاهای خودشان را، تضرّع می کنند بسوی خدا در وا کردن گردنهای ایشان را از زنجیر عذاب.

و أما حالت ایشان در روز پس صاحبان حلم و علمند، نیکو کارانند، پرهیز کارانند، بتحقیق که باریک کرده و کاهانده است ایشان را ترس خدا مثل باریک شدن چوب تیر تراشیده شده، نگاه می کند بسوی ایشان نگاه کننده پس گمان می کند که ایشان مریضانند و حال آنکه نیست در این جماعت مرضی، و می گوید که خبط آورده اند و حال آنکه هر آینه آمیخته بایشان امر بزرگی که اشتیاق و عشق بلقاء خدا باشد.

راضی نمی شوند در عبادات و عملهای خودشان باندک، و بسیار نمی شمارند بسیار را، پس ایشان همیشه بنفسهای خود تهمت می زنند بجهت قصور در بندگی و از عبادات خود ترسنا کنند، اگر تزکیه کرده شود یکی از ایشان می ترسد از آن چیزی که در بارهٔ او گفته شده پس می گوید که: من داناترم بنفس خودم از غیر خودم و پروردگار من داناتر است از من بنفس من، با خدایا مؤاخذه مکن مرا بسبب آنچه گفتند در بارهٔ من، و بگردان مرا بهتر از آنچه گمان بردند در حق من، و بیامرز از برای من گناهی را که ایشان نمی دانند.

پس از علامت یکی از ایشانست این که تو می بینی از برای او قوّتی در دین، و احتیاطی در نرمی، و ایمانی در کمال یقین، و حرصی در تحصیل علم، و علمی در

غـایت حلم، و میـانه روی در بی نیـازی، و خضوع و خشوعی در عبادت، و اسـتغنائی در عین فقر، و صبری در حالت شـدّت، و طلبی در کسب حلال، و خوشـحالی در هـدایت، و کناره جوئی از طمع، می کند عملهای نیکو را و حال آنکه ترسـناك است، روز را بشب می آورد و حـال آنکه همّت او مصـروف بشـکر است، و شب را بصـبح می رسانـد و حال آنکه همتش مصـروف ذکر است.

بیتوته می کند در حالتی که ترسـناك است، صـباح می کند در حالتی که خوشحال، ترسناکی از جهت آنچه که ترسانده شده از غفلـت در عبـادت، و خوشـحالی بجهـت آن چیزی کـه رسـیده است از فضـل و رحمت، اگر دشـوار بگیرد بر او نفس او در چیزی که ناخوش دارد نمی بخشد بنفس خود خواهش او را در چیزی که دوست دارد آنرا.

چشم روشـنی او در نعیم آخرت جـاودانیست، و زهـد او در لـذت دنیای فانی، مخلوط میکنـد حلم را بعلم، و گفتار را بکردار، می بینی او را که نزدیکست آرزوی او، انـدك است لغزش او، ترسانست قلب او، قانعست نفس او، اندکست اکل او و آسانست کار او، محفوظست دین او، مرده است شهوت او، فرو نشانده شده است خشم او.

خیر از او امیـد گرفته شـده است، و شـرّ از او أیمن شـده، اگر در میان غافلان باشد نوشـته می شود از ذکر کنندگان، و اگر در زمرهٔ ذاکران باشد نوشـته نمی شود از غفلت کنندگان، عفو میکند از کسی که ظلم نماید او را، و عطا میکند بکسی که محروم نماید او را، و صلهٔ رحم بجا می آورد با کسی که قطع صلهٔ رحم او کرده است.

دور است از مردم فحش گفتن او، نرم و ملاـیمست گفتار او، غایب است از مردمان بـدی او، حاضـر است از برای ایشان نیکی او، اقبال کننده است خیر او، ادبار کننده است شرّ او.

و در شدایـد روزگار صاحب تمکین و وقار است، و در مصایب صبر کننـده و بردبار، و در حالت وسـعت شاکر، ظلم نمی کند بر کسی که دشمن دارد، و مرتکب

گناه نمی شود در بارهٔ کسی که دوست دارد، اقرار بحق میکند پیش از این که شهادت داده شود بضرر او، ضایع نمی سازد چیزی را که طلب شده در او حفظ آن، و فراموش نمی کند چیزی را که یاد آوری او شده، و نمی خواند مردم را بلقبهای بد، و ضرر نمی رساند به همسایه، و شماتت نمی کند بمصیبتها، و داخل نمی شود در امر باطل، و بیرون نمی رود از حق.

اگر ساکت شود غمگین نسازد او را سکوت او، و اگر بخندد بلند نشود آواز او، و اگر مظلوم شود صبر میکند تا این که باشد خدای تعالی او انتقام می کشد از برای او، نفس او از او در رنج و مشقّت است، و مردمان از او در آسودگی و راحت، بمشقّت انداخته نفس خود را از برای راحت آخرت، و راحت کرده مردمان را از شرّ نفس خود.

دوری او از کسی که دوری جسته از او از بابت زهد و پاکی است، و نزدیکی او از کسی که نزدیک شده باو از بابت ملایمت و دلسوزیست، نیست دوری جستن او بسبب کبر و بزرگی، و نه نزدیکی او بسبب مکر و خدعه.

گفت روای حدیث: پس صیحه زد همّام صیحهٔ که بود روح او در آن صیحه، پس فرمود أمیر المؤمنین علیه السّلام: آگاه باشید سوگند بخدا که هر آینه بودم می ترسیدم آن صیحه را بر او، یعنی از این جهت تثاقل می کردم در جواب، پس از آن فرمود همچنین تاثیر میکند موعظه های کامل بأهلش.

پس گفت بان حضرت گویندهٔ: پس چگونه است حال تو أی أمیر المؤمنین؟ یعنی چرا به تو این تأثیر نکرد.

پس فرمود: وای بر تو از برای هر مرگی مدّت معیّنی است که تجاوز نمی کند از آن، پس فرمود: ترک کن این کلام را و رجوع مکن بعد از این بمثل آن، پس جز این نیست که دمیده شیطان ملعون این کلام را بر زبان تو - یعنی اعتراض به امام از إغواء شیطانست.

ص:۱۶۸

و من خطبه له علیه السّلام یصف فیها المنافقین

اشاره

و هی المأه و الثالثه و التسعون من

المختار فی باب الخطب

نحمده علی ما وفّق له من الطّاعه، و ذاد عنه من المعصیه، و نسأله لمنّته تماما، و بحبله اعتصاما، و نشهد أنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عبده و رسوله، خاض إلی رضوان اللّه کلّ غمره، و تجرّع فیه کلّ غصّه، و قد تلوّن له الأدنون، و تألّب علیه الأقصون، و خلعت إلیه العرب أعنّتها، و ضربت إلی محاربته بطون رواحلها، حتّی أنزلت بساحته عداوتها من أبعد الدّار، و أسحق المزار. أوصیکم عباد اللّه بتقوی اللّه، و أحذّرکم أهل النّفاق، فإنّهم الضّالّون المضلّون، و الزّالّون المزلّون، یتلوّنون ألوانا، و یفتنّون افتنانا، و یعمدونکم بکلّ عماد، و یرصدونکم بکلّ مرصاد، قلوبهم دویّه، و صفاحهم نقیّه، یمشون الخفاء، و یدبّون الضّراء، وصفهم دواء، و قولهم شفاء، و فعلهم الدّآء العیاء، حسده الرّخاء، و مؤکّدوا

البلاء، و مقنّطوا الرّجاء، لهم بكلّ طريق صريع، و إلى كلّ قلب شفيع، و لكلّ شجو دموع، يتقارضون الثّناء، و يتراقبون الجزاء، إن سئلوا ألحفوا، و إن عذلوا كشفوا، و إن حكموا أسرفوا، قد أعدّوا لكلّ حقّ باطلا، و لكلّ قائم مائلا، و لكلّ حىّ قاتلا، و لكلّ باب مفتاحا، و لكلّ ليل مصباحا، يتوصّلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، و ينفّقوا به أعلاقهم، يقولون فيشبّهون و يصفون فيموّهون، قد هيّؤا الطّريق، و أضلعوا المضيق، فهم لمّه الشّيطان، و حمّه النّيران، أولئك حزب الشّيطان ألا إنّ حزب الشّيطان هم الخاسرون.

اللغه

قال فى محكىّ النهايه: قد تكرّر فى الحديث ذكر النّفاق و ما تصرّف منه اسما و فعلا، و هو اسم لم يعرفه العرب بالمعنى المخصوص، و هو الّذى يستر كفره و يظهر ايمانه و ان كان أصله فى اللغه معروفا يقال نافق ينافق منافقه و نفاقا، و هو مأخوذ من النافقاء احد جحرتى اليربوع إذا طلب من واحد هرب إلى الاخر و خرج منه، و قيل من النفق و هو السّرب الّذى يستتر فيه لستره كفره انتهى.

و قال الطريحى: المنافق هو الّذى يستر الكفر و يظهر غيره من النّفق و هو السّرب فى الأرض أى يستتر بالاسلام كما يستتر فى السّرب.

و (الذّود) الطّرد و الدّفع و (خاض) فى الأمر دخل فيه و أصل الخوض دخول

ص:۱۷۰

القدم فيما كان مايعا من الماء و الطّين، ثمّ كثر استعماله فى كلّ دخول فيه اذى و (الغمره) الشدّه و غمرات الموت شدائده، و فى القاموس غمره الشىء شدّته و مزدحمه و (الغصّه) الشجى فى الحلق و الجمع غصص و (سحق) المكان فهو سحيق مثل بعد فهو بعيد لفظا و معنا قال تعالى «فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ » أى بعدا و (المزار) المكان الّذى يزار منه أو فيه، و المراد هنا الأوّل و (زلّ) فلان عن الأمر أخطاه و أزلّه غيره أوقعه فى الخطاء.

و رجل (مفنن) ذو فنون فى القول و غيره (و يعمدونكم بكلّ عماد) قال الشّارح المعتزلى: أى يفدحونكم و يهدّونكم يقول عمده المرض يعمده أى هدّه بكلّ عماد أى بأمر فادح و خطب مؤلم، انتهى.

أقول: و يجوز جعل يعمدونكم بمعنى يقصدونكم و (رصدته) رصدا من باب قتل إذا قعدت له على طريقه ترقبه، و قعد فلان بالمرصد وزان جعفر و بالمرصاد بالكسر أى بطريق الارتقاب و الانتظار و (خفى) الشىء يخفى خفاء بالفتح إذا استتر و (دبّ) النّمل دبيبا مشى مشيا رويدا و (الضراء) بالفتح و تخفيف الراء و المدّ الشّجر الملتف فى الوادى و (الدّاء العياء) الّذى أعيا الأطبّاء و لم ينجع فيه الدّواء و (نفق) البيع نفاقا كسحاب راج و نفّق السّلعه تنفيقا روّجها كأنفقها و (الاعلاق) جمع علق كأحبار و حبر و هو النفيس من كلّ شيء و (التمويه) التزيين و موّه الشيء طلاه بفضّه أو ذهب و تحته نحاس ليزيّنه به.

قوله (قد هيؤا الطريق) فى بعض النسخ هيّؤا بالهمزه من التهيّاء، و فى بعض بالنّون من الهيّن و هو السّهل فكانّه منقول من الواو إلى الياء، و الأصل هوّنوا الطريق أى سهّلوها و (أضلع) الشىء أماله و جعله معوجا و ضلع الشىء ضلعا من باب تعب أعوج و (اللّمه) بضمّ اللام و فتح الميم مخففه الجماعه و بالتشديد الصاحب و الاصحاب فى السّفر و المونس يستعمل فى الواحد و الجمع و (حمّه النيران) بالتشديد معظم حرّها و بالتّخفيف سمّ العقرب.

الاعراب

من فى قوله: من الطاعه و من المعصيه بيان لما، و الضّمير فى له و عنه عايد إلى ما، و قوله: خاض إلى رضوان اللّه إلى متعلّق بمقدّر حال من فاعل خاض أى متوجّها إلى رضوانه، و الخفاء و الضّراء منصوبان على الظّرفيّه المجازيّه.

المعنى

اعلم أنّ الخطبه السّابقه لما كانت فى وصف المتّقين عقّبها الرّضىّ «قد» بهذه الخطبه الّتى يصف عليه السّلام فيها المنافقين ملاحظه لحسن النّظم و بديع ترتيب الكتاب، و المنافق حسبما عرفت آنفا هو الّذى يبطن الكفر و يظهر الايمان كما قال الشاعر:

للمؤمنين أمور محزيه و للمنافق سرّ دونه نفق

و اطلاق المنافق بهذا المعنى هو المعروف فى الكتاب و السّنه، و المستفاد من بعض الأخبار أنّه قد يطلق على الناقص الايمان.

مثل ما رواه فى الكافى فى باب أصول الكفر و أركانه عن عدّه من أصحابنا عن سهل بن زياد عن بعض أصحابه عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ثلاث من كنّ فيه كان منافقا و إن صام و صلّى و زعم أنّه مسلم:

من إذا ائتمن خان، و إذا حدّث كذب، و إذا وعد أخلف إنّ اللّه عزّ و جلّ قال فى كتابه «إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ » و قال «أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ » و فى قوله عزّ و جلّ «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ كانَ رَسُولاً نَبِيًّا ».

و فيه فى باب النفاق و المنافق باسناده عن أبى حمزه عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال:

إنّ المنافق ينهى و لا ينتهى و يأمر بما لا يأتى، و إذا قام إلى الصّلاه اعترض، قلت:

يا ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما الاعتراض؟ قال عليه السّلام: الالتفات و إذا ركع ربض، يمسى و همّه العشاء و هو مفطر، و يصبح و همّه النوم و لم يسهر، إن حدّثك كذبك و إن ائتمنته خانك، و إن غبت اغتابك، و إن وعدك أخلفك.

إذا عرفت ذلـك فأقول: إنّه عليه السّـلام قبل أن يأخـذ فی وصف المنافقين افتتـح كلامه بما جرى عادته على الافتتاح به فی باب الخطـابه من ثناء اللّه تعالى و تعظيمه و تمجيـد رسوله صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فقال (بحمـده على ما وفق له من الطاعه و ذاد عنه من المعصـيه) أى نحمده على ما وفّقنا له من طاعاته الموصـله الى جنانه و المحصـله لرضوانه، و على ما أبعدنا منه من سيئاته المؤديه الى نيرانه، و الموجبه لخذلانه.

و حصول هذا التوفيق منه عزّ و جلّ فی حقه عليه السّـلام بما أفاض عليه من القوّه العاصـمه و ملكه العصمه الدّاعيه إلى المعروف و الرّادعه عن المنكر.

و اما فی حقّ غيره الذين شرّكهم(۱) معه فی ثنائه فبالأوامر و النواهی الوارده فی الكتاب و السّنه و اجتماع شرايط الطاعه و انقطاع أسباب المعصيه.

(و نسأله لمنّته تماما) أى نسأل منه عزّ و جلّ أن يتمّ علينا نعمته، فانّه المنّان الذى يبدء بالنوال قبل السؤال.

و المراد بنعمته التى سأل تمامها إما خصوص نعمه التوفيق المذكوره فی الجمله السابقه أو الأعمّ منها، و الأوّل أولى بسـبق العهد، و الثانى أنسب بمقام السؤال فان قلت: نعم اللّه سـبحانه غير متناهيه كما قال عزّ من قائل «إِنْ تَعُـدُّوا نِعْمَهَ اللّهِ لا تُحْصُوها » فكيف سأل تماميّتها و هى أجلّ عن أن تستقصى و أعظم من أن تستتمّ.

قلت: إن اريـد بمنّته خصـوص نعمه التوفيق فلاـ إشـكال، و يراد حينئـذ بتماميّتهـا كمالهـا و اسـتمرارها إلى آخر العمر، و إن اريد الأـعمّ فيراد بتماميّتهـا أن ينضـمّ مـا أنعم به عليه فی الـدّنيا إلى نعمه الاـخره أى يصـل نعمه الـدّنيا بنعمه الاـخره كمـا قـاله بعض المفسرين فی قوله تعالى «وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلى آلِ يَعْقُوبَ كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ » من أنّ المراد بقوله يتمّ نعمته أن يصـل نعمه الـدّنيا بنعمه الاـخره بـأن يجعلهم أنبيـاء و ملوكا ثمّ ينقلهم إلى نعيم الاخره و الـدّرجات العلى من الجنّه (و) نسأله(بحبله اعتصاما)أى تمسّكا بكتابه المبين، فانّه حبل اللّه المتين

۱- (۱) -حيث قال: نحمده بصيغه المتكلّم مع الغير منه

كما وصفه عليه السّلام بذلك فى الخطبه المأه و الخامسه و السبعين و كذلك وصفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أيضا به فى حديث الثقلين الذى قدّمنا روايته فى شرح الخطبه السادسه و الثمانين.

و استعير عنه أيضا فى الكتاب العزيز فى قوله«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا »على أحد تفاسيره، و وجه الاستعاره أنّ الاعتصام و التمسك بالحبل الوثيق المحكم كما أنه سبب النجاه من المهاوى و المهالك، فكذلك بالتمسك بالقرآن يحصل النجاه من الكفر و الضلال الموجب للهلاك الدّائم و الخزى العظيم.

و روى الطريحى فى مجمع البحرين عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: الامام منّا لا يكون إلاّ معصوما و ليست العصمه فى ظاهر الخلقه فتعرف، قيل: فما معنى المعصوم؟ قال عليه السّلام: المعتصم بحبل اللّه، و حبل اللّه هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامه.

و بما ذكرناه ظهر أنّ جعل المراد بالحبل فى المتن هو القرآن أولى و أظهر من تفسيره بالدّين القويم كما فى شرح البحرانى، هذا.

و لمّا حمد اللّه عزّ و جلّ بما هو أهله عقّبه بالشهاده بالرّساله فقال (و نشهد أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عبده و رسوله) قد مرّ بيان معنى العبد و أنّ مرتبه الرّساله فوق مرتبه العبوديّه فى شرح الخطبه الاحدى و السبعين فليتذكر.

و لمّا شهد برسالته اتبعه بشرح حاله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين أداء الرّساله فقال(خاض إلى رضوان اللّه كلّ غمره)استعار لفظ الغمره عن غمره الماء و هى معظمه و مزدحمه للشدائد و المكاره الّتى ابتلى بها حين بعثته، و الجامع للاستعاره أنّ غمره الماء كما تغمر و تغطى الخائض فيها من كلّ جانب فكذلك تلك المكاره و الشدائد حسبما تعرف كانت محيطه به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كلّ طرف، و رشّح الاستعاره بذكر لفظ الخوض.

و محصّل المراد انّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تحمل كلّ مكروه توجّها إلى منتهى رضاه عزّ و جلّ (و تجرّع فيه كلّ غصّه) أى تجرّع الغصص فى تحصيل رضوانه تعالى، أى ابتلعها جرعه بعد جرعه و أراد بالغصص الغموم و الهموم العارضه له من مزيد أذى المشركين

و سوء فعالهم.

(و قد تلوّن له الأدنون) أى تغيّر له أقاربه من قريش ألوانا (و تألّب عليه الأقصون) أى تجمّع على حربه الأباعد منه نسبا من أقصى البلاد(و خلعت)متوجّهه (اليه)معاشر(العرب أعنّتها و ضربت إلى محاربته بطون رواحلها)قال الشارح البحرانى:

هذان مثلان كنّى بهما عن المسارعه إلى حربه لأنّ أقوى عدو الخيل إذا خلعت أعنّتها و أقوى عدوّ الرّواحل إذا ضربت بطونها و فيه ايماء إلى أنّهم أتوه فرسانا و ركبانا مسرعين إلى حربه.

(حتى انزلت بساحته) و منزله(عداوتها)أى حربها و اطلاقها عليه من باب اطلاق اسم السبب على المسبب، أى أسرعوا إلى حربه صلّى اللّه عليه و آله (من أبعد الدّار و أسحق المزار) و فيه إشاره إلى غايه عداوتهم، لأنّ الظعن إلى الحرب من مكان بعيد لا يكون إلّا عن اهتمام أكيد و عناد عنيد و عداوه شديده.

قال الشارح المعتزلى: من قرء كتب السّير علم ما لاقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ذات اللّه من المشقّه و استهزاء قريش به فى أوّل الدّعوه و رميهم إيّاه بالحجاره حتى أدموا عقيبه و صياح الصبيان به و القاء فرث الكرش على رأسه، و فتل الثوب فى عنقه، و حصره و حصر أهله فى شعب بنى هاشم سنين عديده محرّمه معاملتهم و مبايعتهم و مناكحتهم و كلامهم حتى كادوا يموتون جوعا لو لا أنّ بعض من كان يحنو عليهم لرحم أو لسبب غيره فهو يسرق الشىء القليل من الدّقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلا.

ثمّ ضربهم أصحابه و تعذيبهم بالجوع و الوثاق فى الشمس و طردهم إياه عن شعاب مكه حتى خرج من خرج منهم إلى الحبشه و خرج صلّى اللّه عليه و آله مستجيرا منهم تاره بثقيف، و تاره ببنى عامر، و تاره بربيعه الفرس و بغيرهم.

ثمّ أجمعوا إلى قتله و الفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالأوس و الخزرج، تاركا أهله و أولاده و ما حوته يده، ناجيا بحشاشه نفسه حتى وصل إلى المدينه، فناصبوه الحرب و رموه بالمناسر و الكتائب، و ضربوا له آباط الابل.

ص:۱۷۵

و لم يزل منهم فى عناء شديد و حروب متصله حتى أكرمه اللّه تعالى و أيّده و نصر دينه و أظهره، انتهى.

و محصّل الكلام أنه صلّى اللّه عليه و آله قد كابد الشدائد و قاسى الهموم و تجرّع الغصص لتأسيس أساس الاسلام و تشييد قوائم الدّين، هذا.

و انما مهّد عليه السّلام تلك المقدّمه أعنى مقدّمه البعثه لأنّه لما كان غرضه الأصلى من هذه الخطبه التحذير من المنافقين الذين كان همّهم فى إبطال الدّين و ترويج الباطل، أراد أن ينبّه على مزيد خبث طينتهم الموجب لمزيد الحذر منهم حيث إنهم يريدون ليطفؤا نور اللّه، و يبطلوا الدّين القويم الذى قد قوسى فيه هذه المكاره، و احتمل تلك المشاق الكثيره.

و قبل التحذير منهم أوصى المخاطبين بما لا يزال يوصى به فقال (اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه) و التصلّب فى الدّين (و أحذّركم) من كيد (أهل النفاق) و خديعه الخائنين أى الذين أظهروا الاسلام و أبطنوا الكفر.

و الظاهر أنّ غرضه عليه السّلام منه التعريض على معاويه و عمرو بن العاص و أمثالهما من المنتحلين للاسلام، و يشعر بذلك قوله عليه السّلام فى عهده الاتى فى المتن إلى محمّد بن أبى بكر حين قلّده مصر حيث قال فيه متعرّضا على معاويه:

فانه لا سواء إمام الهدى و إمام الرّدى، و ولىّ النبىّ و عدوّ النبىّ، و لقد قال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنى لا أخاف على امتى مؤمنا، و لا مشركا، أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بايمانه، و أمّا المشرك فيقمعه اللّه بشركه، و لكنّى أخاف عليكم كلّ منافق الجنان، عالم اللّسان، يقول ما تعرفون، و يفعل ما تنكرون.

و لما حذّر عن المنافقين اتبعه بذكر مذامّهم و مثالبهم تنفيرا عنهم و قال (فانّهم الضالّون) عن الصراط المستقيم و النهج القويم (المضلّون) لغيرهم عنه بالشبه و التمويه (و الزّالون المزلّون) أى الخاطئون الموقعون لغيرهم فى الخطاء أيضا.

(يتلوّنون ألوانا) أى يتغيّرون فى أقوالهم و أفعالهم من حال إلى حال بحسب

تبدّل أهوائهم الفاسده فيلاقون كلا بوجه و لسان غير الاخر.

(و يفتنون افتنانا) أى يتشعّبون بأنحاء مختلفه فى القول و العمل على مقتضى اختلاف آرائهم الباطله.

(و يعمدونكم بكلّ عماد) أى يقصدونكم بكلّ أمر فادح ثقيل و خطب مؤلم على وجه الخدعه و الحيله.

(و يعمدونكم بكلّ عماد) أى يقصدونكم بكلّ أمر فادح ثقيل و خطب مؤلم على وجه الخدعه و الحيله.

(و يرصدونكم بكلّ مرصاد) أى يترقّبونكم و يقعدون منتظرين بكلّ طريق معدّ للارتقاب، يعنى أنّهم لا يغفلون عنكم و لا يدعون مراقبتكم و يهيّئون وجوه الحيل فى اضلالكم و إصابتكم بكلّ مكروه.

(قلوبهم دويّه) أى فاسده من داء أصابها و هو الدّاء النّفسانى الموجب لمرضها كالحقد و الحسد و العداوه و البخل و النّفاق و الشّك و الارتياب، قد وصفهم اللّه سبحانه أيضا بهذا الوصف حيث قال «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً».

قال الطبرسى فى تفسير الايه، إنما سمى الشك فى الدّين مرضا لأنّ المرض هو الخروج عن حدّ الاعتدال، فالبدن ما لم تصبه آفه يكون صحيحا سويّا، و كذلك القلب ما لم يصبه آفه من الشّكّ يكون صحيحا، و قيل: المرض هو الفتور فهو فى القلب فتوره عن الحقّ كما أنّه فى البدن فتور الأعضاء.

(و صفاحهم نقيّه) أى صفحات وجوههم طاهره نظيفه، و هو كنايه عن اتّصاف ظاهرهم بالبشر و البشاشه و المحبّه و النّصح و الصّداقه خلاف ما فى باطنهم من الشرّ و الفساد و اللّدد و العناد.

(يمشون) فى(الخفاء)أى مختفيا قال الشارح البحرانى: و هو كنايه عن كون حركاتهم القوليّه و الفعليّه فيما يريدونه فى خفاء أفهام النّاس.

(و يدبّون الضّراء) و هو مثل يضرب لمن أراد أن يختل صاحبه يقال: فلان يدبّ له الضّراء إذا أراد بصاحبه سوء و أذى من حيث لا يعلم، كمن يمشى فى الشّجر الملتف الساتر للاصطياد.

(وصفهم دواء و قولهم شفاء و فعلهم الدّاء العياء) يعنى أنّهم يتّصفون ظاهرا

ص:۱۷۷

بأوصاف أهل الايمان أو أنّهم يصفون من الطاعات و الخيرات ما هو دواء الأمراض النفسانيه كالمؤمنين، و يقولون من الأقوال الحسنه و المواعظ البالغه ما هو شفاء الصّدور كالنّاسكين و الزّاهدين، و يفعلون فعل الفاسقين الفاجرين الّذى هو الدّاء الأكبر المعيى للأطباء من العلاج.

و محصّله أنّهم يتّصفون ظاهرا بصفات المؤمنين، و يتكلّمون بمثل كلامهم إلاّ أنّ أفعالهم خلاف أقوالهم، و باطنهم مناف لظاهرهم كما قال تعالى فى وصفهم «يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ » و قال أيضا «وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ » و فى سوره آل عمران «وَ إِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ ».

(حسده الرّخاء) أى إن رأوا لأحد سعه و رفاهيّه فى العيش و نعمه أنعم اللّه سبحانه بها عليه يحسدونه و يحزنونه به كما قال تعالى «إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها » (و مؤكّدوا البلاء) يعنى إذا وقع أحد فى بلاء و مكروه يسعون فى تأكيده و تشديده بالسّعايه و النميمه و ساير أسباب التشديد، و لا يسعون فى دفعه و رفعه و اصلاحه و فى بعض النّسخ و مولّدوا البلاء باللاّم و هو ظاهر.

(و مقنطوا الرّجاء) قال البحرانى: أى إذا رجا راج أمرا ففى طباعهم أن يقنطوه و يؤيسوه، و هكذا شأن المنافق الكذّاب أن يبعّد القريب و يقرّب البعيد أقول: و يحتمل أن يكون المراد أنّهم بمقتضى خبثهم الباطنى يقنّطون الرّاجين من رحمه اللّه عزّ و جلّ و يؤيسونهم منها، و ذلك لقنوطهم فى أنفسهم منها بما لهم من الغيّ و الضّلال كما قال تعالى «وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضّالُّونَ » (لهم بكلّ طريق صريع)الظّاهر أنّ المراد به أنّ لهم فى كلّ طريق من طرق البرّ صرعى أى هلكى لاضلالهم النّاس عنها، و قال الشّارح البحرانى: إنّه كنايه عن كثره من يقتلونه أو يؤذونه بخديعتهم و كنّى بالطّريق إمّا عن كلّ مقصد

قصدوه أو عن كلّ حيله احتالوها و مكر مكروه، فانّه لا بدّ أن يستلزم أذى و الأظهر ما قلناه.

(و إلى كلّ قلب شفيع) أى إلى صرف كلّ قلب نحوهم و عطفه إليهم وسيله و واسطه، و هى خلابه ألسنتهم و ملقهم و ما يظهرونه من التّلطّف و التّؤدد و التّملق أو المراد أنّ لهم إلى تحريف كلّ قلب و إضلاله عن الحقّ شفيع، و على أىّ تقدير فالمراد به التّنبيه على شدّه استيلائهم على القلوب و تمكّنهم من التّصرّف فيها بأىّ نحو كان.

(و لكلّ شجو دموع) يعنى أنّهم يسكبون دموعهم و يبكون رياء عند كلّ محزون و مصاب تخييلا بأنّهم مشاركوهم فى الحزن و الأسف و قصدهم بذلك التوصّل إلى حصول أغراضهم الفاسده.

(يتقارضون الثّناء) أى يثنى أحدهم على الاخر ليثنى الاخر عليه كأنّه يقرض الثناء ليأخذ عوضه.

(و يتراقبون الجزاء) أى يترقّب كلّ واحد منهم جزاء محمدته و ثنائه من صاحبه إذا أثنى عليه و ينتظر أن يجزيه بمثل ثنائه أو بغيره من وجوه الجزاء.

(إن سألوا ألحفوا) أى أسرّوا فى سؤالهم و ألحوّا فيه (و إن عذلوا كشفوا) يعنى إن لاموا أحدا ببعض المعايب كشفوا عيوبه عند الأجانب و الأقارب، و ربما يظهرونها عند من لا يرضى بالاظهار عنده، و ذلك لعدم كون نصحهم عن وجه الصدق و الخلوص حتى يناصحوه فى الخلوه لا فى الملاء.

(و ان حكموا أسرفوا) أى إذا ولى أحدهم ولايه أسرف فيها بالظلم و الطغيان و أفرط فى الأكل و الشرب و الانهماك فى شهوات نفسه كما فعل معاويه فى ولايه الشام.

و يحتمل أن يراد به أنهم إذا فوّض إليهم الحكم تعدّوا فيه و تجاوزوا عن الاعتدال كما صدر عن عمرو بن العاص و أبى موسى الأشعرى فى قضيّه التحكيم.

(قد أعدّوا لكلّ حقّ باطلا) أى هيّؤا لابطال الحقّ شبهه فاسده باطله ليموّهوا

بها كما اعتذر المنافق الثانى فى زوى الخلافه عنه عليه السّلام بأنّ فيه دعابه، و تبعه على ذلك عمرو بن العاص اللّعين كما حكى عليه السّلام عنه فى المختار الثالث و الثمانين بقوله: عجبا لابن النابغه يزعم لأهل الشام إنّ فىّ دعابه و إنّى امرء تلعابه.

(و لكلّ قائم مائلا) أى أعدّوا لكلّ أمر صحيح مستقيم ليس به اعوجاج ما يوجب اعوجاجه من الشّبه و التمويهات.

(و لكلّ حىّ قاتلا) يحتمل أن يراد به خصوص ذى الحياه من نوع الانسان فيراد بالقاتل معناه المعروف و أن يراد به معناه المجازى أى هيؤا لكلّ ما له قوام و ثبات من امور الدّين ما يوجب فساده و إبطاله كما قال عليه السّلام فى المختار المأه و السابع و العشرين، و انما حكم الحكمان ليحييا ما أحيى القرآن و يميتا ما أمات القرآن و إحياؤه الاجتماع عليه و إماتته الافتراق عنه.

(و لكلّ باب مفتاحا) أى لكلّ باب من أبواب الضلال مفتاحا من وجوه التدبير و الحيل يفتحونه به على الناس لاضلالهم.

(و لكلّ ليل مصباحا) أى لكلّ أمر مظلم يعيى فيه رأيا يستضاء به فيه و يهتدى به إليه كما دبّره ابن العاص عند ضيق الخناق على أهل الشام بصفّين من رفع المصاحف على الرّماح صبيحه ليله الهرير، فأنجاهم بتلك الحيله و المكيده عن هذه الورطه العظيمه.

(يتوصّلون إلى الطمع باليأس) لعلّ المراد أنهم يتزهّدون و يظهرون اليأس و الاستغناء عما فى أيدى الناس و صله به إلى مطامعهم، و محصله أنهم يتركون الدنيا للدّنيا و يستغنون عن الناس تزويرا.

(ليقيموا به أسواقهم و ينفقوا به أعلاقهم) شبههم فى قصدهم إلى إضلال الناس بالتاجر الذى يجلس فى السوق و يعرض متاعه على المشترين و يرغبهم إليه بحسن المعامله قصدا إلى رواج متاعه، فجعلهم بمنزله التاجر، و ما عندهم من متاع الضلال بمنزله المبيع، و من يريدون إضلاله بمنزله المشترى، و ما عنده من الهدى بمنزله الثمن .

ص:۱۸۰

فیکون محصّل المعنی أنهم یظهرون الیأس من الناس جلبا لقلوبهم إلیهم، و توصلا به إلی ما یطمعونه منهم من الاضلال و الاغواء و غرضهم بذلک إقامه أسواقهم أی انتظام معاملتهم معهم و ترویج ما لدیهم من متاع الضلال الذی یزعمون أنه متاع نفیس مع أنه خبیث خسیس.

(یقولون فیشبهون) أی یقولون قولا فاسدا فیوقعون به الشبهه فی قلوب الخلق (و یصفون فیموّهون) أی یصفون الباطل و یزیّنونه بصوره الحقّ.

(قد هیّنوا الطریق و أضلعوا المضیق) لعلّ المراد به أنهم جعلوا الطریق المؤدّی إلی الضلال سهلا هینا لمن أرادوا اسلاکهم فیه بالخدع و التمویهات، و جعلوا المسلک الضیق معوجا لمن أراد الخروج من ورطه الضلال بعد تورطه فیها، فسهوله الطریق بالنسبه إلی الوارد، و الضیق و الاعوجاج بالنسبه إلی الخارج.

(فهم لمه الشیطان) أی جماعته و أصحابه و أتباعه(وحمه النیران)أی معظم حرّها و قال الشارح البحرانی مستعار لمعظم شرورهم، و وجه المشابهه استلزامها للأذی البالغ و کذلک حمه التخفیف.

(اولئک حزب الشیطان) لاضلالهم الناس عن الهدی إلی الرّدی(ألا إنّ حزب الشیطان هم الخاسرون)اقتباس من الایه الشریفه فی سوره المجادله قال تعالی«اِسْتَحْوَذَ عَلَیْهِمُ الشَّیْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِکْرَ اللّهِ أُولئِکَ حِزْبُ الشَّیْطانِ »الایه.

قال الطبرسی فی تفسیره: أی استولی علیهم یعنی المنافقین و غلب علیهم لشدّه اتباعهم ایاه فأنساهم ذکر اللّه حتی لا یخافون اللّه و لا یذکرونه، اولئک حزب الشیطان أی جنوده، ألا انّ حزب الشیطان هم الخاسرون، یخسرون الجنّه و یحصل لهم بدلها النار.

أقول: و بعباره أوضح أنهم فوّتوا علی أنفسهم النعیم المؤبّد و عرضوها للعذاب المخلّد بما اتّصفوا به من صفه النفاق.

روی فی الکافی باسناده عن محمّد بن الفضیل قال: کتبت إلی أبی الحسن علیه السّلام

أسأله عن مسأله فكتب عليه السّلام إليّ إنّ المنافقين يخادعون اللّه و هو خادعهم و إذا قاموا إلى الصّلاه قاموا كسالى يراؤن النّاس و لا يذكرون اللّه إلّا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء و من يضلل اللّه فلن تجد له سبيلا، ليسوا من الكافرين و ليسوا من المؤمنين و ليسوا من المسلمين يظهرون الايمان و يصيرون إلى الكفر و التكذيب لعنهم اللّه.

الترجمه

از جمله خطب شريفه آن حضرتست كه وصف فرموده در آن منافقين را مى فرمايد:

حمد ميكنم خدا را در مقابل آن چيزى كه توفيق داد مر آن چيز را در طاعت و فرمانبردارى، و دفع و منع فرمود بندگان را از آن از معصيت و گردن كشى، و در خواست مى كنيم از او تمام كردن مر منّت او را، و چنگ زدن بريسمان محكم او كه عبارتست از اسلام يا قرآن.

و گواهى مى دهيم اين كه محمّد بندۀ پسنديده و فرستادۀ او است، فرو رفت در هر شدايد بجهت توجّه برضاى خدا، و جرعه جرعه نوشيد هر غصّه در تحصيل رضاى إلهى و حال آنكه متغيّر و متلوّن الحال شدند از براى او نزديكان و خويشان، و جمع گشتند بر عداوت او بيگانگان، و كندند طايفۀ عرب بسوى حرب او لجامهاى خود را و زدند بر شكمهاى شتران باركش خودشان بجهت رفتن بسوى جنگ او تا آنكه فرود آوردند در فضاى خانه و منزل او دشمنى خودشان را از دورترين خانه و دورترين زيارتگاه وصيّت مى كنم شما را اى بندگان خدا به پرهيزكارى خدا و مى ترسانم شما را از أهل نفاق، پس بدرستى كه منافقان گمراهان و گمراه كنندگانند، و لغزندگان و لغزانندگانند، رنگ برنگ و مختلف الحال مى شوند و خلق را تفتين مى كنند، قصد مى كنند شما را بهر أمر سنگين، و انتظار شما را مى كشند در هر گذر گاهى،

قلبهای ایشان فاسـد است، و صـفحهٔ روهای ایشان پاك و نظیف، راه می رونـد در پنهانی و حرکت می کننـد در طرق اذیّت و اضرار.

صفت ایشان دواء است، و گفتار ایشان شـفاء است، و کردار ایشان درد بی درمان حسـد کنندگان رفاهیّتند، و محکم کنندگان بلا و معصیبت، و مأیوس کننـدگان امیدنـد، ایشان را است در هر راهی افتادهٔ، و بسوی هر قلبی واسطهٔ، و از برای هر انـدوهی اشك چشمی، بقرض می دهند بیکدیگر ثنا و ستایش را، و منتظر می باشند از یکدیگر جزا و احسان را.

اگر سؤال نماینـد اصـرار می کنند، و اگر ملامت نمایند پرده دری می کنند، و اگر حاکم نمایند ایشان را در حکومتی اسـراف می نماینـد، بتحقیق که مهیّا ساخته انـد از برای هر حق باطلی را، و از برای هر راست کجی را، و از برای هر زنده قاتلی را، و از برای هر در کلیدی را و از برای هر شب چراغی را.

یعنی صاحبـان أنواع و أقسـام حیله و خـدعه می باشـند، توصّل می کننـد بسوی طمع با اظهار یأس از مردم تا این که بر پا کنند بسـبب اظهار یأس بازار کار خودشان را و رواج دهند متاع خود را، حرف می زنند پس مشتبه می سازند خلق را، و تعریف می کننـد پس زینت می دهنـد و آسان می گرداننـد راه باطل را بجهت داخلین، و کـج می کنند راه تنگ را بجهت خارجین، پس ایشان جماعت شیطانند، و چشمهٔ آتشند ایشان دستهٔ شیطانند، آگاه باش بدرستی دستهٔ شیطان ایشانند زیانکاران.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الرابعه

اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

الحمد للّه الّذی أظهر من آثار سلطانه و جلال کبریائه ما حیّر

ص:۱۸۳

مقل العیون من عجائب قدرته، و ردع خطرات هماهم النّفوس عن عرفان کنه صفته، و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه شهاده إیمان و إیقان، و إخلاص و إذعان، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله، أرسله و أعلام الهدی دارسه، و مناهج الدّین طامسه، فصدع بالحقّ، و نصح للخلق و هدی إلی الرّشد، و أمر بالقصد صلّی اللّه علیه و آله. و اعلموا عباد اللّه أنّه لم یخلقکم عبثا، و لم یرسلکم هملا، علم مبلغ نعمه علیکم، و أحصی إحسانه إلیکم، فاستفتحوه، و استنجحوه، و اطلبوا إلیه، و استمنحوه، فما قطعکم عنه حجاب، و لا أغلق عنکم دونه باب، و إنّه لبکلّ مکان، و فی کلّ حین و أوان «زمان خ»، و مع کلّ إنس و جانّ، لا یثلمه العطاء، و لا ینقصه الحباء، و لا یستنفده سائل، و لا یستقصیه نائل، و لا یلویه شخص عن شخص، و لا یلهیه صوت عن صوت، و لا تحجزه هبه عن سلب، و لا یشغله غضب عن رحمه، و لا تولهه رحمه عن عقاب، و لا یجنّه البطون عن الظّهور، و لا یقطعه الظّهور عن البطون، قرب فنای، و علا فدنی، و ظهر فبطن، و بطن فعلن، و دان و لم یدن، لم یذرء الخلق باحتیال و لا استعان بهم لکلال.

ص:۱۸۴

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه، فإنّها الزّمام و القوام، فتمسّكوا بوثائقها، و اعتصموا بحقائقها، تؤل بكم إلى أكنان الدّعه، و أوطان السّعه، و معاقل الحرز، و منازل العزّ، فی يوم تشخص فيه الأبصار، و تظلم له الأقطار، و تعطّل فيه صروم العشار، و ينفخ فی الصّور فتزهق كلّ مهجه، و تبكم كلّ لهجه، و تذلّ الشّمّ الشّوامخ، و الصّمّ الرّواسخ، فيصير صلدها سرابا رقرقا، و معهدها قاعا سملقا، فلا شفيع يشفع، و لا حميم يدفع، و لا معذره تنفع.

اللغه

(المقل) جمع مقله كغرف و غرفه و هی شحمه العين الّتی تجمع سوادها و بيضها و (الهمهمه) الكلام الخفی أو صوت يسمع و لا يفهم محصوله و تردّد الزئير فی الصّدر من الهمّ و نحوه، قاله فی القاموس أقول: و الزئير مأخوذ من الزئر و هو ترديد الصّوت فی الجوف ثمّ مدّه، و يطلق الزئير على صوت الأسد من صدره و على كلّ صوت فيه بحح كصوت الفيله و نحوها.

و (طمست) الشیء طمسا محوته و طمس هو يتعدّى و لا يتعدّى و طمس الطريق درست و (الجانّ) اسم جمع للجنّ و أبو الجنّ و (استمنحوه) بالنّون من المنحه و هی العطيّه و فی بعض النّسخ بالياء يقال استمحت الرّجل طلبت عطاءه و محت الرّجل أعطيته و (الثّلمه) فی الحائط و غيره الخلل و الجمع ثلم كغرفه و غرف و (نفد) الشیء ينفد من باب تعب نفادا فنی و انقطع و أنفدته أفنيته و (النّائل)

العطاء كالنوال و النّال و (سلبت) ثوب زيد من باب قتل أخذته و السّلب بالتحريك الاختلاس و اسم لما يسلب و منه الحديث من قتل قتيلا فله سلبه.

و قوله (و لا يجنه البطون عن الظهور و لا يقطعه الظهور عن البطون) هكذا فى نسخه الشّارح المعتزلى بتذكير الفعلين، و عليها فالبطون و الظهور مصدر بطن و ظهر، و فى بعض النّسخ بتأنيثهما و على ذلك فلا بدّ من جعلهما جمعا للبطن و الظهر كما هو مقتضى القواعد الأدبيّه.

و (الدّين) الجزاء و منه الحديث كما تدين تدان أى كما تجازى تجازى بما فعلت و يقال أيضا على القهر و الغلبه قال ابن الأثير: و منه الحديث كان علىّ عليه السّلام ديّان هذه الامّه أى قاهرهم على الطّاعه و فى القاموس الدّين الحساب و القهر و الغلبه و الاستعلاء و السّلطان و الملك و الحكم.

و (الكلال) العجز و الاعياء و (الاكنان) جمع كن و هو السّتر يستر من الحرّ و البرد قال تعالى و «مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً » و (المعاقل) جمع معقل و هو الملجأ.

و (الصّروم) إمّا جمع صرمه بالكسر القطعه من الابل ما بين العشره إلى الأربعين و القطعه من السّحاب و تجمع على صرم مثل سدره و سدر و إمّا جمع صرم و هى الطّائفه المجتمعه من القوم ينزلون بابلهم ناحيه من الماء و يجمع على أصرام مثل حمل و أحمال، أو جمع صرماء و هى النّاقه القليله اللّبن، و تجمع على صرم وزان قفل و الأخير أظهر.

و (العشار) من الابل النّوق أتى عليها من يوم ارسل الفحل فيها عشره شهر فزال عنها اسم المخاض و لا يزال ذلك اسمها حتّى تضع، و الواحده عشراء، و قال الفيروز آبادى و العشراء من النّوق الّتى مضى لحملها عشره أشهر أو ثمانيه أو هى كالنّفساء من النساء و الجمع عشراوات و عشار، أو العشار اسم يقع على النّوق حتّى تنتج بعضها و بعضها ينتظر نتاجها.

(و الشمّ) جمع اشم يقول جبل اشم أى فيه شمم و ارتفاع و رجل اشم أى بأنفه ارتفاع قال فى القاموس و (رقرقان) السّراب بالضم ما ترقرق منه أى تحرّك

و الرّقراقه التى كـان المـاء يجرى فى وجههـا و (القـاع) الأرض السـهله المطمئنه قـد انفرجت عنهـا الجبـال و الاكام و (السـملق) الصفصف و هى المستوى من الأرض.

الاعراب

قـوله و اطلبـوا إليه، تعـديه الطلب لتضـمينه معنى التضـرّع، و قوله: تؤل، بـالجزم لوقوعه فى جواب الأمر كمـا فى نسـخه الشـارح المعتزلى، و فى أكثر النسـخ بـالرفع و الظـاهر أنه على الاستينـاف البيـانى، و قوله: فى يوم تشـخص، متعلّق بقوله تؤل، و الفـاء فى قوله: فتزهق، و قوله: فيصير، و قوله: فلا شفيع، كلّها فصيحه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه مسوقه للنصح و الموعظه و الأمر بالتقوى مع التنبيه على جمله من صفات الكمال و العظمه و الجلال للّه عزّ و جلّ، و افتتحها بحمده و الثناء عليه و الشهاده بالتوحيد و الرّساله فقال:

(الحمـد للّه الـذى أظهر) فى الملـك و الملكوت و الانفس و الافاق و الأرض و السـماوات (من آثار سـلطانه و جلال كبريائه ما حيّر مقل العيون) و ابصار البصاير (من عجايب قـدرته) و بدايع صـنعته و قد تقدّم الاشاره إلى بعضـها فى شـرح الخطب المسوقه لهذا الغرض و مرّ فصل واف منها فى الخطبه التسعين و شرحها فانظر ما ذا ترى.

و نسـبه عجـائب القـدره إلى سـلطانه و جلاـل كبريـائه لأـنّ الاثـار العظيمه و المبـدعات المحكمه المتقنه إنمـا ينـاسب صـدورها بالسّلطنه الالهيّه و الجلال الالهى.

(و ردع خطرات همـاهم النفوس عن عرفـان كنه صـفته) أى دفع و منع الافكار و الرّويات التى تخطر بالنفوس و توجب همهمتها عن معرفه كنه صـفات جمـاله و جلاـله و يحتمـل أن يراد بالهماهم نفس تلك الأفكار على سبيل الاسـتعاره لتردّدها فى الجوف مثل تردّد الهماهم.

ص:۱۸۷

و كيف كـان فالغرض منه التنبيه على عجز العقول و المشاعر الظاهره و الباطنه عن إدراك حقيقته و ذاته حسبما عرفته فى شرح الفصل الثانى من الخطبه التسعين و فى تضاعيف الشّرح مرارا، و أردف الثّناء عليه تعالى بالشّهاده بتوحيده فقال:

(و أشـهد أن لا إله إلاّ اللّه) و قـد مضـى الكلام فى تحقيق معناها و الأخبار الوارده فى فضـلها بما لا مزيد عليه فى شـرح الفصـل الثانى من الخطبه الثانيه، و وصفها هنا بأوصاف أربعه:

أحدها كونها (شهاده ايمان) أى يطابق القول فيها للعقد القلبى.

(و) ثانيهـا كونها شـهاده (ايقان) أى صادره عن علم اليقين لا عن وجه التقليـد و لا تكون كـذلك إلاّ باعتقاد أن لا إله إلاّ هو مع اعتقاد أنّه لا يمكن أن يكون ذلك المعتقد إلاّ كذلك.

(و) ثالثها أن تكون عن (اخلاص) أى جعلها خالصا عن شوب غيره من الرّيا و نحوه و قال الشّارح البحرانى: هى أن يحـذف عن ذلـك المعتقـد كـلّ أمر عن درجه الاعتبـار و لاـ يلاحظ معه غيره، انتهى و قـد مرّ له معنى آخر فى الأخبـار المتقـدّمه فى شـرح الخطبه الثانيه من أنّ إخلاصها أن حجزه لا إله إلاّ اللّه عمّا حرّم اللّه.

(و) رابعها أن تكون متلبّسه ب (اذعان) و انقياد لما هو من توابعها و مقتضياتها من التّكاليف و الأحكام.

و أردفها بالشهاده بالرّساله لما عرفت فى الأخبار المتقدّمه فى شرح الخطبه الثّانيه من فضل المقارنه بينهما فقال:

(و أشـهد أنّ محمّدا عبده) المرتضـى (و رسوله) المصـطفى (أرسـله) إلى الخلق بالهدى و دين الحقّ على حين فتره من الرّسل و طول هجعه من الامم و انتقاض من المبرم (و) الحال أنّ(أعلام الهـدى دارسه)استعارها للأنبياء و المرسلين و أولياء الدّين الّذين يهتدى بأنوارهم فى سلوك سبيل اللّه كما يهتدى بالأعلام فى الطّرق، و دروسها بما كانت من الفتره بعد عيسى إلى بعثه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و مناهـج الـدّين طامسه) أى طرق المعارف الحقّه الالهيّه منـدرسه منمحيه بطول المدّه و بعد العهد و غلبه الغفله.

(فصدع بالحقّ) امتثالا لما كان ماورا به بقوله عزّ و جلّ«فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ » و أصل الصّدع عباره عن كسر الزّجاجه و شقّها و تفريقها، فاستعير عنه للبيان الواضح و التبليغ الكامل، و الجامع التأثّر.

و قد قيل فى تفسير الايه: أنّ معناها أبن الأمر إبانه لا تنمحى كما لا يلتئم كسر الزّجاجه، و قيل: أفرق بين الحقّ و الباطل، و قيل: شقّ جماعاتهم بالتّوحيد أو بالقرآن.

(و نصح للخلق) بصرفهم عن الرّدى إلى الهدى و ردّهم عن الجحيم إلى النعيم (و هدى إلى الرّشد) أى إلى الصّواب و السّداد فى القول و العمل (و أمر بالقصد) أى بالعدل فى الامور المصون عن الافراط و التّفريط، و يحتمل أن يكون المراد به قصد السبيل الموصل إلى الحقّ أى الصّراط المستقيم (صلّى اللّه عليه و آله) و سلّم ثمّ نبّه المخاطبين على عدم كونه تعالى فى خلقهم و ايجادهم لاغيا عابثا فقال (و اعلموا عباد اللّه أنّه لم يخلقكم عبثا) تعالى عن ذلك علوّا كبيرا، و انما خلقكم للمعرفه و العبوديّه كما قال «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ ».

(و لم يرسلكم هملا) أى لم يترككم سدى مهملين كالبهائم و الأنعام، و إنّما كلّفكم بالتكاليف و الأحكام (علم مبلغ نعمه) و مقدارها كمّا و كيفا (عليكم و أحصى إحسانه) و فضله (إليكم) ليبلوكم أ تشكرونه أم تكفرون و من شكر فانّما يشكر لنفسه و من كفر فانّه غنىّ كريم (فاستفتحوه) أى اطلبوا منه فتح أبواب النّعم (و استنجحوه) أى اطلبوا منه نجاح عوائد المزيد و القسم (و اطلبوا) منه متضرّعين (إليه) أن يصرف عنكم ما لا يصرفه أحد غيره من عذاب النّار و سخط الجبّار.

(و استمنحوه) أى اطلبوا منه أن يعطيكم ما لا يعطيه أحد غيره من فوز الجنان و رضى الرّحمن، و طلب ذلك كلّه منه سبحانه إنما هو بالقيام بمراسم الحمد و الشكر و بالمواظبه على وظايف الطّاعات و القربات الّتى بها يستعدّ لافاضه الرّحمه و نزول الخيرات، هذا.

و لمّـا أمرهم بـالطّلب و السّؤال أردفه بمـا يشوّقهم إلى ذلـك و يرغّبهم إليه بـالتّنبيه على انتهـاء جميع السّؤالات و الطلبات إليه و عدم رادع و مانع من وصولها إليه و هو قوله:

(فمـا قطعكم عنه حجـاب و لا اغلق عنكم دونه باب) يعنى أنّ بابه مفتوح لمن دعاه و ليس بينه و بين خلقه حجاب مانع و لا باب مغلق يمنع من الوصول إليه و من عرض الحوائج و المقاصـد عليه كساير الملوك و السّـلاطين يأخـذون لأنفسـهم حجّابا و بوّابا، لأنّ ذلك من أوصاف الأجسام و صـفات النّقص و الامكان و اللّه تعالى موصوف بالعظمه و الجلال منزّه عن الحيّز و المكان فلا يتصوّر أن يكون له باب أو عنده حجاب كما أفصح عن ذلك بقوله:

(و انّه لبكلّ مكان) بالعلم و الاحاطه لا بالتحيّز و الحوايه، فلا يخفى عليه شيء من حوائج السّائلين و إنّما منظره فى القرب و البعد سواء، لم يبعـد منه قريب و لم يقرب منه بعيـد، و لا يحويه مكان و لا يحيط به مكان حتّى إذا كان فى ذلك المكان يحجب عنه أخبار ساير الأمكنه و المكانيّات.

يوضـح ذلـك ما رواه فى الكافى باسـناده عن عيسـى بن يونس قال: قال ابن أبى العوجاء لأبى عبـد اللّه عليه السّـلام فى بعض ما كـان يحـاوره: ذكرت اللّه فـأحلت على غـايب فقال أبو عبـد اللّه عليه السّـلام: ويلك كيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهـد و اليهم أقرب من حبل الوريد، يسـمع كلامهم و يرى أشخاصهم و يعلم أسرارهم، فقال ابن أبى العوجاء أ هو فى كلّ مكان أ ليس إذا كـان فى السـماء كيف يكون فى الأرض و إذا كان فى الأرض كيف يكون فى السـماء؟ فقال أبو عبـد اللّه عليه السّـلام: إنما وصـفت المخلوق الـذى إذا انتقل عن مكان اشـتغل به مكان و خلا منه مكان فلا يـدرى فى المكان الذى صار إليه ما حدث فى المكان الـذى كان فيه، فأما اللّه العظيم الشأن الملك الدّيان فلا يخلو منه مكان و لا يشـتغل به مكان و لا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان.

و قـد مرّ هـذا الحـديث فى شـرح الفصـل السادس من الخطبه الاولى و مرّ تحقيق الكلام فى تنزّهه سـبحانه من المكان فى شـرح الفصل الخامس منها فليراجع ثمّه

ص:۱۹۰

فانّ هناک مطالب نفیسه.

و لما نبّه علی عدم خلوّ الأمکنه منه عزّ و جلّ أردفه بالتنبّه علی عدم خلوّ الأزمنه منه فقال:

(و فی کلّ حین و زمان) بالعلم و الاحاطه أیضا لا بمعنی ظرفیّته له، لأنّ الکون فیه بمعنی الظرفیه مستلزم للحدوث المنافی للوجوب، فالواجب الأوّل تعالی منزّه عن ذلک، و قد تقدّم مزید تحقیق لذلک فی شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانین (و مع کلّ إنس و جانّ) لا معیّه بالاقتران بل بمعنی کونه عالما بهم شاهدا علیهم غیر غایب عنهم کما قال عزّ من قائل «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ یَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ ما یَکُونُ مِنْ نَجْوی ثَلاثَهٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَهٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنی مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَیْنَ ما کانُوا ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا یَوْمَ الْقِیامَهِ إِنَّ اللّهَ بِکُلِّ شَیْ ءٍ عَلِیمٌ » و قد مرّ مزید تحقیق لهذا المعنی فی شرح الفصل الخامس و السادس من الخطبه الاولی، هذا.

و لما شوّق المخاطبین إلی الطلب و السؤال بالتنبیه علی عموم علمه بحالات السائلین و حاجات الطالبین و عدم خفاء شیء منها علیه أکد تشویقهم بالتنبیه علی سعه جوده فقال:

(لا یثلمه العطاء و لا ینقصه الحباء) أی لا یوجب کثره عطائه و مزید حبائه خللا و نقصا فی خزانه کرمه و بحر جوده، و ذلک لعدم تناهی مقدوراته.

و یوضح ذلک ما فی الحدیث المرویّ فی الکافی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:

إنّ اللّه عزّ و جلّ یقول: فلو أنّ أهل سماواتی و أهل أرضی أمّلوا جمیعا ثمّ أعطیت کلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجمیع ما انتقص من ملکی مثل عضو ذرّه، و کیف ینتقص ملک أنا قیّمه، فیا بؤسا للقانطین من رحمتی، و یا بؤسا لمن عصانی و لم یراقبنی.

و بذلک الحدیث أیضا اتّضح معنی قوله (لا یستنفده سائل و لا یستقصیه نائل) أی لا ینفی جوده سائل و إن بلغ الغایه فی طلبه و سؤاله، و کذا لا یبلغ القصوی و الغایه عطاؤه و نواله بل لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال و ضحکت عنه أصداق البحار من فلزّ اللّجین و العقیان و نثاره الدّر و حصید المرجان ما أثّر ذلک فی جوده و لا

أنفد سعه ما عنده، و لكان عنده من ذخاير الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام، لأنّه الجواد الّذى لا يغيضه سؤال السّائلين، و لا يبخّله إلحاح الملحّين حسبما مرّ فى الخطبه التّسعين.

(و لا يلويه) أى لا يصرفه (شخص عن شخص و لا يلهيه) أى لا يشغله (صوت عن صوت) لأنّ الصّرف و اللّهو يستلزمان الغفله عن أمر و الفطنه لغيره بعد الغفله عنه و هما من عوارض المزاج الحيوانى و توابع الامكان.

(و لا تحجزه هبه عن سلب) أى لا يمنعه البذل و الانعام عن سلب المال و أخذه قال الشّارح المعتزلى: أى ليس كالقادرين منّا فانّ الواحد منّا يصرفه اهتمامه بعطيّه عن سلب مال عمرو حال ما يكون مهتمّا بتلك العطيّه لأنّ اشتغال القلب بأحد الأمرين يشغله عن الاخر، انتهى.

أقول: و محصّله أنّه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، و يحتمل أن يراد به أنّه تعالى لا يمنعه هبته لأحد و إنعامه عليه عن سلب نعمه اخرى عنه كالواحد منّا إذا وهب يمنعه هبته عن سلبه، لاستلزام الهبه فينا التلطف و العطف، و استلزام السلب فينا الغيظ و الغضب، و هما أمران متضادّ ان لا يمكن اجتماعهما فى شخص واحد فى حاله واحده، فلا يكون الواهب حال ما هو واهب سالبا و بالعكس، و أمّا الواجب تعالى فلمّا لم يكن منشأ هبته و سلبه العطف و الغضب لكونهما من عوارض المزاج الحيوانى و تنزّهه عنها جاز اتّصافه بهما معا.

و هذان الاحتمالان يأتيان فى قوله (و لا يشغله غضب عن رحمه) و المراد بهما غايتهما، أى العقاب و الاحسان لا معناهما المعروف المستلزم للحدوث و النّقصان.

و أمّا قوله (و لا تولهه رحمه عن عقاب) فقد قال الشارح المعتزلى أى لا يحدث الرّحمه لمستحقها عنده ولها و هو التحيّر و التردّد و يصرفه عن عقاب المستحقّ، و ذلك لأنّ الواحد منّا إذا رحم انسانا حدث عنده رقّه خصوصا إذا توالت منه الرّحمه لقوم متعدّدين فانه يصير الرّحمه كالملكه عنده فلا يطيق فى تلك الحال أن ينتقم

و الباری سبحانه بخلاف ذلک، لأنّه لیس بذی مزاج سبحانه، هذا.

و قوله (و لا یجنّه البطون عن الظّهور) قد تقدّم منّا فی شرح الخطبه التّاسعه و الأربعین و الخطبه الرّابعه و السّتین ما هو کاف فی شرح معنی هذه الفقره و ما یتلوها من الفقرات الاتیه إلی قوله: و بطن فعلن.

و أقول هنا مزیدا للتّوضیح: إنّ الغرض بهذه الجملات جمیعا التّنبیه علی کمال الحقّ المتعال عزّ و جلّ و علی تنزّهه من صفات المخلوقین، فانّ البطون فی الخلق مانع من الظهور، و الظهور من البطون، و القرب من البعد، و البعد من القرب، و العلوّ من الدّنوّ، و الدّنوّ من العلوّ لکون کلّ من هذه الصّفات بمعناه المعروف مضادا للاخر، فلا یمکن اتّصاف شخص واحد بهما معا فی حاله واحده و لا اجتماعهما فی محلّ واحد علی ما هو مقتضی التّضادّ.

أمّا اللّه الحیّ القیّوم جلّ جلاله فیتّصف بهما جمیعا بمعنی آخر وراء ذلک المعنی المعروف، فهو تعالی ظاهر باطن قریب بعید عال دان.

و علی ذلک فلا یجنّه البطون عن الظهور، أی لا یستره خفاؤه بذاته عن ظهوره بایاته، أو لا یستره اختفاؤه عن الأبصار عن ظهوره للعقول و البصایر، أو لا یحجبه خفاؤه عن الأبصار و الأوهام بذاته عن قهره و غلبته للأشیاء بسلطانه و قدرته.

و محصّله أنّه لیس بطونه بلطافه أو اجتنان، و لا ظهوره برؤیه و عیان حتّی یکون اتّصافه بأحدهما حاجبا و مانعا عن الاخر کما فی المخلوق.

و علی ما فی بعض النّسخ من روایه لا تجنّه بصیغه التّأنیث، فالمراد أنّه لا تستره بواطن الأشیاء عن ظواهرها أی لا تحجب علمه بطونها عن ظهورها، لأنّ علمه ببواطن الأشیاء لیس علی وجه الاستبطان و الغور فیها، و لا علمه بظواهر الأشیاء من أجل کونه فوقها حتّی تحجبه البطون عن الظّهور و الظّهور عن البطون کما فینا.

و یحتمل أن یکون المراد أنّه تعالی حین ما هو عالم بالباطن عالم بالظاهر لکمال علمه و عموم إحاطته، و لیس کالمخلوق حین علمه بأحدهما یغفل عن الاخر لنقصان علمه و قصوره.

ص:۱۹۳

(و) بـذلک کلّه ظهر أیضـا معنی قوله:(لا یقطعه الظّهور عن البطون)و أمّا قوله (قرب فنأی) فالمراد به أنّه قرب من الخلق بالعلم و الاحـاطه و بـالرّحمه و الافـاضه، و بعـد عنهم بالـذّات و الحقیقه و لیس قربه قربا مکانیّا حتّی ینافی لبعـده، و لا بعـده بعـدا مکانیّا بتراخی مسافه حتّی ینافی لقربه.

(و علا فدنا) أی علا بحوله و قدرته و غلبته و سـلطانه و دنا بطوله و فضله و مننه و احسانه کما مرّ التصریح به منه علیه السّلام فی الخطبه الثّانیه و الثمـانین، و یجـوز أن یراد علوّه علی الأشـیاء بجلالـه و عزّته و دنوّه منهـا بعلمه و احـاطته، و أن یراد بـالعلوّ العلوّ بالعلیّه و بالدّنوّ قربه من الأشـیاء قرب العلّه من معلولها، و هذا هو الأولی بالاراده هنا و أنسب بعطفه الدّنوّ علی العلوّ بالفاء المفیده لتفریعه علیه فافهم جیّدا و قد مضی تحقیق ذلک فی شرح الخطبه التّاسعه و الأربعین.

(و ظهر فبطن) أی ظهر علی الأشـیاء بسـلطانه و عظمته، و بطن فی الأشـیاء بعلمه و معرفته (و بطن فعلن) أی خفی بذاته و کنهه و ظهر باثـاره و آیـاته، و هاتـان الفقرتـان تأکیـدتان للفقرتین المتقـدّمتین، فـانّه لمّـا نبّه فیهما علی عـدم حجب بطونه عن ظهوره و ظهوره عن بطونه نبّه هنـا علی مـا یستلزمه عـدم الحجب و هو اتّصـافه بهمـا معا روی فی الکافی فی باب الفرق بین المعانی الّتی تحت أسماء اللّه تعالی و أسماء المخلوقین عن علیّ بن محمّد مرسلا عن أبی الحسن الرّضا علیه السّلام قال: قال:

و أمّـا الظـاهر فلیس من أجـل أنّه علاـ الأشـیاء برکوب فوقها و قعود علیها و تسـنّم لـذراها، و لکن ذلک لقهره و غلبته الأشـیاء و قـدرته علیهـا، کقـول الرّجـل ظهرت علی أعـدائی و أظهرنی اللّه علی خصـمی، یخـبر عن الفلـج و الغلبه فهکـذا ظهـور اللّه علی الأشیاء، و وجه آخر أنّه الظّاهر لمن أراده و لا یخفی علیه شیء و أنّه مدبّر لکلّ ما برء فأیّ ظاهر أظهر و أوضح من اللّه تبارک و تعـالی، لأنّـک لا تعـدم صـنعته حیثما توجّهت و فیک من آثاره ما یغنیک، و الظّاهر منّا البارز بنفسه و المعلوم بحدّه فقـد جمعنا الاسم و لم یجمعنا المعنی.

ص:۱۹۴

و أمّا الباطن فليس على معنى الاستبطان فى الأشياء بأن يغور فيها، و لكن ذلک منه على استبطانه للأشياء علما و حفظا و تدبيرا كقول القائل أبطنته يعنى خبرته و علمت مكتوم سرّه، و الباطن منّا الغايب فى الشيء المستتر و قد جمعنا الاسم و اختلف المعنى.

(و) أمّا قوله (دان و لم يدن) فأراد به أنّه جزى العباد بأعمالهم إن خيرا فخيرا و إن شرّا فشرّا، و لم يجز، أو أنّه حاسب و لم يحاسب، أو أنّه استعلا عليهم و لم يستعل عليه، أو أنّه تسلّط على كلّ ما سواه و لم يسلّط عليه، أو أنّه ملك جميع الخلايق و لم يملك، أو أنّه قهر الكلّ و غلبهم بافتقار الكلّ إليه و استغنائه عنهم و لم يقهر عليه.

قال الرّضا عليه السّلام فى الحديث الّذى قدّمناه آنفا:

و أما القاهر فانّه ليس على معنى علاج و نصب «و تصلّب خ» و احتيال و مداراه و مكر كما يقهر العباد بعضهم بعضا و المقهور منهم يعود قاهرا و القاهر يكون مقهورا، و لكن ذلک من اللّه عزّ و جلّ على أنّ جميع ما خلق ملبس به الذّل لفاعله و قلّه الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفه عين أن يقول له كن فيكون، و القاهر منّا على ما ذكرت و وصفت فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنى.

(لم يذرء الخلق باحتيال) أى لم يخلقهم باستخراج وجوه الحيل و إجاله الرّأى و الفكر فى استخراجها كما هو شأن البشر فى صنعهم، و ذلک لأنّ الفكره و الحركه القلبيه مختصّه بذوى الضمائر، و جلال البارى تعالى شأنه منزّه عنه و إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

(و لا استعان بهم لكلال) أى لعجز و اعياء، لأنّ منشأ الاعياء تناهى القوّه الجسميه المخصوصه بذوى الأجسام، و طلب العون و الحاجه إلى المعين من ضعف القدره، و إذ لا ضعف و لا عجز لكمال ذاته سبحانه قوّه و قدره فلا يتصوّر فى حقه الاستعانه.

و لما فرغ من تمجيد الحقّ المتعال بما هو أهله و تنزيهه عن صفات النقص

و الافتقار أردفه بالايصاء بما لا يزال يوصى به فقال:

(اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه فانها الزّمام) للانسان المانع له عن تقحّم المهالك الجاذب إلى أقوم المسالك و الصارف له عن الرّدى إلى الهدى و عن الجحيم إلى النعيم كما أنّ الزّمام للخيل مانع لها عن اقتحام الهلكات و تورّط الورطات (و) هى أيضا (القوام) أى قوام الدّين و نظام وظايف الشرع المبين.

(فتمسكوا بوثائقها) أى بعريها الوثيقه و حبالها المحكمه من الطاعات و القربات التى هى جزؤها.

(و اعتصموا بحقايقها) أى باصولها الثابته الموافقه للواقع و المطابقه لغرض الشارع.

و أشار إلى ثمره التمسك و الاعتصام بها بقوله (تؤل بكم) أى ترجعكم و تقودكم (إلى أكنان الدّعه) و مواطن الرّاحه متكئين فيها على الأرائک لا يرون فيها شمسا و لا زمهريرا، و دانيه عليهم ظلالها و ذللت قطوفها تذليلا.

(و أوطان السعه) أى جنه عرضها السموات و الأرض مع عيش سعيد و أكل رغيد، فالدّاخل فيها فى عيشه راضيه فى جنه عاليه قطوفها دانيه كلوا و اشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخاليه.

(و معاقل الحرز) المانعه من عذاب النار و من غضب الجبار و ظلّ ذى ثلاث شعب لا ظليل و لا يغنى من اللّهب.

(و منازل العزّ) أى حظاير القدس و مجالس الانس مع النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصالحين من الساده الأبرار و القاده الأخيار فى جنات تجرى من تحتها الأنهار، و إذا رأيت ثمّ رأيت نعيما و ملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر و استبرق و حلّوا أساور من فضّه و سقيهم ربّهم شرابا طهورا، إنّ هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكورا و لما أوصى بالتقوى و أمر بالتمسک و الاعتصام بها و رغّب فيها بالتنبيه على مالها من المنفعه العظيمه و هى إرجاعها إلى جنّه النعيم أكّد ذلک الترغيب بانجائها

من الهول العظيم و أشار إلى ذلك بقوله.

(فی یوم) أی اعتصموا بالتقوى تؤل بكم إلى مساكن الأمن و العزّ و السعه و الراحه فی یوم القیامه و ما أعظم شدايدها و أهوالها، و قد زلزلت الأرض فيها زلزالها و أخرجت الارض أثقالها و قال الانسان ما لها.

(تشخص فيه الأبصار و تظلم له الأقطار) أما شخوص الأبصار فی ذلك اليوم فهو نصّ الكتاب الكريم قال تعالى فى سوره إبراهيم «وَ لا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ ».

قال الطبرسیّ: معناه إنما يؤخّر عقابهم إلى يوم القيامه و هو اليوم الذی تكون الابصار فيه شاخصه عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى فی ذلك اليوم و لا تطرف، و قيل تشخص أبصارهم إلى إجابه الدّاعی حين يدعوهم، و قيل: تبقى أبصارهم مفتوحه لا تنطبق للتحير و الرّعب.

مهطعين أی مسرعين، و قيل: يريد دائمی النظر إلى ما يرون لا يطرفون.

مقنعی رؤسهم، أی رافعی رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الرّجل مكان قدمه من شدّه رفع الرّأس، و ذلك من هول يوم القيامه.

لا يرتدّ إليهم طرفهم، أی لا يرجع إليهم أعينهم و لا يطبقونها و لا يغمضونها، و إنما هو نظر دائم.

و أما ظلمه الاقطار فقد اشير إليها و إلى ما تقدّم أيضا فی قوله تعالى «فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ وَ خَسَفَ الْقَمَرُ وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ».

فی الصّافی عن القمّی قال: يبرق البصر فلا يقدر أن يطرف و قرء بفتح الرّاء و هو لغه، أو من البريق من شدّه شخوصه، و خسف القمر ذهب ضوءه و نوره، و جمع الشّمس و القمر قال الطبرسیّ: أی جمع بينهما فی ذهاب ضوئهما بالخسوف ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتّى يراهما كلّ أحد بغير نور و ضياء.

و فی الصّافی من الاحتجاج عن النّبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انّه سئل عن قوله «يَوْمَ تُبَدَّلُ »

«اَلْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ » و قيل له: فأين النّاس يومئذ؟ فقال: فى الظلمه دون المحشر.

(و تعطل فيه صروم العشار) قد مرّ تفسيرهما فى بيان اللّغه، و قد صرّح بتعطيلها و اشير إلى ظلمه الأقطار كليهما فى قوله تعالى «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ » قال أمين الاسلام الطبرسىّ: أخبر اللّه سبحانه عن القيامه و شدائدها فقال: إذا الشّمس كوّرت، أى ذهب ضوءها و نورها فاظلمت و اضمحلّت، و إذا النّجوم انكدرت، أى تساقطت و تناثرت، و إذا الجبال سيّرت، عن وجه الأرض فصارت هباء منبثّا، و إذا العشار عطلت، أى النّوق الحوامل الّتى أتت عليها عشره أشهر، و هو أنفس مال عند العرب تركت هملا بلا راع، هذا.

و لمّا ذكر جمله من أوصاف يوم القيامه و أهاويلها تحذيرا منها أردفها بذكر نفخ الصّور الذى هو من أشراط الساعه و علاماتها الدّاله على قربها تهويلا به أيضا فقال:

(و ينفخ فى الصّور) و قد مضى شرح وصفه و تفصيل كيفيّه النفخ فيه فى شرح الفصل الثّالث من الخطبه الثّانيه و الثمانين بما لا مزيد عليه.

و أراد به النّفعه الاولى كما يدلّ عليه قوله:(فتزهق كلّ مهجه و تبكم كلّ لهجه)أى تضمحلّ و تهلك كلّ قلب و تخرس كلّ لسان، و هو كنايه عن هلاك العموم، و قد اشير إليه فى قوله تعالى«وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ ».

و يدلّ عليه أيضا قوله (و تذلّ الشّم الشّوامخ) أى الجبال الرّاسيات الشّامخات العاليات (و الصّم الرّواسخ) أى الثابتات المحكمات الرّاسيات و أراد بذلّتها دكّ بعضها بعضا من هيبه جلاله عزّ و جلّ و مخوف سلطنته.

و قد اشير إلى ذلك فى قوله تعالى «فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ » قال السيّد المحدّث الجزائرى: إنّ النفخه الاولى الّتى هى للهلاك تأتى

النّاس بغته و هم فى أسواقهم و طلب معايشهم، فاذا سمعوا صوت الصّور تقطعت قلوبهم و أكبادهم من شدّته فيموتوا دفعه واحده، فيبقى الجبّار جلّ جلاله فيأمر عاصفه فتقطع الجبال من أماكنها و تلقيها فى البحار، و تفور مياه البحار و كلّما فى الأرض و تسطح الأرض كلّها للحساب، فلا يبقى جبل و لا شجر و لا بحر و لا وهده و لا تلعه، فتكون أرضا بيضاء حتّى أنّه روى لو وضعت بيضه فى المشرق رأيت فى المغرب.

و إلى ذلك أشار بقوله (فيصير صلدها سرابا رقرقا) أى يصير صلبها مثل السّراب المترقرق المتحرّك.

(و معهدها قاعا سملقا) أى ما كان منها معهدا للنّاس و منزلا لهم أرضا خاليه صفصفا مستويه ليس للجبل فيها أثر.

و قد اشير إلى هذين فى قوله تعالى «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّى نَسْفاً فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً » و فى قوله «وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا » و قوله «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا » و قد مضى تفسير هذه الايات و جمله ممّا ينفع فى هذا المقام فى شرح الفصل الثالث من الخطبه المأه و الثامنه، هذا.

و لمّا ذكر جمله من أهوال يوم القيامه و أفزاعها و شدائدها رتّب على ذلك قوله (فلا شفيع يشفع و لا حميم يدفع و لا معذره تنفع) تنبيها بذلك على أنه لا ملجأ من أهاويلها و لا منجا ترغيبا به على ملازمه التقوى الّتى هى الغرض الأصلى من سوق هذا الفصل و النتيجه لتمهيد تلك المقدّمات لأنّها المعاذ و الملاذ و الملجاء و المنجا من هذه الأهاويل القائده للاخذ بها و الملازم عليها إلى أكنان الدّعه و أوطان السّعه و غرفات الجنان و منازل الرّضوان كما قال تعالى «وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » و قد اشير إلى عدم الشفيع و الحميم فى قوله تعالى فى سوره الشعرا «يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ إِلاّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِينَ وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ » إلى قوله حكايه عن الغاوين «فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ »

قال أمين الاسلام الطبرسیّ: أی لا ینفع المال و البنون أحدا إذ لا یتهیّأ لذی مال أن یفتدی من شدائد ذلک الیوم به، و لا یتحمّل من صاحب البنین بنوه شیئا من معاصیه إلّا من أتی اللّه بقلب سلیم من الشّرک و الشکّ.

و روی عن الصادق علیه السّلام أنه قال: هو القلب الذی سلم من حبّ الدّنیا، و یؤیّده قول النبی صلّی اللّه علیه و آله: حبّ الدّنیا رأس کلّ خطیئه.

و ازلفت الجنّه للمتقین أی قربت لهم لیدخلوها، و برّزت الجحیم للغاوین.

أی أظهرت و کشف الغطاء عنها للضالین عن طریق الحقّ و الصواب.

ثمّ أظهر الغاوون الحسره فقالوا: فما لنا من شافعین یشفعون لنا و یسألون فی أمرنا، و لا صدیق حمیم أی ذی قرابه یهمّه أمرنا أی ما لنا شفیع من الأباعد و لا صدیق من الأقارب، و ذلک حین یشفع الملائکه و النّبیون و المؤمنون.

و اشیر إلی عدم نفع المعذره فی سوره الرّوم بقوله «فَیَوْمَئِذٍ لا یَنْفَعُ الَّذِینَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ » أی لا ینفع الظالمین اعتذارهم لعدم تمکنهم من الاعتذار، و لو اعتذروا لم یقبل عذرهم و لا یطلب منهم الاعتاب و الرّجوع إلی الحقّ، و فی سوره المؤمن «یَوْمَ لا یَنْفَعُ الظّالِمِینَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّارِ » أی ان اعتذروا من کفرهم لم یقبل منهم و إن تابوا لم ینفعهم التّوبه.

قال الطبرسیّ: و انما نفی أن ینفعهم المعذره فی الاخره مع کونها نافعه فی دار الدّنیا، لأنّ الاخره دار الالجاء إلی العمل و الملجأ غیر محمود علی العمل الذی الجأ الیه، و لهم اللعنه و البعد من الرّحمه، و لهم سوء الدّار جهنّم و بئس القرار، نعوذ باللّه من غضب الجبار.

بشاره

اعلم أنّ ظاهر قوله: فلا شفیع یشفع و لا حمیم یدفع، عموم انتفاء الانتفاع بالشفیع و الحمیم یوم القیامه علی ما هو مقتضی القاعده الاصولیه المقرّره من إفاده النّکره فی سیاق النفی للعموم، لکن الأدله القاطعه من الکتاب و السّنه قد قامت

على التخصيص أمّا القرابه فقد ورد فى الأخبار الكثيره المستفيضه أنّ كلّ سبب و نسب منقطع يوم القيامه إلّا سبب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و نسبه.

و أمّا الشفاعه فلا خلاف بين علماء الاسلام بل صار من ضرورىّ دين سيّد الأنام أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يشفع يوم القيامه لامّته بل لساير الامم أيضا.

و إنّما الخلاف فى أنّ الشّفاعه هل هى لطلب مزيد الأجر و جلب زياده المنفعه فمختصّه بالمؤمنين المطيعين المستحقّين للثّواب فقط، أو لدفع مضرّه العقوبه أيضا فتعمّ المجرمين المستحقّين للعقاب.

فأكثر العامّه على عدم اختصاصها بأحد الفريقين، و ذهب الخوارج و الوعيديّه من المعتزله إلى اختصاصها بالفرقه الاولى.

و الذى ذهبت إليه أصحابنا الاماميّه رضوان اللّه عليهم من دون خلاف بينهم هو عدم الاختصاص، و قالوا: إنّه تنال الشفاعه للمذنبين من الشيعه و لو كان من أهل الكباير و الذى دلت عليه أخبارهم أيضا عدم اختصاص الشفيع برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل الأئمّه الهداه من ذرّيته و كذا ابنته الصّديقه الكبرى سلام اللّه عليها و عليهم تترى أيضا شفعاء دار البقاء بل المستفاد من بعض الأخبار أنّ علماء الشّيعه و الصالحين منهم أيضا يشفعون.

إذا عرفت ذلك فلا بأس بايراد بعض الايات و الأخبار الوارده فى هذا الباب فأقول:

قال أمين الاسلام فى مجمع البيان فى تفسير قوله تعالى «عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً» معناه يقيمك ربك مقاما محمودا يحمدك فيه الأوّلون و الاخرون، و هو مقام الشّفاعه تشرف فيه على جميع الخلايق تسأل فتعطى و تشفع فتشفع.

و قد أجمع المفسّرون على أنّ المقام المحمود هو مقام الشّفاعه، و هو المقام الذى يشفع فيه للنّاس، و هو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع فى كفّه و يجتمع تحته الأنبياء و الملائكه فيكون أوّل شافع و أوّل مشفّع.

و قال علىّ بن إبراهيم فى تفسير هذه الايه:

حدّثنى أبى عن الحسن بن محبوب عن سماعه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته

عن شفاعه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یوم القیامه قال یلجم الناس یوم القیامه بالعرق فیقولون انطلقوا بنا إلی آدم علیه السّلام یشفع لنا، فیأتون آدم علیه السّلام، فیقولون اشفع لنا عند ربک فیقول: إنّ لی ذنبا و خطیئه فعلیکم بنوح علیه السّلام، فیأتون نوحا فیردهم إلی من یلیه، و یردّهم کلّ نبیّ إلی من یلیه حتّی ینتهوا إلی عیسی علیه السّلام فیقول: علیکم بمحمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فیعرضون أنفسهم علیه و یسألونه فیقول: انطلقوا فینطلق بهم إلی باب الجنّه و یستقبل باب الرّحمن و یخرّ ساجدا فیمکث ما شاء اللّه فیقول اللّه:

ارفع رأسک و اشفع تشفّع و سل تعط، و ذلک قول اللّه عزّ و جل «عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً ».

و روی علیّ بن إبراهیم أیضا عن أبیه عن محمّد بن أبی عمیر عن معاویه و هشام عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لو قد قمت المقام المحمود لشفعت فی أبی و امّی و عمّی و أخ کان لی فی الجاهلیّه.

و فی الصافی عن العیاشی عن أحدهما علیهما السّلام فی هذه الایه قال: هی الشّفاعه.

و فیه عن روضه الواعظین عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: هو المقام الذی أشفع لامّتی.

قال و قال صلّی اللّه علیه و آله إذا قمت المقام المحمود تشفّعت فی أصحاب الکبایر من امّتی فیشفعنی اللّه فیهم، و اللّه لا تشفعت فیمن أذی ذرّیتی و قال الطبرسیّ فی قوله تعالی «وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَهُ عِنْدَهُ إِلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ » إنّه لا تنفع الشّفاعه عند اللّه إلاّ لمن رضیه اللّه و ارتضاه و أذن له فی الشفاعه مثل الملائکه و الأنبیاء و الأولیاء، و یجوز أن یکون المعنی إلاّ لمن أذن اللّه فی أن یشفع له فیکون مثل قوله «وَ لا یَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضی » و إنّما قال سبحانه ذلک، لأنّ الکفار کانوا یقولون نعبدهم لیقرّبونا إلی اللّه زلفی و هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه، فحکم اللّه ببطلان اعتقاداتهم.

و فی تفسیر علیّ بن إبراهیم فی هذه الایه قال: لا یشفع أحد من أنبیاء اللّه و رسله یوم القیامه حتّی یأذن اللّه له إلاّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فانّ اللّه قد أذن له الشّفاعه من قبل یوم القیامه و الشفاعه له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و للأئمه من ولده، ثمّ بعد ذلک للأنبیاء صلوات

اللّه عليهم و على محمّد و آله قال: حدّثنى أبى عن ابن أبى عمير عن معاويه بن عمّار عن أبى العبّاس المكبّر قال:

دخل مولى لامرأه علىّ بن الحسين عليهما السّلام على أبى جعفر عليه السّلام يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر تغترّون الناس و تقولون شفاعه محمّد شفاعه محمّد، فغضب أبو جعفر عليه السّلام حتّى تربد وجهه ثمّ قال: ويحك يا أبا أيمن أغرّك أن عفّ بطنك و فرجك أما لو قد رأيت أفزاع القيامه لقد احتجت إلى شفاعه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و يلك فهل يشفع إلاّ لمن وجبت له النّار، ثمّ قال: ما أحد من الأوّلين و الاخرين إلاّ و هو محتاج إلى شفاعه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم القيامه ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: إنّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الشفاعه فى امّته و لنا شفاعه فى شيعتنا، و لشيعتنا شفاعه فى أهاليهم، ثمّ قال عليه السّلام: و إنّ المؤمن ليشفع فى مثل ربيعه و مضر، و إنّ المؤمن ليشفع حتّى لخادمه و يقول: يا ربّ حقّ خدمتى كان يقينى الحرّ و البرد.

و قال الطبرسىّ فى قوله عزّ و جلّ «لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً » أى لا يقدرون على الشفاعه فلا يشفعون و لا يشفع لهم حين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض، لأنّ تلك الشفاعه على وجهين: أحدهما أن يشفع للغير، و الاخر أن يستدعى الشفاعه من غيره لنفسه، فبيّن سبحانه أنّ هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعتهم لغيرهم و لا شفاعه لهم لغيرهم، ثمّ استثنى سبحانه فقال: «إِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً »، أى لا يملك الشفاعه إلاّ هؤلاء، و قيل: لا يشفع إلاّ لهؤلاء و العهد هو الايمان و الاقرار بوحدانيّه اللّه تعالى و تصديق أنبيائه، و قيل: هو شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أن يتبرّء إلى اللّه من الحول و القوّه و لا يرجو إلاّ اللّه.

و فى الصافى من الكافى عن الصادق عليه السّلام إلاّ من دان اللّه بولايه أمير المؤمنين و الأئمّه عليهم السّلام من بعده فهو العهد عند اللّه.

و فيه من الجوامع عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال لأصحابه ذات يوم:

أ يعجز أحدكم أن يتّخذ كلّ صباح و مساء عند اللّه عهدا؟ قالوا: و كيف ذاك؟ قال: يقول: اللّهمّ فاطر السّموات و الأرض عالم الغيب و الشّهاده إنى أعهد إليك بأنّى أشهد أن لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك و أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عبدك و رسولك و أنّك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشرّ و تباعدنى من الخير، و أنّى لا أثق إلاّ برحمتك، فاجعل لى عندك عهدا توفينه يوم القيامه إنّك لا تخلف الميعاد، فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع وضع تحت العرش، فاذا كان يوم القيامه نادى مناد أين الذين لهم عند اللّه عهد فيدخلون الجنّه.

و قال الطبرسىّ فى قوله تعالى «فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ » فى الخبر المأثور عن جابر بن عبد اللّه قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: إنّ الرّجل يقول فى الجنّه ما فعل صديقى و صديقه فى الجحيم، فيقول اللّه تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنّه، فيقول من بقى فى النّار: فما لنا من شافعين و لا صديق حميم.

و قال و روى العياشىّ عن حمران بن أعين عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: و اللّه لنشفعنّ لشيعتنا، و اللّه لنشفعنّ لشيعتنا، و اللّه لنشفعنّ لشيعتنا حتّى يقول النّاس:

فما لنا من شافعين و لا صديق حميم فلو أنّ لنا كرّه فنكون من المؤمنين، و فى روايه اخرى حتّى يقول عدوّنا.

و عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ المؤمن ليشفع يوم القيامه لأهل بيته فيشفع فيهم حتّى يبقى خادمه فيقول و يرفع سبّا بتيه: يا ربّ خويدمى كان يقينى الحرّ و البرد، فيشفع فيه.

و فى الصافى من المحاسن عن الصادق عليه السّلام الشّافعون الأئمّه و الصّديق من المؤمنين، و اللّه لنشفعنّ من المذنبين فى شيعتنا حتّى يقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك:

فما لنا من شافعين و لا صديق حميم.

و فيه من الكافى عن الباقر عليه السّلام و انّ الشّفاعه لمقبوله و لا تقبل فى ناصب، و إنّ المؤمن ليشفع فى جاره و ما له حسنه فيقول: يا ربّ جارى كان يكفّ عنّى الأذى فيشفع فيه فيقول اللّه تبارك و تعالى: أنا ربّك و أنا أحقّ من كافى عنك فيدخله

اللّه الجنّه و ماله حسنه، و إنّ أدنى المؤمنين شفاعه ليشفع لثلاثين إنسانا فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين و لا صديق حميم و لنقتصر بذلك فى هذا المقام و نسأل اللّه سبحانه بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله الكرام عليهم السّلام أن يثبتنا على القول الثّابت فى الحياه الدّنيا، و أن يخرجنا منها إلى الدّار الأخرى بموالاه أئمّه الهدى، و أن لا يحرمنا من شفاعتهم الكبرى يوم لا ينفع مال و لا بنون و لا يدفع صديق حميم إلّا من أتى اللّه بقلب سليم، إنّه الغفور الرحيم ذو الفضل العظيم.

الترجمه

از جمله خطب شريفۀ آن بزرگوار است در حمد و ثناى إلهى و وصيّت به تقوى و پرهيزكارى مى فرمايد:

سپاس خدا راست آن چنان خدائى كه آشكار كرد از آثار پادشاهى خود و بزرگى بزرگوارى خود آن چيزى را كه متحيّر گردانيد ديدهاى عقلها را از مقدورات عجيبۀ خود، و دفع نمود خطورات فكرهاى نفسها را از شناسائى حقيقت صفت خود و شهادت مى دهم باين كه معبود بحقى نيست مگر خدا شهادتى از روى اعتقاد جازم ثابت خالص از شوب ريا ملازم طاعات و عبادات، و شهادت مى دهم كه محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بندۀ خالص اوست و پيغمبر اوست فرستاد او را در حالتى كه نشانهاى هدايت مندرس بود، و راههاى دين محو شده بود، پس آشكار كرد حق را و نصيحت كرد خلق را و هدايت نمود براه راست، و امر نمود بعدل و قسط، صلوات خدا بر او و بر أولاد او باد.

و بدانيد اى بندگان خدا كه بتحقيق خدا خلق نفرموده شما را عبث و بى فايده و رها نكرده شما را سر خود، دانسته است مقدار نعمتهاى خود را بر شما، و شمرده است انعام خود را بر شما، پس طلب فتح و نصرت كنيد از او و طلب فوز بمقصود نمائيد از او، و متوجّه شويد بسوى او در مطالب، و طلب بخشش او كنيد، پس

نبریده است شما را از او پردهٔ، و بسته نشده است از شما نزد او هیچ دری، و بدرستی که او در هر مکان و در هر وقت و زمان حاضر، و با هر انسان و جانّ مصاحب.

صدمه نمی رساند کرم او را بخشش و عطا، و نقصان نمی رساند خزانهٔ احسان او را کرم او، و تمام نمی نماید بحر عطای او را هیچ سؤال کنندهٔ، و بپایان نمی رساند نعمتهای او را هیچ عطیهٔ، پیچیده نمی نماید او را شخصی از شخصی، و مشغول نمی گرداند او را آوازی از آوازی، و مانع نمی شود او را بخششی از ربودنی، و رو گردان نمی سازد او را غضبی از رحمتی، و حیران نمی گرداند او را رأفتی از عذابی، و پنهان نمی دارد پنهانی ذات او از آشکاری آثار او، و منقطع نمی سازد ظهور آثار او از خفاء ذات او، نزدیک شد بمخلوقات با علم و قیومیّت پس دور شد از ایشان بحسب ذات، و بلند شد بهمه چیز با استیلا و سلطنت پس نزدیک شد بایشان با علم و احاطه و ظاهر شد پس از کثرت ظهور خفا بهم رساند، و مخفی گشت پس در خفایش آشکار گردید، و لنعم ما قیل:

از همه کان بی نیاز و بر همه مشفق و ز همه عالم نهان و بر همه پیدا

و جزا داد بهمهٔ عباد و جزا داده نشد، و خلق نفرمود خلق را با جولان فکر و تدبیر، و طلب اعانت نجست از ایشان بجهت عجز و ضعفی.

وصیّت میکنم شما را ای بندگان خدا بتقوی و پرهیزکاری خدا پس بدرستی که آن تقوی افساریست مانع از دخول هلاکتها، و قوام دین شما با اوست، پس بچسبید بریسمانهای محکم او، و چنگ بزنید بحقیقتهای آن یعنی اعتقادات حقهٔ یقینیه که راجع می سازد شما را بمکان های راحت و وطنهای با وسعت و حصارهای محکم و منزلهای عزت در روزی که شاخص می شود در آن دیدها، و تاریک می شود بسبب شدت آن روز اطراف عالم، و معطل و بی صاحب می ماند در آن روز شتران کم شیر که از مدت حمل او ده ماه گذشته باشد و نزدیک بزائیدن شود.

و دمیده شود در صور اسرافیل پس مضمحل و هلاک می شود هر قلب، و لال می شود

ص:۲۰۶

هر زبان، و ذلیل می شود کوههای بلند بالا و سنگهای سخت محکم پس می گردد سنگهای صلب آنها مثل سراب متحرّک، و قرارگاههای آنها زمین خالی هموار بی بلند و پست، پس نباشد شفیعی که شفاعت نماید، و نه خویشی که دفع عذاب کند و نه عذری که منفعت بخشد.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و الخامس

اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

بعثه حين لا علم قائم، و لا منار ساطع، و لا منهج واضح. أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه، و أحذّركم الدّنيا فإنّها دار شخوص، و محلّه تنغيص، ساكنها ظاعن، و قاطنها بائن، تميد بأهلها ميدان السّفينه بأهلها، تقصفها العواصف فی لجج البحار، فمنهم الغرق الوبق، و منهم النّاجی على متون الأمواج، تحفزه الرّياح بأذيالها، و تحمله على أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدرك، و ما نجى منها فإلی مهلك. عباد اللّه الان فاعملوا و الألسن مطلقه، و الأبدان صحيحه، و الأعضاء لدنه، و المنقلب فسيح، و المجال عريض، قبل إرهاق الفوت، و حلول الموت، فحقّقوا عليكم نزوله، و لا تنتظروا قدومه.

ص:۲۰۷

اللغه

(العلم) محرّكه ما ينصب فى الطريق ليهتدى به و يقال أيضا للجبل أو الجبل المرتفع و الجمع أعلام و (المنار) موضع النور و المسرجه كالمناره و أصلها منوره و جمعه مناور و ذو المنار أبرهه تبّع بن الرّايش لأنّه أوّل من ضرب المنار على طريقه فى مغازيه ليهتدى به إذا رجع.

و (سطع) الشيء من باب منع سطوعا ارتفع و (شخص) من باب منع أيضا شخوصا خرج من موضع إلى غيره و (نغص) الرّجل من باب فرح لم يتمّ مراده، و البعير لم يتمّ شربه و أنغص اللّه عليه العيش و نغّصه كدّره فتنغّصت معيشته تكدّرت.

و (قصفه) يقصفه قصفا كسره، و فى بعض النّسخ تصفقها بدل تقصفها من الصّفق و هو الضّرب يسمع له صوت، و منه صفق يده على يده صفقا و صفقه أى ضرب يده على يده، و ذلك عند وجوب البيع.

و (اللّجج) جمع لجّه و هى معظم البحر و (غرق) غرقا من باب فرح فهو غرق و (وبق) من باب وعد و وجل و ورث و بوقا و موبقا هلك فهو وبق و (حفزه) يحفزه من باب ضرب دفعه من خلفه و بالرّمح طعنه و عن الأمر أزعجه و أعجله و حفز اللّيل النّهار ساقه و (اللّدن) و اللّدنه اللّين من كلّ شيء و الجمع لدان ولدن بالضمّ، و الفعل لدن من باب كرم لدانه ولدونه أى لان و (رهقه) من باب فرح غشيه و لحقه أو دنا منه سواء أخذه أو لم يأخذه، و الارهاق أن يحمل الانسان على ما لا يطيقه.

الاعراب

جمله تحفزه فى محلّ النّصب على الحال من النّاجى، و قوله: فالى مهلكك

متعلّق بمقدّر خبر ما، و قوله: الان، منصوب على الظّرف مقدّم على عامله و هو قوله: فاعلموا، و جمله: و الألسن مطلقه، مع الجملات الأربع التّاليه فى موضع النّصب حال من فاعل فاعملوا، و قوله: قبل ارهاق الفوت، يجوز تعلّقه بعريض و بقوله فاعلموا، و الأوّل أقرب لفظا، و الثانى أنسب معنا.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه مسوقه للوصيّه بالتّقوى و التنفير من الدّنيا بذكر معايبها المنفره عنها و للأمر بالأعمال الصّالحه و المبادره إليها قبل لحوق الفوت و نزول الموت، و قبل أن يشرع فى الغرض افتتح بذكر بعثه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله لكونها أعظم ما منّ اللّه به على عباده حيث إنّها مبدء جميع الالاء و النّعماء فى الاخره، و منشأ السعاده الدّائمه فقال عليه السّلام:

(بعثه حين لا علم) من أعلام الدّين(قائم)و استعاره للأنبياء و المرسلين لأنّه يستدلّ بهم فى سلوك طريق الاخره كما يستدلّ بالأعلام فى طرق الدّنيا (و لا منار) للشّرع المبين (ساطع) استعاره لأولياء الدّين و قاده اليقين لأنّه يهتدى بهم و يقتبس من علومهم و أنوارهم فى ظلمات الجهاله كما يهتدى بالمنار فى ورطات الضلاله.

و أشار بعدم سطوع المنار و قيام العلم إلى خلوّ الأرض من الرّسل و الحجج و انقطاع الوحى حين بعثه صلّى اللّه عليه و آله، لأنّه كان زمان فتره كما قال عليه السّلام فى الخطبه الثامنه و الثمانين: أرسله على حين فتره من الرّسل و طول هجعه من الامم «إلى قوله» و الدّنيا كاسفه النّور ظاهره الغرور، و قد مضى فى شرحها ما ينفعك المراجعه إليه فى هذا المقام.

(و لا منهج) لليقين (واضح) و أشار به إلى اندراس نهج الحقّ و انطماس طريق السّلوك إلى اللّه و كون النّاس فى خبط و ضلاله و غفله و جهاله.

ص:۲۰۹

ثمّ شرع بالوصيّه بالتقوى و التّحذير من الدّنيا فقال (اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه) فانّها اليوم الحرز و الجنّه و غدا الطريق إلى الجنّه (و أحذّركم الدّنيا فانّها) ظلّ زائل وضوء آفل و سناد مائل (دار شخوص) و ارتحال (و محلّه تنغيص) و تكدير لتكدّر عيشه بالالام و الأسقام (ساكنها ظاعن) مرتحل (و قاطنها بائن) مفترق يعنى انّ السّاكن فيها ليس بساكن فى الحقيقه، و المقيم بها منتقل عنها البتّه و ذلك لما بيّنا فى تضاعيف شرح الخطب السّابقه أنها فى الحقيقه سفر الاخره و هى الوطن الأصلى للانسان فهو من أوّل يوم خرج من بطن امّه و وضع قدمه فى هذه النشأه دائما فى حركه و ازيال و ازداف و انتقال و ينقضى عمره شيئا فشيئا يبعد من المبدأ و يقرب من المنتهى فسكونها نفس زوالها، و اقامتها نفس ارتحالها، و بقاؤها عين انتقالها و وجودها حدوثها، و تجدّدها فناؤها، فانّها عند ذوى العقول كفىء الظل، بينا تراه سابغا حتّى قلص، و زايدا حتّى نقص.

ثمّ ضرب للدّنيا و أهلها مثلا عجيبا بقوله(تميد بأهلها ميدان السّفينه بأهلها)حال كونها(تقصفها)القواصف و تصفقها(العواصف)من الرّياح(فى لجج البحار)الغامرات المتلاطمه التيّار المتراكمه الزّخار، و هو من تشبيه المركب بالمركب على حدّ قول الشاعر:

و كأنّ أجرام النجوم طوالعا درر نشرن على بساط أزرق

شبّه عليه السّلام الدّنيا بالسّفينه التّى فى اللّجج حال كونها تضربها الرّياح الشديده العاصفه و شبّه أهل الدّنيا بأهل السّفينه، و شبه تقلّباتها بأهلها بالهموم و الأحزان و الغموم و المحن بميدان السفينه و اضطرابها بأهلها، و شبّه الأمراض و الالام و العلل و الأسقام و نحوها من الابتلاءات الدّنيويّه الموجبه للهموم و الغموم بالرّياح العاصفه الموجبه لاضطراب السّفينه، و وجه الشّبه أنّ راكبى السّفينه فى لجج البحار الغامره عند هبوب الرّيح العاصفه و الزعزع القاصفه كما لا ينفكّون من علز القلق و غصص الجرض، فكذلك أهل الدّنيا لا ينفكّون من مقاسات الشدائد و ألم المضض.

ص:۲۱۰

و أيضا (ف) كما أنّ راكبى السّفينه بعد ما انكسرت بالقواصف على قسمين:

قسم (منهم الغرق الوبق) الهالـك فى غمـار البحر (و) قسم (منهم النّـاجى) من الغرق على بعض أخشاب السّـفينه و ألواحها (على متون الأمواج) المتلاطمه المتراكمه (تحفزه) و تـدفعه (الرّيـاح) العاصـفه و الزّعـازع القاصـفه (بأذيالهـا) من جنب إلى جنب (و تحمله على أهوالها) و تسوقه من رفع إلى خفض و من خفض إلى رفع.

فكـذلك أهل الدّنيا ينقسم إلى قسـمين: أحدهما الهالك عاجلا بغمرات الالام و طوارق الأوجاع و الأسـقام، و الثّانى النّاجى من الهلاك بعد مكابده تعب الأمراض و مقاساه مراره العلل.

و أيضا (ف) كما أنّ(ما غرق منها)أى من السّـفينه و أراد به الغريق من أهلها مجازا(فليس بمستـدرك)أى ممكن التـدارك(و ما نجى منها)أى النّاجى من أهلها(ف)عاقبته(إلى مهلك)أى إلى الهلاك و إن عاش يسيرا.

فكـذلك أهل الـدّنيا من مات منهم لا يتدارك و لا يعود، و من حصل له البرء و الشـفاء من مرضه و نجا من الموت عاجلا فماله إليه لا محاله آجلا و إن تراخى أجله قليلا.

و الغرض من هـذه التشبيهات كلّها التّنفير عن الـدّنيا و التنبيه على قرب زوالها و تكـدّر عيشـها و مراره حياتها ليرغب بـذلك كلّه إلى العمل للدّار الاخره، و لذلك فرّع عليه قوله:

(عبـاد اللّه الان فاعملوا) أى بادروا العمل و اسـتقربوا الأجل و لا يغرّنّكم طول الأمل (و الألسن مطلقه) متمكنه من التّكلم بما هو فرضها من القراءه و الذكر و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و نحوها قبل ثقلها و اعتقالها بالمرض الحايل بينها و بين منطقها كما فى حاله الاحتضار.

(و الأبدان صحيحه) مقتدره على الاتيان بالتكاليف الشّرعيّه قبل سقمها و عجزها منها.

(و الأعضاء) و الجوارح (لدنه) لينه ببضاضه الشّباب و غضاره الصحّه قادره على

القيام بالطاعات و الحسنات قبل يبسها بنوازل السقم و عجزها بحوانى الهرم.

(و المنقلب فسيح) أى محلّ الانقلاب و التصرّف وسيع، لأنّ الخناق مهمل و الروح مرسل فى راحه الاجساد و باحه الاحتشاد.

(و المجال عريض) لانفساح الحوبه و إمكان تدارك الذنوب بالتوبه قبل الضنك و الضيق و الرّوع و الزهوق.

و (قبل إرهاق الفوت) و قدوم الغائب المنتظر (و حلول الموت) و أخذه العزيز المقتدر.

(فحقّقوا عليكم نزوله) و لا تستبطئوه (و لا تنتظروا قدومه) و لا تسوّفوه، و هو أمر بالاستعداد للموت و المبادره الى أخذ الزّاد له و لما بعده يقول: إنّ الموت قد أظلكم و أشرف عليكم فكأنّه قد أدرككم و نزل إلى ساحتكم فلا يغرّنكم الأمل و لا يطولنّ بكم الأمد، فبادروا إلى الصّالحات و استبقوا الخيرات و سارعوا إلى مغفره من ربّكم و جنّه عرضها الأرض و السموات، نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا و إياكم ممّن لا يغرّه الامال، و لا تلهيه الامنيّات، انّه الموفّق و المعين.

الترجمه

از جمله كلام بلاغت نظام آن حضرتست در اشارت به بعثت و وصيّت بتقوى و تحذير از دنيا مى فرمايد:

مبعوث فرمود حضرت پروردگار رسول مختار را در زمانى كه نبود هيچ علمى بر پا، و نه منارۀ بلند، و نه راهى روشن وصيّت مى كنم شما را أى بندگان خدا بتقوى و پرهيزكارى خدا، و مى ترسانم شما را از دنياى بيوفا، پس بدرستى كه آن دنيا خانۀ رحلت است و محلّه كدورت، ساكن او كوچ كننده است، و مقيم او جدا شونده، مضطرب مى شود بأهل خود مثل اضطراب كشتى در حالتى كه سخت بوزد به آن كشتى تند بادها در گردابهاى درياها، پس

بعضی از اهل آن کشتی غرق و هلاک شونده باشد، و بعضی دیگر نجات یابنده بر بالای موجها در حالتی که براند او را بادها با دامنهای خود، و بر دارد او را به جاهای هولناک دریا، پس کسی که غرق شده از آن کشتی درک نمی شود، و کسی که نجات یافته از آن پس عاقبت کار او بهلاکت است.

ای بندگان خدا پس مواظب عمل باشید این زمان در حالتی که زبانها سلامت است، و بدنها صحیح است، و عضوها تر و تازه، و مکان تصرّف وسیع است و مجال عبادت فراخ، پیش از احاطهٔ وفات و حلول ممات، پس محقق انکارید بخودتان حلول آن را، و منتظر نباشید بقدم و آمدن آن.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و السادسه

اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

و لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله أنّی لم أردّ علی اللّه و لا علی رسوله ساعه قطّ، و لقد واسیته بنفسی فی المواطن الّتی تنکص فیها الأبطال، و تتأخّر فیها الأقدام، نجده أکرمنی اللّه بها، و لقد قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و إنّ رأسه لعلی صدری، و لقد سالت نفسه فی کفّی، فأمررتها علی وجهی، و لقد ولّیت غسله - صلّی اللّه علیه و آله - و الملائکه أعوانی، فضجّت الدّار و الأفنیه، ملاء یهبط، و ملاء یعرج، و ما فارقت سمعی هینمه منهم، یصلّون علیه حتّی واریناه فی ضریحه، فمن ذا أحقّ به منّی حیّا و میّتا، فانفذوا

على بصائركم، و لتصدق نيّاتكم فى جهاد عدوّكم، فوالّذى لا إله إلاّ هو إنّى لعلى جادّه الحقّ، و إنّهم لعلى مزلّه الباطل، أقول ما تسمعون، و أستغفر اللّه لى و لكم.

اللغه

(المستحفظون) بصيغه المفعول من استحفظه الشىء أى أودعه عنده و طلب منه أن يحفظه فهو مستحفظ و ذاك مستحفظ و (واسيته) من المواساه يقال واسيته و آسيته و بالهمزه أفصح و (نكص) عن الشىء نكوصا من باب قعد أحجم عنه، و نكص على عقبيه رجع قال تعالى «فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ ».

و (النّجده) البأس و الشدّه و الشجاعه و (النفس) بسكون الفاء الدّم و بالتحريك واحد الأنفاس و (فناء) الدّار وزان كساء ما اتّسع أمامها أو ما امتدّ من جوانبها و الجمع أفنيه و فنى و (الضجيج) الصّياح عند المكروه و الجزع و (الهينمه) بفتح الهاء الصّوت الخفىّ و قيل الكلام الخفىّ لا يفهم و (الضّريح) القبر أو الشقّ وسطه و الأول هو المراد هنا و (المزلّه) الموضع الذى تزلّ فيه قدم الانسان كالمزلفه

الاعراب

الواو فى قوله: و لقد فى المواضع الخمسه كلّها للقسم و المقسم به محذوف و اللاّم جواب القسم، قوله: نجده، منصوب على المفعول له و العامل واسيته قال الشّارح المعتزلى: منصوب على المصدر و العامل محذوف و الأوّل أظهر.

و قوله: ملاء يهبط و ملاء يعرج، مرفوعان بالابتداء و لا يضرّ كونهما: نكرتين لتضمّن الفايده العظيمه، و جمله و ما فارقت، فى محلّ النصب على الحال من فاعل يهبط و يعرج، و جمله يصلّون استينافيّه بيانيّه و تحتمل الانتصاب محلاّ على الحال

ص:۲۱۴

من هینمه أی ما فارقت سمعی هینمتهم حالکونهم یصلّون، و الأوّل أولی لاحتیاج الثّانی إلی نوع تکلّف و قوله: حیّا و میّتا، حالان من الضمیر المجرور فی به و الفاء فی قوله: فانفذوا، فصیحه

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشریفه مسوقه لبیان جمله من مناقبه الجمیله و خصائصه المختصّه به المفید لمزید اختصاصه برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قربه منه استدلالا بذلک علی أنّه أحقّ و أولی بالخلافه و القیام مقامه صلّی اللّه علیه و آله و أنّه علی الحقّ و غیره علی الباطل، و غرضه منه تنبیه المخاطبین علی وجوب إطاعته فیما یأمرهم به من جهاد الأعداء المبطلین.

إذا عرفت ذلک فأقول: إنّه ذکر خمسا من فضایله و صدّر کلا بالقسم البارّ تأکیدا للغرض المسوق له الکلام و تنبیها علی أنّ اتّصافه بها جمیعا حقّ لا یعتریه ریب و لا یدانیه شکّ.

اولها ما أشار إلیه بقوله (و لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله انّی لم أردّ علی اللّه و لا علی رسوله ساعه قطّ) المراد بالمستحفظون خیار الصحابه المطلعون علی أسرار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سیرته و معجزاته و کراماته و عهوده و مواثیقه و الملاحم الواقعه فی زمانه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و نحو ذلک ممّا یتعلّق به صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فی نفسه و فی أوصیائه و أتباعه من الأمور المعظمه الّتی یهتمّ بها فی الشریعه و لها مدخل فی قوام أرکان الدّین و إعلاء لواء الشرع المبین الذین کلّفوا بحفظ ذلک کلّه و امروا بأن یبلغوها و یؤدّوها فی مقام الضروره و الحاجه.

و إنّما خصّ علم ما ذکره بهؤلاء مع عدم اختصاصه بهم لأنّ هؤلاء بمقتضی تصلّبهم فی الدّین لا یکتمون الشهاده و لا یغیّرونها و لا یبدّلونها فی مقام الحاجه للأغراض الدّنیویّه الفاسده کما کتمها جمع منهم مثل زید بن أرقم و أنس بن مالک و نظرائهم.

ص:۲۱۵

کما روی فی البحار من الخصال و الأمالی عن جابر الجعفی عن جابر بن عبد اللّه الأنصاری قال:

خطبنا علیّ بن أبی طالب علیه الصلاه و السلام فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

أیّها الناس إنّ قدام منبرکم هذا أربعه رهط من أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم منهم انس بن مالک و البراء بن عازب الأنصاری و الأشعث بن قیس الکندی و خالد بن یزید البجلی ثمّ أقبل بوجهه علی أنس بن مالک فقال:

یا أنس إن کنت سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه ثمّ لم تشهد لی الیوم بالولایه فلا أماتک اللّه حتّی یبتلیک ببرص لا تغطیه العمامه و أمّا أنت یا أشعث فان کنت سمعت من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو یقول: من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه ثمّ لم تشهد لی الیوم بالولایه فلا أماتک اللّه حتّی یذهب بکر یمتیک.

و أمّا أنت یا خالد بن یزید إن کنت سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه ثمّ لم تشهد لی الیوم بالولایه فلا أماتک اللّه إلّا میته جاهلیّه.

و أمّا أنت یا براء بن عازب إن کنت سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه ثمّ لم تشهد لی بالولایه فلا أماتک اللّه إلّا حیث هاجرت منه.

قال جابر بن عبد اللّه الأنصاری:

و اللّه لقد رأیت أنس بن مالک قد ابتلی ببرص یغطیه بالعمامه فما یستتره.

و لقد رأیت الأشعث بن قیس و قد ذهبت کریمتاه و هو یقول: الحمد للّه الذی جعل دعاء أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام بالعمی فی الدّنیا و لم یدع علیّ بالعذاب فی الاخره فأعذّب.

و أمّا خالد بن یزید فانّه مات فأراد أهله أن یدفنوه و حفر له فی منزله فسمعت بذلک کنده فجاءت بالخیل و الابل فعقرتها علی باب منزله فمات میته جاهلیه.

ص:۲۱۶

و أمّا البراء بن عازب فانّه ولّاه معاويه اليمن فمات بها و منها كان هاجر.

فقد ظهر بذلك أنّ المستحفظين هم المكلّفون بحفظ الامور المهمّه المعتدّ بها فى أمر الدين، و أنّ تخصيصهم بالعلم لعدم كتمانهم لما حملوه لو رجع الخاطئون اليهم.

و اما أنّه عليه السّلام ما ردّ على اللّه و رسوله أبدا فهو معلوم محقّق لا خفاء فيه بل من ضروريّات المذهب لملكه العصمه المانعه من مخالفته للّه و لرسوله صلّى اللّه عليه و آله.

و قال الشّارح المعتزلى: و الظاهر أنّه يرمز فى قوله عليه السّلام: لم أردّ على اللّه و لا على رسوله ساعه قط، إلى أمور وقعت من غيره كما جرى يوم الحديبيّه عند سطر كتاب الصّلح، فانّ بعض الصحابه أنكر ذلك، و قال: يا رسول اللّه أ لسنا المسلمين؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: بلى قال: أ و ليسوا الكافرين؟ قال: بلى، قال: فكيف نعطى الدّنيه من دنيانا و اللّه لو أجد أعوانا لم أعط الدّنيه أبدا، فقال أبو بكر لهذا القائل: ويحك الزم غرزه(١) فو اللّه إنّه لرسول اللّه و إنّ اللّه لا يضيعه، ثمّ قال له: أ قال لك أنّه سيدخلها هذا العام؟ قال: لا، قال: فسيدخلها، فلمّا فتح النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مكّه و أخذ مفاتيح الكعبه دعاه فقال: هذا الّذى وعدتم به.

قال الشّارح: و اعلم أنّ هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، و النّاس كلّهم رووه و ليس عندى بقبيح و لا بمستهجر أن يكون سؤال هذا الشخص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عما سأله عنه على سبيل الاسترشاد و التماسا لطمأنينه النّفس. فقد قال اللّه تعالى لخليله إبراهيم «أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى».

و قد كانت الصحابه يراجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الامور و تسأله عمّا يشتبهم عليها و تقول له أ هذا منك أم من اللّه.

و أمّا قول أبى بكر له: الزم غرزه فو اللّه انّه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فانّما هو تاكيد و تثبيت على عقيدته الّتى فى قلبه، و لا يدلّ ذلك على الشّك فقد قال اللّه تعالى لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله «وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا» و كلّ أحد لا يستغنى عن زياده اليقين و الطمأنينه.

ص:٢١٧

١- (١) - أى ركابه، منه.

قال: و قد كانت وقعت من هذا القائل أمور دون هذا القصه، كقوله: دعنى أضرب عنق أبى سفيان، و قوله: دعنى أضرب عنق عبد اللّه ابن أبىّ، و قوله: دعنى أضرب عنق حاطب بن أبى بلتعه، و نهى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن التّسرع إلى ذلك و جذبه ثوب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين قام على جنازه ابن سلول يصلّى و قوله: تستغفر لرأس المنافقين.

و ليس فى ذلك جميعه ما يدلّ على وقوع القبيح منه و إنّما كان الرّجل مطبوعا على الشدّه و الشّراسه و الخشونه و كان يقول ما يقول على مقتضى السجيّه الّتى طبع عليها، و على أىّ حال كان فلقد نال الاسلام بولايته و خلافته خيرا كثيرا، انتهى.

أقول: مراد الشارح بهذا الرّجل الذى حكى عنه هذه الأباطيل هو عمر بن الخطاب، و إنّما ترك التّصريح باسمه ملاحظه لجانبه، و لقد عكس فى شرح قوله عليه السّلام:

فصيّرها فى حوزه خشناء، من الخطبه الثالثه و قال هناك: قال عمر للنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم تقل لنا ستدخلونها فى ألفاظ نكره حكايتها حتّى شكاه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى أبى بكر و حتى قال له أبو بكر: الزم بغرزه فو اللّه إنه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، انتهى.

فصرّح باسمه و طوى عن تحصيل مقاله و فضول كلامه استكراها و استهجانا لما صدر منه من الرّدّ و المخالفه و إساءه الأدب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و استحياء منه عليه السّلام.

و لكن غير خفىّ على المنصف البعيد عن العصبيّه و الهوى أنّ شناعه ما صدر من هذا الرّجل لا يمكن أن يتدارك بالستر و الكتمان و الابهام عن اسمه تاره و الاجمال عن هذيانه اخرى، و نعم ما قيل:

و لن يصلح العطار ما أفسد الدّهر

فلقد صدر منه من القول الشنيع القبيح ما هو أشدّ و أعظم من ذلك، و هو ما قاله لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مرضه الذى مات فيه لما قال صلّى اللّه عليه و آله: ائتونى بكتف و دواه اكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعده أبدا، فقال عمر: إنّ الرّجل ليهجر.

ص:۲۱۸

و فی البحار من المجلّد الثانی من صحیح مسلم فقال: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یهجر.

و أما ما اعتذر به الشارح عن مثالبه بأنه لیس بقبیح أن یکون سؤال هذا الرّجل علی سبیل الاسترشاد و التماسا لطمأنینه النفس.

ففیه أنه لو کان غرضه الاسترشاد دون الاعتراض لا کتفی بما سمعه من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله له و أمسک عن فضول کلامه و لم یغضبه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی یشکو إلی أبی بکر، فعلم بذلک أنه أراد التعریض و الاعتراض کما علم عدم جواز قیاس سؤاله بسؤال الخلیل علیه السّلام الذی کان غرضه منه الطمأنینه کما صرّح به بقوله: بلی و لکن لیطمئنّ قلبی، و ستعرف مزید توضیحه بما نحکیه من البحار فی التنبیه الاتی.

و أما سؤال سایر الصّحابه عنه صلّی اللّه علیه و آله فی الامور و قولهم له: أ هذا من اللّه أو منک.

ففیه أنّ سؤالهم ذلک أیضا کان ناشیا عن جهالتهم، لأنّهم لو کانوا معتقدین بما أنزل اللّه فی حقّه من قوله: و ما ینطق عن الهوی إن هو إلاّ وحی یوحی، و مذعنین بأنّ جمیع ما یقوله و یفعله بوحی من اللّه سبحانه و اذن منه عزّ و جلّ، لم یکن لهم حاجه إلی السّؤال، و لسلّموا فی جمیع أفعاله و أقواله تسلیما.

و أما التّمثیل علی نفی الشّکّ عن عمر بقوله تعالی «وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلاً ».

ففیه أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله قد قامت الأدلّه القاطعه من العقل و النقل علی عصمته و علی رسوخه فی الدّین، و الایه و إن کان الخطاب فیها ظاهرا متوجها إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلاّ أنّ المراد بها امّته من قبیل ایّاک أعنی و اسمعی یا جاره.

و علی إبقائه علی ظاهره فالمراد بتثبیته صلّی اللّه علیه و آله، هو تثبیته بالنّبوه و العصمه و الألطاف الخفیّه الالهیّه، لما قد دللنا علی أنه کان معصوما، و أمّا عمر فأیّ دلیل علی أنّه لم یکن شاکا فی الدّین حتّی یقال إنّ قول أبی بکر له: فو اللّه إنه لرسول اللّه، لم یکن لأجل الشکّ بل لتثبیته علی عقیدته، فافهم جیّدا.

ص:۲۱۹

و اما دنس جذبه بثوب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين إرادته الصّلاه على ابن سلول فلا يطهره النّيل و لا الرّسّ.

إذ فيه من القباحه و المخالفه و الاعتراض و سوء الأدب و التّعريض ما لا مزيد عليه.

مضافا إلى قوله: كيف تستغفر لرأس المنافقين أ كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و العياذ باللّه جاهلا بتكليفه الشّرعى فعلّمه عمر، و قد كان معالم الدّين منه ظهرت و أحكام الشّرع المبين منه اخذت، و هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شارعها و صادعها.

و قيامه على جنازه ابن سلول و صلاته عليه إمّا من جهه أداء حقّ ولده و هو عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى سلول فلقد كان مؤمنا.

و إمّا من جهه أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صلّى عليه لا ترحّما له بل دعا عليه بالنار و العذاب و لم يكن به بأس.

و أمّا استغفاره صلّى اللّه عليه و آله فلكونه صلّى اللّه عليه و آله، مخيّرا بين الاستغفار و عدم الاستغفار.

و يوضح ما ذكرته ما رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن حماد بن عثمان عن الحلبى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لمّا مات عبد اللّه بن أبى سلول حضر النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جنازته فقال عمر لرسول اللّه: يا رسول اللّه أ لم ينهك اللّه أن تقوم على قبره؟ فسكت فقال: يا رسول اللّه أ لم ينهك اللّه أن تقوم على قبره؟ فقال له:

ويلك و ما يدريك ما قلت إنّى قلت: اللهمّ احش جوفه نارا و املاء قبره نارا و اصله نارا، قال أبو عبد اللّه صلوات اللّه عليه: فأبدى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما كان يكره.

و فى الصافى من تفسير علىّ بن إبراهيم فى قوله تعالى «اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ » انّها نزلت لمّا رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى المدينه و مرض عبد اللّه بن أبى و كان ابنه عبد اللّه مؤمنا فجاء إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أبوه يجود بنفسه فقال: يا رسول اللّه بأبى أنت و امّى إن لم تأت أبى كان ذلك عارا علينا، فدخل عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المنافقون عنده، فقال ابنه عبد اللّه بن عبد اللّه: يا رسول اللّه استغفر له، فاستغفر له، فقال عمر: أ لم ينهك يا رسول اللّه أن

تصلّى عليهم أو تستغفر لهم؟ فأعرض عنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فأعاد عليه، فقال له: ويلك إنّى خيّرت إنّ اللّه يقول استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، الايه.

فلمّا مات عبد اللّه جاء ابنه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: بأبى أنت و امّى يا رسول اللّه أ رأيت تحضر جنازته فحضر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قام على قبره فقال له عمر: يا رسول اللّه أ و لم ينهك اللّه أن تصلّى على أحد منهم مات أبدا و أن تقوم على قبره؟ فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ويلك و هل تدرى ما قلت، إنّما قلت: اللهمّ احش قبره نارا و جوفه نارا و اصله النار، فبدا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما لم يكن يحبّ.

و فى الصافى عن العياشى عن الباقر عليه السّلام أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لابن عبد اللّه بن أبىّ اذا فرغت من أبيك فأعلمنى، و كان قد توفّى فأتاه فأعلمه فأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نعليه للقيام فقال له عمر: أ ليس قد قال اللّه تعالى: و لا تصلّ على أحد منهم مات أبدا و لا تقم على قبره، فقال صلّى اللّه عليه و آله له: ويلك أو ويحك إنّما أقول: اللهمّ املاء قبره نارا و املاء جوفه نارا، و اصله يوم القيامه نارا و فى روايه اخرى أنّه أخذ بيد ابنه فى الجنازه فمضى فتصدّى له عمر ثمّ قال: أما نهاك ربك عن هذا أن تصلّى على أحد منهم مات أبدا أو تقوم على قبره؟ فلم يجبه، فلما كان قبل أن ينتهوا به إلى القبر أعاد عمر ما قاله أوّلا، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لعمر عند ذلك: ما رأيتنا صلّينا له على جنازه و لا قمنا له على قبر.

ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ ابنه رجل من المؤمنين و كان يحقّ علينا أداء حقّه، فقال عمر:

أعوذ باللّه من سخط اللّه و سخطك يا رسول اللّه.

قال فى الصّافى بعد ايراد هذه الرّوايات:

أقول: و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حييا كريما كما قال اللّه عزّ و جلّ: فيستحيى منكم و اللّه لا يستحيى من الحقّ، فكان يكره أن يفتضح رجل من أصحابه ممّن يظهر الايمان، و كان يدعو على المنافق و يورّى أنّه يدعو له، و هذا معنى قوله صلّى اللّه عليه و آله لعمر: ما رأيتنا صلّينا له على جنازه و لا قمنا له على قبر، و كذا معنى قوله فى حديث القمّى: خيّرت فاخترت، فورّى عليه السّلام باختيار الاستغفار

و أمّا قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه: فاستغفر له فلعلّه استغفر لابنه لمّا سأل لأبيه الاستغفار و كان يعلم أنه من أصحاب الجحيم، و يدلّ على ما قلنا قوله: فبدا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما لم يكن يحبّ، انتهى.

فقد اتّضح بما ذكرنا كلّ الوضوح نكته قيام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على قبر ابن سلول و صلاته عليه، و علّه ما صدر منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الاستغفار.

و مع الغضّ عن ذلك أيضا فهو صلّى اللّه عليه و آله أعلم بعلل ما يقول و يفعل، و بوجوه المصالح الكامنه فيما يأتى و يأمر به، فلا حقّ للجلف الجافى ابن حنتمه و أمثاله من الأوغاد الطعام أن يعترضوا على سيّد الأنام و رسول الملك العلاّم عليه و آله آلاف التحيّه و الاكرام.

و أما ما اعتذر به الشارح المعتزلى أخيرا من أنّ الرّجل كان مطبوعا على الشدّه و الشراسه و الخشونه و كان يقول ما يقول على مقتضى سجيّته التى طبع عليها.

فقد تقدّم جوابه فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الشقشقيه.

و محصّل ما قلناه هناك إنّ خشونه سجيّته و جفاوه طبيعته إن كانت بالغه إلى مرتبه لم يبق له معها اختيار فى الامساك عن فضول كلامه و سقطات لسانه و الكفّ عن هجره و هذيانه، فيتوجّه عليه أنّ من كان كذلك يعدّ فى زمره المجانين فكيف يصلح لامامه الأمه و خلافه النبوّه.

و إن لم تكن بالغه إلى تلك المرتبه فذلك الاعتذار لا يدفع عنه العار و الشنار كما لم يدفع عن ابليس استحقاق النار و سخط الجبّار، و لم يرفع عنه لؤم الاستكبار حين استكبر بمقتضى الجبله الناريه و اعتذر به فى قوله: خلقتنى من نار و خلقته من طين، بل استحقّ اللّعنه و الابعاد إلى يوم الدّين و خلّد فى الجحيم أبد الابدين.

و أما قول الشارح و على أىّ حال كان فلقد نال الاسلام بولايته و خلافته خيرا كثيرا.

فيه أنه هب أنّ إنهاض الجيوش و بعث العساكر و فتح بعض البلاد كان فى زمان

خلافته و بأمره، و لكن إذا كان أصل الخلافه باطله حسبما عرفته فى تضاعيف الشرح مرارا فأىّ ثمر اخروىّ له فى هذه الخيرات النائله منه إلى الاسلام على فرض تسليمها لأنّه عزّ و جلّ إنّما يتقبّل من المتّقين، بل كلّ ما صدر منه فى أيّام ولايته و خلافته و مخالفته للّه و لرسوله كان عليه وزرا و وبالا دون أن يكون له ثوابا و نوالا

كمطعمه الرّمان ممّا زنت بهجرت مثلا للخائن المتصدّق

فقال لها أهل البصيره و التّقيلك الويل لا تزنى و لا تتصدّق

بل لو قيست سيئه من سيئاته و هى غصب الخلافه من آل بيت الرّسول و إحراقه لباب ابنته البتول و ما كان بأمره من كسر ضلعها و سقوط جنينها، و ما نشأت من تلك الشجره الملعونه الخبيثه و ثمرته من أعظم الظّلم فى وقعه الطّف الّذى لا يتصوّر ظلم فوقه، إلى سيّئات جميع الامّه لرجحت عليها فضلا عن ساير جرايمه و بدعاته و محدثاته التى بقيت على صفحات الأيام، و استمرّت إلى يوم القيامه و القيام، فليحملنّ أوزارها كامله و من أوزار الّذين بها يعملون، و سيعلم الذين ظلموا آل محمّد حقّهم أىّ منقلب ينقلبون.

الثانيه ما أشار إليه بقوله (و لقد واسيته فى المواطن الّتى تنكص) و ترجع (فيها الأبطال) و الأنجاد (و تتأخّر فيها الأقدام) من أجل (نجده) و شجاعه (أكرمنى اللّه بها) و جعلها مخصوصه بى و آثرنى بها على غيرى.

قال الشّارح المعتزلى: و هذا يعنى المواساه ممّا اختصّ عليه السّلام بفضيلته غير مدافع ثبت معه يوم احد و فرّ النّاس و ثبت معه يوم حنين و فرّ النّاس، و ثبت تحت رايته يوم خيبر حتّى فتحها و فرّ من كان بعث من قبله.

أقول: أوّل مواساته عليه و آله آلاف التحيّه و الثناء مبيته على فراش خاتم الأنبياء حتى باهى اللّه به ملائكه السماء، فوهب نفسه للّه تعالى و بذلها لنبيّه المصطفى و بات على فراشه لينجو به من كيد الأعداء، و يتمّ له بذلك السلامه و البقاء، و ينتظم له به الغرض فى الدّعاء إلى الحنيفيّه البيضاء، فكان ذلك سبب نجاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و بقائه و حقن دمه حتى صدع بأمر ربّه.

ص:۲۲۳

و لولاه عليه السّلام لما تمّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التبليغ و الأداء و لا استدام له العمر و البقاء و لظفر به الحسده و الأعداء فلما أصبحوا و عرفوا تفرّقوا عنه و انصرفوا و قد ضلّت لهم الحيل و انقطع بهم الأمل و انتقض ما بنوه من التدبير و خابت لهم الظنون.

و كان بذلك انتظام الايمان و إرغام الشيطان و خذلان أهل الكفر و العدوان، و هذه منقبه لم يشركه عليه السّلام فيها أحد من أهل الاسلام و قد انزل فيه محكم التبيان و هو قول اللّه «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » و أما مواساته له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مواطن جهاده، و مواطن جدّه و اجتهاده، و مقامات جداله بالسنه الاسنه و جلاده، فهو فوق حدّ الاحصاء، متجاوز عن حدّ العدوّ الاستقصاء.

منها غزوه بدر التى هدّت قوى الشرك، و قذفت طواغيته فى قليب الهلك، و دوّخت مرده الكفار، و سقتهم كاسات الدّمار و البوار، و نقلتهم من القليب إلى النار.

فيومها اليوم الذى لم يأت الدّهر بمثله، و أفاض اللّه فيه من أحسن فضله، أنزل فيه الملائكه لتأييد رسوله تفضيلا له على جميع رسله، و حباه من علوّ القدر ما لم ينله أحد من قبله، و أشرب صناديد قريش كاس أسره و قتله، و جبرئيل ينادى أقدم حيزوم لاظهار دينه على الدّين كلّه، و أمير المؤمنين كان فارس تلك الملحمه فما تعدّ الأسد الغضاب بشسع نعله، و مسعّر تلك الحرب العوان ينصب على الأعداء انصباب السحاب و وبله، و نار سطوته و نجدته تتسعّر تسعر النار فى دقيق الغضا و جزله.

و قد عرفت فى شرح الفصل الثامن من الخطبه المأه و الحاديه و التسعين أنّ نصف القتلى فى تلك الوقعه و كانوا سبعين رجلا كان قتيله باشر بنفسه قتله من دون شركه غيره له.

و منها غزوه أحد قال فى كشف الغمّه فى حديث عمران بن حصين قال:

لمّا تفرّق النّاس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جاء علىّ عليه السّلام متقلّدا بسيفه حتّى

قام بين يديه فرفع رأسه إليه و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له: ما لك لم تفرّ مع النّاس؟ فقال:

يا رسول اللّه أرجع كافرا بعد إسلامى فأشار إلى قوم انحدروا من الجبل، فحمل عليهم فهزمهم فجاء جبرئيل، و قال: يا رسول اللّه قد عجبت الملائكه من حسن مواساه علىّ لك بنفسه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما يمنعه من ذلك و هو منّى و أنا منه فقال جبرئيل: و أنا منكما.

و فيه عن زيد بن وهب قال: قلت لابن مسعود: انهزم النّاس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى لم يبق معه إلّا علىّ عليه السّلام و أبو دجانه و سهل؟ قال: انهزم النّاس إلّا علىّ وحده، و ثاب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفر كان أوّلهم عاصم بن ثابت و أبو دجانه و سهل بن حنيف، و لحقهم طلحه بن عبيد اللّه، فقلت له: فأين كان أبو بكر و عمر؟ قال: كانا فيمن تنحّى، فقلت: فأين كان عثمان؟ قال: جاء بعد ثالثه من الوقعه فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لقد ذهبت فيها عريضه، قلت: فأين كنت؟ قال: فيمن تنحّى، قلت: فمن حدّثك بهذا؟ قال: عاصم بن ثابت و سهل بن حنيف، قلت:

إنّ ثبوت علىّ فى ذلك المقام لعجب، قال: إن تعجب منه فقد تعجّبت منه الملائكه أما علمت أنّ جبرئيل قال فى ذلك اليوم و هو يعرج إلى السّماء: لا سيف إلّا ذو الفقار لا فتى إلّا علىّ، فقلنا: و من أين علم أنّ جبرئيل قال ذلك؟ قال: سمع النّاس النّداء بذلك و أخبرهم به النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قال كاشف الغمه: و روى عن عكرمه قال: سمعت عليّا يقول: لمّا انهزم النّاس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم احد لحقنى من الجزع عليه ما لم أملك نفسى و كنت أضرب بسيفى بين يديه فرجعت أطلبه فلم أره فقلت. ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليفرّ و ما رأيته فى القتلى و أظنّه رفع من بيننا إلى السّماء، فكسرت جفن سيفى و قلت:

لاقاتلنّ به حتّى اقتل، و حملت على القوم فأفرجوا فاذا أنا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد وقع مغشيّا عليه، فنظر إلىّ و قال: ما فعل النّاس يا علىّ؟ قلت: كفروا يا رسول اللّه و ولّوا الدّبر و أسلموك، فنظر إلى كتيبه قد أقبلت فقال: ردّهم عنّى، فحملت

علیهم أضـربهم یمینا و شمالا حتّی فرّوا فقال صلّی اللّه علیه و آله: أما تسمع مدیحک فی السّماء إنّ ملکا اسمه رضوان ینادی: لا سیف إلّا ذو الفقار و لا فتی إلّا علیّ، فبکیت سرورا و حمدت اللّه علی نعمته.

قال: و قد ذکر أهل السّیر قتلی احد من المشـرکین و کان جمهورهم قتلی أمیر المؤمنین علیه السّلام و انصـرف المشـرکون إلی مکّه و انصـرف النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله إلی المدینه فاسـتقبلته فاطمه و معها إناء فیه ماء فغسل به وجهه، و لحقه أمیر المؤمنین علیه السّلام، و قد خضب الدّم یده إلی کتفه و معه ذو الفقار، فناوله فاطمه و قال: خذی هذا السّیف فقد صدقنی الیوم و قال علیه السّلام:

أفاطم هاک السّیف غیر ذمیم فلست برعدید و لا بملیم(۱)

أمیطی دماء الکفر عنه فانّه سقا آل عبد الدّار کاس حمیم

لعمری لقد أعذرت فی نصر أحمد و طاعه ربّ بالعباد علیم

و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: خذیه یا فاطمه فقد أدّی بعلک ما علیه، و قد قتل اللّه صنادید قریش بیده.

و منها غزوه الأحزاب المعروفه بغزاه خنـدق قال المفیـد فی الارشاد: و قـد روی قیس بن الرّبیع قال: حدّثنا أبو هارون العبدی عن ربیعه السّعدی قال: أتیت حذیفه بن الیمان فقلت یا أبا عبد اللّه إنّا لنتحدّث عن علیّ علیه السّلام و مناقبه فیقول لنا أهل البصـره: إنّکم لتفرطون فی علی علیه السّلام، فهل أنت تحدّثنی بحدیث فیه قال حذیفه: یا ربیعه و ما تسألنی عن علیّ فو الذی نفسی بیده لو وضع جمیع أعمال أصـحاب محمّـد صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فی کفّه المیزان منـذ بعث اللّه محمّـدا إلی یوم الناس هذا، و وضع عمل علیّ علیه السّلام فی الکفّه الأخری لرجح عمل علیّ علیه السّلام علی جمیع أعمالهم، فقال ربیعه: هذا الذی لا یقام و لا یقعد، فقال حذیفه: یا لکع و کیف لا یحمل و أین کان أبو بکر و عمر و حذیفه و جمیع أصـحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یوم عمرو بن عبدود و قد دعا إلی المبارزه فأحجم الناس کلّهم ما خلا

۱- (۱) - الرعدید الجبان، الملیم الذی یلائم علی ما یصدر منه، ک.

عليّا عليه السّلام، فانّه برز إليه و قتله اللّه على يده، و الذى نفس حذيفه بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من عمل أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى يوم القيامه قال فى كشف الغمّه: رأيت فى بعض الكتب أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال حين بارز علىّ عمرو بن عبدود: خرج الاسلام كلّه إلى الشرك كلّه.

قال: و روى أنّ عبد اللّه بن مسعود كان يقرأ: و كفى اللّه المؤمنين القتال بعلىّ و كان اللّه قويّا عزيزا.

قال: و فى قتل عمرو يقول حسان بن ثابت:

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغى بجنوب يثرب غاره لم تنظر

فلقد وجدت سيوفنا مشهوره و لقد وجدت جيادنا لم تقصر

و لقد رأيت غداه بدر عصبه ضربوک ضربا غير ضرب المحشر

أصبحت لا تدعى ليوم عظيمه يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

قال: و لمّا بلغ شعر حسان بنى عامر أجابه فتى منهم فقال يردّ عليه فخره:

كذبتم و بيت اللّه لا تقتلوننا و لكن بسيف الهاشميّين فافخروا

بسيف ابن عبد اللّه أحمد فى الوغا بكفّ علىّ نلتم ذاک فاقصروا

فلم تقتلوا عمرو بن ودّ و لا ابنه و لكنه الكفّ الجسور الغضنفر

علىّ الذى فى الفخر طال بناؤه فلا تكثروا الدّعوى علينا فتحقروا

ببدر خرجتم للبراز فردّكم شيوخ قريش جهره و تأخّروا

فلما أتاهم حمزه و عبيده و جاء علىّ بالمهنّد يخطر

فقالوا نعم أكفاء صدق و أقبلوا إليهم سراعا إذ بغوا و تجبّروا

فجال علىّ جوله هاشميّه فدمّر هم لما عتوا و تكبّروا

فليس لكم فخر علينا بغيرنا و ليس لكم فخر يعدّ و يذكر

و منها غزوه وادى الرّمل و تسمى غزوه ذات السلسله.

و قد كان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السّلام خاصه بعد أن كان فيها من غيره من الافساد ما كان، و فيها نزل على النبىّ صلّى

اللّه علیه و آله و سلّم سوره و العادیات فتضمّنت ذکر ما

فعله أمير المؤمنين فيها.

قال المفيد: روى عن امّ سلمه قالت: كان نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائلا فى بيتى إذ انتبه فزعا من منامه فقلت له: اللّه جارك قال: صدقت و اللّه جارى لكن هذا جبرئيل يخبرنى أنّ علينا قادم، ثمّ خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليا عليه السّلام فقام المسلمون له صفّين مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فلما بصر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ترجّل عن فرسه و أهوى إلى قدميه يقبلهما، فقال له عليه السّلام: اركب فانّ اللّه تعالى و رسوله عنك راضيان فبكى أمير المؤمنين عليه السّلام فرحا و انصرف إلى منزله، و تسلّم المسلمون الغنايم «إلى أن قال» ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله له: يا على لو لا أننى أشفق أن تقول فيك طوايف من امتى ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالا لا تمرّ بملاء منهم إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك.

و منها غزوه الحديبيّه.

و فيها أقبل سهيل بن عمرو إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال له يا محمّد إنّ أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب رسول اللّه حتّى تبيّن الغضب فى وجهه ثمّ قال: لتنتهنّ يا معاشر قريش أو ليبعثنّ اللّه عليكم رجلا امتحن اللّه قلبه بالايمان يضرب رقابكم على الدين، فقال بعض من حضر: يا رسول اللّه أبو بكر ذلك الرّجل؟ قال: لا، قال: فعمر، قال:

لا، و لكنه خاصف النعل فى الحجره، فتبادر الناس إلى الحجره ينظرون من الرّجل فاذا هو أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام رواه المفيد فى الارشاد، و رواه فى كشف الغمه و صحيح الترمذى نحوه.

و منها غزوه خيبر قال المفيد: ثمّ تلت الحديبيّه خيبر و كان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السّلام بلا ارتياب فظهر من فضله فى هذه الغزاه ما أجمع عليه نقله الرّواه و تفرّد فيها مناقب لم يشركه فيها أحد من الناس.

و قال كاشف الغمه: قال ابن طلحه: و تلخيص المقصد فيها على ما ذكره أبو محمّد عبد الملك بن هشام فى كتاب السيره النبويّه يرفعه بسنده عن ابن الأكوع قال:

بعث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أبا بکر برایته و کانت بیضاء إلی بعض حصون خیبر فقاتل ثمّ رجع و لم یکن فتح و قد جهد، ثمّ بعث عمر بن الخطاب فکان کذلک، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لاعطینّ الرایه غدا رجلا یحبّ اللّه و رسوله و یحبّه اللّه و رسوله یفتح اللّه علی یدیه لیس بفرّار، قال سلمه: فدعا علیّا و هو أرمد فتفل فی عینیه ثم قال: خذ هذه الرّایه فامض بها حتّی یفتح اللّه علیک، فخرج یهرول و أنا خلفه نتبع أثره حتی رکز رایته فی رضم(۱) من حجاره تحت الحصن، فاطلع علیه یهودیّ من الحصن فقال:

من أنت؟ قال: أنا علیّ بن أبی طالب فقال الیهودی: علوتم حصننا و ما انزل علی موسی أو کما قال، فما رجع حتّی فتح اللّه علی یدیه.

و منها فتح مکّه.

قال المفید ره: و فیما ذکرناه من أعمال أمیر المؤمنین علیه السّلام، فی قتل من قتل من أعداء اللّه بمکه و إخافه من أخاف و معونه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی تطهیر المسجد من الأصنام و شدّه بأسه فی اللّه و قطع الأرحام فی طاعه اللّه عزّ و جلّ أوّل دلیل علی تخصیصه من الفضل بما لم یکن لأحد منهم سهم فیه حسبما قدمناه.

و منها غزوه حنین.

فاستظهر فیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بکثره الجمع، فخرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و معه عشره آلاف من المسلمین فظنّ أکثرهم أنهم لن یغلبوا لما شاهدوا من کثره جمعهم و عددهم و عدّتهم و أعجب أبا بکر الکثره یومئذ فقال لن نغلب الیوم من قلّه فکان الأمر بخلاف ما ظنّوه و عانهم(۲) أبو بکر.

فلمّا التقوا لم یلبثوا و انهزموا بأجمعهم فلم یبق مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلّا تسعه من بنی هاشم و عاشرهم أیمن بن امّ ایمن، و قتل رحمه اللّه و ثبت التّسعه الهاشمیّون رئیسهم أمیر المؤمنین علیه السّلام و رجعوا بعد ذلک و تلاحقوا و کانت الکرّه لهم علی المشرکین فأنزل اللّه فی إعجاب أبی بکر بالکثره «وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ »

ص:۲۲۹

۱- (۱) - الرضم و الرضام صخور عظام یرضم بعضها فوق بعض فی الأبنیه، منه.

۲- (۲) - ای اصابهم بعین یعنی چشم زخم زد، منه.

«فَلَمْ تُغْنِ عَنْكَمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكَمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » يريد عليّا عليه السّلام و من ثبت معه من بنى هاشم.

قال كاشف الغمّه بعد شرح هذه الغزوه: فانظر إلى مفاخر أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذه الغزاه و مناقبه، و جل بفكرك فى بدايع فضله و عجايبه، و احكم فيها برأى صحيح الرّاى صايبه، و أعجب من ثباته حين فرّ الشّجاع على أعقابه، و لم ينظر فى الأمر و عواقبه، و اعلم أنّه عليه السّلام أحقّ بالصّحبه حين لم ير مفارقه صاحبه، و تيقّن أنّه إذا حمّ الحمام لم ينتفع المرء بغير أهله و أقاربه، فاذا صحّ ذلك عندك بدلايله و بيّناته، و عرفته بشواهده و علاماته، فاقطع أنّ ثبات من ثبت من نتايج ثباته، و أنّهم كانوا أتباعا له فى حروبه و مقاماته، و أنّ رجوع من رجع من هزيمته فانّما كان عند ما بان لهم من النّصر و اماراته.

قال الشارح الفقير: هذا قليل من كثير و يسير من جم غفير من مناقبه و مفاخره و مجاهداته و مواساته لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أوردته باقتضاء المقام و شرحا لمعنى قوله عليه السّلام: و لقد واسيته فى المواطن الّتى تنكص فيها الأبطال و تتأخر فيها الأقدام و كم له عليه السّلام من الاثار و المناقب و الأخبار الّتى لا تستر، و المفاخر و الفضائل و المجاهدات المثبته فى كتب التواريخ و السّير، و كم له من المزايا و الخلال و البلاء المذكور فى النّزال، و لا صدرت منه عليه السّلام، هذه الأفعال إلّا عن نجده و شجاعه تذلّ لها الأبطال، و تقلّ لديها الأهوال، و لا تقوم بوصفها الأقلام و الأقوال، و لا يحتاج فى اثباتها إلى تجشّم الاستدلال، و على الجمله و التفصيل فمقام بأسه و نجدته لا ينال و ما ذا بعد الحقّ إلّا الضّلال.

الثالثه ما أشار إليه بقوله (و لقد قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و انّ رأسه لعلى صدرى) قيل: لعلّه عليه السّلام أسنده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى صدره عند اشتداد مرضه، و قيل: انّه كان رأسه على ركبته فيكون رأسه صلّى اللّه عليه و آله، فى صدره عند اكبابه عليه، و الأول أظهر.

و يؤيده ما فى البحار عن أمالى الشّيخ عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال كنت:

عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فى مرضه الّذى قبض فيه و كان رأسه فى حجرى و العبّاس يذبّ عن وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فاغمى عليه اغماء ثمّ فتح عينه فقال: يا عبّاس يا عمّ رسول اللّه اقبل وصيّتى و اضمن دينى و عداتى، فقال العباس: يا رسول اللّه أنت أجود من الرّيح المرسله و ليس فى مالى وفاء لدينك و عداتك، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك ثلاثا يعيده عليه و العبّاس فى كلّ ذلك يجيبه بما قال أوّل مرّه.

قال: فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لأقولنّها لمن يقبلها و لا يقول يا عبّاس مثل مقالتك، فقال:

يا على اقبل وصيّتى و اضمن دينى و عداتى.

قال: فخنقتنى العبره و ارتج جسدى و نظرت إلى رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يذهب و يجىء فى حجرى فقطرت دموعى على وجهه و لم اقدر أن اجيبه، ثمّ ثنّى فقال:

اقبل وصيّتى و اضمن دينى و عداتى قال: قلت: نعم بأبى و امّى قال: اجلسنى، فأجلسته فكان ظهره فى صدرى فقال: يا على أنت أخى فى الدّنيا و الاخره، و وصيّى و خليفتى فى أهلى.

ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله: يا بلال هلمّ سيفى و درعى و بغلتى و سرجها و لجامها و منطقتى الّتى أشدّ بها على درعى، فجاء بلال بهذه الأشياء فوقف بالبغله بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: يا على قم فاقبض، فقال: قمت و قام العبّاس فجلس مكانى فقمت فقبضت ذلك، فقال: انطلق به إلى منزلك، فانطلقت ثمّ جئت فقمت بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائما فنظر إلىّ ثمّ عمد إلى خاتمه فنزعه ثمّ دفعه إلىّ فقال: هاك يا علىّ هذا لك فى الدّنيا و الاخره و البيت غاصّ من بنى هاشم و المسلمين.

فقال: يا بنىّ هاشم يا معشر المسلمين لا تخالفوا عليّا فتضلّوا و لا تحسدوه فتكفروا، يا عبّاس قم من مكان علىّ عليه السّلام، فقال: تقيم الشيخ و تجلس الغلام؟ فأعادها ثلاث مرّات فقام العبّاس فنهض مغضبا و جلست مكانى.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا عبّاس يا عمّ رسول اللّه لا اخرج من الدّنيا و أنا ساخط عليك فيدخلك سخطى عليك النّار فرجع و جلس.

و من الامالى أيضا عنه عليه السّلام فى حديث قال:

ص:۲۳۱

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يا على أجلسنى، فأجلسته و أسندته إلى صدرى قال علىّ عليه السّلام: فلقد رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليثقل ضعفا و هو يقول يسمع أهل البيت أعلاهم و أدناهم: إنّ أخى و وصيّى و وزيرى و خليفتى فى أهلى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، يقضى دينى و ينجز وعدى، يا بنى هاشم يا بنى عبد المطلب لا تبغضوا عليّا و لا تخالفوا عن أمره فتضلّوا، و لا تحسدوه و ترغبوا عنه فتكفروا، أضجعنى يا على فأضجعته، الحديث.

و فى البحار من الأمالى أيضا باسناده عن ابن أبى رافع عن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال:

دخلت على نبىّ اللّه و هو مريض فاذا رأسه فى حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق و النّبى نائم، فلمّا دخلت عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال الرّجل: ادن إلى ابن عمّك فأنت أحقّ به منّى، فدنوت منهما فقام الرّجل و جلست مكانه و وضعت رأس النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حجرى كما كان فى حجر الرّجل، فمكث ساعه ثمّ إنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله استيقظ فقال: أين الرّجل الّذى كان رأسى فى حجره؟ فقلت: لمّا دخلت عليك دعانى إليك ثمّ قال: ادن إلى ابن عمّك فأنت أحقّ به منّى ثمّ قام فجلست مكانه، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فهل تدرى من الرّجل؟ قلت: لا بأبى و امّى، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ذاك جبرئيل كان يحدّثنى حتّى خفّ عنّى وجعى و نمت و رأسى فى حجره.

و أما كيفيه وفاته صلوات اللّه و سلامه عليه و آله

اشاره

ففى البحار من امالى الصّدوق باسناده عن ابن عبّاس قال:

لمّا مرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عنده أصحابه، قام إليه عمّار بن ياسر فقال له:

فداك أبى و امّى يا رسول اللّه فمن يغسلك منّا إذا كان ذلك منك؟ قال: ذلك علىّ ابن أبى طالب لأنّه لا يهم بعضو من أعضائى إلّا أعانته الملائكه على ذلك.

فقال له: فداك أبى و امّى يا رسول اللّه فمن يصلّى عليك منّا إذا كان ذلك

منک؟ قال: منه رحمک اللّه.

ثمّ قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعلیّ علیه السّلام: یا ابن أبی طالب إذا رأیت روحی قد فارقت جسدی فاغسلنی و انق غسلی و کفنی فی طمریّ هذین أو فی بیاض مصر حبره و بردیمان، و لا تغال فی کفنی و احملونی حتّی تضعونی علی شفیر قبری، فأوّل من یصلّی علیّ الجبّار جلّ جلاله من فوق عرشه، ثمّ جبرئیل و میکائیل و إسرافیل فی جنود من الملائکه لا یحصی عددهم إلاّ اللّه جلّ و عزّ ثمّ الحافّون بالعرش ثمّ سکّان أهل سماء فسماء ثمّ جلّ أهل بیتی و نسائی الأقربون فالأقربون یؤمون ایماء و یسلمون تسلیما لا یؤذونی بصوت نادبه «نائحه خ» و لا مرنّه ثمّ قال: یا بلال هلمّ علیّ بالناس، فاجتمع الناس فخرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله متعصّبا بعمامته متوکئا علی قوسه حتّی صعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

معاشر أصحابی أیّ نبیّ کنت لکم؟ أ لم اجاهد بین أظهرکم؟ أ لم تکسر رباعیّتی؟ أ لم یعفر جبینی؟ أ لم تسل الدّماء علی حرّ وجهی حتّی کنفت(۱) لحیتی؟ أ لم اکابد الشدّه و الجهد مع جهّال قومی؟ أ لم أربط حجر المجاعه علی بطنی؟! قالوا: بلی یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لقد کنت للّه صابرا، و عن منکر بلاء اللّه ناهیا، فجزاک اللّه عنّا أفضل الجزاء.

قال صلّی اللّه علیه و آله: و أنتم فجزاکم اللّه ثمّ قال: إنّ ربّی عزّ و جلّ حکم و اقسم أن لا یجوزه ظلم ظالم، فناشدتکم باللّه أیّ رجل منکم کانت له قبل محمّد مظلمه إلاّ قام فلیقتصّ منه فالقصاص فی دار الدّنیا أحبّ إلیّ من القصاص فی دار الاخره علی رءوس الملائکه و الأنبیاء.

فقام إلیه رجل من أقصی القوم یقال له: سواده بن قیس فقال له: فداک أبی و امّی یا رسول اللّه إنّک لمّا أقبلت من الطایف استقبلتک و أنت علی ناقتک الغضباء و بیدک القضیب الممشوق، فرفعت القضیب و أنت ترید الرّاحله فأصاب بطنی فلا أدری عمدا أو خطاء.

۱- (۱) - أی أحاطت، بحار.

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: معاذ اللّه أن أكون تعمّدت، ثمّ قال: يا بلال قم إلى منزل فاطمه فائتنى بالقضيب الممشوق.

فخرج بلال و هو ينادى فى سككك المدينه: معاشر الناس من ذا الذى يعطى القصاص من نفسه قبل يوم القيامه فهذا محمّد صلّى اللّه عليه و آله يعطى القصاص من نفسه قبل يوم القيامه.

و طرق بلال الباب على فاطمه عليها السّلام و هو يقول: يا فاطمه قومى فوالدك يريد القضيب الممشوق فأقبلت فاطمه عليها السّلام و هى تقول: يا بلال و ما يصنع والدى بالقضيب و ليس هذا يوم القضيب، فقال بلال: يا فاطمه أما علمت أنّ والدك قد صعد المنبر و هو يودّع أهل الدّين و الدّنيا، فصاحت فاطمه عليها السّلام و قالت: و اغماه لغمك يا أبتاه من للفقراء و المساكين و ابن السبيل يا حبيب اللّه و حبيب القلوب، ثمّ ناولت بلالا القضيب، فخرج حتّى ناوله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول اللّه بأبى أنت و امّى فقال: فاقتصّ منّى حتى ترضى، فقال الشيخ: فاكشف لى عن بطنك يا رسول اللّه، فكشف عن بطنه فقال الشيخ: بأبى أنت و امّى يا رسول اللّه أ تأذن لى أن أضع فمى على بطنك؟ فأذن له فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من النار.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، يا سواده بن قيس أ تعفو أم تقتصّ؟ فقال: بل أعفو يا رسول اللّه، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اللهمّ اعف عن سواده بن قيس كما عفى عن محمّد نبيك.

ثمّ قام رسول اللّه فدخل بيت امّ سلمه و هو يقول، ربّ سلّم امه محمّد من النار و يسّر عليهم الحساب، فقالت امّ سلمه: يا رسول اللّه ما لى أراك مغموما متغيّر اللون فقال صلّى اللّه عليه و آله، نعيت إلى نفسى هذه الساعه فسلام لك فى الدّنيا فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمّد أبدا، فقالت أمّ سلمه: واحزناه حزنا لا تدركه الندامه عليك يا محمّد ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ادع لى حبيبه قلبى و قرّه عينى فاطمه، فجاءت فاطمه و هى تقول:

نفسى لنفسك الفداء و وجهى لوجهك الوفاء يا أبتاه ألا تكلّمنى كلمه فانى أنظر إليك و أراك مفارق الدّنيا و أرى عساكر الموت تغشاك شديدا.

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لها: يا بنيه إنّى مفارقك فسلام عليك منّى، قالت: يا أبتاه فأين

الملتقى يوم القيامه؟ قال صلّى اللّه عليه و آله: عند الحساب، قالت: فان لم ألقك عند الحساب؟ قال: عند الشفاعه لامتى، قالت: فان لم ألقك عند الشفاعه لأمتك؟ قال: عند الصراط جبرئيل عن يمينى و ميكائيل عن يسارى و الملائكه خلفى و قدّامى ينادون ربّ سلم امه محمّد من النار و يسّر عليهم الحساب، قالت فاطمه: فأين والدتى خديجه؟ قال: فى قصر له أربعه أبواب إلى الجنه.

ثمّ اغمى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فدخل بلال و هو يقول: الصّلاه رحمك اللّه، فخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صلّى بالنّاس و خفّف الصّلاه.

ثمّ قال: ادعوا لى علىّ بن أبى طالب و اسامه بن زيد، فجاءا فوضع صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يده على عاتق علىّ و الاخرى على اسامه ثمّ قال: انطلقا بى إلى فاطمه، فجاءا به حتى وضع رأسه فى حجرها فاذا الحسن و الحسين يبكيان و يصطرخان و هما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء و وجوهنا لوجهك الوقاء.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: من هذان يا علىّ؟ فقال عليه السّلام: ابناك الحسن و الحسين، فعانقهما و قبّلهما و كان الحسن عليه السّلام أشدّ بكاء فقال صلّى اللّه عليه و آله: كفّ يا حسن فقد شققت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فنزل ملك الموت قال: السلام عليك يا رسول اللّه قال: و عليك السّلام يا ملك الموت لى إياك حاجه، قال: و ما حاجتك يا نبىّ اللّه؟ قال: حاجتى أن لا تقبض روحى حتى يجيئنى جبرئيل فتسلم علىّ و اسلم عليه.

فخرج ملك الموت و هو يقول: يا محمّداه، فاستقبله جبرئيل فى الهواء فقال:

يا ملك الموت قبضت روح محمّد؟ قال: لا يا جبرئيل سألنى أن لا أقبضه حتى يلقاك فتسلم عليه و يسلم عليك، فقال جبرئيل: يا ملك الموت أما ترى أبواب السماء مفتّحه لروح محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أما ترى الحور العين قد تزيّن لروح محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ثم نزل جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا القاسم فقال: و عليك السلام يا جبرئيل ادن منى حبيبى جبرئيل، فدنا منه، فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت احفظ وصيه اللّه فى روح محمّد، و كان جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ملك الموت

آخذ بروحه، فلما كشف الثوب عن وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نظر إلى جبرئيل فقال له عند الشدائد تخذلنى، فقال: يا محمّد إنك ميّت و انهم ميّتون، كلّ نفس ذائقه الموت.

فروى عن ابن عباس أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ذلك المرض كان يقول: ادعوا الى حبيبى فجعل يدعا له رجل بعد رجل فيعرض عنه فقيل لفاطمه عليها السّلام امضى إلى علىّ فما نرى رسول اللّه يريد غير علىّ، فبعث فاطمه إلى علىّ عليه السّلام فلما دخل فتح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عينيه و تهلّل وجهه ثم قال: إلىّ يا على إلىّ يا على فما زال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يدنيه حتى أخذه بيده و أجلسه عند رأسه ثمّ اغمى عليه فجاء الحسن و الحسين عليهما السّلام يصيحان و يبكيان حتى وقعا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فأراد علىّ أن ينحيهما عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأفاق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثمّ قال يا على دعنى أشمّهما و يشمّانى و أتزوّد منهما و يتزوّدان منّى أما أنهما سيظلمان بعدى و يقتلان ظلما فلعنه اللّه على من يظلمهما يقول ذلك ثلاثا.

ثمّ مدّ يده إلى علىّ فجذبه إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذى كان عليه، و وضع فاه على فيه و جعل يناجيه مناجاه طويله حتى خرجت روحه الطيبه صلوات اللّه عليه و آله.

فانسلّ علىّ من تحت ثيابه و قال: اعظم اللّه اجوركم فى نبيّكم فقد قبضه اللّه إليه، فارتفعت الأصوات بالضجه و البكاء فقيل لأمير المؤمنين عليه السّلام: ما الذى ناجاك به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين أدخلك تحت ثيابه؟ فقال: علّمنى ألف باب كلّ باب يفتح ألف باب قال الشارح عفى اللّه عنه: ما فى هذا الحديث من قصه سواده مناف للاصول المحكمه و الأدله القاطعه العقليه و النقليه الدّاله على كون الأنبياء معصومين من السهو و الخطاء و النسيان كعصمتهم من المعاصى مطلقا حسبما عرفته تفصيلا فى شرح الفصل الثانى عشر من الخطبه الاولى، فلا بدّ من تأويله على وجه لا ينافى العصمه أو ردّه لمخالفته لاصول مذهب الاماميّه، و لعلّ الصدوق رواه بناء على مذهبه من تجويزه السهو على النبىّ كما صرّح به فى الفقيه و غيره.

و فى كشف الغمه من كتاب أبى إسحاق الثعلبى قال:

دخل أبو بكر على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد ثقل فقال: يا رسول اللّه متى الأجل؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قد حضر، قال أبو بكر: اللّه المستعان على ذلك فالى ما المنقلب؟

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إلى السدره المنتهى و الجنه المأوى و إلى الرفيق الأعلى و الكاس الأوفى و العيش المهنىّ، قال أبو بكر: فمن يلى غسلك؟ قال: رجال أهل بيتى الأدنى فأدنى قال: ففيم نكفنك؟ قال: فى ثيابى هذه التى علىّ أو فى حلّه يمانيه أو فى بياض مصر قال: كيف الصلاه عليك؟ فارتجت الأرض بالبكاء.

فقال لهم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: مهلا عفى اللّه عنكم إذا غسلت فكفنت فضعونى على سريرى فى بيتى على شفير قبرى ثمّ اخرجوا عنى ساعه فان اللّه تبارك و تعالى أوّل من يصلّى علىّ ثمّ يأذن الملائكه فى الصّلاه علىّ، فأوّل من ينزل جبرئيل ثمّ إسرافيل ثمّ ميكائيل ثمّ ملك الموت عليهم السّلام فى جنود كثير من الملائكه بأجمعها، ثمّ ادخلوا علىّ زمره زمره فصلّوا علىّ و سلموا تسليما و لا تؤذونى بتزكيه(۱) و لا رنّه، و ليبدأ بالصلاه علىّ الأدنى فالأدنى من أهل بيتى، ثمّ النساء، ثمّ الصبيان زمرا.

قال أبو بكر: فمن يدخل قبرك؟ قال: الأدنى فالأدنى من أهل بيتى مع ملائكه لا ترونهم، قوموا فأدّوا عنّى إلى من ورائكم فقلت للحارث بن مرّه: من حدّثك بهذا الحديث؟ قال: عبد اللّه بن مسعود عن علىّ عليه السّلام قال: كان جبرئيل ينزل على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مرضه الذى قبض فيه فى كلّ يوم و ليله فيقول: السلام عليك إنّ ربّك يقرؤك السلام فيقول: كيف تجدك و هو أعلم بك و لكنه أراد أن يزيدك كرامه و شرفا إلى ما أعطاك على الخلق و أراد أن يكون عياده المريض سنه فى امتك.

فيقول له النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إن كان وجعا: يا جبرئيل أجدنى وجعا، فقال له جبرئيل اعلم يا محمّد أنّ اللّه لم يشدد عليك و ما من أحد من خلقه أكرم عليه منك، و لكنه أحبّ

۱- (۱) -اى بذكر ما يعدونه من الفضائل و ليس منها كما كانت عاده العرب من الذكر بالحميه و العصبيه و أمثالها أو مطلقا فان الدّعا فى تلك الحال أفضل، هكذا فى البحار أقول: و يؤيده ما رواه ابن شهر آشوب من الكافى قال: اجتمعت نسوه بنى هاشم و جعل يذكرن النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) فقالت فاطمه: اتركن التعداد و عليكنّ بالدّعاء (منه).

أن يسمع صوتک و دعاءک حتّی تلقاه مستوجبا للدّرجه و الثواب الذی أعدّ لک و الکرامه و الفضیله علی الخلق.

و إن قال له النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أجدنی مریحا فی عافیه قال له: فاحمد اللّه علی ذلک فانّه یحبّ أن تحمده و تشکره لیزیدک إلی ما أعطاک خیرا فانّه یحبّ أن یحمد و یزید من شکر.

قال: و انّه نزل علیه فی الوقت الذی کان ینزل فیه فعرفنا حسّه فقال علیّ علیه السّلام فخرج من کان فی البیت غیری، فقال له جبرئیل: یا محمّد إنّ ربّک یقرؤک السلام و یسألک و هو أعلم بک کیف تجدک؟ فقال له النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أجدنی میّتا، قال له جبرئیل: یا محمّد ابشر فانّ اللّه إنّما أراد أن یبلّغک بما تجد ما أعدّ لک من الکرامه قال له النّبی صلّی اللّه علیه و آله: إنّ ملک الموت استأذن علیّ فأذنت له فدخل و استنظرته مجیئک فقال له جبرئیل: یا محمّد إنّ ربک إلیک مشتاق فما استاذن ملک الموت علی أحد قبلک و لا یستأذن علی أحد بعدک فقال له النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لا تبرح یا جبرئیل حتّی یعود.

ثمّ أذن للنساء فدخلن علیه فقال لابنته: ادنی منّی یا فاطمه فأکبّت علیه فناجاها فرفعت رأسها فعیناها تهملان دموعا، فقال لها: ادنی منّی فدنت منه فأکبّت علیه فناجاها فرفعت رأسها و هی تضحک.

فتعجّبنا لما رأینا، فسألناها فأخبرتنا أنّه نعی إلیها نفسه فبکت فقال لها یا بنیّه لا تجزعی فانّی سألت اللّه أن یجعلک أوّل أهل بیتی لحاقا بی فأخبرنی أنّه قد استجاب لی فضحکت قال: ثمّ دعا النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الحسن و الحسین علیهما السّلام فقبّلهما و شمّهما و جعل یترشفهما و عیناه تهملان.

قال الشارح عفی اللّه عنه: و لقد کنت عند نقلی هذه الرّوایه للثعلبی کاد أن یشرح قلبی بالسّکاکین ممّا تضمّنه صدرها من شنیع فعل أبی بکر و إصراره فی سؤال الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و من أجله و غسله و دفنه و کفنه و منقلبه فی هذه الحال من شدّه

مرضه و ضعفه، و قد أحاطت به غمرات الالام، و غشيته طوارق الأوجاع و الأسقام، و كيف تمالك نفسه و لم تخنقه عبرته و بالغ فی السّؤال حتّی ارتجّت الأرض بالبكاء و ألجأ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی ردعه بقوله: مهلاء فیا للّه ما أقلّ حیاء الرّجل و أسوء أدبه و أقسی قلبه و أقبح فعله.

و فی البحار من المناقب عن سهل بن أبی صالح عن ابن عبّاس أنّه اغمی علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی مرضه فدقّ بابه، فقالت فاطمه: من ذا؟ قال: أنا رجل غریب أتیت أسأل رسول اللّه أ تأذنون لی فی الدّخول علیه؟ فأجابت امض رحمک اللّه لحاجتک فرسول اللّه عنک مشغول.

فمضی ثمّ رجع فدقّ الباب و قال: غریب یستأذن علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أ تاذنون للغرباء؟ فأفاق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من غشیته و قال: یا فاطمه أ تدرین من هذا قالت: لا یا رسول اللّه، قال: هذا مفرّق الجماعات و منقض «منغص» اللّذات، هذا ملک الموت ما استأذن و اللّه علی أحد قبلی و لا یستأذن علی أحد بعدی، استأذن علیّ لکرامتی علی اللّه ائذنی له فقالت: ادخل رحمک اللّه، فدخل کریح هفافه و قال: السلام علی أهل بیت رسول اللّه، فأوصی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی علیّ علیه السّلام بالصبر عن الدّنیا و بحفظ فاطمه و بجمع القرآن و بقضاء دینه و بغسله و أن یعمل حول قبره حایط و بحفظ الحسن و الحسین.

و فی کشف الغمه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: لمّا حضرت النبیّ الوفاه استأذن علیه رجل فخرج إلیه علیّ علیه السّلام فقال: ما حاجتک؟ قال: ارید الدّخول علی رسول اللّه فقال علیّ: لست تصل إلیه فما حاجتک؟ فقال الرّجل: إنه لا بدّ من الدّخول علیه، فدخل علیّ علیه السّلام فاستأذن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاذن له فدخل فجلس عند رأس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ثمّ قال: یا نبیّ اللّه إنّی رسول اللّه إلیک، قال: و أیّ رسل اللّه أنت؟ قال: أنا ملک الموت أرسلنی إلیک یخیّرک بین لقائه و الرّجوع إلی الدّنیا، فقال له النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فامهلنی حتّی ینزل جبرئیل فأستشیره.

و نزل جبرئيل فقال: يا رسول اللّه الاخره خير لك من الاولى و لسوف يعطيك ربك فترضى، لقاء اللّه خير لك، فقال عليه السّلام لقاء ربّى خير لى فامض لما امرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتى أعرج الى السماء «ربى خ» و أهبط، قال ملك الموت:

لقد صارت نفسه فى موضع لا أقدر على تأخيرها، فعند ذلك قال جبرئيل: يا محمّد هذا آخر هبوطى إلى الدّنيا إنما كنت أنت حاجتى فيها.

و فى البحار من كتاب اعلام الورى قال الصادق عليه السّلام: قال جبرئيل: يا محمّد هذا آخر نزولى إلى الدّنيا إنما كنت أنت حاجتى منها، قال: و صاحت فاطمه و صاح المسلمون و يضعون التراب على رؤوسهم و مات صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لليلتين بقيتا من صفر سنه عشر من الهجره، و روى أيضا لاثنى عشر ليله من ربيع الأوّل صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تسليما كثيرا.

الرابعه ما أشار إليه بقوله (و لقد سالت نفسه فى كفّى فأمررتها على وجهى) قال الشارح البحرانى: أراد بنفسه دمه يقال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قاء وقت موته دما يسيرا و إنّ عليا عليه السّلام مسح بذلك الدّم وجهه، و لا ينافى ذلك نجاسه الدّم لجواز أن يخصّص دم الرّسول كما روى أن أبا طيبه الحجام شرب دمه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين حجمه فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا لا ينجع بطنك، انتهى كلامه، و مثله الشارح المعتزلى.

أقول: أمّا طهاره دم النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلا ريب فيها كما قال الشاعر:

فان تفق الأنام و أنت منهم فانّ المسك بعض دم الغزال

و يشهد بها آيه التطهير فان قلت: لو كان طاهرا لم حذّر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أبا سعيد الخدرى من شربه كما رواه فى البحار من تفسير الامام فى حديث طويل قال فيه:

و أما الدّم فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله احتجم مرّه فدفع الدّم الخارج منه إلى أبى سعيد الخدرى و قال له: غيّبه، فذهب فشربه فقال صلّى اللّه عليه و آله له: ما صنعت به؟ قال له: شربته يا رسول اللّه، قال: أ لم أقل لك غيّبه؟ فقال له: غيّبته فى وعاء حريز، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إيّاك:

و أن تعود لمثل هذا، ثمّ اعلم أنّ اللّه قد حرّم على النّار لحمك و دمك لما اختلط بلحمى و دمى.

قلت: لعلّ تحذيره عن شربه لأجل حرمته لا لأجل النّجاسه.

و أمّا حمل النفس فى قوله عليه السّلام: و لقد سالت نفسه بمعنى الدّم فلا يخفى بعده بل ضعفه، و الأقوى عندى أن يراد بالنّفس نفسه النّاطقه القدسيّه الّتى هى مبدء الفكر و الذّكر و العلم و الحلم و النّباهه، و لها خاصيّه الحكمه و النّزاهه، فيكون محصّل المراد بالكلام أنّ روحه الطيبه الكامله الّتى هى المصداق الحقيقى لقوله: قل الرّوح من أمر ربّى، و المقصود الأصلى بقوله: و نفخت فيه من روحى، لما فارقت جسده الطاهر فاضت بيدى فمسحت بها على وجهى.

و لعلّ هذا مراد من قال إنّ المراد بسيلان النّفس هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس، هذا.

و انّما مسح بها على وجهه إما تيمّنا أو لحكمه عظيمه لا نعرفها.

و انما فعل عليه السّلام ذلك بوصيّه منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما رواه فى البحار من مناقب ابن شهر آشوب قال: و من طريقه أهل البيت عليهم السّلام أنّ عايشه دعت أباها فأعرض عنه و دعت حفصه أباها فأعرض عنه و دعت أمّ سلمه عليّا فناجاه طويلا ثمّ اغمى عليه فجاء الحسن و الحسين عليهما السّلام يصيحان و يبكيان حتّى وقعا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أراد علىّ عليه السّلام أن ينحّيهما عنه، فأفاق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ قال: يا علىّ دعهما أشمّهما و يشمّانى و أتزوّد منهما و يتزوّدان منّى.

ثمّ جذب عليّا عليه السّلام تحت ثوبه و وضع فاه على فيه و جعل يناجيه، فلمّا حضره الموت قال له: ضع رأسى يا على فى حجرك فقد جاء أمر اللّه فاذا فاضت نفسى فتناولها بيدك و امسح بها وجهك ثمّ وجّهنى إلى القبله و تولّ أمرى و صلّ علىّ أوّل النّاس و لا تفارقنى حتّى توارينى فى رمسى و استعن باللّه عزّ و جلّ.

و أخذ علىّ برأسه فوضعه فى حجره فاغمى عليه فبكت فاطمه فأومى إليها بالدنوّ منه، فأسرّ إليها شيئا تهلّل وجهها - القصّه -.

ثمّ قضـى صلّى اللّه عليه و آله و مدّ أمير المؤمنين عليه السّلام يده اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثمّ وجّهه و مدّ عليه ازاره و استقبل بالنّظر فى أمره.

و فى البحار من كتاب اعلام الورى قضـى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثمّ وجّهه و غمّضه و مدّ عليه ازاره و اشتغل بالنّظر فى أمره.

الخامسه ما أشار إليه بقوله (و لقد وليت) أى باشرت (غسله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الملائكه أعوانى) باطنا، و الفضل بن عباس يعينه ظاهرا و كان مباشرته بغسله صلّى اللّه عليه و آله أيضا بوصيّته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

كما يدل عليه ما رواه فى البحار من المناقب عن أبان بن بطه قال يزيد بن بلال قال علىّ عليه السّلام: أوصى النّبى ألاّ يغسّله أحد غيرى فانّه لا يرى عورتى أحد إلاّ طمست عيناه، قال: فما تناولت عضوا إلاّ كأنّما يقلّبه معى ثلاثون رجلا حتى فرغت من غسله.

و روى أنّه لمّا أراد علىّ عليه السّلام غسله استدعا الفضل بن عباس ليعينه و كان مشدود العينين و قد أمره علىّ عليه السّلام بذلک إشفاقا عليه من العمى، و فى هذا المعنى قال العبدى:

من ولى غسل النّبى و من لفّقه من بعد فى الكفن

و قال آخر:

غسّله إمام صدق طاهر من دنس الشرک و أسباب الغير

فأورث اللّه عليّا علمه و كان من بعد إليه يفتقر

و فى البحار من كتاب الطرف لابن طاوس نقلا من كتاب الوصيّه للشّيخ عيسى بن المستفاد الضّرير عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا على أضمنت دينى تقضيه عنّى؟ قال: نعم. قال: اللّهمّ فاشهد، ثمّ قال: يا على تغسلنى و لا يغسلنى غيرک فيعمى بصره، قال علىّ عليه السّلام و لم يا رسول اللّه؟ قال: كذلک قال جبرئيل عن ربّى أنّه لا يرى عورتى غيرک إلاّ عمى

ص:۲۴۲

بصره، قال علیّ علیه السّلام فکیف أقوی علیک وحدی؟ قال: یعینک جبرئیل و میکائیل و اسرافیل و ملک الموت و إسماعیل صاحب السماء الدّنیا، قلت: فمن یناولنی الماء؟ قال: الفضل بن العباس من غیر أن ینظر إلی شیء منّی فانّه لا یحلّ له و لا لغیره من الرّجال و النساء النظر إلی عورتی، و هی حرام علیهم، فاذا فرغت من غسلی فضعنی علی لوح و أفرغ علیّ من بئری بئر غرس أربعین دلوا مفتّحه الأبواب أو قال أربعین قربه شککت أنا فی ذلک ثمّ ضع یدک یا علی علی صدری و احضر معک فاطمه و الحسن و الحسین علیهم السّلام من غیر أن ینظروا إلی شیء من عورتی ثمّ تفهّم عند ذلک تفهم ما کان و ما هو کائن إنشاء اللّه.

و من کتاب فقه الرّضا و قال جعفر علیه السّلام: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أوصی إلی علیّ أن لا یغسلنی غیرک، فقال علیّ علیه السّلام: یا رسول اللّه من یناولنی الماء و انّک رجل ثقیل لا استطیع أن اقلبّک؟ فقال: جبرئیل معک یعاونک و یناولک الفضل الماء، و قل له فلیغطّ عینیه فانّه لا یری أحد عورتی غیرک إلاّ انفقات عیناه، قال: کان الفضل یناوله الماء و جبرئیل یعاونه و علیّ یغسّله.

و قوله(فضجّت الدّار و الأفنیه ملاء یهبط و ملاء یعرج)نسبه الضجیج إلی الدار و الأفنیه من التوسّع، و الاسناد إلی المکان، و المراد به ضجیج الملائکه النّازلین فیهما حین موته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بکاؤهم علیه مثل ضجیج سایر الحاضرین لدیه.

و یشهد بذلک ما فی البحار من کتاب الطرف لابن طاوس فی الحدیث الذی قدّمنا روایته آنفا و فیه بعد قوله صلّی اللّه علیه و آله تفهم ما کان و ما هو کائن: أقبلت یا علیّ؟ قال: نعم قال: اللّهمّ فاشهد.

قال: یا علیّ ما أنت صانع لو قد تأمّر القوم علیک بعدی وتقدّموا علیک و بعث إلیک طاغیتهم یدعوک إلی البیعه ثمّ لبّبت بثوبک تقاد کما یقاد الشّارد من الابل مذموما مخذولا محزونا مهموما و بعد ذلک ینزل بهذه الذّل.

قال: فلمّا سمعت فاطمه ما قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صرخت و بکت، فبکی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لبکائها و قال: یا بنیّه لا تبکین و لا تؤذین جلساءک من الملائکه، هذا جبرئیل

ص:۲۴۳

بکی لبکائک و میکائیل و صاحب سرّ اللّه إسرافیل، یا بنیه لا تبکین فقد بکیت السّماوات و الأرض لبکائک.

فقال علیّ علیه السّلام: یا رسول اللّه انقاد للقوم و أصبر علی ما أصابنی من غیر بیعه لهم ما لم اصب أعوانا لم اناجز القوم، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: اللّهمّ اشهد.

و فیه من الکتاب المذکور أیضا من کتاب الوصیّه لعیسی الضّریر عن موسی بن جعفر عن أبیه علیهما السّلام قال:

لمّا کانت اللّیله الّتی قبض النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی صبیحتها دعی علیّا و فاطمه و الحسن و الحسین علیهم السّلام و اغلق علیه و علیهم الباب، و قال: یا فاطمه و أدناها منه فناجاها من اللّیل طویلا، فلمّا طال ذلک خرج علیّ و معه الحسن و الحسین و أقاموا بالباب و الناس خلف الباب و نساء النّبی ینظرون إلی علیّ و معه ابناه.

فقالت عایشه: لأمر ما أخرجک منه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و خلا بابنته دونک فی هذه السّاعه؟ فقال علیّ علیه السّلام قد عرفت الذی خلا بها و أرادها له و هو بعض ما کنت فیه و أبوک و صاحباه ممّا قد سمّاه، فوجمت أن تردّ علیه کلمه قال علیّ علیه السّلام: فما لبثت أن نادتنی فاطمه علیها السّلام فدخلت علی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و هو یجود بنفسه فبکیت و لم أملک نفسی حین رأیته بتلک الحال یجود بنفسه.

فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لی: ما یبکیک یا علی لیس هذا أو ان البکاء فقد حان الفراق بینی و بینک فاستودعک اللّه یا أخی فقد اختار لی ربّی ما عنده، و إنما بکائی و غمّی و حزنی علیک و علی هذه - أی فاطمه أن تضیع بعدی، فقد أجمع القوم علی ظلمکم و قد استودعکم اللّه و قبلکم منّی ودیعه یا علیّ قد أوصیت فاطمه ابنتی بأشیاء و أمرتها أن تلقیها إلیک فأنفذها فهی الصّادقه المصدّقه.

ثمّ ضمها إلیه و قبّل رأسها و قال: فداک أبوک یا فاطمه، فعلا صوتها بالبکاء ثمّ ضمها إلیه و قال: و اللّه لینتقمنّ اللّه ربّی و لیغضبنّ لغضبک، فالویل ثمّ الویل للظالمین ثمّ بکی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

ص:۲۴۴

و قال علىّ عليه السّلام: فو اللّه لقد حسبت بضعه منّى قد ذهبت لبكائه صلّى اللّه عليه و آله حتّى هملت عيناه مثل المطر حتّى بلّت دموعه لحيته و ملاءه كانت عليه و هو يلتزم فاطمه لا يفارقها و رأسه على صدرى و أنا مسنده و الحسن و الحسين يقبلان قدميه و يبكيان بأعلى أصواتهما قال علىّ عليه السّلام: فلو قلت إنّ جبرئيل فى البيت لصدقت لأنّى كنت اسمع بكاء و نغمه لا أعرفها و كنت أعلم أنّها أصوات الملائكه لا أشكّ فيها، لأنّ جبرئيل لم يكن فى مثل تلك اللّيله يفارق النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و لقد رأيت بكاء منها أحسب أنّ السّماوات و الأرضين قد بكت لها.

ثمّ قال لها: يا بنيّه اللّه خليفتى عليكم و هو خير خليفه.

و الّذى بعثنى بالحقّ لقد بكى لبكائك عرش اللّه و ما حوله من الملائكه و السّماوات و الأرضون و ما بينهما.

يا فاطمه و الذى بعثنى بالحقّ لقد حرّمت الجنّه على الخلايق حتّى أدخلها و أنّك لأوّل خلق اللّه يدخلها بعدى كاسيه حاليه ناعمه، يا فاطمه هنيئا لك.

و الذى بعثنى بالحقّ إنّك لسيّده من يدخلها من النّساء، و الّذى بعثنى بالحقّ إنّ جهنّم لتزفر زفره لا يبقى ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل إلّا صعق، فينادى إليها أن يا جهنّم يقول لك الجبّار اسكنى بعزّى و استقرّى حتّى تجوز فاطمه بنت محمّد إلى الجنان لا يغشيها قتر و لا ذلّه.

و الذى بعثنى بالحقّ ليدخلنّ حسن و حسين، حسن عن يمينك و حسين عن يسارك و لتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدى اللّه فى المقام الشريف و لواء الحمد مع علىّ بن أبى طالب يكسى إذا كسيت و يحبى إذا حبيت.

و الّذى بعثنى بالحقّ لأقومنّ لخصومه أعدائك و ليندمنّ قوم أخذوا حقّك و قطعوا مودّتك و كذبوا عليّا و ليختلجنّ دونى فأقول: امّتى امّتى، فيقال: انّهم بدلوا بعدك و صاروا إلى السّعير.

قال الشارح عفى اللّه عنه: و إنّما أوردت هذه الرّوايه بتمامها و طولها مع كون موضع الحاجه منها بعضها كأكثر الأخبار المتقدّمه فى شرح هذه الخطبه،

ص:۲۴۵

لكونهـا متضـمّنه مثـل ساير ما تقـدّم للغرض الّـذى سوق هـذه الخطبه لأجله مؤكّـده له، و هو إفاده مزيـد اختصاصه عليه السّـلام برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و قرباه منه، على أنا أحببنا أن يكون شـرح هذه الخطبه متكفلا لجمل أخبار وفاه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله.

و قوله (و مـا فـارقت سـمعى هينمه منهم) أى لم يغب أصواتهم عن سـمعى و لم تخف علىّ، و يـدلّ عليه عموم الأخبار المفيـده لكونه محدثا يسـمع صوت الملك و لا يرى شـخصه، و قد تقدّمت جمله منها فى التنبيه الثانى من شرح الفصل الثامن من الخطبه المأه و الحاديه و التسعين.

و يـدل عليه خصوصا بل يدلّ على رؤيته عليه السّـلام لهم أيضا فى تلك الحال ما رواه فى البحار من كتاب بصاير الدّرجات عن أحمد بن محمّد و أحمد بن اسحاق عن القاسم بن يحيى عن بعض أصحابنا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

لمـا قبض رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم هبط جبرئيل و معه الملائكه و الرّوح الـذين كانوا يهبطون فى ليله القـدر، قال: ففتح لأمير المؤمنين بصـره فرآهم فى منتهى السـماوات إلى الأرض يغسّـلون النبىّ معه و يصلّون عليه معه و يحفرون له، و اللّه ما حفر له غيرهم حتى إذا وضع فى قبره نزلوا مع من نزل، فوضعوه فتكلّم، و فتح لأمير المؤمنين سمعه فسمعه يوصيهم به فبكى عليه السّلام و سمعهم يقولون لا نالوه جهدا و انما هو صاحبنا بعدك إلاّ أنه ليس يعايننا ببصره بعد مرّتنا هذه.

حتّى إذ مات أمير المؤمنين عليه السّـلام رأى الحسن و الحسـين عليهما السّلام مثل ذلك الذى رأى و رأيا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعين الملائكه مثل الذى صنعوا بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

حـتّى اذا مـات الحسـن عليه السّـلام رأى منه الحسـين مثـل ذلـك و رأى النـبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و عليـا عليه السّـلام يعينـان الملائكه.

حتى إذا مات الحسـين عليه السّـلام رأى علىّ بن الحسين عليهما السّلام منه مثل ذلك و رأى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عليا و الحسن عليهما السّلام يعينون الملائكه.

حتّى إذا مات علىّ بن الحسـين عليهما السّـلام رأى محمّد بن علىّ مثل ذلك و رأى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و عليا و الحسن و الحسين عليهم السّلام يعينون الملائكه.

حتی إذا مات محمّد بن علیّ علیهما السّلام رأی جعفر علیه السّلام مثل ذلک و رأی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و علیا و الحسن و الحسین و علیّ بن الحسین علیهم السّلام یعینون الملائکه.

حتّی إذا مات جعفر علیه السّلام رأی موسی علیه السّلام منه مثل ذلک، هکذا یجری إلی آخر و قوله (یصلّون علیه) صریح فی صلاه الملائکه، و قد مرّ فی شرح قوله علیه السّلام:

و لقد قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی روایه الأمالی إنّ أوّل من یصلّی علیه هو اللّه سبحانه ثمّ الملائکه، ثمّ المسلمون.

و روی فی الکافی بسنده عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: لما قبض النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صلّت علیه الملائکه و المهاجرون و الأنصار فوجا فوجا و قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول فی صحّته و سلامته: إنّما انزلت هذه الایه علیّ فی الصّلاه بعد قبض اللّه لی: إنّ اللّه و ملائکته یصلّون علی النّبیّ یا أیّها الّذین آمنوا صلّوا علیه و سلّموا تسلیما.

و فی البحار من الاحتجاج و فی روایه سلیم بن قیس الهلالی عن سلمان الفارسی أنّه قال:

أتیت علیّا علیه السّلام و هو یغسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قد کان أوصی أن لا یغسله غیر علیّ علیه السّلام و أخبر عنه أنّه لا یرید أن یقلّب منه عضو إلاّ قلب له، و قد قال أمیر المؤمنین لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: من یعیننی علی غسلک یا رسول اللّه؟ قال: جبرئیل.

فلمّا غسّله و کفّنه أدخلنی و أدخل أبا ذر و المقداد و فاطمه و حسنا و حسینا علیهم السّلام فتقدّم و صففنا خلفه و صلّی علیه، و عایشه فی الحجره لا تعلم قد أخذ جبرئیل ببصرها ثمّ ادخل عشره عشره من المهاجرین و الأنصار فیصلّون و یخرجون، حتی لم یبق أحد من المهاجرین و الأنصار إلاّ صلّی علیه، الخبر.

و من کتاب اعلام الوری قال أبان: و حدّثنی أبو مریم عن أبی جعفر علیه السّلام قال قال الناس: کیف الصلاه علیه؟ فقال علیّ علیه السّلام: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إمامنا حیا و میتا فدخل علیه عشره عشره فصلّوا علیه یوم الاثنین و لیله الثلثاء حتّی صلّی علیه کبیرهم و صغیرهم و ذکرهم و اناثهم و ضواحی المدینه بغیر إمام.

ص:۲۴۷

و من المناقب قال أبو جعفر عليه السّلام قال الناس: كيف الصلاه؟ فقال عليّ عليه السّلام إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إمام حيا و ميتا فدخل عليه عشره عشره فصلّوا عليه يوم الاثنين و ليله الثلثاء حتى الصّباح و يوم الثلثاء حتّى صلّى عليه الأقرباء و الخواص، و لم يحضر أهل السقيفه و كان عليّ عليه السّلام أنفذ اليهم بريده، و إنّما تمّت بيعتهم بعد دفنه و من المناقب و سئل الباقر عليه السّلام كيف كانت الصّلاه على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ فقال لمّا غسله أمير المؤمنين و كفّنه و سجّاه و ادخل عليه عشره فداروا حوله، ثمّ وقف أمير المؤمنين عليه السّلام فى وسطهم فقال: إنّ اللّه و ملائكته، الايه فيقول القوم مثل ما يقول حتّى صلّى عليه أهل المدينه و أهل العوالى.

قال المحدّث العلامه المجلسى (قد) بعد إيراد هذه الأخبار فى البحار:

يظهر من مجموعها أنّ الصّلاه الحقيقيّه هى التى كان أمير المؤمنين عليه السّلام صلّاها أوّلا مع السته المذكورين فى خبر سليم، و لم يدخل فى ذلک سوى الخواص من أهل بيته و أصحابه لئلّا يتقدّم أحد من لصوص الخلافه فى الصلاه أو يحضر أحد من هؤلاء المنافقين فيها، ثمّ كان يدخل عشره عشره من الصحاب فيقرأ الايه و يدعون و يخرجون من غير صلاه.

و قوله (حتّى و اريناه فى ضريحه) روى فى البحار من المناقب قال: و اختلفوا أين يدفن فقال بعضهم: فى البقيع، و قال آخرون: فى صحن المسجد، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ اللّه لم يقبض نبيا إلّا فى أطهر البقاع فينبغى أن يدفن فى البقعه التى قبض فيها، فاتّفقت الجماعه على قوله و دفن فى حجرته.

و من فقه الرّضا عليه السّلام و قال جعفر عليه السّلام فلما أن فرغ من غسله و كفنه أتاه العباس فقال: يا عليّ إنّ الناس قد اجتمعوا على أن يدفن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى بقيع المصلّى و أن يؤمّهم رجل منهم، فخرج عليّ عليه السّلام إلى الناس فقال: يا أيها الناس أما تعلمون أنّ رسول اللّه إمامنا حيا و ميتا و هل تعلمون أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعن من جعل القبور مصلّى، و لعن من جعل مع اللّه إلها و لعن من كسر رباعيّته و شقّ لثته، قال: فقالوا: الأمر إليک فاصنع ما رأيت قال: و إنى أدفن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى البقعه التى قبض فيها، الحديث.

و من أعلام الورى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: و خاض المسلمون فى موضع دفنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال علىّ عليه السّلام: إنّ اللّه لم يقبض نبيا فى مكان إلاّ و ارتضاه لرمسه فيه، و إنى دافنه فى حجرته التى قبض فيها، فرضى المسلمون بذلك.

فلما صلّى المسلمون عليه أنفذ العباس إلى أبى عبيده بن الجراح و كان يحفر لأهل مكه و يضرح، و أنفذ إلى زيد بن سهل أبى طلحه و كان يحفر لأهل المدينه و يلحد فاستدعاهما و قال: اللهمّ خر لنبيك، فوجد أبو طلحه فقيل له: احفر لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فحفر له لحدا و دخل أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و العباس و الفضل و اسامه بن زيد ليتولّوا دفن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فنادت الأنصار من وراء البيت: يا على إنا نذكرك اللّه و حقّنا اليوم من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يذهب ادخل منّا رجلا يكون لنا حظّ به من مواراه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال ليدخل أوس بن خولى رجل من بنى عوف بن الخزرج و كان بدريا، فدخل البيت و قال له علىّ عليه السّلام: انزل القبر فنزل، و وضع علىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على يديه ثمّ ولاه فى حفرته، ثمّ قال له: اخرج فخرج، و نزل علىّ عليه السّلام فكشف عن وجهه و وضع خدّه على الأرض موجّها إلى القبله على يمينه ثمّ وضع عليه اللبن و أهال عليه التراب.

و من الدّيوان المنسوب إليه عليه السّلام فى رثائه صلوات اللّه و سلامه عليه و آله:

أ من بعد تكفين النّبى و دفنه بأثوابه آسى على هالك ثوى

رزئنا رسول اللّه فينا فلن نرى بذاك عديلا ما حيينا من الرّدى

و كان لنا كالحصن من دون أهله له معقل حرز حريز من الرّدى

و كنّا بمرآه نرى النّور و الهدى صباحا مساء راح فينا أو اغتدى

لقد غشيتنا ظلمه بعد موته نهارا فقد زادت على ظلمه الدّجى

فيا خير من ضمّ الجوانح و الحشا و يا خير ميت ضمّه الترب و الثرى

كأنّ امور الناس بعدك ضمّنت سفينه موج حين فى البحر قد سما

و ضاق فضاء الأرض عنهم برحبه لفقد رسول اللّه إذ قيل قد مضى

فقد نزلت بالمسلمين مصيبه كصدع الصفا لا شعب للصدع فى الصفا

فلن يستقلّ الناس تلك مصيبه و لم يجبر العظم الذى منهم و هى

و فى كلّ وقت للصلاه يهيجه بلال و يدعو باسمه كلّما دعا

و يطلب أقوام مواريث هالك و فينا مواريث النّبوه و الهدى

و قالت فاطمه عليها السّلام فى رثائه صلّى اللّه عليه و آله أيضا:

إذا اشتدّ شوقى زرت قبرک باكيا أنوح و أشكو لا أراک مجاوبى

فيا ساكن الصّحراء علّمتنى البكا و ذكرک أنسانى جميع المصائب

فان كنت عنّى فى التّراب مغيّبا فما كنت عن قلب الحزين بغائب

و لها صلوات اللّه و سلامه عليها أيضا:

إذا مات يوما ميّت قلّ ذكره و ذكر أبى قد مات و اللّه أزيد

تذكّرت لمّا فرق الموت بيننا فعزّيت نفسى بالنّبى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

فقلت لها إنّ الممات سبيلنا و من لم يمت فى يومه مات فى غد

و لها أيضا ما اشتهر فى الألسنه و الأفواه:

ما ذا على من شمّ تربه أحمد أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليا

صبّت علىّ مصائب لو أنّها صبّت على الأيام صرن لياليا

هذا، و لمّا مهّد عليه السّلام المقدمات المفيده لمزيد اختصاصه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قربه منه فى حال حياته و حين مماته حسبما عرفته تفصيلا تحقيقا فرّع على ذلک قوله:

(فمن ذا أحقّ به منى حيّا و ميتا) و هو استفهام على سبيل الانكار و الابطال يقتضى أنّ ما بعده غير واقع و أنّ مدّعيه كاذب فيفيد كونه أولى به فى حياته و أحقّ بالخلافه و الوصايه بعد موته، و هو حقّ لا ريب فيه على رغم الناصب الجاحد و المبغض المعاند.

(فانفذوا) أى أسرعوا إلى قتال عدوّكم مستقرّين (على بصائركم) و عقايدكم الحقّه (و لتصدق نياتكم فى جهاد عدوّكم) أى أنهضوا إلى عدوّكم بنيّات صادقه و قلوب طاهره سالمه من اعتراض الشک و الرّيب و الشبهه و لا يوسوسنكم

الشيطان بكونهم من أهل القبله و الاسلام غير جايز قتلتهم و قتالهم، لأنكم اتباع الامام الحقّ و هم تابعوا الامام الباطل (فو)اللّه(الذى لا إله الاّ هو إنّى لعلى جادّه الحقّ و انّهم لعلى مزلّه الباطل)كما يشهد به النّبوى المعروف بين الفريقين: علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ.

و لا يخفى حسن المقابله بين جادّه الحقّ و بين مزلّه الباطل كما لا يخفى لطف إضافه الجادّه إلى الحقّ و إضافه المزلّه إلى الباطل، لأنّ طريق الحقّ لما كان واضحا جليا ثابتا بالبيّنه و البرهان يوصل سالكها إلى منزل الزلفى و جنّات النعيم و طريق الباطل لما كان تمويها و تدليسا مخالفا للواقع يزلّ فيه قدم سالكه و يزلق فيهوى إلى دركات الجحيم.

(أقول ما تسمعون) من قول حقّ و كلام صدق (و أستغفر اللّه لى و لكم).

تنبيهان: – الاول

روى الشارح المعتزلى فى شرح هذه الخطبه من قصّه وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما هو ظاهر بل نصّ فى الطعن على المتخلّفين المنتحلين للخلافه و على المتعصّبين لهم السالكين لطريقتهم من العامّه العمياء أحببت أن أذكر ملخّص ما أورده مما يطعن به عليهم فأقول:

قال الشارح: قد روى من قصّه وفاه رسول اللّه عليه السّلام أنه عرضت له الشّكاه الّتى عرضت فى أواخر من سنه إحدى عشره للهجره فجهّز جيش اسامه بن زيد بالمسير إلى البلقاء حيث أصيب زيد و جعفر من الرّوم.

و خرج صلّى اللّه عليه و آله فى تلك اللّيله إلى البقيع و قال: إنّى قد امرت بالاستغفار عليهم فقال صلّى اللّه عليه و آله: يا أهل القبور ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلا.

ثمّ انصرف إلى بيته، فخطب الناس فى غده و أعلمهم بموته ثمّ نزل فصلّى

بالناس صلاه حفيفه، ثمّ دخل بيت امّ سلمه.

ثمّ انتقل إلى بيت عايشه يعلّله النساء و الرّجال، أمّا النساء فأزواجه و بنته، و أما الرّجال فعليّ عليه السّلام و العباس و الحسن و الحسين و كانا غلامين يومئذ و كان الفضل بن العباس يدخل احيانا إليهم.

ثمّ حدث الاختلاف بين المسلمين أيّام مرضه.

فأوّل ذلك التنازع الواقع يوم قال: ايتونى بدواه و قرطاس، و تلى ذلك حديث التخلّف عن جيش اسامه، ثمّ اشتدّ به المرض و كان عند خفّه مرضه يصلّى بالناس بنفسه، فلما اشتدّ به المرض أمر أبا بكر أن يصلّى بالناس.

و قد اختلف فى صلاته بهم فالشيعه تزعم أنه لم يصلّ بهم إلّا صلاه واحده و هى الصلاه التى خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيها يتهادى بين عليّ و الفضل فقام فى المحراب مقامه و تأخّر أبو بكر، و الصحيح عندى و هو الأكثر الأشهر أنها لم تكن آخر الصلاه فى حياته بالناس جماعه و أنّ أبا بكر صلّى بالناس بعد ذلك يومين.

ثمّ مات صلّى اللّه عليه و آله فمن قائل يقول توفّى لليلتين بقيتا من شهر صفر و هو الذى تقوله الشيعه، و الأكثرون أنه توفّى فى شهر ربيع الأوّل بعد مضيّ أيام منه، و قد اختلفت الرّوايه فى موته فأنكر عمر ذلك و قال: إنه لم يمت و إنه غاب و إنه سيعود فثناه أبو بكر هذا القول و تلى عليه الايات المتضمّنه أنه سيموت، فرجع إلى قوله و صلّوا عليه ارسالا لا يؤمّهم أحد، و قيل: إنّ عليا عليه السّلام أشار بذلك فقبلوه و أنا أعجب من ذلك لأنّ الصلاه عليه كانت بعد بيعه أبى بكر فما الذى منع من أن يتقدّم أبو بكر فيصلّى عليه إماما و تنازعوا فى تلحيده و تضريحه فأرسل العباس عمّه إلى أبى عبيده بن الجراح و كان يحفر لأهل مكه و يضرح على عادتهم رجلا و أرسل إلى أبى طلحه الأنصارى و كان يلحد لأهل المدينه على عادتهم، رجلا و قال: اللهمّ اختر لنبيّك، فجاء أبو طلحه فلحد له و ادخل فى اللحد و تنازعوا فيمن ينزل معه القبر فمنع عليّ الناس أن ينزلوا معه و قال: لا ينزل

قبره غیری و غیر العباس، ثمّ أذن فی نزول الفضل و اسامه بن زید مولاهم ثمّ ضجّت الأنصار و سألت أن ینزل منها رجل فی قبره فانزلوا أوس بن خولی و کان بدریا.

فأمّا الغسل فانّ علیّا تولّاه بیده و کان الفضل یصبّ علیه الماء، انتهی ما أهمّنا نقله من کلامه و وجوه الطعن فی تلک القضیّه علی ما صدر من أهل الخلافه غیر خفیّه علی الفطن العارف إلّا أنا ننبّه علی بعضها لکونها أشدّ تشنیعا و طعنا.

أولها ما أشار إلیه الشارح بقوله: فأوّل ذلک التنازع الواقع یوم قال ایتونی بدواه و قرطاس، فقد روت العامّه و الخاصه أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أراد فی مرضه أن یکتب لامّته کتابا لئلّا یضلّوا بعده و لا یختلفوا، فطلب دواه و کتفا أو نحو ذلک فمنع عمر من احضار ذلک و قال: إنه لیهجر، أو ما یؤدّی هذا المعنی، و قد وصفه اللّه سبحانه بأنه لا ینطق عن الهوی و أنّ کلامه لیس إلاّ وحیا یوحی، و کثر اختلافهم و ارتفعت أصواتهم حتّی تسأم و تزجّر فقال بعضهم: احضروا ما طلب، و قال بعضهم: القول ما قاله عمر، و قد قال اللّه سبحانه «وَ ما کانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَی اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ یَکُونَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ یَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِیناً » و قال تعالی «فَلا وَ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لا یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً » روی فی البحار من کتاب الطرایف للسیّد علیّ بن طاوس رضی اللّه عنه أنّه قال: من أعظم طرایف المسلمین أنّهم شهدوا جمیعا أنّ نبیّهم أراد عند وفاته أن یکتب لهم کتابا لا یضلّون بعده أبدا، و أنّ عمر بن الخطاب کان سبب منعه من ذلک الکتاب و سبب ضلال من ضلّ من امّته و سبب اختلافهم و سفک الدّماء بینهم و تلف الأموال و اختلاف الشریعه و هلاک اثنین و سبعین فرقه من أصل فرق الاسلام و سبب خلود من یخلد فی النار منهم، و مع هذا کلّه فانّ أکثرهم أطاع عمر بن الخطاب الذی قد شهدوا علیه بهذه الأحوال فی الخلافه و عظموه و کفّروا بعد ذلک من یطعن فیه و هم من جمله الطاعنین، و ضلّلوا من یذمّه و هم من جمله الضّالین،

و تبرّءوا ممن يقبّح ذكره و هم من جمله المقبّحين فمن روايتهم فى ذلك ما ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين فى الحديث الرّابع من المتفق عليه فى صحّته من مسند عبد اللّه بن عباس قال: لمّا احتضر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فى بيته رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هلمّوا أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا، فقال عمر بن الخطاب: إنّ النّبى قد غلبه الوجع و عندكم القرآن حسبكم كتاب ربكم.

و فى روايه ابن عمر من غير كتاب الحميدى قال عمر: إنّ الرّجل ليهجر.

و فى كتاب الحميدى قالوا ما شأنه هجر.

و فى المجلّد الثانى من صحيح مسلم فقال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يهجر.

قال الحميدى: فاختلف الحاضرون عند النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فبعضهم يقول: القول ما قاله النبى صلّى اللّه عليه و آله فقرّبوا إليه كتابا يكتب لكم، و منهم من يقول: القول ما قاله عمر.

فلمّا اكثروا اللفظ «اللّغط» و الاختلاط قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: قوموا عنّى فلا ينبغى عندى التنازع، فكان ابن عباس يبكى حتّى يبلّ دموعه الحصا و يقول: يوم الخميس و ما يوم الخميس.

قال راوى الحديث فقلت: يا ابن عباس و ما يوم الخميس؟ فذكره عبد اللّه بن عباس يوم منع رسول اللّه من ذلك الكتاب، و كان يقول: الرّزيه كلّ الرّزيه ما حال بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بين كتابه.

و ثانيها حديث التخلّف عن جيش اسامه، فانّ أبا بكر و عمر و عثمان كانوا من جيشه، و قد كرّر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا اشتدّ مرضه الأمر بتجهيز جيشه و لعن المتخلّف عنه فتأخّروا عنه و اشتغلوا بعقد البيعه فى سقيفه بنى ساعده و خالفوا أمره، و شملهم اللّعن و ظهر أنّهم لا يصلحون للخلافه.

قال أصحابنا: و لو تنزّلنا عن هذا المقام و قلنا بما ادّعاه بعضهم من عدم كون أبى بكر من الجيش نقول: لا خلاف أنّ عمر منهم، و قد منعه أبو بكر من النّفوذ معهم، و هذا كالأوّل فى كونه معصيه و مخالفه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله،

اما انّهم كانوا من جيش اسامه، فقد رواه علم الهدى فى الشّافى بطرق كثيره من العامّه.

قال ره: إنّ كون أبى بكر فى جيش أسامه قد ذكره أصحاب السير و التواريخ.

قال: و قد روى البلادرى فى تاريخه و هو معروف ثقه كثير الضّبط و برىء من ممائله الشيعه: إنّ أبا بكر و عمر كانا معا فى جيش اسامه و اورد روايات اخر من أراد الاطلاع عليها فعليه بالمراجعه إلى الكتاب المذكور، و ستطلع عليه ممّا نحكيه عن المفيد فى الارشاد فى الطعن الاتى.

و أما تخلّفهم عن الجيش فلا ينازع فيه أحد.

و أما أنّ ذلك قادح فى خلافتهم و موجب للطعن عليهم، فلاستحقاقهم بسبب التخلف للّعن الصّريح من اللّه و من رسوله، و الملعون لا يصلح للامامه.

أمّا اللعن من اللّه فانّهم لمّا خالفوا أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعد تأكيده و تكريره آذوه فيدخلون فى عموم قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ » و قوله «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » و أمّا لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلما رواه الشهرستانى فى كتاب الملل و النّحل عند ذكر الاختلافات الواقعه فى مرض النّبى صلّى اللّه عليه و آله: الخلاف الثانى أنه قال جهّزوا جيش اسامه لعن اللّه من تخلّف عن جيش اسامه، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره و اسامه قد برز من المدينه، و قال قوم: قد اشتدّ مرض النّبى فلا تسع قلوبنا لمفارقته و الحال هذه، فنصبر حتى نبصر أىّ شيء يكون من أمره.

و ثالثها صلاه أبى بكر بالناس و عدم إقرار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليها دليل على عدم قابليّته للامامه فى الصلاه فكيف بامامه الامّه؟! قال المفيد فى كتاب الارشاد فى قصّه وفاه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

و استمرّ به المرض فى بيت عايشه أيّاما و ثقل فجاء بلال عند صلاه الصّبح و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مغمور بالمرض فنادى: الصلاه رحمكم اللّه، فاوذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بندائه فقال: يصلّى بالناس بعضهم فانّى مشغول بنفسى فقالت عايشه: مروا أبا بكر،

و قالت حفصه: مروا عمر، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين سمع كلامهما و رأى حرص كلّ واحده منهما على التنويه بأبيها و افتنانهما بذلك و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيّ: اكففن فانّكنّ صويحبات يوسف ثمّ قام عليه السّلام مبادرا خوفا من تقدّم أحد الرّجلين، و قد كان أمرهما بالخروج مع اسامه و لم يك عنده أنّهما قد تخلّفا، فلمّا سمع من عايشه و حفصه ما سمع علم أنهما متأخّران عن أمره، فبدر لكفّ الفتنه و إزاله الشّبهه فقام عليه الصلاه و السلام و أنه لا يستقلّ على الأرض من الضّعف، فأخذ بيده عليّ بن أبى طالب و الفضل بن العباس فاعتمد عليهما و رجلاه تخطان الأرض من الضّعف.

فلمّا خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب فأومأ إليه بيده أن تأخّر عنه، فتأخّر أبو بكر، و قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مقامه، فكبّر و ابتدء الصلاه الّتى كان قد ابتدأها و لم يبن على ما مضى من أفعاله، فلمّا سلّم انصرف إلى منزله.

و استدعا أبا بكر و عمر و جماعه ممّن حضر بالمسجد من المسلمين ثمّ قال:

أ لم آمركم أن تنفذوا جيش اسامه؟ فقالوا: بلى يا رسول اللّه، قال: فلم تأخّرتم عن أمرى؟ قال أبو بكر: إنى خرجت ثمّ رجعت لاجدّد بك عهدا، و قال عمر: يا رسول اللّه إنّى لم أخرج لأنّنى لم أحبّ أن أسأل عنك الرّكب، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله نفّذوا جيش اسامه يكرّرها ثلاث مرات.

ثمّ اغمى عليه من التّعب الذى لحقه و الأسف الذى ملكه فمكث هنيئه مغمى عليه، و بكى المسلمون و ارتفع النحيب من أزواجه و ولده و ساء المسلمين و جميع من حضر من المسلمين، فأفاق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنظر إليهم.

ثمّ قال: ايتونى بدواه و كتف لأكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعده أبدا، ثمّ اغمى عليه فقام بعض من حضره يلتمس دواه و كتفا فقال له عمر: ارجع فانّه يهجر فرجع و ندم من حضر على ما كان منهم من التّضجيع(۱) فى احضار الدّواه و الكتف و تلاوموا بينهم و قالوا: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون لقد أشفقنا من خلاف رسول

۱- (۱) - أى التقصير.

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فلما أفاق قال بعضهم: أ لا نأتيك بدواه و كتف يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ فقال: أ بعد الذى قلتم؟ لا، و لكنّى اوصيكم بأهل بيتى خيرا و أعرض بوجهه عن القوم فنهضوا، انتهى ما أهمّنا نقله من كلامه رضى اللّه عنه.

و قد ذكرناه بطوله لأنّه قد ثبت أنه ثقه مقبول الكلام عند العامه و الخاصه لا مغمز فيه لأحد و لا يطعن بالعصبيّه و الهوى.

ثمّ أقول: يا اولى الأبصار انظروا بنظر الانصاف و الاعتبار إلى سوء حركات هؤلاء الأوغاد الأشرار كيف آذوا رسول اللّه فى تلك الحال و قد استولت عليه غمرات الأمراض و الالام و طوارق الأوجاع و الأسقام، و لم يتركوه و حاله ليستريح فى فراشه و يشغل بنفسه، حتى ألجئوه إلى الخروج إلى المسجد و رجلاه يخطان الأرض و كابدوه الغصص بالتخلف عن الجيش و نسبوه إلى الهذيان عند طلب الكتف و الدواه لعنهم اللّه و أبعدهم و عذّبهم عذابا أليما.

رابعها إنكار عمر لموته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بلوغه فى الجهل إلى حيث لم يعلم بأنّ كلّ نفس ذائقه الموت و أنه يجوز الموت عليه و أنّه اسوه الأنبياء فى ذلك، فقال: و اللّه ما مات حتّى يقطع أيدى رجال و أرجلهم، فقال له أبو بكر أما سمعت قول اللّه عزّ و جلّ «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » و قوله تعالى «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ ».

قال: فلمّا سمعت ذلك أيقنت بوفاته و سقطت إلى الأرض و علمت أنه قد مات فمن بلغ من غايه الجهل إلى هذه المرتبه كيف يليق بالخلافه الكلّيه و الرّياسه الإلهيّه؟!

الثانى

لما كان هذه الخطبه الشريفه التى نحن فى شرحها مسوقه لذكر مناقبه

و خصائصه الجميله المخصوصه به المفيده لكونه أحقّ و أولى بالخلافه و الامامه من غيره، أحببت أن اورد روايه متضمنه لجلّ كراماته و بيناته التى لم يشركه فيها أحد تأكيدا للغرض المسوق له الخطبه الشريفه و تكميلا له و هو:

ما رواه فى البحار من الخصال عن القطان و السنان و الدقاق و المكتب و الوراق جميعا عن ابن زكريّا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن سليمان بن حكيم عن ثور بن يزيد عن مكحول قال: قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام: لقد علم المستحفظون من أصحاب النبىّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله أنه ليس فيهم رجل له منقبه إلاّ و قد شركته فيها و فضلته، و لى سبعون منقبه لم يشركنى فيها أحد منهم، قلت: يا أمير المؤمنين فأخبرنى بهنّ فقال عليه السّلام:

إنّ أول منقبه لى أنّى لم اشرك باللّه طرفه عين و لم أعبد اللاّت و العزّى و الثانيه أنّى لم أشرب الخمر قطّ.

و الثالثه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله استوهبنى من أبى فى صباى فكنت أكيله و شريبه و مونسه و محدّثه.

و الرابعه أنّى أوّل الناس ايمانا و اسلاما.

و الخامسه: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: يا على أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنه لا نبىّ بعدى و السادسه أنّى كنت آخر الناس عهدا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ولّيته فى حفرته.

و السابعه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنا منى على فراشه حيث ذهب إلى الغار و سجّانى ببرده فلما جاء المشركون ظنّونى محمّدا فأيقظونى و قالوا: ما فعل صاحبك فقلت: ذهب فى حاجته، فقالوا: لو كان هرب لهرب هذا معه.

و أما الثامنه فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علّمنى ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب، و لم يعلّم ذلك أحدا غيرى.

و أما التاسعه فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لى: يا علىّ إذا حشر اللّه عزّ و جل الأوّلين و الاخرين نصب لى منبرا فوق منابر النّبيّين و نصب لك منبرا فوق منابر الوصيّين

فترتقی علیه و أما العاشره فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: لا اعطی فی القیامه شیئا إلّا سألت لک مثله.

و أما الحادیه عشره فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: أنت أخی و أنا أخوک یدک فی یدی حتّی ندخل الجنّه.

و أما الثانیه عشره فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: یا علیّ مثلک فی امّتی کمثل سفینه نوح من رکبها نجی و من تخلّف عنها غرق.

و أما الثالثه عشره فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عمّمنی بعمامه نفسه بیده و دعی لی بدعوات النّصر علی أعداء اللّه فهزمتهم باذن اللّه عزّ و جلّ.

و أما الرابعه عشره فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمرنی أن امسح یدی علی ضرع شاه قد یبس ضرعها فقلت: یا رسول اللّه بل امسح أنت، فقال: یا علیّ فعلک فعلی، فمسحت علیها یدی فدرّ علیّ من لبنها فسقیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله شربه، ثمّ أتت عجوز فشکت الظماء فسقیتها فقال رسول اللّه: انّی سألت اللّه عزّ و جلّ أن یبارک فی یدک ففعل و أما الخامسه عشره فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أوصی إلیّ و قال: یا علیّ لا یلی غسلی غیرک، و لا یواری عورتی غیرک، فانّه إن رأی عورتی غیرک تفقأت عیناه، فقلت له: کیف لی بتقلیبک یا رسول اللّه؟ فقال: إنّک ستعان، فو اللّه ما أردت أن اقلّب عضوا من أعضائه إلّا قلب لی.

و أما السادسه عشره فانّی أردت أن أجرّده علیه السّلام فنودیت: یا أخ «وصیّ خ» محمّد لا تجرّده فغسلته و القمیص علیه، فلا و اللّه الذی أکرمه بالنّبوه و خصّه بالرساله ما رأیت له عوره خصّنی اللّه بذلک من بین أصحابه.

و أما السابعه عشره فانّ اللّه عزّ و جلّ زوّجنی فاطمه و قد کان خطبها أبو بکر و عمر، فزوّجنی اللّه من فوق سبع سماواته فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: هنیئا لک یا علی فانّ اللّه عزّ و جلّ قد زوّجک فاطمه سیّده نساء أهل الجنّه و هی بضعه منّی فقلت: یا رسول اللّه أ و لست منک؟ قال: بلی یا علیّ أنت منّی و أنا منک کیمینی من شمالی لا أستغنی عنک

فی الدّنیا و الاخره.

و أما الثامنه عشره فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: یا علیّ أنت صاحب لواء الحمد فی الاخره و أنت یوم القیامه أقرب الخلایق منّی مجلسا یبسط لی و یبسط لک فأکون فی زمره النّبیّین و تکون فی زمره الوصیّین، و یوضع علی رأسک تاج النّور و اکلیل الکرامه یحف بک سبعون ألف ملک حتّی یفرغ اللّه عزّ و جلّ من حساب الخلایق و أما التاسعه عشره فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لی: ستقاتل النّاکثین و القاسطین و المارقین فمن قاتلک منهم فانّ لک بکلّ رجل منهم شفاعه فی مأئه ألف من شیعتک فقلت یا رسول اللّه فمن الناکثون؟ قال: طلحه و الزبیر سیبایعانک بالحجاز و ینکثانک بالعراق فاذا فعلا ذلک فحاربهما فانّ فی قتالهما طهاره لأهل الأرض، قلت: فمن القاسطون؟ قال: معاویه و أصحابه، قلت: فمن المارقون؟ قال: أصحاب ذو الثّدیه و هم یمرقون من الدّین کما یمرق السّهم من الرمیه فاقتلهم فانّ فی قتلهم فرجا لأهل الأرض و عذابا مؤجّلا علیهم و ذخرا لک عند اللّه عزّ و جلّ یوم القیامه.

و أما العشرون فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: مثلک فی امتی مثل باب حطه فی بنی إسرائیل فمن دخل فی ولایتک فقد دخل الباب کما أمره اللّه عزّ و جلّ و أما الحادیه و العشرون فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: أنا مدینه العلم و علیّ بابها و لن یدخل المدینه إلاّ من بابها، ثمّ قال: یا علیّ إنّک سترعی ذمّتی و تقاتل علی سنّتی و تخالفک امّتی.

و أما الثانیه و العشرون فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: إنّ اللّه تبارک و تعالی خلق ابنیّ الحسن و الحسین من نور ألقاه إلیک و إلی فاطمه، و هما یهتزّان کما یهتزّ القرطان إذا کانا فی الاذنین، و نورهما متضاعف علی نور الشهداء سبعین ألف ضعف، یا علیّ إنّ اللّه عزّ و جلّ قد وعدنی أن یکرمهما کرامه لا یکرم بها أحدا ما خلا النبیّین و المرسلین.

و أما الثالثه و العشرون فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أعطانی خاتمه فی حیاته و درعه و منطقه و قلّدنی سیفه و أصحابه کلّهم حضور و عمّی العبّاس حاضر، فخصّنی اللّه

عزّ و جلّ بذلک دونهم.

و أما الرابعه و العشرون فانّ اللّه عزّ و جلّ أنزل علی رسوله «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا ناجَیْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیْ نَجْواکُمْ صَدَقَةً » فکان لی دینار فبعته بعشره دراهم فکنت إذا ناجیت رسول اللّه اصدق قبل ذلک بدرهم، و و اللّه ما فعل هذا أحد من أصحابه قبلی و لا بعدی، فأنزل اللّه عزّ و جلّ «أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیْ نَجْواکُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تابَ اللّهُ عَلَیْکُمْ » الایه فهل تکون التّوبه إلّا من ذنب کان و أما الخامسه و العشرون فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: الجنّه محرّمه علی الأنبیاء حتّی أدخلها أنا و هی محرّمه علی الأوصیاء حتی تدخلها أنت، یا علی إنّ اللّه تبارک و تعالی بشّرنی فیک ببشری لم یبشّر بها نبیا قبلی بشّرنی بأنک سیّد الأوصیاء و أنّ ابنیک الحسن و الحسین سیدا شباب أهل الجنه یوم القیامه.

و أما السادسه و العشرون فانّ جعفرا أخی الطیار فی الجنّه مع الملائکه المزیّن بالجناحین من درّ و یاقوت و زبرجد.

و أما السابعه و العشرون فعمّی حمزه سیّد الشهداء.

و أما الثامنه و العشرون فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: إنّ اللّه تعالی وعدنی فیک وعدا لن یخلفه، جعلنی نبیا و جعلک وصیا، و ستلقی من امّتی من بعدی ما لقی موسی من فرعون فاصبر و احتسب حتی تلقانی، فاوالی من والاک و اعادی من عاداک و أما التاسعه و العشرون فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: یا علیّ أنت صاحب الحوض لا یملکه غیرک و سیأتیک قوم فیستسقونک فتقول: لا و لا مثل ذرّه، فینصرفون مسودّه وجوههم و سترد علیک شیعتی و شیعتک فتقول روّوا رواء مرویّین فیردون مبیّضه وجوههم.

و أما الثلاثون فانّی سمعته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: یحشر امتی یوم القیامه علی خمس رایات: فأوّل رایه ترد علیّ رایه فرعون هذه الامه و هو معاویه، و الثانیه مع سامری هذه الامه عمرو بن العاص، و الثالثه مع جاثلیق هذه الامه و هو أبو موسی الأشعری و الرابعه مع أبی الأعور السلمی، و أما الخامسه فمعک یا علی تحتها المؤمنون و أنت

إمامهم، ثمّ يقول اللّه تبارك و تعالى للأربعه: ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرّحمه، و هم شيعتى و من والانى و قاتل معى الفئه الباغيه و الناكثه عن الصراط، و باب الرحمه هم شيعتى، فينادى هولاء أ لم نكن معكم؟ قالوا: بلى و لكنكم فتنتم أنفسكم و تربّصتم و ارتبتم و غرّتكم الأمانىّ حتّى جاء أمر اللّه و غرّكم باللّه الغرور، فاليوم لا يؤخذ منكم فديه و لا من الذين كفروا مأويكم النار هى موليكم و بئس المصير ثمّ ترد امتى و شيعتى فيروون من حوض محمّد صلّى اللّه عليه و آله و بيدى عصا عوسج اطرد بها أعدائى طرد غريبه الابل.

و أما الحاديه و الثلاثون فانى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: لو لا أن يقول فيك الغالون من امتى ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم لقلت فيك قولا لا تمرّ بملاء من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون.

و أما الثانيه و الثلاثون فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: إنّ اللّه تبارك و تعالى نصرنى بالرّعب فسألته أن ينصرك بمثله فجعل لك من ذلك مثل الذى جعله لى.

و أما الثالثه و الثلاثون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التقم اذنى و علّمنى ما كان و ما يكون إلى يوم القيامه فساق اللّه عزّ و جلّ ذلك إلى لسان نبيّه.

و أما الرابعه و الثلاثون فانّ النصارى ادّعوا أمرا فأنزل اللّه عزّ و جلّ «فَمَنْ حَاجَّکَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ » فكانت نفسى نفس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و النساء فاطمه و الأبناء الحسن و الحسين، ثمّ ندم القوم فسألوا الاعفاء فأعفاهم، و الذى أنزل التوراه على موسى و الفرقان على محمّد لو باهلوا لمسخوا قرده و خنازير.

و أما الخامسه و الثلاثون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وجّهنى يوم بدر فقال:

ايتنى بكفّ حصياه مجموعه فى مكان واحد، فأخذتها ثمّ شممتها فاذا هى طيبه تفوح منها رايحه المسك، فأتيته بها فرمى بها وجوه المشركين و تلك الحصيات أربع منها كن من الفردوس و حصاه من المشرق و حصاه من المغرب و حصاه من تحت العرش مع كلّ حصاه مأئه ألف ملك مددا لنا، لم يكرم اللّه عزّ و جلّ بهذه الفضيله أحدا قبل و لا بعد.

و أما السادسه و الثلاثون فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: ويل لقاتلك انه أشقى من ثمود و من عاقر الناقه و إنّ عرش الرّحمن ليهتزّ لقتلك فابشر يا على فانك فى زمره الصديقين و الشهداء و الصالحين.

و أما السابعه و الثلاثون فانّ اللّه تبارك و تعالى قد خصّنى من بين أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعلم النّاسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و الخاص و العام، و ذلك ممّا منّ اللّه به علىّ و على رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال لى الرّسول: يا علىّ إنّ اللّه عزّ و جلّ أمرنى أن ادنيك و لا أقصيك(١) و اعلمك و لا أجفوك و حقّ علىّ أن اطيع ربّى و حقّ عليك أن تعى.

و أما الثامنه و الثلاثون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعثنى بعثا و دعا لى بدعوات و اطلعنى على ما يجرى بعده، فحزن لذلك بعض أصحابه صلّى اللّه عليه و آله و قال: لو قدر محمّد أن يجعل ابن عمّه نبيّا لجعله، فشرّفنى اللّه بالاطلاع على ذلك على لسان نبيّه.

و أما التاسعه و الثلاثون فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: كذب من زعم أنّه يحبّنى و يبغض عليّا، لا يجتمع حبّى و حبّه إلاّ فى قلب مؤمن، إنّ اللّه عزّ و جلّ جعل أهل حبّى و حبّك يا على فى أوّل زمره السابقين إلى الجنّه، و جعل أهل بغضى و بغضك فى أوّل الضالّين من امّتى إلى النار.

و أما الاربعون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وجّهنى فى بعض الغزوات إلى ركىّ فاذا ليس فيه ماء، فرجعت إليه فأخبرته، فقال: أ فيه طين؟ فقلت: نعم فقال: ايتنى منه، فأتيت منه بطين فتكلّم فيه ثمّ قال: ألقه فى الرّكىّ فألقيته فاذا الماء قد نبع حتّى امتلأ جوانب الرّكىّ، فجئت إليه فأخبرته فقال لى وفّقت يا علىّ و ببركتك نبع الماء، فهذه المنقبه خاصّه لى من دون أصحاب النّبى.

و أما الحاديه و الاربعون فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: ابشر يا علىّ فانّ جبرئيل عليه السّلام أتانى فقال لى: يا محمّد إنّ اللّه تبارك و تعالى نظر إلى أصحابك فوجد ابن عمّك و ختنك على ابنتك فاطمه خير أصحابك، فجعله وصيّك و المؤدّى عنك.

١- (١) - أى أقرّبك و لا ابعدك، منه.

و أما الثانيه و الاربعون فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: ابشر يا علىّ فانّ منزلك فى الجنّه مواجه منزلى، و أنت معى فى الرّفيق الأعلى فى أعلى عليّين، قلت: يا رسول اللّه و ما أعلى عليّون؟ فقال: قبّه من درّه بيضاء لها سبعون ألف مصراع مسكن لى و لك يا على.

و أما الثالثه و الاربعون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ رسخ حبّى فى قلوب المؤمنين، و كذلك رسخ حبّك يا على فى قلوب المؤمنين و رسخ بغضى و بغضك فى قلوب المنافقين، فلا يحبّك إلاّ مؤمن تقى، و لا يبغضك إلاّ منافق كافر.

و أما الرابعه و الأربعون فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: لن يبغضك من العرب إلاّ دعىّ، و لا من العجم إلاّ شقىّ، و لا من النساء إلاّ سلقلقيه.

و أما الخامسه و الاربعون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دعانى و أنا رمد العين فتفل فى عينى و قال: اللّهمّ اجعل حرّها فى بردها و بردها فى حرّها، فو اللّه ما اشتكت عينى إلى هذه السّاعه.

و أما السادسه و الاربعون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمر أصحابه و عمومته بسدّ الأبواب و فتح بابى بأمر اللّه عزّ و جلّ، فليس لأحد منقبه مثل منقبتى.

و أما السابعه و الاربعون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمرنى فى وصيّته بقضاء ديونه و عداته، فقلت: يا رسول اللّه قد علمت أنّه ليس عندى مال، فقال: سيعينك اللّه فما أردت أمرا من قضاء ديونه و عداته إلاّ يسّره اللّه لى حتّى قضيت ديونه و عداته و أحصيت ذلك فبلغ ثمانين ألفا و بقى بقيّه فأوصيت الحسن أن يقضيها.

و أما الثامنه و الاربعون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أتانى فى منزلى و لم يكن طعمنا منذ ثلاثه أيام فقال: يا علىّ هل عندك من شيء؟ فقلت: و الذى أكرمك بالكرامه و اصطفاك بالرّساله ما طعمت و زوجتى و ابناى منذ ثلاثه أيّام فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا فاطمه ادخلى البيت و انظرى هل تجدين شيئا، فقالت: خرجت الساعه فقلت: يا رسول اللّه أدخله أنا؟ فقال: ادخل باسم اللّه، فدخلت فاذا بطبق موضوع

عليه رطب و جفنه من ثريـد، فحملتهـا إلى رسول اللّه فقال صـلّى اللّه عليه و آله: يا على رأيت الرسول الـذى حمل هـذا الطعام؟ فقلت: نعم، فقال: صـفه لى، فقلت: من بين أحمر و أخضـر و أصـفر، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: تلك خطط جناح جبرئيل مكلّله بالـدرّ و الياقوت، فأكلنا من الثريـد حتى شـبعنا فما راى إلاّ خـدش أيدينا و أصابعنا، فخصّـنى اللّه عزّ و جلّ بذلك من بين أصحابه «الصحابه».

و أمـا التاسـعه و الاـربعون فانّ اللّه تبارك و تعالى خصّ نبيّه بالنّبوه، و خصّـنى النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بالوصـيّه، فمن أحبّنى فهو سعيد يحشر فى زمره الأنبياء عليهم السّلام.

و أمـا الخمسون فـانّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بعث ببراءه مع أبى بكر، فلمّـا مضـى أتى جبرئيل فقال: يا محمّـد لا يؤدّى عنك إلاّ أنت أو رجل منك، فوجّهنى على ناقته الغضـباء، فلحقته بذى الحليفه فأخذتها منه، فخصّنى اللّه عزّ و جلّ بذلك منه.

و أما الحاديه و الخمسون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أقامنى للنّاس كافّه يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه، فبعدا و سحقا للقوم الظالمين.

و أما الثانيه و الخمسون فانّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: يا على ألا اعلّمک كلمات علّمنيهنّ جبرئيل؟ فقلت: بلى، قال: قل «يا رازق المقلّين و يا راحم المساكين و يا أسمع السّامعين و يا أبصر النّاظرين و يا أرحم الرّاحمين ارحمنى و ارزقنى».

و أما الثالثه و الخمسون فانّ اللّه تبارک و تعالى لن يذهب بالدّنيا حتّى يقوم منّا القائم يقتل و لا يقبل الجزيه و يكسـر الصـليب و الأصنام و يضع الحرب أوزارها، و يدعو إلى أخذ المال فيقسمه بالسّويه و يعدل فى الرّعيه.

و أما الرابعه و الخمسون فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: يا علىّ سيلعنک بنو اميّه و يردّ عليهم ملک بكلّ لعنه ألف لعنه، فاذا قام القائم عليه السّلام لعنهم أربعين سنه.

و أما الخامسه و الخمسون سمعت أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: سيفتتن فيک طوايف من امّتى فتقول: إنّ رسول اللّه لم يخلف شـيئا فبما ذا أوصـى عليّا، أو ليس كتاب ربّى أفضل الأشـياء بعد اللّه عزّ و جلّ، و الذى بعثنى بالحقّ لأن لم تجمعه باتقان

لم یجمع أبدا، فخصّنی اللّه عزّ و جلّ بذلک من دون الصّحابه.

و أما السادسه و الخمسون فانّ اللّه تبارک و تعالی خصّنی بما خصّ به أولیاءه و أهل طاعته، و جعلنی وارث محمّد صلّی اللّه علیه و آله فمن ساءه ساءه، و من سرّه سرّه، و أومی بیده نحو المدینه.

و أما السابعه و الخمسون فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان فی بعض الغزوات ففقد الماء فقال لی: یا علیّ قم إلی هذه الصّخره و قل: أنا رسول رسول اللّه انفجری إلیّ ماء، فو اللّه الذی أکرمه بالنّبوه لقد أبلغتها الرّساله فاطلع منها مثل ثدی البقر فسال من کلّ ثدی منها ماء، فلمّا رأیت ذلک أسرعت إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فأخبرته فقال: انطلق یا علیّ فخذ من الماء، فجاء القوم حتّی ملاؤا قربهم و أدواتهم و سقوا دوابهم و شربوا و توضّؤا، فخصّنی اللّه عزّ و جلّ بذلک من دون الصّحابه.

و أما الثامنه و الخمسون فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أمرنی فی بعض غزواته و قد نفد الماء و قال: یا علی ایت بثور، فأتیته به فوضع یده الیمنی و یدی معها فی الثور، فقال: انبع، فنبع الماء من بین أصابعنا.

و أما التاسعه و الخمسون فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم وجّهنی إلی خیبر، فلما أتیته وجدت الباب مغلقا فزعزعته شدیدا فقلعته و رمیت به أربعین خطوه فدخلت، فبرز إلیّ مرحب فحمل إلیّ و حملت علیه و سقیت الأرض دمه، و قد کان وجّه رجلین من أصحابه فرجعا منکسفین و أما الستون فانّی قتلت عمرو بن عبدود و کان یعدّ بألف رجل.

و أما الحادیه و الستون فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: یا علیّ مثلک فی امّتی مثل قل هو اللّه أحد، فمن أحبّک بقلبه فکأنّما قرء ثلث القرآن، و من أحبّک بقلبه و أعانک بلسانه فکأنّما قرء ثلثی القرآن، و من أحبّک بقلبه و لسانه و نصرک بیده فکأنّما قرء القرآن کلّه.

و أما الثانیه و الستون فانّی کنت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی جمیع المواطن

و الحروب و كانت رايته معى.

و أما الثالثه و الستون فانّى لم أفرّ من الزّحف قطّ، و لم يبارزنى أحد إلّا سقيت الأرض من دمه.

و أما الرابعه و الستون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اتى بطير مشوىّ من الجنّه فدعى اللّه عزّ و جلّ أن يدخل عليه أحبّ الخلق إليه، فوفّقنى اللّه تعالى للدّخول عليه حتى أكلت معه من ذلك الطير.

و أما الخامسه و الستون فانّى كنت اصلّى فى المسجد فجاء سائل فسأل و أنا راكع فناولته خاتمى من اصبعى، فأنزل اللّه تبارك و تعالى «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ ».

و أما السادسه و الستون فانّ اللّه تبارك و تعالى ردّ علىّ الشّمس مرّتين و لم يردّها على أحد من امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله غيرى.

و أما السابعه و الستون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمر أن ادعى بامره المؤمنين فى حياته و بعد موته، و لم يطلق ذلك لأحد غيرى و أما الثامنه و الستون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: يا علىّ إذا كان يوم القيامه نادى مناد من بطنان العرش: أين سيّد الأنبياء؟ فأقوم، ثمّ ينادى أين سيّد الأوصياء فتقوم و يأتينى رضوان بمفاتيح الجنّه و يأتينى مالك بمقاليد النّار فيقولان: إنّ اللّه جلّ جلاله أمرنا أن ندفعها إليك و يأمرك أن تدفعها إلى علىّ بن أبى طالب، فتكون يا على قسيم الجنّه و النّار.

و أما التاسعه و السبعون فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: لولاك ما عرف المنافقون من المؤمنين.

و أما السبعون فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نام و نومّنى و زوجتى فاطمه و ابنىّ الحسن و الحسين و ألقى علينا عباءه قطوانيّه فأنزل اللّه تبارك و تعالى «إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » و قال جبرئيل: أنا منكم يا محمّد فكان سادسنا جبرئيل.

الترجمه

از جملهٔ خطب شریفهٔ آن امام مبین است در ذکر مزید اختصاص خود بحضرت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و أولویّت خود بخلافت می فرماید:

و البته دانسته اند مطلعان بأسرار رسالت که مامور بحفظ آن بودند أز صحابهٔ محمّد صلّی اللّه علیه و آله این که بدرستی من ردّ ننموده ام بر خدای تعالی و بر رسول او هر ساعتی فرمایش آنها را، و بتحقیق مواسات نمودم من با آن بزرگوار بنفس خودم در مواردی که پس برمیگشتند در آنها شجاعان، و تأخیر می نمودند در آنها قدمها بجهت سطوت و شجاعتی که گرامی داشته بود خدای تعالی مرا بان.

و بتحقیق که قبض شد روح پر فتوح حضرت رسالتماب صلّی اللّه علیه و آله و سلّم در حالتی که سر مبارك او بالای سینهٔ من بود، و بتحقیق که سیلان نمود نفس نفیس آن بر گزیدهٔ پروردگار در دست من، پس کشیدم من آن را بر روی خودم.

و بتحقیق مباشر شدم غسل آن سیّد أبرار را صلّی اللّه علیه و آله و سلّم در حالتی که ملائکه معین من بودند، پس ناله نمود خانه و اطراف خانه، جماعتی هبوط می کردند و جماعتی عروج می نمودند، و مفارقت نکرد قوّه سامعهٔ من از صوت ایشان، نماز می کردند بر آن تا این که دفن کردیم و پنهان نمودیم آن برگزیدهٔ ناس را در قبر خود پس کیست که أولی باشد بأوأز من در حالت زندگی او و در حالت مردگی او؟ پس بشتابید بر بصیرتهای خودتان و باید که با صدق رفتار نمائید در جهاد دشمن خودتان.

پس قسم بپروردگاری که نیست معبود بحقی غیر از او، بدرستی که من بر راه راست حقّم و بدرستی که ایشان بر محلّ لغزش باطلند، می گویم آن چیزی را که می شنوید و طلب مغفرت میکنم از پروردگار عزّ و جلّ از برای خود و از برای شما.

ص:۲۶۸

و من خطبه له عليه السّلام و هى المأه و السابعه

اشاره

و التسعون من المختار فى باب الخطب

و شرحها فى فصول ثلاثه:

الفصل الاول

اشاره

يعلم عجيج الوحوش فى الفلوات، و معاصى العباد فى الخلوات، و اختلاف النّينان فى البحار الغامرات، و تلاطم الماء بالرّياح العاصفات، و أشهد أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله نجيب اللّه و سفير وحيه، و رسول رحمته. أمّا بعد فإنّى أوصيكم بتقوى اللّه الّذى ابتدء خلقكم، و إليه يكون معادكم، و به نجاح طلبتكم، و إليه منتهى رغبتكم، و نحوه قصد سبيلكم، و إليه مرامى مفزعكم، فإنّ تقوى اللّه دواء داء قلوبكم، و بصر عمى أفئدتكم، و شفاء مرض أجسادكم، و صلاح فساد صدوركم و طهور دنس أنفسكم، و جلاء غشاء أبصاركم، و أمن فزع جاشكم، و ضياء سواد ظلمتكم.

ص:۲۶۹

فاجعلوا طاعه اللّه شعارا دون دثاركم، و دخيلا دون شعاركم، و لطيفا بين أضلاعكم، و أميرا فوق أموركم، و منهلا لحين ورودكم، و شفيعا لدرك طلبتكم، و جنّه ليوم فزعكم، و مصابيح لبطون قبوركم، و سكنا لطول وحشتكم، و نفسا لكرب مواطنكم. فإنّ طاعه اللّه حرز من متالف مكتنفه، و مخاوف متوقّعه، و أوار نيران موقده، فمن أخذ بالتّقوى غربت «عزبت خ» عنه الشّدايد بعد دنوّها، و احلولت له الامور بعد مرارتها، و انفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، و أسهلت له الصّعاب بعد انصابها، و هطلت عليه الكرامه بعد قحوطها، و تحدّبت عليه الرّحمه بعد نفورها، و تفجّرت عليه النّعم بعد نضوبها، و وبلت عليه البركه بعد إرذاذها. فاتّقوا اللّه الّذى نفعكم بموعظته، و وعظكم برسالته، و امتنّ عليكم بنعمته، فعبّدوا أنفسكم لعبادته، و اخرجوا إليه من حقّ طاعته.

اللغه

(عجّ) عجّا من باب ضرب و عجيجا أيضا رفع صوته بالتّلبيه، و منه الحديث أفضل الأعمال إلى اللّه العجّ و الثجّ، فالعجّ رفع الصّوت فى التّلبيه، و الثجّ إساله الدّماء من الذّبح و النحر فى الأضاحى.

و (النّينان) جمع نون و هو الحوت قال تعالى «وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً »

و نهر (غامر) أى كثير الماء يغمر من يدخله أى يغطّيه و يستره، و غمره البحر من باب نصر أى إذا علاه و غطاه و (الطلبه) بكسر الّام ما طلبته.

و (غشاء) أبصاركم فى بعض النسخ بالغين المعجمه و المدّ وزان كساء و هو الغطاء قال تعالى «فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ » أى جعلنا على أبصارهم غشاوه و غطاء و فى بعضها بالعين المهمله و القصر سوء البصر بالليل و النّهار مصدر عشى يقال عشى عشى من باب تعب ضعف بصره فهو أعشى و المرأه عشواء، و (الجاش) القلب.

و (الشّعار) الثّوب الملاصق للبدن و هو الذى يلى شعر الجسد و (الدّثار) ما فوق الشّعار من الثياب و (دخله) الرّجل و دخله و دخيلته و دخيله نيّته و مذهبه و خلده و (المنهل) المشرب و الشرب و الموضع الذى فيه المشرب و (الطلبه) بكسر اللّام كالطلب محرّكه اسم من طالبه بحقه مطالبه، و قال الشارح المعتزلى: الطلبه ما طلبته من شيء فيكون اسم عين.

و (النفس) محرّكه اسم وضع موضع المصدر الحقيقى من نفس تنفيسا و نفسا أى فرّج تفريجا و (الاوار) بضمّ الهمزه وزان غراب حرّ النّار و الشّمس و العطش و اللهب و (هطل) السّماء تهطل من باب ضرب امطرت هطلا و هو بالفتح تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر و المطر الضعيف الدائم و (نضب) الماء نضوبا غار و (وبلت) السماء تبل امطرت وابلا و هو المطر الشديد الضخم القطر و (ارذّت) السماء بتشديد الذال المعجمه أمطرت رذاذا، و هو بالفتح كسحاب المطر الضّعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار.

الاعراب

الباء فى قوله: بالرّياح سببيّه و نحوه منصوب بنزع الخافض، و الفاء فى قوله فانّ تقوى اللّه للتعليل، و فى قوله: فاجعلوا فصيحه.

المعنى

اعلم أنّ الغرض الأصلى من هذا الفصل من الخطبه الشريفه هو النصح و الموعظه و الوصيه بالتقوى و الطاعه و الترغيب عليهما بالتنبيه على عظم ما يترتب عليهما من الثمرات و المنافع المرّغبه، وصدّر الفصل باقتضاء صناعه البلاغه و رعايه براعه الاستهلال بذكر إحاطه علمه بجزئيات الموجودات تنبيها به على أنه عزّ و جلّ لا يخفى عليه طاعه المطيعين و معصيه المذنبين فقال عليه السّلام:

(يعلم عجيج الوحوش فى الفلوات) أى صياحها فيها بالتسبيح و رفع أصواتها إلى عزّ جنابه تبارك و تعالى بالتّقديس و تضرّعها إليه سبحانه فى إنجاح طلباتها و تنفيس كرباتها و سؤالها منه لدفع شدايدها.

و فيه حثّ للمخاطبين على الطلب و السّؤال و التّضرّع و الابتهال و الانابه إليه عزّ و علا على كلّ حال، لأنهم أولى بذلك من الحيوانات العجم.

و يشهد بذلك الحديث الذى قدّمناه: أفضل الأعمال إلى اللّه العجّ و الثجّ.

و فى حديث آخر مروىّ فى الوسايل من الكافى عن حريز رفعه قال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لمّا أحرم أتاه جبرئيل فقال له: مر أصحابك بالعجّ و الثجّ، و العجّ رفع الصّوت بالتلبيه، و الثجّ نحر البدن.

و فى الكافى فى كتاب الدّعاء باسناده عن حنان بن سدير عن أبيه قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: أىّ العباده أفضل؟ قال: ما من شىء أفضل عند اللّه عزّ و جلّ من أن يسأل و يطلب ممّا عنده، و ما أحد أبغض إلى اللّه عزّ و جلّ ممّن يستكبر عن عبادته و لا يسأل ما عنده.

و فيه عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال سمعته يقول: ادع و لا تقل قد فرغ من الأمر، فانّ الدّعاء هو العباده إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ » و قال:

«اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ».

ص:۲۷۲

و فیه بسنده عن میسر بن عبد العزیز عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال لی: یا میسر ادع و لا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه، إنّ عند اللّه عزّ و جلّ منزله لا تنال إلّا بمسأله، و لو أنّ عبدا سدّفاه و لم یسأل لم یعط شیئا فاسأل تعط، یا میسر إنه لیس من باب یقرع إلّا یوشک أن یفتح لصاحبه.

(و) یعلم (معاصی العباد فی الخلوات) بمقتضی عموم علمه بالسرّ و الخفیّات و ما تحت الثری و فوق الأرضین و السّماوات، و فیه تحذیر للسامعین عن ارتکاب الخطیئات و حثّ لهم عن الازعاج من السیئات و تخصیصها بها لکون الخلوه مظنّه الوقوع فی المعصیه بعدم وجود الرّادع و الحاجز.

(و اختلاف النینان فی البحار الغامرات) أی تردّدها فیها و سبحها فی البحر صعودا و هبوطا طولا و عرضا (و تلاطم الماء بالرّیاح العاصفات) أی اضطراب ماء البحار و تراکم أمواجها بالرّیاح الشّدیده الهبوب، ثمّ عقّب بالشهاده بالرّساله فقال:

(و أشهد أنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نجیب اللّه) أی الکریم الحسیب أفضل الناس حسبا و نسبا شرّفه اللّه تعالی بهذا الوصف الشامخ و اختاره به من خلقه.

(و سفیر وحیه و رسول رحمته) کما قال عزّ من قائل «وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِینَ » أی نعمه علیهم لأنّ ما بعث به سبب لصلاح معاشهم و معادهم موجب للسّعاده الدائمه و کونه رحمه للکفّار أمنهم به من الخسف و المسخ و عذاب الاستیصال قال فی مجمع البیان: قال ابن عباس: رحمه للبرّ و الفاجر و المؤمن و الکافر فهو رحمه للمؤمن فی الدنیا و الاخره و رحمه للکافر بأن عوفی ممّا أصاب الامم من الخسف و المسخ.

قال: و روی أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لجبرئیل علیه السّلام لما نزلت هذه الایه: هل أصابک من هذه الرّحمه شیء؟ قال: نعم إنّی کنت أخشی عاقبه الأمر فامنت بک لما أثنی اللّه علیّ بقوله «ذِی قُوَّهٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ » و قیل: إنّ الوجه فی أنّه نعمه علی الکافر أنّه عرّضه للایمان و الثّواب الدائم و هداه و إن لم یهتد کمن قدّم

الطعام إلى جائع فلم يأكل فانّه منعم عليه و إن لم يقبل.

(أمّا بعد فانّي اوصيكم) عباد اللّه (ب) ما لا أزال اوصيكم به أعنى (تقوى اللّه الذى ابتدء خلقكم) و فى الاتيان بهذه الجمله و ما يتلوها من الجملات الوصفيه تعظيم لشأنه عزّ و جلّ و تأكيد للغرض المسوق له الكلام، لأنّ العلم باتّصافه بهذه الصفات يوجب مزيد الملازمه بالتقوى و المواظبه على أوامره و نواهيه عزّ و تعالى.

و المراد بهذه الجمله انّ اللّه الذى حباكم خلعه الخلقه و أخرجكم من العدم و أفاض عليكم نعمه الوجود الّتى هى أصل جميع النّعم صغيرها و كبيرها و جليلها و حقيرها أحرى بأن يخشى منه و يتّقى و لا يقابل نعمه العظام بالكفران و آلائه الجسام بالتّمرّد و الطغيان.

(و إليه يكون معادكم) أى عودكم و رجوعكم يوم حشركم و نشركم، فانّ الكلّ إليه راجعون فيجازيهم بما كانوا يعملون، و أمّا الذين اتّقوا، فأولئك هم الفائزون و أما الذين ظلموا فلا ينفع معذرتهم و لا هم يستعتبون كما قال عزّ من قائل: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ وَ فَواكِهَ مِمّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ».

(و به نجاح طلبتكم و إليه منتهى رغبتكم) أى الظفر بمطالبكم و قضاء مقاصدكم و نيل حوائجكم، فانّه تعالى قاضى حوائج السائلين و منجح طلبات الرّاغبين، و من كان هذا شأنه يجب أن يطاع و يعبد لا أن يعصى لحكمه و يتمرّد.

(و نحوه قصد سبيلكم) لأنّه منتهى سير السالكين و غايه مراد المريدين، فلا بدّ من سلوك صراطه المستقيم المؤدّى إلى قربه و زلفاه، و هو صراط الملازمين لطاعته و تقواه و أمّا غيرهم فانّهم عن الصراط لناكبون، و عن لقائه محرومون.

(و إليه مرامى مفزعكم) يعنى إذا دهمكم الخوف و الفزع ترميكم الأفزاع نحوه، لأنه يجيب المضطرّ إذا دعاه و يكشف السوء عنه إذا ناداه.

و فى الحديث ليس وراء اللّه مرمى، قال الطريحى: أى مقصد ترمى إليه الامال و يوجه نحوه الرّجاء، تشبيها بالهدف الّتى ترمى إليها السّهام، و إذا كان شأنه العزيز انّه إذا فاجاكم الفزع فاليه تضرّعون، و إذا مسّكم الضرّ فاليه تجأرون، فلا بدّ

من أن يطاع و لا يعصى و يذكر و لا ينسى.

ثمّ لمّـا وصف اللّه عزّ و علاـ بأوصاف توجب منه الاتّقاء أردفه بالتنبيه على منافع التّقوى و الثمرات المترتّبه عليها فى الدّين و الدّنيا لمزيد الحثّ و الترغيب إليها فقال:

(فانّ تقوى اللّه دواء داء قلوبكم) يعنى أنّها رافعه للأمراض القلبيّه و الرّزائل النّفسانيه الموبقه من البخل و الحسد و النفاق و العداوه و البغضاء و غيرها، لأنها مضادّه لها كما أنّ الدواء ضدّ الدّاء (و بصر عمى افئدتكم) بيان ذلك أنّ حصول وصف العمى للأعمى لمّا كان موجبا لعجزه عن إدراكه للمحسوسات، و سببا لضلاله عن الطريق، فكذلك حصول هذا الوصف للأفئده الناشى من اتّباع الهوى و الانهماك فى الشهوات، موجب لقصورها عن إدراك المعقولات، و عن الاهتدا إلى الصراط المستقيم.

و كما أنّ بحسّ البصر يرتفع عمى الأبصار الظاهره و يحصل إدراك المحسوسات فكذلك بالتقوى يرتفع عمى الأفئده و يتمكّن من إدراك المعقولات و يهتدى إلى الصراط المستقيم، لكونها مانعه من متابعه الهوى و انهماك الشهوات الموجبين لعماها، و هذا معنى كونها بصرا لعمى أبصار الأفئده.

روى فى الصافى فى تفسير قوله تعالى «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » من التوحيد و الخصال عن السجاد عليه السّلام أنّ للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه و دنياه، و عينان يبصر بهما أمر آخرته، فاذا أراد اللّه بعبد خيرا فتح اللّه له العينين اللّتين فى قلبه فأبصر بهما الغيب و أمر آخرته، و إذا أراد اللّه به غير ذلك ترك القلب بما فيه.

و فيه من الكافى عن الصادق عليه السّلام إنّما شيعتنا أصحاب الأربعه أعين: عينان فى الرّأس، و عينان فى القلب، ألاـ و إنّ الخلايق كلّهم كذلك إلاّ أنّ اللّه عزّ و جلّ فتح أبصاركم و أعمى أبصارهم.

(و شفاء مرض أجسادكم) هذا وارد مورد الغالب، لأنّ عمده سبب المرض هو

الشبع و البطنه و أهل التقوى لكونه متّصفا بقلّه الأكل و قناعته بالحلال حسبما عرفت فى الخطبه المأه و الثانيه و التّسعين و شرحها يسلم جسده غالبا من الأمراض و الأسقام.

و يرشد إلى ذلك ما رواه المحدّث الجزائرى فى زهر الرّبيع أنّ حكيما نصرانيا دخل على الصادق عليه السّلام فقال: أ فى كتاب ربّكم أم فى سنّه نبيّكم شيء من الطب؟ فقال: أما فى كتاب ربّنا فقوله تعالى «كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا » و أما فى سنّه نبيّنا: الاسراف فى الاكل رأس كلّ داء و الحميّه منه أصل كلّ دواء.

و فيه أيضا عنه عليه السّلام أنه لو سئل أهل القبور عن السبب و العلّه فى موتهم لقال اكثرهم: التخمه.

و فيه أيضا قال: و روى أنّ المؤمن ياكل فى معاء واحد و الكافر يا كل فى سبعه أمعاء.

و قد تقدّم فى شرح الفصل الثانى من الخطبه المأه و التاسعه و الخمسين فصل واف فى فوايد الجوع و آفات الشّبع فليراجع ثمه.

(و صلاح فساد صدوركم) لأنّ فساد الصدور و هو كونها ساقطه عن الاعتبار خاليه عن المنفعه إنّما ينشأ من طريان ما يفسدها من الغلّ و الحقد و الحسد و نحوها من الوساوس النّفسانيه عليها، و بالتقوى يرتفع هذه كلّها و يحصل صلاحها، و به يظهر أيضا معنى قوله:

(و طهور دنس أنفسكم) لأنّ هذه الطوارى أيضا أوساخ موجبه لتدنّس النّفوس بها، و التقوى مطهره لذلك الدّنس و الوسخ.

(و جلاء غشاء أبصاركم) يعنى أنّ التّقوى تجلو و تكشف غطاء أبصار البصاير و تستعدّ بذلك لادراك المعقولات، كما أنّ الباصره إذا ارتفع حجابها و انجلى غشاوتها تصلح لادراك المبصرات.

(و أمن فزع جاشكم) إذ بها تحصل قوّه القلب فى الدّنيا، و هى أمان من أفزاع يوم القيامه و أخاويفها كما قال تعالى فى سوره الأعراف «فَمَنِ اتَّقى وَ أَصْلَحَ »

«فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ » و فی سوره النّمل «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ » و فی سوره الأنبياء «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقّاهُمُ الْمَلائِكَهُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِی كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » (و ضياء سواد ظلمتكم) الظاهر أنّ المراد بالظلمه هو ظلمه القلوب الحاصله لها من اكتساب الاثام و انهماك الشهوات، فانّ المعاصی توجب ظلمه القلب و اسوداد الوجه، و بالتّقوی و الطاعه يحصل له نور و ضياء و استعداد لقبول الافاضات الالهيّه، هذا.

و لا يخفی ما فی هذه الفقره و ما تقدّمت عليها من الفقرات السّبع من حسن المطابقه و لطفها.

و لمّا أوصی بالتّقوی و رغّب فيها بالتنبيه على ما يترتّب عليها من الثمرات العظيمه أكّد ذلك بالأمر بملازمه الطاعه المحصّله لها و بالغ فی المواظبه عليها فقال:

(فاجعلوا طاعه اللّه شعارا دون دثاركم) أی بمنزله الشّعار الملاصق للبدن لا الدّثار الذی فوق الشعار، و هو إشاره إلی المواظبه عليها باطنا لا ظاهرا فقط، و أكّد استبطانها بقوله:

(و دخيلا دون شعاركم) أی داخلا فی باطنكم تحت الشعار، و بقوله (و لطيفا بين أضلاعكم) و هو غايه المبالغه فی ادخالها فی الباطن، و آكد دلاله عليه من سابقيه و الغرض منه جعلها مكنونا فی الخلد متمكّنا فی القلوب.

و قوله:(و أميرا فوق اموركم) أی يكون ورودكم و صدوركم فی اموركم الدنيويّه بأمره و نهيه كساير الامراء بالنّسبه إلی الرّعيّه.

(و منهلا لحين ورودكم) أی مشربا تشربون من صفوها و عذبها حين الورود يوم القيامه كما قال عزّ من قائل «إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً ».

(و شفيعا لدرك طلبتكم) أی واسطه و وسيله لادراك مطالبكم الدّنيويّه و الاخرويه

إذ بالتّقوى و الطاعه يحصل الاستعداد لدركها كما قال تعالى «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بالِغُ أَمْرِهِ » فقد دلّ قوله: يجعل له مخرجا، على أنّها حصن حصين و حرز حريز بها يحصل النّجاه من الشدائد و الوقايه من المكاره، و قوله: و يرزقه من حيث لا يحتسب على أنّها كنز كاف بها يدرك المطالب و يفاز بالمارب، و قوله: و من يتوكل على اللّه فهو حسبه، على أنّه تعالى كاف لمن توكّل عليه و اكتفاه، قادر على إنجاح ما يبتغيه و يتمنّاه (و جنّه ليوم فزعكم) أى وقايه يوم القيامه من النّار و غضب الجبّار كما قال تعالى «ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا ».

و مصابيح لبطون قبوركم) فانّ القبر بيت الظّلمه، و العمل الصّالح يضىء قبر صاحبه كما يضىء المصباح الظلمه على ما جاء فى الخبر.

(و سكنا لطول وحشتكم) أى فى القبور فانّها بيت الغربه و الوحده و الوحشه و الأعمال الصّالحه كما ورد فى أخبار كثيره تتصوّر فى صور حسنه يستأنس بها صاحبها و يسكن إليها و يطيب بها نفسه و يرفع عنه وحشه القبر.

روى فى الكافى بسنده عن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ما من موضع قبر إلاّ و هو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات: أنا بيت التراب أنا بيت البلا أنا بيت الدّود.

قال عليه السّلام: فاذا دخله عبد مؤمن قال مرحبا و أهلا أما و اللّه لقد كنت احبّك و أنت تمشى على ظهرى فكيف إذا دخلت بطنى فسترى ذلك.

قال: فيفسح له مدّ البصر و يفتح له باب يرى مقعده من الجنّه.

قال: و يخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئا قطّ أحسن منه فيقول: يا عبد اللّه ما رأيت شيئا قط أحسن منك فيقول: أنا رأيك الحسن الّذى كنت عليه و عملك الصّالح الّذى كنت تعمله قال: ثمّ يؤخذ روحه فتوضع فى الجنّه حيث رأى منزله ثمّ يقال له: نم قرير العين فلا تزال نفحه من الجنّه يصيب جسده و يجد لذّتها و طيبها حتّى يبعث.

و فی البحار من المحاسن باسناده عن أبی بصیر عن أحدهما علیها السّلام قال: إذا مات العبد المؤمن دخل معه فی قبره ستّه صور فیهنّ صوره أحسنهنّ وجها و أبهاهنّ هیئه و أطیبهنّ ریحا و أنظفهنّ صوره.

قال: فیقف صوره عن یمینه و اخری عن یساره و اخری بین یدیه و اخری خلفه و اخری عند رجله، و تقف الّتی هی أحسنهنّ فوق «رأسه ظ»، فان اتی عن یمینه منعته الّتی عن یمینه، ثم کذلک إلی أن یؤتی من الجهات السّتّ قال: فتقول أحسنهنّ صوره: و من أنتم جزاکم اللّه خیرا؟ فتقول الّتی عن یساره: أنا الزکاه، و تقول الّتی بین یدیه: أنا الصّیام، و تقول الّتی خلفه: أنا الحجّ و العمره، و تقول الّتی عند رجلیه: أنا برّ من وصلت من إخوانک، ثمّ یقلن: من أنت فأنت أحسننا وجها و أطیبنا ریحا و أبهانا هیئه؟ فتقول: أنا الولایه لال محمّد صلوات اللّه علیهم أجمعین.

(و نفسا لکرب مواطنکم) أی سعه و روحا لکرب منازل الاخره و مواقف القیامه (فانّ طاعه اللّه حرز من متالف مکتنفه) أی عوذه من المهالک المحیطه (و مخاوف متوقّعه) أی مخاوف الاخره المنتظره الوقوع (و آوار نیران موقده) أراد به حرّ نار الجحیم.

(فمن أخذ بالتّقوی) و عمل صالحا (غربت) أی بعدت و غابت (عنه الشّدائد بعد دنوّها) أی شداید الاخره و أهاویلها، و یجوز أن یراد بها الأعمّ لأنّ المتّقی بقناعته و خفّه مؤنته و اعتزاله من مخالطه أبناء الدّنیا و مجالستهم سالم غالبا من المحن و الشّداید و ایذاء أبناء النّوع.

(و احلولت له الامور بعد مرارتها) أی صارت الأمرار الدّنیویه و الاخرویه حلوا له، أمّا الدّنیویه کضیق العیش و الجوع و الفقر و العری و ما ضاهاها فلما له من الرّضا بالقضاء، و أما الاخرویه کمشاقّ الطاعات و العبادات فلکونها أحلی و ألذّ عنده من کلّ شیء و إن کان مرّا فی ذوقه فی مبدء السلوک، و ذلک لما له من علم الیقین بأنّ هذه المشقّه القلیله توجب راحه طویله، و تلک المراره الیسیره تجلب لذّه دائمه.

(و انفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها) أى انكشفت عنه أمواج الفتن الدّنيويه بعد تراكمها و كثرتها، و ذلك لأنّ الاخذ بالتقوى لكونه بمعزل من الدّنيا و أهلها سالم من الفتن و المحن التى ابتلى بها أهلها.

(و أسهلت له الصّعاب بعد انصبابها) أى صارت الامور الصعبه و المشاق النفسانيه سهله له بعد ايقاعها اياه فى النصب و التعب، و ذلك لما عرفت آنفا من أنّ المتّقى لمعرفته بعظم ما يترتّب على طاعته و تقواه من الثمرات الاخرويه يسهل عليه كلّ خطب و يهون له الشدائد(و هطلت عليه الكرامه بعد قحوطها)شبه كرامه اللّه سبحانه الشامله للمتقى بالمطر العظيم القطر المتتابع على سبيل الاستعاره المكنيه، و إثبات الهطل تخييل و القحوط ترشيح. و نظيرها الفقرتان المتقدّمتان فانهما أيضا من قبيل الاستعاره المكنيه التخييليه الترشيحيه.

و المراد أنّ أهل التقوى انصبت عليه و تتابعت فى حقه كرامه اللّه العزيز عزّ و جلّ بسبب اتصافه بالتقوى بعد احتباسها و منعها عنه، و ذلك قبل أن يستعدّ بالتقوى لها و يشهد بذلك أى بافاضه كرامته على المتقى صريحا نصّ قوله سبحانه«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ ».

(و تحدبت عليه الرحمه بعد نفورها) أى تعطفت عليه الرحمه الالهيه بعد ما كانت نافره عنه حين ما لم يكن متصفا بالتقوى و مستعدا لها، و هذه الفقره أيضا مثل سوابقها حيث شبه الرحمه بالناقه العاطفه على ولدها على سبيل الاستعاره بالكنايه و أثبت التحدّب تخييلا و النفور ترشيحا.

(و تفجّرت عليه النّعم بعد نضوبها) إمّا استعاره مكنيه مثل ما مرّت تشبيها للنعم بالينابيع الجاريه المنفجره، فيكون ذكر التفجّر و النضوب تخييلا و ترشيحا، أى انفجرت عليه ينابيع النعم بعد اغوارارها.

و يجوز أن يراد بالتفجر التتابع بعلاقه الملازمه فيكون مجازا مرسلا، و النعم قرينه التجوز أو اريد بالتفجر الافاضه و الجامع التتابع و الدوام فيكون استعاره تبعيه و على هذين الاحتمالين فيراد بالنضوب الفقدان مجازاو لا يخفى على المتدبّر أنّ هذين الاحتمالين يأتيان أيضا فى بعض القراين المتقدّمه كالقرينه المتأخّره أعنى قوله:

(و وبلت علیه البرکه بعد ارذاذها) فیجوز أن تکون الاستعاره بالکنایه بأن یشبه البرکه بالمطر الشدید العظیم القطر و الوبل و الارذاذ تخییل و ترشیح، و أن تکون استعاره تبعیه بأن یستعار الوبل للفیض الکثیر و الجامع الکثره، و أن یکون مجازا مرسلا و یراد بالوبل النزول، و علی التقدیرین فیراد بالارذاذ القلّه و الضعف مجازا.

ثمّ بعد التنبیه علی جمله من ثمرات التقوی و المنافع العظیمه المترتّبه علیها عاد إلی الأمر بها تأکیدا و تقویه لما قدّم فقال:

(فاتّقوا اللّه الذی نفعکم بموعظته) و هی ما وعظکم بها فی کتابه المبین و لسان نبیّه الأمین و هداکم بها إلی الجنّه و أنقذکم بها من النار و أیّ منفعه أعظم من هذه و أنفع.

(و وعظکم برسالته) التی بعث بها رسله و لم یبق عذر لعاذر بعد مواعظهم البلیغه فی ترک التقوی و الطاعه.

(و امتنّ علیکم بنعمته) الغیر المحصاه التی لا یجوز للعاقل أن یقابلها بالکفران و یکافئها بترک التقوی و الطاعه و العصیان.

(فعبّدوا أنفسکم لعبادته) أی ذللوها لحمل أثقال العباده.

(و اخرجوا إلیه من حقّ طاعته) أی من طاعته التی هو حق علیکم و ثابت فی ذمتکم، أو من طاعته التی حقیق به عزّ و جلّ أی اخرجوا إلیه من کمال طاعته التی یلیق بحضرته.

الترجمه

میداند خداوند تبارک و تعالی صدای وحشیان را در بیابانها، و معصیتهای بندگان را در مکان خلوت، و تردّد ماهیان را در دریاهای گود، و تلاطم آب دریاها را با بادهای تند و زنده، و شهادت می دهم باین که محمّد مصطفی صلوات اللّه و سلامه علیه و آله بندهٔ نجیب خداست و ایلچی وحی او و پیغمبر رحمت اوست.

اما پس از ثنای خدا پس بدرستی که من وصیّت میکنم شما را بتقوی و پرهیزکاری خداوندی که ایجاد فرموده خلقت شما را و بسوی اوست بازگشت شما

و با عنایت اوست رسیدن مطالب شما و بطرف اوست قصد راه شما و بسوی اوست نشانگاه فزع و خوف شما پس بدرستی که تقوی دوای درد قلبهای شماست، و چشم کوری دلهای شما، و شفای ناخوشی بدنهای شما، و صلاح فساد سینهای شما، و پاکیزگی کثافت نفسهای شماست، و جلای پردهای بصرهای شما، و خاطر جمعی خوف قلبهای شما، و روشنی سیاهی تاریکی قلب شما است.

پس بگردانید طاعت و عبادت پروردگار را لباس باطنی خودتان نه لباس ظاهری و داخل در باطن خود نه شعار ظاهری، و چیزی لطیف در میان دندهای خودتان، و أمیر حکمران بالای جمیع کارهای خودتان و محل آب خور از برای زمان ورود آن، و واسطه از برای درک مطالب خودتان، و سپر از برای روز فزع خود و چراغها از برای بطون قبرهای خود، و مایهٔ انس از برای طول وحشت خود، و فرج و راحت از برای اندوه و محنت مواطن خودتان.

پس بدرستی که طاعت خدا حرز است، از مهلکه های محیطه و از محلّهای خوفی که متوقعست و از حرارت آتشهای روشن شده، پس کسی که اخذ نمود تقوی را غایب شد از آن شدتها بعد از نزدیکی آنها باو، و شیرین شد از برای او کارها بعد از تلخی آنها، و منکشف شد از او موجها بعد از تراکم و تلاطم آنها، و آسان شد از برای او کارهای صعب بعد از مشقت انداختن آنها، و بارید باو باران های کرامت بعد از قحطی آن، و برگشت با مهربانی بر او رحمت خدا بعد از رمیدن آن، و منفجر شد بر او چشمهای نعمتها بعد از نایابی آنها، و بارید بأو باران برکت با شدّت بعد از ضعف و قلّت آن.

پس پرهیز نمائید از خدا چنان خداوندی که نفع بخشید بشما با موعظه بالغه خود، و موعظه فرمود بشما با رسالت رسولان خود، و منت گذاشت بر شما با نعمت فراوان خود، پس ذلیل نمائید نفسهای خودتان را با بار عبادت او، و خارج شوید بسوی او از حق اطاعت او که لایق حضرت او است.

الفصل الثانی

اشاره

ثـمّ إنّ هـذا الإسـلام دین اللّه الّذی اصـطفاه لنفسه، و اصـطنعه علی عینه، و أصـفاه خیره خلقه، و أقـام دعـائمه علی محبّته، أذلّ الادیـان بعزّته، و وضع الملل برفعه، و أهان أعـدائه بکرامته، و خـذل محادّیه بنصـره، و هـدم أرکان الضّـلاله برکنه، و سـقی من عطش من حیاضه، و أتاق الحیاض بمواتحه. ثمّ جعله لا انفصام لعروته، و لا فکّ لحلقته، و لا انهدام لاساسه و لا زوال لدعائمه، و لا انقلاع لشـجرته، و لا انقطاع لمـدّته، و لا عفاء لشـرایعه، و لا جذّ لفروعه، و لا ضـنک لطرقه، و لا وعوثه لسـهولته و لا سواد لوضـحه، و لا ـ عوج لانتصـابه، و لا عصل فی عوده، و لا وعث لفجّه، و لا انطفاء لمصابیحه، و لا مراره لحلاوته. فهو دعائم أساخ فی الحقّ أسناخها، و ثبّت لها أساسها، و ینابیع غزرت عیونها، و مصابیح شبّت نیرانها، و منار اقتدی بها سفّارها، و أعلام قصد بها فجاجها، و مناهل روی بها ورّادها، جعل اللّه فیه منتهی رضوانه، و ذروه دعائمه، و سنام طاعته.

ص:۲۸۳

فهو عند اللّه وثيق الاركان، رفيع البنيان، منير البرهان، مضىء النّيران، عزيز السّلطان، مشرف المنار، معوز المثار، فشرّفوه، و أدّوا إليه حقّه، و ضعوه مواضعه.

اللغه

(اصطنعه على عينه) افتعال من الصنع و الصنع اتّخاذ الخير لصاحبه كذا فى مجمع البيان، و قيل: من الصنيعه و هى العطيه و الاحسان و الكرامه يقال اصطنعتك لنفسى اخترتك لأمر أستكفيكه و اصطنع خاتما أمر أن يصنع له قال تعالى فى سوره طه مخاطبا لموسى عليه السّلام «وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اِذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآياتِي وَ لا تَنِيا فِي ذِكْرِي ».

و قال الشارح المعتزلى: اصطنعه على عينه كلمه يقال لما يشتدّ الاهتمام به، تقول للصانع: اصنع لى خاتما على عينى، أى اصنعه صنعه كالصّنعه التى تصنعها و أنا حاضر اشاهدها.

و قال الزّمخشرى فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى «وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي » لتربى و يحسن إليك و أنا مراعيك و راقبك كما يرعى الرّجل الشىء بعينه إذا اعتنى به، و تقول للصانع اصنع هذا على عينى أنظر إليك لئلّا تخالف به عن مرادى و (الخيره) بفتح الياء وزان عنبه كالخيره بسكونها اسم من اخترت الرّجل أى فضلته على غيره و (الدّعائم) جمع الدّعامه بالكسر عماد البيت و الخشب المنصوب للتعريش و (حادّه) محادّه عادّه و غاضبه و خالفه مأخوذ من الحدد و هو الغضب قال تعالى «يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ ».

و (تئق) الحوض من باب فرح امتلأ ماء و أتاق الحياض ملأها و (المواتح) جمع الماتح و هو الذى يستقى بالدّلو من المتح و هو الاستقاء يقال متحت الدّلو

ص:۲۸۴

أی استخرجتها و (عروه) الکوز مقبضه و (الجذ) بالذّال المعجمه القطع أو القطع المستأصل، و فی بعض النسخ بالحاء المهمله و هو القطع و فی بعضها بالجیم و الدّال المهمله و هو القطع أیضا و الفعل فی الجمیع کمدّ.

و(وعث)الطریق و عوثه من باب قرب و تعب إذا شقّ علی السالک فهو وعث و قیل: الوعث رمل دقیق تغیب فیه الأقدام فهو شاق، ثمّ استعیر لکلّ أمر شاقّ من تعب و أثم و غیر ذلک، و منه و عثاء السفر أی شدّه النصب و التعب.

و (الوضح) محرّکه بیاض الصبح و القمر و محجّه الطریق و (العصل) محرّکه الاعوجاج فی صلابه و منه العصال بالکسر و هو السهم المعوّج و (الفج) الطریق الواسع بین الجبلین و (ساخت) قوائمه فی الأرض أی غابت و ساخت بهم الأرض أی خسفت و یعدی بالهمزه فیقال: أساخه اللّه و (الینبوع) العین ینبع منه الماء أی یخرج و قیل: الجدول الکثیر الماء و هو أنسب و (غزر) الماء بضمّ الزّاء المعجمه غزاره کثر فهو غزیر و (شبت نیرانها) بضمّ الشین بالبناء علی المفعول أی اوقدت و (ورّادها) جمع وارد قال الشارح المعتزلی: و روی روّادها جمع رائد و هو الذی یسبق القوم فیرتاد لهم الماء و الکلاء و (ذروه) الشیء بالکسر و الضمّ أعلاه و (سنام) بالفتح وزان سحاب أیضا أعلاه و (عوز) الشیء عوزا من باب تعب عزّ فلم یوجد، و عزت الشیء أعوزه من باب قال احتجت إلیه فلم أجده، و أعوزنی مثل أعجزنی وزنا و معنی، و أعوز الرّجل إعوازا افتقر، و أعوزه الدّهر أفقره و (ثار) الغبار یثور ثورا و ثورانا هاج، و ثار به الناس أی وثبوا علیه، و فلان أثار الفتنه أی هیّجها، و المثار مصدر أو اسم للمکان.

الاعراب

قوله: علی عینه ظرف مستقرّ حال من فاعل اصطنع، و قوله: علی محبّه یحتمل أن یکون ظرف لغو متعلّق بقوله أقام فالضمیر راجع إلی اللّه، و أن یکون ظرفا مستقرّا حالا من فاعل أقام أو من الضمیر فی دعائمه، فالضمیر فیه علی الأوّل

أيضا راجع إلى اللّه، و على الثانى فيعود إلى الاسلام، و يجوز جعل على بمعنى اللاّم للتعليل كما فى قوله تعالى «وَ لِتُكَبِّرُوا اللّهَ عَلى ما هَداكُمْ » و على هذا فايضا ظرف لغو و الضّمير يصحّ عوده إلى اللّه و إلى الاسلام فتدبّر، و الباء فى قوله: بعزّته للسّببيّه، و قوله: ثمّ جعله لا انفصام لعروته المفعول الثّانى لجعل محذوف و جمله لا انفصام لعروته صفه له.

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام لمّا أوصى فى الفصل السّابق بالتّقوى و الطّاعه أردفه بهذا الفصل المتضمّن لشرف الاسلام و فضايله لكونهما من شئونه فقال:

(ثمّ إنّ هذا الاسلام دين اللّه) أى لا دين مرضىّ عند اللّه سوى الاسلام و هو التّوحيد و التّدرّع بالشّرع الّذى جاء به محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما قال تعالى «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ » و قال «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِينَ » أى من يطلب غيره دينا يدين به لن يقبل منه بل يعاقب عليه و هو من الهالكين فى الاخره، و فيه دلاله على أنّ الدّين و الاسلام واحد و هما عبارتان عن معبر واحد، و هو التّسليم و الانقياد بما جاء به النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و هو (الّذى اصطفاه) اللّه و اختاره من بين ساير الأديان (لنفسه) أى لأن يكون طريقا إلى معرفته و طاعته مؤدّيا إلى جنّته.

(و اصطنعه على عينه) أى اتّخذه صنعه و اختاره حالكونه مراعيا حافظا له مراقبا عليه مشاهدا ايّاه، و يجوز جعل العين مجازا فى العلم فيكون المعنى أنّه اصطنعه و أسّس قواعده على ما ينبغى و على علم منه به أى حالكونه عالما بدقايقه و نكاته أو بشرفه و فضله.

و يحتمل أن يكون معنى اصطنعه أنّه طلب صنعته أى انّه أمر بصنعته و القيام به حالكونه بمرئى منه أى كالمصنوع المشاهد له، و ذلك أنّ من صنع لغيره شيئا و هو ينظر إليه صنعه كما يحبّ و لا يتهيّأ له خلافه أو أنّه أمر بأن يصنع أى بصنعه

و صنيعته أى بكرامته و الاتيان به على وجه الكمال.

و على هذا الاحتمال فالصّانع له أى المأمور بالصّنعه و الصنع و الصنيعه المكلّفون المطلوب منهم الاسلام.

و هذا نظير ما قاله المفسّرون فى قوله تعالى «وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي » على قراءه لتصنع بلفظ الأمر مبنيّا للمفعول. إنّ المعنى ليصنعك غيرك أى لتربّى و تغذّى و يحسن إليك بمرئى منّى أى يجرى امرك على ما اريد من الرّفاهه.

(و أصفاه خيره خلقه) أى آثر و اختار للبعثه به خيره خلقه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أو جعل خيره خلقه خالصا لتبليغه دون غيره.

(و أقام دعائمه على محبّته) أى أثبت أركان الاسلام فوق محبّته تعالى، فانّ من أحبّه سبحانه أسلم له، أو أنّه قام دعائمه حالكونه تعالى محبّا له أو حال كون الاسلام محبوبا له تعالى، أو لأجل حبّه إياه، أو لأجل محبوبيّته عنده على الاحتمالات المتقدّمه فى الاعراب.

ثمّ المراد بدعائمه إما مطلق أركانه التى يأتى تفصيلها منه عليه السّلام فى أوائل باب المختار من حكمه و هو الأنسب.

أو خصوص ما اشير إليه فى الحديث المروىّ فى البحار من أمالى الصدوق بسنده عن المفضل عن الصادق عليه السّلام قال: بنى الاسلام على خمس دعائم: على الصّلاه، و الزّكاه، و الصوم، و الحجّ، و ولايه أمير المؤمنين و الأئمّه من ولده صلوات اللّه عليهم (أذلّ الأديان بعزّته) أراد بذلّتها نسخها أو المراد ذلّه أهلها على حذف المضاف و يحتملهما قوله (و وضع الملل برفعه) و يصدّق هاتين القرينتين صريحا قوله تعالى «أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ».

(و أهان أعداءه بكرامته) أى أهان أعداء الاسلام و هم اليهود و النصارى و المشركون و كلّ من عانده و لم يتديّن به من أهل الملل المتقدّمه، و إهانتهم بالقتل و الاستيصال و أخذ الجزيه و الذلّ و الصّغار.

(و خذل محادّيه بنصره) أى ترك نصره المخالفين ل لاسلام المحادّين له و أخزاهم

بنصرته للاسلام و أهله.

(و هدم أركان الضّلاله بركنه) ركن الشىء جانبه الّذى يستند إليه و يقوم به، فاستعار أركان الضلاله للعقايد المضلّه أو رؤساء أهل الضّلاله أو الأصنام، و أراد بركنه أصوله و قواعده أو النّبى أو كلمه التوحيد.

(و سقى من عطش من حياضه) المراد بمن عطش الجاهل بقواعد الاسلام المبتغى له، و بالحياض النّبى و الأئمّه سلام اللّه عليهم المملوون بمياه العلوم الحقّه، أو الأعمّ الشامل للعلماء الرّاشدين أيضا و يسقيه هدايته له إلى الاستفاده و أخذ علوم الدّين عنهم عليهم السّلام.

(و أتاق الحياض بمواتحه) أى ملأ صدور اولى العلم عليهم السّلام من زلال المعارف الحقّه و العلوم الدّينيه بوساطه المبلّغين من اللّه تعالى من الملائكه و روح القدس و الالهامات الالهيّه. و إن اريد بالحياض الأعمّ الشامل للعلماء فيعمّم المواتح للأئمه لأنهم يستفيدون من علومهم عليهم السّلام و يستضيئون بأنوارهم عليهم السّلام و قيل هنا: معان اخر، و الأظهر ما قلناه.

(ثمّ جعله) وثيقا (لا انفصام لعروته) كما قال تعالى «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها ».

قال أمين الاسلام الطبرسى «قد» قد ظهر الايمان من الكفر و الحقّ من الباطل، فمن يكفر بما خالف أمر اللّه و يصدق باللّه و بما جاءت به رسله فقد تمسّك و اعتصم بالعصمه الوثيقه و عقد لنفسه من الدّين عقدا وثيقا لا يحلّه شبهه، لا انفصام لها أى لا انقطاع لها كما لا ينقطع من تمسك بالعروه كذلك لا ينقطع أمر من تمسّك بالايمان، و محصّله أنّ من اعتصم بعروه الاسلام فهى تؤدّيه إلى غايه مقصده من رضاء الحقّ و رضوانه و نزول غرفات جنانه لأنّها وثيقه لا ينقطع و لا تنفصم.

(و) جعله محكما(لا فكّ لحلقته)قال الشّارح البحرانى: كنايه عن عدم انقهار أهله و جماعته.

ص:۲۸۸

(و) مشیّدا(لا ـ انهدام لأساسه)قال البحرانی: استعار لفظ الأساس للکتاب و السّـنه الّذین هما أساس الاسلام، و لفظ الانهدام لاضمحلالهما انتهی، و لا بأس به، و قد یفسّر فی بعض الرّوایات بالولایه.

و هو ما رواه فی البحار من أمالی الشیخ باسناده عن جابر بن یزید عن أبی جعفر محمّـد بن علیّ بن الحسین عن أبیه عن جدّه علیهم السّـلام قال: لمّا قضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مناسکه من حجّه الوداع رکب راحلته و أنشأ یقول: لا یدخل الجنّه إلاّ ـ من کان مسلما، فقام الیه أبو ذر الغفاری فقال: یا رسول اللّه و ما الاسلام؟ فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: الاسلام عریان و لباسه التقوی، و زینته الحیاء، و ملاکه(۱) الورع و کماله الدّین، و ثمرته العمل، و لکلّ شیء أساس و أساس الاسلام حبّنا أهل البیت.

(و) ثابتا(لا ـ زوال لدعائمه)قال البحرانی: استعار لفظ الدّعائم لعلمائه أو للکتاب و السنه و قوانینهما، و أراد بعدم زوالها عدم انقراض العلماء أو عدم القوانین الشرعیّه، انتهی.

و الأولی أن یراد بالدّعائم ما یأتی تفصیلها منه علیه السّلام فی أوائل باب المختار من حکمه علیه السّلام و هو ثالث أبواب النّهج.

(و) راسخا(لا انقلاع لشجرته)الظاهر أنّه من قبیل اضافه المشبّه به علی المشبّه کما فی لجین الماء، و المراد أنّ الاسلام کشجره ثابته أصلها ثابت و فرعها فی السماء کما اشیر الیه فی قوله مثل کلمه طیّبه«کَشَجَرَهٍ طَیِّبَهٍ »الایه.

قال الطبرسی: قال ابن عبّاس: هی کلمه التوحید شهاده أن لا إله إلاّ اللّه کشجره زاکیه نامیه راسخه اصولها فی الأرض عالیه أغصانها، و ثمارها فی السماء، و أراد به المبالغه فی الرّفعه و الأصل سافل و الفرع عال إلاّ أنه یتوصّل من الأصل إلی الفرع.

قال: و قیل: انّه سبحانه شبّه الایمان بالنّخله لثبات الایمان فی قلب المؤمن کثبات النخله فی منبتها، و شبّه ارتفاع عمله إلی السماء بارتفاع فروع النخله،

۱- (۱) - أی قوامه و نظامه م

و شبّه ما يكسبه المؤمنون من بركه الايمان و ثوابه فى كلّ وقت و حين بما ينال من ثمره النخله فى أوقات السّنه كلّها من الرّطب و التّمر.

و فى البحار من علل الشرائع باسناده عن معمّر بن قتاده عن أنس بن مالك فى حديث قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال حبيبى جبرئيل عليه السّلام: إنّ مثل هذا الدّين كمثل شجره ثابته الايمان أصلها، و الصّلاه، عروقها، و الزّكاه ماؤها، و الصّوم سعفها، و حسن الخلق ورقها، و الكفّ عن المحارم ثمرها، فلا تكمل شجره إلاّ بالثمر كذلك الايمان لا يكمل إلاّ بالكفّ عن المحارم.

(و) متماديا (لا انقطاع لمدّته) لاستمراره و بقائه إلى يوم القيامه.

(و) جديدا (لا عفاء لشرايعه) أى لا اندراس لما شرع اللّه منه لعباده و لا انمحاء لطرقه و شعبه الّتى يذهب بسالكها إلى حظاير القدس و محافل الانس (و) زاكيا (لا جذّ لفروعه) أى لا ينقطع ما يتفرّع عليه من الأحكام الّتى يستنبطها المجتهدون بأفكارهم السليمه من الكتاب و السّنه، و يحتمل أن يراد بها ما يتفرّع عليه من الثّمرات و المنافع الدنيويّه و الاخرويه.

(و) وسيعا (لا ضنك لطرقه) أى لا ضيق لمسالكه بحيث يشقّ على السّالكين سلوكه، و المراد أنها ملّه سمحه سهله ليس فيها ثقل على المكلّفين كما كان فى الملل السّابقه.

قال تعالى «اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ ».

قال أمين الاسلام الطبرسى: معناه يبيح لهم المستلذّات الحسنه و يحرّم عليهم القبايح و ما تعافه الأنفس، و قيل: يحلّ لهم ما اكتسبوه من وجه طيّب و يحرّم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث، و قيل: يحلّ لهم ما حرّمه عليهم رهبانيّهم و أحبارهم و ما كان يحرّمه أهل الجاهليه من البحائر و السوائب و غيرها، و يحرّم عليهم الميته و الدّم و لحم الخنزير و ما ذكر معها.

و يضع عنهم إصرهم أى ثقلهم شبّه ما كان على بنى إسرائيل من التكليف الشديد

بالثقل، و ذلک إن اللّه سبحانه جعل توبتهم أن یقتل بعضهم و جعل توبه هذه الامّه الندم بالقلب حرمه للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و الاغلال الّتی کانت علیهم قیل: یرید بالأغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم فی التوبه و قرض ما یصیبه البول من أجسادهم و ما أشبه ذلک من تحریم السّبت و تحریم العروق و الشحوم و قطع الأعضاء الخاطئه و وجوب القصاص دون الدّیه انتهی.

و قیل: الاصر الثقل الّذی یأصر حامله أی یحبسه فی مکانه لفرط ثقله.

و قال الزّمخشری: هو مثل لثقل تکلیفهم و صعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس فی صحّه توبتهم، و کذلک الاغلال مثل لما کان فی شرایعهم من الأشیاء الشّاقه نحو بت القضاء بالقصاص عمدا کان أو خطاء من غیر شرع الدّیه، و قطع الأعضاء الخاطئه، و قرض موضع النّجاسه من الجلد و الثوب و إحراق الغنایم، و تحریم العروق فی اللّحم و تحریم السبت.

و عن عطا کانت بنو اسرائیل إذا قامت تصلّی لبسوا المسوح و غلّوا أیدیهم إلی الأعناق، و ربّما ثقب الرّجل ترقوته و جعل فیها طرف السّلسله و أوثقها إلی السّاریه یحبس نفسه علی العباده.

(و) سهلا (لا وعوثه لسهولته) یعنی أنّه علی حدّ الاعتدال من السهوله، و لیس سهلا مفرطا کالوعث من الطریق یتعسّر سلوکه و یشقّ المشی فیه لرسوب الأقدام.

(و) واضحا (لا سواد لوضحه) یعنی أنّ بیاضه لا یشوبه الظلام کما قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله:

بعثت الیکم بالحنیفیّه السمحقه السهله البیضاء، و بیاضه کنایه عن صفائه عن کدر الباطل.

(و) مستقیما (لا عوج لانتصابه) أی لا اعوجاج لقیامه کما قال تعالی «قُلْ إِنَّنِی هَدانِی رَبِّی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ دِیناً قِیَماً مِلَّهَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ » و المراد أنّه صراط مستقیم مؤدّ لسالکه إلی الجنّه، و رضوان اللّه تعالی لیس فیه عوج و لا أمت.

(و) مستویا(لا عصل فی عوده)و هو أیضا کنایه عن استقامته و ادائه إلی الحقّ.

(و) یسیرا(لا وعث لفجّه)أراد بالفجّ مطلق الطریق مجازا من إطلاق المقیّد

على المطلق و يمكن إراده المعنى الحقيقى و يكون النظر فى التشبيه إلى أنه الجادّه الوسطى بين طرفى الافراط و التفريط، كما أنّ الفجّ هو الطريق الواسع بين الجبلين.

(و) مضيئا (لا انطفاء لمصابيحه) الظاهر أنّ المراد بمصابيحه أئمه الدّين و أعلام اليقين الذينهم مصابيح الدّجى و منار الهدى، و أراد بعدم انطفائها عدم خلوّ الأرض منهم عليهم السّلام.

(و) حلوا (لا مراره لحلاوته) لأنه أحلى و ألذّ فى أذواق المتديّنين من كلّ حلو، و لذيذ لا يشوبه مراره مشقّه التكليف.

كما قال الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ »:

لذّه ما فى النداء أزال تعب العباده و العناء.

(فهو دعائم أساخ فى الحقّ أسناخها) يعنى أنّ الاسلام دعائم العبوديّه فلا ينافى حملها عليه هنا لما تقدّم سابقا من إضافتها إليه فى قوله:أقام دعائمه على محبّته، و قوله:و لا زوال لدعائمه،نظرا إلى أنّ ظهور الاضافه فى التغاير.

وجه عدم المنافاه أنّ الغرض فيما سبق تشبيه الاسلام و الدّين بالبيت فأثبت له الدّعائم على سبيل الاستعاره المكنيّه التخييليه، فهو لا ينافى كون الاسلام نفسه أيضا دعائم لكن للعبوديّه.

و يمكن دفع المنافاه بوجه آخر و هو أنّا قد بيّنا فيما سبق أنّ المراد بدعائم الاسلام إمّا الدعائم الّتى يأتى تفصيلها منه عليه السّلام فى باب المختار من حكمه أو خصوص العبادات الخمس أعنى الصلاه و الزّكاه و الصّوم و الحجّ و الولايه حسبما اشير إليه فى الحديث الذى رويناه من البحار و فى أحاديث كثيره غيره تركنا ذكرها، و على أىّ تقدير فلمّا كان قوام الاسلام بتلك الدّعائم و ثباته عليها حتّى أنّه بدونها لا ينتفع بشيء من أجزائه فجعله نفس تلك الدّعائم مبالغه من باب زيد عدل.

و يوضح ذلك ما فى البحار من الكافى عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام فى حديث قال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: الصّلاه عمود دينكم.

و فى الكافى أيضا باسناده عن عبيد بن زراره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: مثل الصّلاه مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود نفعت الأطناب و الأوتاد و الغشاء، و إذا انكسر العمود لم ينفع طناب و لاوتد و لا غشاء.

و أما قوله: أساخ فى الحقّ أسناخها، فمعناه أنّه تعالى أثبت اصولها فى الحقّ يعنى أنّه بناء محكم بنى على الحقّ و ثبت قوائمه عليه دون الباطل كما قال تعالى «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ » أى ذلك الدّين المستقيم الحقّ.

(و ثبت لها أساسها) أى أحكم لهذه الدّعائم أبنيتها.

(و ينابيع غزرت عيونها) يعنى جداول و أنهار كثيره ماء عيونها الّتى تجريان منها، و الظاهر أنّه من التّشبيه البليغ، و المراد أنّ الاسلام بما تضمّنه من الأحكام الكثيره الاسلاميّه بمنزله ينابيع وصفها ما ذكر، و وجه الشّبه أنّ الينابيع منبع مادّه حياه الأبدان و الأحكام الاسلاميّه منشأ مادّه حياه الأرواح، إذ بامتثالها يحصل القرب من اللّه المحصّل لحياه الأبد.

و فى وصف المشبّه به بغزاره العيون إشاره إلى ملاحظه ذلك الوصف فى جانب المشبّه أيضا لأنّ الأحكام الاسلاميّه صادره عن صدر النّبوّه و صدور الأئمه الّتى هى معادن العلوم الالهيّه و عيونها، و كفى بها كثره و غزاره.

(و مصابيح شبّت نيرانها) و هو أيضا من التّشبيه البليغ، يعنى أنّ الاسلام بما فيه من الطّاعات و العبادات الّتى من وظايفه مثل المصابيح الموقده النّيران المشتعله الّتى هى فى غايه الاضاءه، و وجه الشّبه أنّ المصابيح الّتى وصفها ذلك كما أنها ترفع الظلام المحسوسه، فكذلك الطاعات الموظفه فى دين الاسلام إذا اقيست عليها تنوّر القلوب و تجلو ظلمتها المعقوله.

(و منار اقتدى بها سفّارها) يعنى أنّه بما فيه من الأدلّه السّاطعه و البراهين القاطعه الّتى يستدلّ بها العلماء فى المقاصد، مثل منائر يهتدى بها المسافرون فى الفلوات، و إضافه سفار إلى ضمير المنار من التّوسع.

و مثله قوله (و أعلام قصد بها فجاجها) أى مثل أعلام قصد بنصب تلك الأعلام

إهداء المسافرين فى تلك الفجاج.

(و مناهل روى بها ورّادها) يعنى أنّه بما فيه من العلوم الاسلاميّه النقليّه و العقليّه بمنزله مشارب تروى بمائها العطاش الواردون إليها.

(جعل اللّه فيه منتهى رضوانه) أى غايه رضاه لكونه أتمّ الوسايل و أكملها فى الايصال إلى قربه و زلفاه كما اشير إليه فى قوله «أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِيناً » و قوله «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلاَمُ ».

(و ذروه دعائمه) الظاهر أنّ المراد بالدعائم العبادات التى بنيت عليها بيت العبوديّه، و لما كان دين الاسلام أشرف الأديان و أفضلها تكون العبادات الموظفه فيه أفضل العبادات و أعلاها، و إضافه الدعائم إلى اللّه من باب التّشريف و التكريم باعتبار أنّها مجعولات له سبحانه أو من أجل كونها مطلوبه له تعالى.

و به يظهر أيضا معنى قوله (و سنام طاعته) و يستفاد من بعض الأخبار أنّ ذروه الاسلام و سنامه هو خصوص الجهاد.

و هو ما رواه فى البحار من الكافى باسناده عن سليمان بن خالد عن أبى جعفر عليه السّلام قال: ألا اخبرك بأصل الاسلام و فرعه و ذروه سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك، قال: أمّا أصله فالصّلاه، و فرعه الزّكاه، و ذروه سنامه الجهاد.

قال المحدّث العلامه المجلسى: الاضافه فى ذروه سنامه بيانيّه أو لاميّه إذ للسّنام الذى هو ذروه البعير ذروه أيضا هو أرفع أجزائه، و إنما صارت الصلاه أصل الاسلام لأنه بدونها لا يثبت على ساق، و الزّكاه فرعه لأنه بدونها لا تتمّ، و الجهاد ذروه سنامه لأنه سبب لعلوّه و ارتفاعه، و قيل: لأنه فوق كل برّ كما ورد فى الخبر و كيف كان (فهو عند اللّه وثيق الأركان) لابتنائه على أدلّه محكمه و اصول متقنه (رفيع البنيان)كنايه عن علوّ شأنه و رفعه قدره على ساير الأديان.

(منير البرهان) أى الدّليل الدّال على حقيّته من الايات و المعجزات الباهره منير واضح.

(مضيء النيران) كنايه عن كون أنواره أى العلوم و الحكم الثاقبه التى فيه فى غايه

الضياء بحيث لا تخفى على الناظر المتدبّر.

(عزيز السلطان) يريد أنّ حجّته قويّه أو أنّ سلطنته غالبه على ساير الأديان كما قال تعالى «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ».

(مشرف المنار) أى مرتفع المناره قال الشارح البحرانى: و كنى به عن علوّ قدر علمائه و أئمته و انتشار فضلهم و الهدايه بهم.

(معوز المثار) قيل: أى يعجز الناس ازعاجه و إثارته لقوّته و ثباته و متانته و قال البحرانى: أى يعجز الخلق إثاره دفائنه و استخراج ما فيه من كنوز الحكمه و لا يمكنهم استقصاؤها، و فى بعض النسخ معوز المثال أى يعجز الخلق عن الاتيان بمثله، و فى بعضها معوز المنال أى يعجزون عن النيل و الوصول إلى نكاته و دقائقه و أسراره.

(فشرّفوه) أى عظّموه و عدّوه شريفا و اعتقدوه كذلک (و اتّبعوه و أدّوا إليه حقّه) أى ما يحقّه من الاتّباع الكامل (و ضعوه مواضعه) أراد به الكفّ عن تغيير أحكامه و العلم بمرتبته و مقداره الذى جعله اللّه له، أو العمل بجميع ما تضمّنه من الأوامر و النواهى، و فّقنا اللّه لذلک بجاه محمّد و آله سلام اللّه عليه و عليهم.

الترجمه

فصل ثانى از اين خطبه شريفه در وصف اسلام است و ذكر فضايل آن مى فرمايد:

پس بدرستى اين اسلام دين خداست كه پسند فرموده آنرا از براى خودش و برگزيده آنرا در حالتى كه عالمست بفضيلت آن، و خالص گردانيده بأو بهترين خلق خود را كه پيغمبر آخر الزّمان صلّى اللّه عليه و آله باشد، و بر پا داشته ستونهاى آن را بر بالاى محبّت خود، ذليل نموده دينها را بسبب عزيزى آن، و پست فرموده ملّتها را بجهت بلندى آن، و خوار نموده دشمنهاى خود را بجهت گرامى داشتن آن، و ذليل كرده معاندين خود را با يارى كردن آن، و خراب كرده أركان ضلالت و گمراهى را با ركن آن، و سيراب فرموده تشنگان را از حوضهاى آن، و پر كرده حوضها را

با آب کشندگان آن.

پس گردانیده آن را که گسیخته نمی شود جای دستگیر آن، و فک نمی شود حلقهٔ آن، و خرابی نیست اساس آن را و زوال نیست ستونهای آن را، و بر کندگی نیست درخت آن را، و انقطاع نیست مدّت او را، و اندراس نیست شریعتهای او را و بریدگی نیست شاخهای او را، و تنگی نیست راههای آنرا، و دشواری نیست أز برای سهولت آن، و سیاهی نیست از برای سفیدی آن، و کجی نیست أز برای استقامت آن و اعوجاج نیست از برای چوب آن، و صعوبت نیست از برای راههای آن، و خاموشی نیست چراغهای آن را، و تلخی نیست شیرینی آنرا.

پس آن اسلام ستونهائیست که ثابت و محکم کرده خدا در حقّ اصلهای آنها را، و بغایت مستحکم نموده از برای آنها بنیانهای آنها را، و نهرهای پر آبیست که زیاده است آبهای چشمهای آنها، و چراغهائیست که أفروخته شده آتشهای آنها و مناره هائیست که هدایت یافته با آنها مسافران آنها، و علمهائیست که قصد کرده شده با آنها راه روندگان گدوکهای آنها، و سرچشمه هائیست که سیراب شده با آنها واردین به آنها، گردانیده است خداوند تبارك و تعالی در او غایت رضای خود را، و بلندتر ستونهای خود را، و کوهان طاعت خود را.

پس او است در نزد خدا که محکم است رکنهای آن، و بلند است بنائی آن نورانی است دلیل آن، روشن است آتشهای آن، عزیز است سلطنت آن، بلند است منارهٔ آن، نا یابست معارضه گری آن، پس مشرّف و گرامی دارید او را، و تبعیّت نمائید بان، و أدا کنید بأو حقّ او را و بگذارید او را جائی که لایق او است.

الفصل الثالث و الرابع فی بعثه

اشاره

النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و نبذ من فضایل القران

ثمّ إنّ اللّه بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله حین دنا من الدّنیا الانقطاع، و أقبل من الاخره الاطّلاع، و أظلمت بهجتها بعد إشراق، و قامت بأهلها علی ساق، و خشن منها مهاد، و أزف منها قیاد، فی انقطاع من مدّتها، و اقتراب من أشراطها، و تصرّم من أهلها، و انفصام من حلقتها، و انتشار من سببها، و عفاء من أعلامها، و تکشّف من عوراتها، و قصر من طولها جعله اللّه سبحانه بلاغا لرسالته، و کرامه لامّته، و ربیعا لاهل زمانه، و رفعه لاعوانه، و شرفا لأنصاره. ثمّ أنزل علیه الکتاب نورا لا تطفا مصابیحه، و سراجا لا یخبو توقّده و بحرا لا یدرک قعره، و منهاجا لا یضلّ نهجه، و شعاعا لا یظلم ضوئه و فرقانا لا یخمد برهانه، و بنیانا لا تهدم أرکانه، و شفاء لا تخشی أسقامه و عزّا لا تهزم أنصاره، و حقّا لا تخذل أعوانه. فهو معدن الایمان و بحبوحته، و ینابیع العلم و بحوره، و ریاض العدل و غدرانه و أثافیّ الاسلام و بنیانه، و أودیه الحقّ و غیطانه، و بحر

لاـ ينزفه المستنزفون «المنتزفون خ ل»، و عيون لاـ ينضبها الماتحون، و مناهل لاـ يغيضها الواردون و منازل لاـ يضلّ نهجها المسافرون، و أعلام لا يعمى عنها السّاين، و آكام لا يجوز عنها القاصدون. جعله اللّه ريّا لعطش العلماء، و ربيعا لقلوب الفقهاء، و محاجّ لطرق الصّيلحاء، و دواء ليس معه «بعده خ ل» داء، و نورا ليس معه ظلمه و حبلا وثيقا عروته، و معقلا منيعا ذروته، و عزّا لمن تولاّه، و سلما لمن دخله، و هدى لمن ائتمّ به، و عذرا لمن انتحله، و برهانا لمن تكلّم به، و شاهدا لمن خاصم به، و فلجا لمن حاجّ به، و حاملاـ لمن حمله، و مطيّه لمن أعمله، و آيه لمن توسّم، و جنّه لمن استلام، و علما لمن وعى، و حديثا لمن روى، و حكما لمن قضى.

اللغه

(الاطلاع) الاشراف من موضع عال و (السّاق) الشّدّه قال تعالى «وَ الْتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ » أى اتّصلت آخر شدّه الدّنيا بأوّل شدّه الاـخره و (المهاد) بالكسر كالمهد موضع يهيّا للصّبى و الفراش و (قاد) الرّجل الفرس قودا من باب قال و قيادا بالكسر و هو نقيض السّوق قال الخليل: القود أن يكون الرّجل أمام الدّابه آخذا بقيادها، و السّوق أن يكون خلفها، فان قادها لنفسه قيل: اقتادها، و المقود بالكسر الحبل يقاد به، و القياد مثله مثل لحاف و ملحف.

و (العوره) السوءه و كلّ أمر يستحى منه و (الطول) الامتداد يقول طال الشيء

طولا ـ بالضمّ امتـدّ و خلاف العرض، و فی بعض النسـخ من طولها وزان عنب و هو حبل تشـدّ به قائمه الـدّابه أو تشـدّ و تمسـک طرفه و ترسلها ترعی، و طال طولک و طیلک و طیالک أی عمرک أو مکثک أو غیبتک.

(و منهاجا لا یضلّ نهجه) المنهاج و النهـج وزان فلس الطریق الواضـح، و نهـج الطریق نهجا من باب منع سـلکه، و یضلّ من باب الافعال و فی بعض النسخ بصیغه المجرّد.

و (الغـدران) جمع الغـدیر و هو النهر و (الأثـافی) بفتـح الهمزه و تشدیـد الیـاء کاثاف جمع الاثفیه بالضمّ و بالکسـر و هو الحجر یوضع علیه القـدر و الأثافی الأحجار الموضع علیها القدر علی شـکل مثلّث و (نضب) الماء نضوبا من باب قعد غار فی الأرض و ینضب بالکسر من باب ضرب لغه.

و (غـاض) المـاء غیضـا من بـاب سار نضب و قلّ، و غاضه اللّه بتعـدّی و لا یتعـدّی فالماء مغیض قال الشارح المعتزلی و روی لا یغیضها بالضمّ علی قول من قال أغضت الماء و هی لغه غیر مشهوره.

و (الأ ـ کمه) بالتحریـک التـلّ، و قیـل: شـرفه کـالرّابیه و هو مـا اجتمع من الحجـاره فی مکـان واحـد، و ربّما غلظ و الجمع اکم و اکمات مثل قصبه و قصب و قصبات و جمع الاکم اکام مثل جبل و جبال، و جمع الاکام اکم بضمّتین مثل کتاب و کتب و جمع الاکم أکام مثل عنق و أعناق هکذا قال الفیومی.

و (المحجّه) بالفتـح جـادّه الطریـق و (الفلـج) بـالضّم اسم من الفلـج و هـو الظفر و الفوز و فلـج بحجّته أثبتهـا، و أفلـج اللّه حجّته أظهرها و (وعی) الحدیث وعیا من باب وعد حفظه و جمعه و تدبّره.

الاعراب

قوله: فی انقطـاع من مـدّتها ظرف لغو متعلّق بقوله أزف و فی بمعنی مع و یحتمـل أن یکون ظرفا مسـتقرّا متعلّقا بمقـدّر حالا من قیاد، و قوله: نورا بدل من الکتاب، وقوله:و منهاجا لا یضلّ نهجهإن کان من باب الافعال فنهجه منصوب علی

المفعول و الفاعل ضمير مستكن راجع إلى منهاجا، و إن كان بصيغه المجرّد فهو مرفوع على الفاعل و اسناد الفعل اليه من المجاز العقلى أو المصدر بمعنى الفاعل فمجاز لغوىّ و الاسناد حينئذ على حقيقته.

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام لمّا ذكر فى الفصل السّابق فضل الاسلام و شرفه أردفه بهذا الفصل و أشار فيه إلى بعثه من جاء بالاسلام، و شرح حال زمان البعثه تنبيها بذلك على عظم ما ترتّب على بعثه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الفوائد العظيمه، ثمّ عقّب بذكر أعظم نعمه أنعم اللّه به على عباده ببعثه و هو تنزيل الكتاب العزيز و ذلك قوله:

(ثمّ إن اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بالهدى و دين الحقّ (حين دنا من الدّنيا الانقطاع و أقبل من الاخره الاطلاع) الظاهر أنّ المراد به قرب انقطاع دنيا كلّ امّه و إقبال آخرتهم بحضور موتهم حسبما عرفت تفصيله فى شرح قوله: أمّا بعد فانّ الدّنيا قد أدبرت و آذنت بوداع و أنّ الاخره قد أقبلت و أشرفت باطلاع، من الخطبه الثامنه و العشرين.

و يحتمل أن يراد به قرب زوالها بالكلّيه و إشراف الاخره و القيامه الكبرى بناء على أنّ ما مرّ من عمر الدّنيا أكثر ممّا بقى، و يعضده بعض الأخبار.

مثل ما رواه فى البحار من البرسى فى مشارق الأنوار عن الثمالى عن علىّ ابن الحسين عليهما السّلام قال: إنّ اللّه خلق محمّدا و عليّا و الطيّبين من ذريّتهما من نور عظمته و أقامهم أشباحا قبل المخلوقات، ثمّ قال الظنّ إنّ اللّه لم يخلق خلقا سواكم بلى و اللّه لقد خلق اللّه ألف ألف آدم و ألف ألف عالم و أنت و اللّه فى آخر تلك العوالم.

و فيه أيضا من جامع الأخبار قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ موسى سأل ربّه عزّ و جلّ أن يعرّفه بدء الدّنيا منذكم خلقت فأوحى اللّه عزّ و جلّ إلى موسى تسألنى عن غوامض علمى فقال: يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك، فقال: يا موسى خلقت الدّنيا منذ مأئه ألف ألف عام عشر مرات و كانت خرابا خمسين ألف عام، ثمّ بدءت فى عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام، ثمّ خلقت فيها خلقا على مثال البقر يأكلون رزقى

و یعبـدون غیری خمسـین ألف عام، ثمّ امتّهم کلّهم فی ساعه واحـده، ثمّ خربت الدّنیا خمسـین ألف عام، ثمّ بدءت فی عمارتها فمکثت عامره خمسـین ألف عام، ثمّ خلقت فیها بحرا فمکث البحر خمسین ألف عام لا شیء مجاجا من الدّنیا یشرب، ثمّ خلقت دابّه و سلّطتها علی ذلک البحر فشربه بنفس واحد، ثمّ خلقت خلقا أصغر من الزّنبور و أکبر من البقّ فسلّطت ذلک الخلق علی هـذه الـدّابّه فلدغها و قتلها، فمکثت الدّنیا خرابا خمسـین ألف عام، ثمّ بدءت فی عمارتها فمکثت خمسین ألف سنه، ثمّ جعلت الدّنیا کلّها آجام القصب و خلقت السّلاحف و سلّطتها علیها فأکلتها حتّی لم یبق منها شیء، ثمّ أهلکتها فی ساعه واحده فمکثت الـدّنیا خرابا خمسـین ألف عام، ثمّ بدءت فی عمارتها فمکثت عامره خمسـین ألف عام، ثمّ خلقت ثلاثین آدم ثلاثین ألف سنه من آدم إلی آدم ألف سنه، فأفنیتهم کلّهم بقضائی و قدری، ثمّ خلقت فیها ألف ألف مدینه من الفضّه البیضاء، و خلقت فی کلّ مـدینه مأئه ألف ألف قصـر من الذّهب الأحمر، فملئت المدن خردلا عند الهواء یومئذ ألذّ من الشـهد و أحلی من العسل و أبیض من الثلـج، ثمّ خلقت طیرا أعمی و جعلت طعـامه فی کـلّ ألف سـنه حبّه من الخردل أکلها کلّهـا حتّی فنیت، ثمّ خرّبتها فمکثت خرابـا خمسـین ألف عـام ثمّ بـدءت فی عمارتها فمکثت عامره خمسـین ألف عام، ثمّ خلقت أباک آدم بیـدی یوم الجمعه وقت الظهر و لم أخلق من الطین غیره، و أخرجت من صلبه النبیّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و هذان الخبران کما تری یعضدان ما ذکرناه من کون الغابر من الدّنیا أکثر من الباقی.

لکن العلامه المجلسی «قـد» قـال فی المجلّد التـاسع من البحار بعـد ایراد روایه البرسـی: لا أعتمـد علی ما تفرّد بنقله، و قال فی المجلّد الرّابع عشر بعـد روایه الخبر الثـانی من جـامع الأخبار: هـذه من روایات المخالفین أوردها صاحب الجامع فأوردتها و لم أعتمد علیها.

فعلی ذلک لا یمکن التعویل علیهما مع منافاتهما لما رواه المحدّث الجزائری

ص:۳۰۱

فى الأنوار عن ابن طاوس «ره» أنّ عمر الدّنيا مأئه ألف سنه يكون منها عشرون ألف سنه ملك جميع أهل الدّنيا، و يكون ثمانون ألف سنه منها مدّه ملك آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأولى ردّ علم ذلك إلى اللّه و الرّاسخون فى العلم عليهم السّلام هذا.

و قوله (و أظلمت بهجتها بعد اشراق) أراد به أنّه سبحانه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على حين فتره من الرّسل بعد ما كانت الدّنيا مبتهجه بوجودهم مشرقه مضيئه بأنوار هدايتهم، فأظلمت بهجتها أى ذهب حسنها و نضارتها بطول زمان الفتره و تمادى مدّه الغفله و الضلاله.

(و قامت بأهلها على ساق) قد مضى تحقيق معنى هذه الجمله فى شرح الخطبه المأه و الثامنه و الثلاثين فليراجع ثمّه و محصّل المراد بلوغها حين بعثته إلى غايه الشدّه بأهلها لما كانت عليه العرب حينئذ من ضيق العيش و الضّر و الحروب و القتل و الغاره و إثاره الفتن و تهييج الشرور و المفاسد كما قال عليه السّلام فى الخطبه السّادسه و العشرين: إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نذيرا للعالمين و أمينا على التنزيل، و أنتم معشر العرب على شرّ دين و فى شرّ دار منيخون بين حجاره خشن و حيات صمّ، تشربون الكدر، و تأكلون الجشب، و تسفكون دمائكم و تقطعون أرحامكم آه.

(و خشن منها مهاد) كنايه عن عدم الاستقرار بها و فقدان طيب العيش و الرّاحه، لأنّ ذلك إنّما يتمّ بانتظام الشرائع و ثبات قوانين العدل و يرتفع بارتفاعها.

(و أزف منها قياد) أى قرب منها اقتياد أهلها و تعريضهم بالهلاك و الفناء، أو انقيادها بنفسها للعدم و الزّوال، و الثانى أظهر بملاحظه الظروف الّتى بعدها أعنى قوله.

(فى انقطاع من مدّتها) و انخراطها فى سلك العدم.

(و اقتراب من أشراطها) أى آياتها و علاماتها الدّالّه على زوالها، و المراد بها أشراط السّاعه الّتى اشير اليها فى قوله تعالى «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها » و قوله «إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها » و قوله «يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النّاسَ هذا عَذابٌ أَلِيمٌ ».

ص:۳۰۲

و انّما جعلها من أشـراط الدّنيا مع كونها من أشراط السّاعه لوقوعها فی الدّنيا مع أنّها كما تدلّ علی قرب القيامه تدلّ علی انقطاع الدّنيا و تمامها، فتكون أشراطا لهما معا، و مضی تفصيل هذه الأشراط فی شرح الخطبه المأه و التاسعه و الثمانين.

و روی فی الصافی فی حديث أشـراط السّاعه: أوّل الايات الدّخان و نزول عيسی و نار تخرج من قعر عدن ابين تسوق النّاس إلی المحشر.

و فی البحار من مجمع البيان و روی عن النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: بادروا بالأعمال ستّا: طلوع الشمس من مغربها، و الدّابّه، و الدّجّال، و الدّخان، و خويصه أحدكم أی موته، و أمر العامّه يعنی القيامه.

(و تصـرّم من أهلهـا) أی انقطـاع منهم (و انفصـام من حلقتهـا) أی انكسار و انـدراس من نظام أهلها و اجتماعهم علی الشـريعه و الدّين (و انتشار من سببها) أی تفرّق من حبلها و ربقتها المشدوده بها رقاب أهلها و هو حبل الاسلام.

(و عفـاء من اعلامها) أی دروس منها و هو كنايه عن فقـدان الأنبياء و العلماء الصّالحين الـذين يهتـدی بهم فی ظلمات الجهاله و يستضاء بأنوارهم فی بوادی الضّلاله.

(و تكشّف من عوراتها) أی ظهور من معايبها و مساويها الّتی كانت مستوره بحجاب الشرائع و استار الاسلام.

(و قصر من طولها) أی من تماديها و امتدادها أو المراد قصر عمرها علی روايه طول بكسر الطّاء و فتح الواو.

و تعديد هذه الحالات الّتی كان عليها النّاس حين بعثه صلّی اللّه عليه و آله و شرحها و بسطها تذكيرا للمخاطبين بأنّ بعثه فی مثل تلك الحالات أعظم من منّ اللّه تعالی به علی عباده، ليؤدّ السامعون بتذكّره و ذكراه وظايف شكر تلك النعمه العظمی، و يقوموا بمراسم حمده حيث أنقذهم ببعثه سلام اللّه عليه و آله من ورطات الكفر و الضّلال، و أنجاهم من العقاب و الوبال.

(جعله اللّه سـبحانه بلاغـا لرسـالته) أی تبليغـا لهـا كمـا فی قوله تعـالی «وَ مـا عَلَی الرَّسُولِ إِلاَّـ الْبَلاـغُ » أی إلاّ أداء الرّساله و بيان الشريعه أو كفايه لها كما فی قوله

تعالى فى وصف القرآن «هـذا بَلاغٌ لِلنّاسِ وَ لِيُنْـذَرُوا بِهِ » أى موعظه بالغه كافيه، و على المعنيين فلا بـد من جعل المصدر بمعنى الفاعل أى جعله عزّ و جلّ مبلّغا للرساله أو كافيا لها أى غير محتاج معه إلى رسول آخر، و لذلك كان صلّى اللّه عليه و آله خاتم النّبوه.

(و كرامه لامّته) أى أكرمهم عزّ و جلّ بجعله رسولا لهم و جعلهم امّه له صلّى اللّه عليه و آله و فضّلهم بذلك على ساير الامم.

(و ربيعا لأهل زمانه) تشبيهه بالرّبيع إمّا من أجل ابتهاجهم ببهجه جماله و بديع مثاله كما يبتهج النّاس بالرّبيع و نضـراته و طراوته، أو من أجل أنّ أهل زمانه قد خرجوا بوجوده الشـريف من ضـنك المعيشه إلى الرّخا و السـعه، كما أنّ الناس يخرجون فى الرّبيع من جدب الشتاء و ضيق عيشها إلى الدّعه و الرفاهه.

(و رفعه لأعوانه و شرفا لأنصاره) يحتمل رجوع الضميرين الى اللّه كما فى الفقره الاولى و إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما فى الفقرتين الأخيرتين، و على أىّ تقـدير فالمراد بالأعوان و الأنصار المسـلمون أمّا كونهم أنصارا له صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم فواضـح، و أمّـا جعلهم أنصـارا و عونـا للّه عزّ و جـلّ على الاحتمال الأول فلكونهم أنصار دين اللّه و أعوان رسوله، أضافهما إليه تعالى تشريفا و تكريما.

و كيف كـان فقـد شـرف اللّه تعـالى المسـلمين و رفع شـأنهم فى الـدّنيا و الاخره بمتابعتهم لرسوله و معاونتهم له و سلّطهم على محادّيه و جاحديه لعنهم اللّه تعالى و عذّبهم عذابا أليما، هذا.

و لمّا ذكر بعثه النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و أشار إلى بعض فوايـد بعثه أردفه بـذكر أعظم معجزات النّبوه و هو الكتاب العزيز، و أشار إلى جمله من أوصافه و مزاياه تنبيها على علوّ قدره و عزّه شأنه فقال:

(ثمّ أنزل عليه الكتاب) و عدّ به اثنين و أربعين منقبه.

أولها كونه(نورا لا تطفى مصابيحه)أمّا أنّه نور فلاهتـداء النّاس به من ظلمات الجهل كما يهتـدى بالنور المحسوس فى ظلمه اللّيل قال تعالى«إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ »و أمّا مصابيحه فاستعاره لطرق الاهتداء و فنون العلوم الّتى تضمّنها القرآن.

(و) الثانيه كونه (سراجا لا يخبو توقده) أمّا أنّه سراجا فلما مرّ آنفا، و أمّا، أنّه لا يخبو توقّده فالمراد به عدم انقطاع اهتداء النّاس به و استضاءتهم بنوره.

(و) الثالثه كونه(بحرا لا يدرك قعره)استعاره البحر له باعتبار اشتماله على النكات البديعه و الأسرار الخفيّه و دقايق العلوم الّتى لا يدركها بعد الهمم و لا ينالها غوص الفطن كما لا يدرك الغائص قعر البحر العميق.

(و) الرابعه كونه (منهاجا لا يضلّ نهجه) أى طريقا واضحا مستقيما إلى الحقّ لا يضلّ سالكه أو لا يضلّ سلوكه.

(و) الخامسه كونه (شعاعا لا يظلم ضوءه) أى حقّا لا يدانيه شكّ و ريب أى لا يشوبه ظلمه الباطل فيغطيه و يستره كما قال تعالى «ذلِکَ الْکِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ » و قال «لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَکِيمٍ حَمِيدٍ ».

قال الطبرسى: قيل: إنّ الباطل الشيطان و معناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقّا أو يزيد فيه باطلا، و قيل: لا يأتيه الباطل من جهه من الجهات فلا تناقض فى ألفاظه.

و لا كذب فى اخباره و لا يعارض و لا يزاد فيه و لا يغيّر بل هو محفوظ حجه على المكلّفين إلى يوم القيامه، و يؤيّده قوله تعالى «إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ ».

(و) السادسه كونه (فرقانا لا يخمد برهانه) أى فارقا بين الحقّ و الباطل و فاصلا بينهما لا ينتفى براهينه الجليّه و بيّناته الّتى بها يفرق بينهما كما قال تعالى «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ » و قال «هُدیً لِلنّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ ».

(و) السابعه كونه(بنيانا لا تهدم أركانه)شبّهه ببنيان مرصوص وثيق الأركان فاستعار له لفظه و الجامع انتظام الاجزاء و اتّصال بعضها ببعض، و قوله:لا تهدم أركانه، ترشيح للاستعاره، و فيه إشاره إلى أنّ البنيان الوثيق كما أنّه مأمون من التّهافت و الهدم و الانفراج فكذلك الكتاب العزيز محفوظ من طروّ النقص و الخلل و الاندراس.

(و) الثامنه كونه (شفاء لا تخشى أسقامه) يعنى انّه شفاء للأبدان و الأرواح.

أمّا الأبدان فبالتجربه و العيان مضافا إلى الأحاديث الوارده فى خواصّ أكثر الايات المفيده للاستشفاء و التعويذ بها.

ص:٣٠۵

مثل ما فی الکافی باسناده عن السّکونی عن أبی عبد اللّه عن آبائه علیهم السّلام قال:

شکی رجل إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم وجعا فی صدره فقال: استشف بالقرآن فانّ اللّه عزّ و جلّ یقول: «وَ شِفاءٌ لِما فِی الصُّدُورِ ».

و عن سلمه بن محرّز قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: من لم یبرءه الحمد لم یبرءه شیء.

و عن إبراهیم مهزم عن رجل سمع أبا الحسن علیه السّلام یقول: من قرء آیه الکرسی عند منامه لم یخف الفالج انشاء اللّه، و من قرءها فی دبر کلّ فریضه لم یضرّه ذو حمه.

و فی مجمع البیان من کتاب العیاشی باسناده انّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لجابر بن عبد اللّه الأنصاری: أ لا اعلمک أفضل سوره أنزلها اللّه فی کتابه؟ قال: فقال له جابر:

بلی بأبی أنت و أمّی یا رسول اللّه علّمنیها، قال: فعلّمه الحمد أمّ الکتاب، ثمّ قال:

یا جابر ألا اخبرک عنها؟ قال: بلی بأبی أنت و امّی فأخبرنی، فقال: هی شفاء من کلّ داء إلاّ السّام، و السّام الموت، إلی غیر هذه ممّا لا حاجه إلی ایرادها.

و أمّا الأرواح فلأنّه بما تضمّنه من فنون العلوم شفاء لأمراض الجهل.

فقد ظهر بذلک کونه شفاء للأبدان من الأوجاع و الأسقام، و شفاء للقلوب من کلّ شک و ریب و شبهه، و یصدق ذلک قوله تعالی فی سوره السجده «قُلْ هُوَ لِلَّذِینَ آمَنُوا هُدیً وَ شِفاءٌ » و فی سوره بنی اسرائیل «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ لا یَزِیدُ الظّالِمِینَ إِلاّ خَساراً ».

قال أمین الاسلام الطبرسی وجه الشّفاء فیه من وجوه:

منها ما فیه من البیان الّذی یزیل عمی الجهل و حیره الشکّ.

و منها ما فیه من النظم و التألیف و الفصاحه البالغه حدّ الاعجاز الّذی یدلّ علی صدق النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فهو من هذه الجهه شفاء من الجهل و الشکّ و العمی فی الدّین و یکون شفاء للقلوب.

و منها أنّه یتبرّک به و بقراءته و یستعان به علی دفع العلل و الأسقام و یدفع اللّه به کثیرا من المکاره و المضارّ علی ما یقتضیه الحکمه.

و منها ما فیه من أدّله التوحید و العدل و بیان الشرائع فهو شفاء للنّاس فی دنیاهم

و آخرتهم، و رحمه للمؤمنين أى نعمه لهم، و إنّما خصّهم بذلك لأنّهم المنتفعون به، انتهى.

فقد تحصّل من ذلك أنّه شفاء لا يخاف أن يعقب سقما، لأنّ الكمالات النفسانيه الحاصله من قراءته و تفكّره و تدبّر آياته تصير ملكات راسخه لا تتبدّل بأضدادها و لا تتغيّر.

(و) التاسعه كونه (عزا لا تهزم أنصاره) أى لا تغلب و لا تقهر.

(و) العاشره كونه (حقّا لا تخذل أعوانه) و المراد بأعوانه و أنصاره هم المسلمون العارفون بحقّه العاملون بأحكامه و عدم هزمهم و خذلانهم نصّ قوله تعالى «لَنْ يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ».

قال فى مجمع البيان فيه أقوال:

أحدها أنّ المراد لن يجعل اللّه لليهود على المؤمنين نصرا و لا ظهورا.

و قيل: لن يجعل اللّه للكافرين على المؤمنين سبيلا- بالحجّه و إن جاز أن يغلبوهم بالقوّه، لكن المؤمنين منصورون بالدّلاله و الحجّه.

و قيل: لن يجعل لهم فى الاخره عليهم سبيلا لأنّه مذكور عقيب قوله «فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ » بيّن اللّه سبحانه أنّه إن يثبت لهم سبيل على المؤمنين فى الدّنيا بالقتل و القهر و النهب و الاسر و غير ذلك من وجوه الغلبه فلن يجعل لهم يوم القيامه عليهم سبيلا.

و الحاديه عشر ما أشار إليه بقوله (فهو معدن الايمان و بحبوحته).

أمّا أنّه معدن الايمان، فلأنّ المعدن عباره عن منبت الجوهر من ذهب و فضّه و نحوهما، و لمّا كان الايمان باللّه و رسوله جوهرا نفيسا لا جوهر أنفس منه و لا أغلى عند ذوى العقول، و كان يستفاد من القرآن و يستخرج منه جعله معدنا له.

و أمّا أنّه بحبوحته و وسطه فلأنّ الايمان بجميع أجزائه و شرايطه و مراسمه يدور عليه، فهو بمنزله القطب و المركز لدائره الايمان كما هو ظاهر.

(و) الثانيه عشر أنّه (ينابيع العلم و بحوره)

أمّا أنّه ينابيع العلم فلأنّ العلوم بجميع أقسامه منه تفيض كالعيون الجاريه منها الماء.

و أمّا أنّه بحوره فلاحتوائه بفنون العلم كاحتواء البحر بمعظم الماء (و) الثالثه عشر أنّه(رياض العدل و غدرانه).

أمّا كونه رياض العدل فلأنّ الرّياض عباره عن مجامع النّبات و الزّهر و الرّياحين الّتى تبتهج النفوس بخضرتها و نضرتها، و تستلذّ الطباع بحسنها و بهجتها كما قال تعالى«حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ »فشبّه التّكاليف الشرعيّه المجعوله عن وجه العدل و الحكمه بالزّهر و النبات الحسن لايجابها لذّه الأبد و جعل الكتاب العزيز رياضا لها لاجتماعها فيه و استنباطها منه.

و أمّا كونه غدران العدل فلأنّ الغدير عباره عن مجمع الماء فشبّه الأحكام العدليّه بالماء لما فيها من حياه الأرواح كما أنّ بالماء حياه الأبدان و جعله غديرا لجامعيّته لها.

(و) الرابعه عشر أنّه (أثافىّ الاسلام و بنيانه) لما قد عرفت من أنّ الأثافى عباره عن الأحجار الّتى عليها القدر، فجعله أثافى للاسلام لاستقراره و ثباته عليه مثل استقرار القدر على الأثافي.

و بهذا الاعتبار أيضا جعل الصلاه و الزّكاه و الولايه أثافيه فى حديث البحار من الكافى عن الصّادق عليه السّلام قال: أثافى الاسلام ثلاثه: الصلاه، و الزكاه، و الولايه لا تصحّ واحده منهنّ إلّا بصاحبتها.

قال العلاّمه المجلسىّ: و إنّما اقتصر عليها لأنها أهمّ الأجزاء و يدلّ على اشتراط قبول كلّ منها بالاخرين، و لا ريب فى كون الولايه شرطا لصحّه الاخريين.

(و) الخامسه عشر أنّه(أوديه الحقّ و غيطانه)يعنى أنّ طالب الحقّ إنّما يجده فى هذه الأوديه و الأراضى المطمئنه قال الشارح البحراني: و اللّفظان مستعاران باعتبار كونه معدنا للحقّ و مظنّه له، كما أنّ الأوديه و الغيطان مظانّ الكلاء و الماء.

(و) السادسه عشر أنّه (بحر لا ينزفه المستنزفون) أى لا ينزحه كلّه و لا يفنيه

المستقون، و هو إشاره إلی عدم انتهاء العلوم المستفاده منه، فانّ فيه علم ما كان و ما يكون و ما هو كائن إلی يوم القيامه حسبما عرفت فی شرح الفصل السّابع عشر من الخطبه الاولی.

(و) السابعه عشر أنّه (عيون لا ينضبها الماتحون) أی لا يغيّرها المستسقون.

(و) الثامنه عشر أنّه (مناهل لا يغيضها الواردون) أی مشارب لا ينقص مائها الواردون علی كثره ورودهم عليها.

(و) التاسعه عشر أنّه (منازل لا يضلّ نهجها المسافرون) يعنی أنّه منازل السّالكين إلی اللّه لا يضلّ مسافروه منهاج تلك المنازل لكونه واضحا جليّا و جادّه مستقيمه (و) العشرون أنّه (أعلام لا يعمی عنها السّائرون) لاستنارتها و اضاءتها.

(و) الحاديه و العشرون أنّه(آكام لا يجوز عنها القاصدون)قال الشّارح البحرانی: استعار لفظ الاعلام و الاكام للأدلّه و الامارات فيه علی طريق إلی معرفته و احكامه باعتبار كونها هاديه إليها كما تهدی الأعلام و الجبال علی الطّرق.

و الثانيه و العشرون أنّه(جعله اللّه تعالی ريّا لعطش العلماء)شبّه شدّه اشتياق نفوس العلماء و حرصهم علی المعارف الحقّه الالهيّه بعطش العطاش، و حيث إنّ الكتاب العزيز كان رافعا لغللهم جعله مرويّا لهم كما يروی الماء الغليل.

(و) الثالثه و العشرون أنّه جعله سبحانه (ربيعا لقلوب الفقهاء) لابتهاج قلوبهم به و استلذاذهم منه كما يبتهج النّاس بالرّبيع.

(و) الرابعه و العشرون أنّه جعله (محاجّ لطرق الصلحاء) أی جواد واضحه مستقيمه لا عوج فيها و لا خفاء، لأنّه يهدی للّتی هی أقوم.

(و) الخامسه و العشرون أنّه جعله (دواء ليس معه داء) حسبما عرفته فی شرح قوله: و شفاء لا تخشی أسقامه.

(و) السادسه و العشرون أنّه جعله (نورا ليس معه ظلمه) أی حقّا لا يشوبه باطل حسبما عرفته فی شرح قوله، و شعاعا لا يظلم نوره.

و فى الكافى باسناده عن أبى جميله قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: كان فى وصيّه أمير المؤمنين عليه السّلام أصحابه: إنّ هذا القرآن هدى النهار و نور اللّيل المظلم على ما كان من جهد و فاقه.

و فيه عن طلحه بن زيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدّجى فليجل جال بصره و يفتح للضياء نظره فانّ التّفكّر حياه قلب البصير كما يمشى المستنير فى الظّلمات بالنور.

(و) السابعه و العشرون أنّه جعله (حبلا وثيقا عروته) لا يخشى من انفصامه من تمسّك به و اتّبع بأحكامه نجا و من تركه هلك.

(و) الثامنه و العشرون أنّه جعله (معقلا منيعا ذروته) أى ملجأ و حصنا حصينا يمنع الملتجى إليه من أن يناله المكروه و سوء العذاب.

(و) التاسعه و العشرون أنّه جعله (عزّا لمن تولاّه) يعنى من اتّخذه وليّا و ألقى إليه أزمّه اموره و عمل بأوامره و نواهيه فهو عزّه له فى الدّارين.

(و) الثلاثون أنّه جعله عزّ و جلّ (سلما لمن دخله)قال الشارح البحرانى أى أمنا، و دخوله الخوض فى تدبّر مقاصده و اقتباسها و بذلك الاعتبار يكون مأمنا من عذاب اللّه و من الوقوع فى الشّبهات الّتى هى مهاوى الهلاک، و قيل: استعار لفظ السّلمباعتبار عدم اذاه لمن دخله فهو كالمسالم له.

(و) الحاديه و الثلاثون أنّه جعله (هدى لمن ائتمّ به) و هو واضح كما قال تعالى «ذلِکَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ».

(و) الثانيه و الثلاثون أنه جعله (عذرا لمن انتحله) و لعلّ المراد كونه عذرا منجيا من العذاب يوم القيامه لمن دان به و جعله نحلته و قيل: إنّ المراد أنّ من انتسب اليه بأن جعل نفسه من أهل القرآن و افتخر بذلک كان القرآن نفسه عذرا له، لعلوّ شأنه، و ما ذكرناه أقرب.

(و) الثالثه و الثلاثون أنّه جعله (برهانا لمن تكلّم به) أى حجّه واضحه و بيانا جليا لمن احتجّ به.

ص:٣١٠

(و) الرابعه و الثلاثون أنه جعله (شاهدا لمن خاصم به) أى دليلا محكما للمستدلّ.

(و) الخامسه و الثلاثون أنّه جعله (فلجأ لمن حاجّ به) أى ظفرا و فوزا للمخاصم يعنى أنّ من خاصم و احتجّ به فاز بمقصده و غلب خصمه.

روى فى البحار من كنز الفوايد باسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: يا معشر الشّيعه خاصموا بسوره إنّا أنزلناه فى ليله القدر تفلجوا، فو اللّه إنّها لحجّه اللّه تبارك و تعالى على الخلق بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنّها لسيّده دينكم و إنّها لغايه علمنا، يا معشر الشّيعه خاصموا بحم و الكتاب المبين فانّها لولاه الأمر خاصه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(و) السادسه و الثلاثون أنه جعله (حاملا لمن حمله) يعنى أنّ من حمل القرآن و حفظه و عمل به و اتّبع أحكامه حمله القرآن إلى دار القدس و غرفات الجنان.

روى فى الكافى باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

يا معاشر قرّاء القرآن اتّقوا اللّه عزّ و جلّ فيما حملكم من كتابه فانى مسئول و انكم مسئولون، إنّى مسئول عن تبليغ الرّساله، و أما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب اللّه و سنّتى.

و فيه عن السكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: حمله القرآن عرفاء أهل الجنّه و المجتهدون قوّاد أهل الجنّه و الرّسل سادات أهل الجنّه.

و عن عمرو بن جميع عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

إنّ أحقّ النّاس بالتخشّع فى السّرّ و العلانيه لحامل القرآن، و إنّ أحقّ النّاس فى السرّ و العلانيه بالصلاه و الصّوم لحامل القرآن، ثمّ نادى بأعلى صوته يا حامل القرآن تواضع به يرفعك اللّه و لا تعزّ زبه فيذلّك اللّه، يا حامل القرآن تزيّن به للّه يزيّنك اللّه به و لا تزيّن به للنّاس فيشينك اللّه به، من ختم القرآن فكأنّما ادرجت النّبوه بين جنبيه و لكنّه لا يوحى إليه، و من جمع القرآن فنوله لا يجهل مع من يجهل عليه و لا يغضب فيمن يغضب عليه و لا يحدّ فيمن

یحدّ علیه و لکنّه یعفو و یصفح و یغفر و یحلم لتعظیم القرآن، و من اوتی القرآن فظنّ أنّ أحدا من النّاس اوتی أفضل ممّا اوتی فقد عظّم ما حقّر اللّه، و حقّر ما عظّم اللّه.

(و) السابعه و الثلاثون أنّه جعله (مطیّه لمن أعمله) أی مرکبا سریع السّیر یبلغ بمن أعمله إلی منزله و مقصده، و هو حظایر القدس و مجالس الانس، و المراد باعماله هو حفظه و المواظبه علیه و عدم الغفله عنه.

روی فی الکافی باسناده عن ابن أبی یعفور قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:

إنّ الرّجل إذا کان یعلم السّوره ثمّ نسیها و ترکها و دخل الجنّه أشرفت علیه من فوق فی أحسن صوره فتقول: تعرفنی؟ فیقول: لا، فتقول: أنا سوره کذا و کذا لم تعمل بی و ترکتنی أما و اللّه لو عملت بی لبلغت بک هذه الدّرجه، و أشارت بیدها إلی فوقها.

و عن یعقوب الأحمر قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إنّ علیّ دینا کثیرا و قد دخلنی شیء ما کاد القرآن یتفلّت منی، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: القرآن القرآن إنّ الایه من القرآن و السّوره لتجیء یوم القیامه حتّی تصعد ألف درجه یعنی فی الجنّه، فتقول: لو حفظتنی لبلغت بک ههنا.

و عن أبی بصیر قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: من نسی سوره من القرآن مثّلت له فی صوره حسنه و درجه رفیعه فی الجنّه، فاذا رآها قال: ما أنت ما أحسنک لیتک لی، فیقول: أما تعرفنی أنا سوره کذا و کذا و لو لم تنسنی لرفعتک إلی هذا.

(و) الثامنه و الثلاثون أنّه جعله (آیه لمن توسّم) أی دلاله للمتفکّر المعتبر و علامه یستدلّ بها المتفرّس، و أصل التوسّم هو النظر فی السمه أی العلامه الدّاله قال تعالی «إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ » أی دلالات للمتفکّرین المعتبرین.

قال فی مجمع البیان: و قد صحّ عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال: اتّقوا فراسه المؤمن و انّه ینظر بنور اللّه، و قال: إن للّه عبادا یعرفون الناس بالتوسّم ثمّ قرء هذه الایه.

(و) التاسعه و الثلاثون أنه جعله (جنّه لمن استلام) أی وقایه و سلاحا لطالب

الدّرع و السلاح، و المراد كونه وقايه لقارئه من مكاره الدّنيا و الاخره أما الاخره فواضحه، لأنه يوجب النجاه من النار و الخلاص من غضب الجبار جلّ جلاله.

و أما الدّنيا فيدلّ على كونه وقايه من مكارهها صريح قوله تعالى «وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً ».

قال الطبرسيّ: قال الكلبيّ: و هم أبو سفيان و النّضر بن الحرث و أبو جهل و امّ جميل امرأه أبى لهب، حجب اللّه رسوله عن أبصارهم و كانوا يأتونه و يمرّون به و لا يرونه.

و فى الصافى من قرب الاسناد عن الكاظم عليه السّلام انّ امّ جميل امرأه أبى لهب أتته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين نزلت سوره تبّت و مع النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أبو بكر بن أبى قحافه، فقال:

يا رسول اللّه هذه امّ جميل منخفضه أو مغضبه تريدك و معها حجر تريد أن ترميك به فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّها لا ترانى، فقالت لأبى بكر: أين صاحبك؟ قال: حيث شاء اللّه، قالت: لقد جئته و لو أراه لرميته فانّه هجانى و اللاّت و العزّى إنّى لشاعره، فقال أبو بكر: يا رسول اللّه لم ترك؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا، ضرب اللّه بينى و بينها حجابا مستورا.

و أما ساير النّاس فيشهد بكونه جنّه لهم من المكاره.

ما رواه فى الكافى باسناده عن الاصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: و الّذى بعث محمّدا بالحقّ و أكرم أهل بيته ما من شىء تطلبونه من حرز من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابه من صاحبها أو آبق إلاّ و هو فى القرآن، فمن أراد ذلك فليسألنى عنه.

قال: فقام اليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عمّا يؤمن من الحرق و الغرق فقال عليه السّلام: اقرء هذه الايات «اَللّهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّالِحِينَ »...

«وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » - الى قوله «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ » فمن قرأها فقد أمن من الحرق و الغرق، قال: فقرأها رجل و اضطرمت النار فى بيوت جيرانه و بيته وسطها فلم يصبه شىء.

ثمّ قام اليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ دابتى استصعبت علىّ و أنا منها على وجل فقال: اقرء فى اذنها اليمنى «وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » فقرأها فذلّت له دابّته.

و قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ أرضى أرض مسبعه إنّ السباع تغشى منزلى و لا تجوز حتى تأخذ فريستها فقال: اقرء «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ اللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » فقرأهما الرّجل فاجتنبته السباع.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ فى بطنى ماء أصفر فهل من شفاء؟ فقال: نعم بلا درهم و لا دينار و لكن اكتب على بطنك آيه الكرسى و تغسلها و تشربها و تجعلها ذخيره فى بطنك فتبرء باذن اللّه عزّ و جلّ، ففعل الرّجل فبرء باذن اللّه.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن الضّالّه فقال عليه السّلام اقرء يس فى ركعتين و قل: يا هادى الضالّه ردّ علىّ ضالّتى ففعل فردّ اللّه عليه ضالّته.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن الابق فقال عليه السّلام: اقرء «أَوْ كَظُلُماتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ » - إلى قوله - «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ » فقالها الرّجل فرجع إليه الابق.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن السّرق فانّه لا يزال قد يسرق لى الشىء بعد الشىء ليلا، فقال له: اقرء إذا آويت إلى فراشك «قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ » - إلى قوله - «وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً » ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: من بات بأرض قفر فقرأ هذه الايه «إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّهِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ » - إلى قوله - «تَبارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ » حرسته الملائكه و تباعدت عنه الشّياطين.

قال: فمضى الرّجل فاذا هو بقريه خراب فبات فيها و لم يقرأ هذه الايه فغشاه الشّياطين و إذا هو آخذ بخطمه فقال له صاحبه: انظره، و استيقظ الرّجل فقرأ الايه فقال الشيطان لصاحبه: ارغم اللّه أنفك احرسه الان حتّى يصبح.

فلمّا أصبح رجع الى أمير المؤمنين عليه السّلام فأخبره فقال له رأيت فى كلامك الشفاء و الصّدق و مضى بعد طلوع الشمس فاذا هو بأثر شعر الشّياطين مجتمعا فى الأرض.

(و) الاربعون أنّه جعله (علما لمن وعى) أى علما كاملا بالمبدإ و المعاد لمن حفظه و عقله و جعله فى وعاء قلبه قال الطريحى: و فى الحديث لا يعذّب اللّه قلبا وعى القرآن، أى عقل القرآن ايمانا منه و عملا، فأمّا من حفظ ألفاظه و ضيّع حدوده فهو غير واع له، و فيه: خير القلوب أوعاها، أى أحفظها للعلم و أجمعها له.

(و) الحاديه و الاربعون أنّه جعله (حديثا لمن روى) قال أمين الاسلام الطبرسى فى تفسير قوله تعالى «اَللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ » يعنى القرآن، و إنّما سمّاه اللّه حديثا لأنّه كلام اللّه و الكلام سمّى حديثا كما يسمّى كلام النبىّ حديثا، لأنه حديث التنزيل بعد ما تقدّمه من الكتب المنزله على الأنبياء، و هو أحسن الحديث لفرط فصاحته و لاعجازه و لاشتماله على جميع ما يحتاج المكلّف إليه من التنبيه على أدلّه التوحيد و العدل و بيان أحكام الشرائع و غير ذلك من المواعظ و قصص الأنبياء و الترغيب و الترهيب، كتابا متشابها يشبه بعضه بعضا و يصدق بعضه بعضا ليس فيه اختلاف و تناقض، و قيل: إنه يشبه كتب اللّه المتقدّمه و ان كان أعم و أجمع و أنفع.

(و) الثانيه و الاربعون أنه جعله (حكما لمن قضى) يعنى من يقضى بين الناس، فالقرآن حكم له لا حكم له غيره لأنه الحكم الحقّ و غيره باطل كما قال تعالى «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ » و فى آيه اخرى «فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ » و فى ثالثه «فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ ».

قيل فى توجيهه: إنّ الحاكم بغير ما أنزل اللّه إن كان لا مع الاعتقاد فهو إمّا ظالم أو فاسق، و ان حكم بذلك مع اعتقاد أنّه غير ما أنزل اللّه فهو كافر، هذا.

و قد تقدّم فى شرح الفصل السابع عشر من الخطبه الاولى و غيره فصل واف فى فضل الكتاب العزيز و ما يتعلّق به فليراجع هناك، و نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا من العارفين بفضله، و العاملين بأحكامه، و الواعين لعلمه، و الرّاوين لحديثه، و القاضين

بحکمه بجاه محمّد و آله سلام اللّه علیه و علیهم.

الترجمه

فصل سیّم و چهارم از این خطبه در بیان بعثت حضرت رسالتماب صلوات اللّه و سلامه علیه و آله و اشاره بر فواید بعثت است و ذکر نزول کتاب کریم و إشاره بر مناقب آن می فرماید:

پس بدرستی که خداوند تعالی مبعوث فرمود محمّد بن عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله را با حقّ هنگامی که نزدیک شده از دنیای فانی بریده شدن آن، و اقبال کرده بود از آخرت مشرف بودن آن، و ظلمانی شده بود شکفتگی دنیا بعد از روشنائی آن، و بر پا ایستاده بود بأهل خود بغایت شدّت، و ناهموار شده بود از آن بساط آن، و نزدیک شده بود از آن انقیاد آن بزوال در انقطاع مدّت آن، و نزدیکی علامتهای فنای آن، و بریده شدن أهل آن، و گسیخته شدن حلقهٔ آن، و تفرّق ریسمان آن، و اندراس علمهای آن، و انکشاف قبایح آن، و کوتاهی درازی آن.

گردانید او را حق تعالی کفایت کننده از برای رسالت خود، و کرامت از برای امّت او، و بهار از برای أهل زمان او، و سر بلندی بجهت اعوان او، و شرف مر یاران او را.

پس نازل فرمود بر آن بزرگوار کتاب عزیز خود را نوری که خاموش نمی باشد چراغهای آن، و چراغی که نابود نمی گردد اشتعال آن، و دریائی که درک نمی شود ته آن، و جادهٔ واضحی که ضلالت نمی افتد سالك آن، و شعائی که تاریک نمی باشد روشنائی آن، و فرقانی که خاموش نمی شود برهان و دلیل آن، و بنیادی که خراب نمی شود رکنهای آن، و شفائی که ترسیده نمی شود مرض های آن، و عزیزی که مغلوب نمی باشد ناصران آن، و حقی که خوار نمی باشد یاران آن.

پس آن کتاب معدن ایمان و وسط او است، و چشمهای علم و دریاهای او است و باغهای عدالت و گودالهای آب او است، و پایهای اسلام و بنیان او است، و بیابانهای

ص:۳۱۶

حق و گودیهای او است، و دریائیست که نمی تواند بکشد آب آن را آب کشندگان و چشمهائیست که تمام نمی کند آب آنرا آب بردارندگان، و سرچشمه هائی است که ناقص نمی نماید آن را واردان، و منزلهائیست که گم نمی کند راه آن را مسافران، و علامتهائیست که نابینا نمی شود از آنها سیر کنندگان، و تلهائیست که تجاوز نمی نماید از آنها قاصدان.

گردانید خداوند آن را سیرابی از برای تشنگی عالمیان، و بهار از برای قلبهای فقیهان، و راههای روشن از برای طرق صالحان، و دوائی که نیست بعد از آن دردی، و نوری که نیست با وجود آن ظلمتی، و ریسمانی که محکم است جای دستگیر آن، و پناهگاهی که مانع است بلندی آن، و عزیزی از برای کسی که آنرا بجهت خود دوست اخذ نموده باشد، و أمن امان أز برای کسی که داخل آن شود و هدایت از برای کسی که اقتدا نماید بان، و عذر از برای کسی که نسبت آنرا بخود بدهد، و برهان واضح بجهت کسی که با آن تکلّم نماید، و شاهد صادق بجهت کسی که مخاصمه نماید با آن، و غلبه و ظفر برای کسی که احتجاج کند با آن، و بردارنده مر حاملان خود را، و مرکب از برای کسی که إعمال نماید آنرا، و علامت از برای کسی که تفکر نماید، و زره از برای کسی که طالب سلاح باشد، و علم کامل کسیرا که حفظ کند آنرا، و حدیث صحیح کسی را که روایت نماید، و حکم بحق از برای کسی که حکم نماید.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و الثامن

اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

و هو مرویّ فی الکافی ببسط و اختلاف کثیر تطلع علیه بعد الفراغ من شرح ما أورده السیّد (ره) هنا

ص:۳۱۷

تعاهدوا أمر الصّلاه و حافظوا عليها، و استكثروا منها، و تقرّبوا بها، فانّها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، أ لا تسمعون إلى جواب أهل النّار حيث سئلوا ما سلككم فى سقر، قالوا لم نك من المصلّين و انّها لتحتّ الذّنوب حتّ الورق، و تطلقها إطلاق الرّبق، و شبّهها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالحمّه تكون على باب الرّجل، فهو يغتسل منها فى اليوم و اللّيله خمس مرّات، فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن، و قد عرف حقّها رجال من المؤمنين الّذين لا تشغلهم عنها زينه متاع، و لا قرّه عين من ولد و لا مال، يقول اللّه سبحانه: «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ وَ إِيتاءِ الزَّكاهِ » و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نصبا بالصّلاه بعد التّبشير له بالجنّه، لقول اللّه سبحانه «وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاهِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها » فكان يأمر أهله و يصبّر عليها نفسه. ثمّ إنّ الزّكاه جعلت مع الصّلاه قربانا لأهل الإسلام، فمن أعطيها طيّب النّفس بها فإنّها تجعل له كفّاره، و من النّار حجازا و وقايه، فلا يتبعنّها أحد نفسه، و لا يكثرنّ عليها لهفه، فانّ من أعطاها غير طيّب النّفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها، فهو جاهل بالسّنّه، مغبون الاجر، ضالّ العمل، طويل النّدم.

ص:۳۱۸

ثمّ أداء الامانه فقد خاب من ليس من أهلها، إنّها عرضت على السّماوات المبنيّه، و الارضين المدحوّه، و الجبال ذات الطّول المنصوبه فلا أطول، و لا أعرض، و لا أعلى، و لا أعظم منها، و لو امتنع شىء بطول، أو عرض، أو قوّه، أو عزّ، لامتنعن و لكن أشفقن من العقوبه، و عقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ، و هو الانسان إنّه كان ظلوما جهولا. إنّ اللّه سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون فى ليلهم و نهارهم، لطف به خبرا، و أحاط به علما، أعضائكم شهوده، و جوارحكم جنوده، و ضمائركم عيونه، و خلواتكم عيانه.

اللغه

(تعاهدوا أمر الصّلاه) و روى تعهّدوا بدله يقال تعهّدت الشىء و تعاهدته تردّدت إليه و تفقّدته و أصلحته، و حقيقته تجديد العهد به، و فى الدّعاء عند الحجر الأسود:

ميثاقى تعهّدته لتشهد لى بالموافاه يوم القيامه، و فى روايه العلل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام تعاهدته بدله، أى جدّدت العهد به، قال الفيومى: قال الفارابى: تعهّدته أفصح من تعاهدته، و قال ابن فارس و لا يقال تعاهدته، لأنّ التعاهد لا يكون إلّا من اثنين و يردّه كلام أمير المؤمنين عليه السّلام على روايه السيّد، و دعاء الحجر على روايه العلل و ما فى الحديث من قوله: تعاهدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم.

و (حتّ) الرّجل الورق من الشجر حتا من باب مدّ أسقطه و أزاله، و تحاتت

الشّجره تساقط ورقها و (الرّبق) وزان عنب جمع ربق بالكسر وزان حمل حبل فيه عدّه عرى يشدّ به البهم، و كلّ عروه ربقه و (الحمه) بفتح الحاء المهمله كلّ عين فيها ماء حارّ ينبع يستشفى بها الأعلاء، و فى بعض النّسخ بالجيم و هى البئر الكثيره الماء و (الدّرن) محرّكه الوسخ.

و (اقام الصّلاه) أصله إقوام مصدر أقوم مثل أكثر أكرم إكراما، و التّاء فى إقامه عوض من العين السّاقط بالاعلال، فلما اضيفت اقيمت الاضافه مقام حرف التّعويض و (نصب) نصبا كتعب وزنا و معنى فهو نصب.

و (يصبّر عليها نفسه) بالتثقيل أى يأمرها بالصّبر من صبّرته أى حملته على الصّبر بوعد الأجر، و قلت له: اصبر و يروى بالتّخفيف أى يحبس عليها نفسه و (القربان) كفرقان اسم لما يتقرّب به إلى اللّه من أعمال البرّ.

و قوله (فلا يتبعنّها) بنون التّوكيد مثقّله من اتبعت فلانا لحقته قال تعالى «فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ » أى لحقهم و (العيان) بالكسر المعاينه يقال لقاه عيانا أى معاينه لم يشكّ فى رؤيته إيّاه.

الاعراب

قوله: على المؤمنين، متعلّق بقوله: موقوتا قوله: فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن، كلمه ما نافيه و عسى تامّه بمعنى كاد، و أن يبقى عليه، فى موضع رفع بأنّه فاعل عسى كما فى قوله تعالى «عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً » و فاعل يبقى محذوف و من الدّرن بيان للفاعل المحذوف أى يبقى عليه شىء من الدّرن.

و قوله تعالى: رجال، فاعل يسبّح المذكور قبل ذلك، قال سبحانه «يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ » و على قراءه يسبّح مبنيّا للمفعول فالجار و المجرور أعنى له نايب عن الفاعل و رجال مرفوع بفعل محذوف يدل عليه الفعل المذكور كأنّه بعد ما قيل يسبّح له سئل عن المسبّح فقيل: رجال، أى يسبّح له

ص:۳۲۰

رجال على حدّ قول الشّاعر:

ليبک يزيد ضارع لخصومه و مختبط ممّا تطيح الطوايح

أى يبكيه ضارع، و قوله: طيّب النّفس، منصوب على الحال من فاعل أعطى، و قوله: غير طيّب النّفس، و جمله يرجو بها منصوبان لفظا و محلاـ أيضا على الحال و قوله: لا يخفى عليه ما العباد مقترفون، كلمه ما موصوله منصوبه محلا مفعول يخفى و ما بعدها صله لها و العايد محذوف أى مقترفون له.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مدار هذا الكلام الشّريف على فصول ثلاثه الفصل الاول فى الأمر بالصّلاه و الحثّ عليها و الفصل الثانى فى الترغيب فى الزّكاه و الالزام بها و الفصل الثالث فى التحضيض على أداء الأمانه و التّحذير من المعاصى.

اما الفصل الاول

فهو قوله (تعاهدوا أمر الصلاه) أى جدّدوا العهد بها و راقبوا عليها فى أوقاتها المخصوصه و لا تضيّعوها و لا تغفلوا عنها، لأنها عماد الدّين، و معراج المؤمنين، و قربان كلّ تقىّ و مؤمن نقىّ، و أوّل ما يحاسب به العبد إن قبلت قبل ما سواها و إن ردّت ردّ ما سواها.

و قد ذمّ اللّه أقواما توانوا عنها و استهانوا بأوقاتها فقال: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ » قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى روايه الخصال: يعنى أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها.

(وحافظوا عليها) أى على أوقاتها و رعايه آدابها و سننها و حدودها و مراسمها و شروطها و أركانها.

ص:۳۲۱

فلقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من ترك صلاته متعمّدا فقد هدم دينه.

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا تضيعوا صلاتكم فانّ من ضيع صلاته حشره اللّه تعالى مع قارون و فرعون و هامان لعنهم اللّه و أخزاهم و كان حقا على اللّه أن يدخله النار مع المنافقين فالويل لمن لم يحافظ على صلاته.

و قال أبو جعفر عليه السّلام إنّ الصلاه إذا ارتفعت فى أوّل وقتها رجعت إلى صاحبها و هى بيضاء مشرقه، تقول: حفظتنى حفظك اللّه و إذا ارتفعت فى غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها و هى سوداء مظلمه، تقول: ضيّعتنى ضيّعك اللّه.

و قد أمر اللّه عزّ و جل بمحافظتها فى الكتاب العزيز بقوله: «حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى وَ قُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ ».

قال أمين الاسلام الطبرسى: أى داوموا على الصلوات المكتوبات فى مواقيتها بتمام أركانها، ثمّ خص الوسطى تفخيما لشأنها فقال: و الصّلوه الوسطى و قال المحدّث العلّامه المجلسى: و يدلّ بناء على كون الأمر مطلقا أو خصوص أمر القرآن للوجوب على وجوب المحافظه على جميع الصّلوات إلاّ ما أخرجها الدليل، و ربما يستدلّ بها على وجوب صلاه الجمعه و العيدين و الايات، و لكن فى بعض الرّوايات أنّ المراد بها الصّلوات الخمس، و على تقدير العموم يمكن تعميمها بحيث يشمل النّوافل و التّطوّعات أيضا، فلا يكون الأمر على الوجوب، و يشمل رعايه السّنن فى الصلاه الواجبه أيضا كما يفهم من بعض الأخبار.

و خصّ الصلاه الوسطى بذلك بعد التعميم لشدّه الاهتمام بها لمزيد فضلها أو لكونها معرضه للضّياع من بينها فهى الوسطى بين الصلاه وقتا أو عددا او الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط.

و قد قال بتعيين كلّ من الصلوات الخمس قوم إلاّ أنّ أصحابنا لم يقولوا بغير الظهر و العصر كما يظهر من المنتهى و غيره.

فقال الشيخ فى الخلاف: إنّها الظهر و تبعه جماعه من أصحابنا و به قال زيد بن ثابت عايشه و عبد اللّه بن شداد، لأنّها بين صلاتين بالنّهار، و لأنّها فى وسط النّهار، و لأنّها تقع

ص:٣٢٢

فی شدّه الحرّ و الهاجره وقت شدّه تنازع الانسان إلی النّوم و الرّاحه فکانت أشقّ، و أفضل العبادات أحمزها، و أیضا الأمر بمحافظه ما کان أشقّ أنسب و أهمّ و لأنّها أوّل صلاه فرضت و لأنها فی الساعه الّتی یفتح فیها أبواب السماء فلا تغلق حتّی تصلّی الظهر و یستجاب فیها الدّعاء.

و روی الجمهور عن زید بن ثابت قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یصلّی الظهر بالهاجره و لم یکن یصلّی صلاه أشدّ علی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم منها فنزلت الایه.

و روی التّرمدی و أبو داود عن عایشه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قرء حافظوا علی الصلوات و الصلاه الوسطی و صلاه العصر.

قال فی المنتهی: و العطف یقتضی المغایره لا یقال: الواو زایده کما فی قوله تعالی «وَ لکِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ » لأنّا نقول: الزّیاده منافیه للأصل فلا یصار إلیه إلاّ لموجب و المثال الذی ذکروه نمنع زیاده الواو فیه بل هی للعطف علی بابها و قال فی مجمع البیان: کونها الظهر هو المرویّ عن الباقر و الصادق علیهما السّلام و روی فیه عن علیّ علیه السّلام أنّها الجمعه یوم الجمعه و الظهر فی سایر الأیام.

و قال السید المرتضی هی صلاه العصر و تبعه جماعه من أصحابنا، و به قال أبو هریره و أبو أیّوب و أبو سعید عبیده السلمانی و الحسن و الضّحاک و أبو حنیفه و أصحابه و أحمد و نقله الجمهور عن علیّ علیه السّلام قالوا لأنّها بین صلاتی لیل و صلاتی نهار.

و احتجّ السید ره باجماع الشیعه.

و المخالفون بما رووا عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال یوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاه الوسطی صلاه العصر ملأ اللّه بیوتهم و قبورهم نارا.

و فی الوسائل بعد روایه الأخبار الدّالّه علی أنّها الظهر قال: و تقدّم ما یشعر بأنها العصر، و هو محمول علی التّقیه فی الرّوایه.

و قیل: إنّها إحدی الصلوات الخمس لم یعیّنها اللّه و أخفاها فی جمله الصلوات

المکتوبه لیحافظوا علی جمیعها کما أخفی لیله القدر فی لیالی شهر رمضان، و اسمه الأعظم فی جمیع الأسماء، و ساعه الاجابه فی ساعات الجمعه لئلا یتطرّق التّشاغل بغیرها بل یهتمّ غایه الاهتمام بالکلّ فیدرک کمال الفضل.

(و استکثروا منها) فانّها خیر موضوع فمن شاء أقلّ و من شاء أکثر.

روی فی البحار من البصایر عن محمّد بن الحسین عن عبد الرّحمن بن أبی هاشم ابن العتبه العابده قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام و ذکر عنده الصلاه فقال: إنّ فی کتاب علیّ علیه السّلام الذی إملا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنّ اللّه لا یعذّب علی کثره الصلاه و الصیام و لکن یزیده جزاء «خیرا خ» و فی الوسایل عن الشیخ باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبی جعفر علیه السّلام قال:

أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رجل فقال: ادع اللّه أن یدخلنی الجنّه فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أعنّی بکثره السّجود.

و فیه عن الصدوق باسناده عن أبی جعفر العطار قال: سمعت الصادق جعفر ابن محمّد علیهما السّلام یقول: جاء رجل إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال: یا رسول اللّه کثرت ذنوبی و ضعف عملی، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أکثر السّجود فانّه یحطّ الذنوب کما تحتّ الرّیح ورق الشجر.

(و تقرّبوا بها) إلی اللّه سبحانه فانّها قربان کلّ تقیّ.

کما رواه فی البحار من العیون باسناده عن محمّد بن الفضیل عن الرّضا علیه السّلام قال: الصلاه قربان کلّ تقیّ.

و فیه من ثواب الأعمال باسناده عن موسی بن بکر عن أبی الحسن علیه السّلام قال:

صلاه النّوافل قربان کلّ مؤمن.

بل هی أفضل ما یتقرّب به إلیه تعالی.

کما یدلّ علیه ما رواه فی الکافی باسناده عن معاویه بن وهب قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن أفضل ما یتقرّب به العباد إلی ربّهم فقال: ما أعلم شیئا بعد المعرفه أفضل من هذه الصلاه، ألا تری أنّ العبد الصالح عیسی بن مریم علیهما السّلام قال: و أوصانی

بالصلاه و الزّكوه ما دمت حيّا، هذا.

و لمّا أمر بتعاهدها و محافظتها و التّقرّب بها عقّب عليه السّلام ذلك و علّله بوجوه مرغبه.

أحدها قوله(فانّها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)اقتباس من الايه الشريفه فى سوره النساء.

قال فى مجمع البيان: اختلف فى تأويله فقيل: إنّ الصلاه كانت على المؤمنين واجبه مفروضه و هو المرویّ عن الباقر و الصادق عليهما السّلام، و قيل: معناه فرضا موقوتا أى منجما تؤدّونها فى أنجمها.

و فى الكافى باسناده عن داود بن فرقد قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: قوله تعالى «إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً » قال: كتابا ثابتا و ليس إن عجّلت قليلا أو أخّرت قليلا بالذى يضرّك ما لم تضيّع تلك الاضاعه فانّ اللّه عزّ و جلّ يقول لقوم «أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ».

و فيه عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام فى هذه الايه أى كتابا موجوبا «موجبا خ ل» هذا و تخصيص المؤمنين بالذكر فى الايه الشريفه لتحريصهم و ترغيبهم على حفظها و حفظ أوقاتها حالتى الأمن و الخوف و مراعاه جميع حدودها فى حال الأمن و ايماء بأنّ ذلك من مقتضى الايمان و شعار أهله فلا يجوز أن تفوتهم و إنّ التّساهل فيها يخلّ بالايمان و انّهم هم المنتفعون بها لعدم صحّتها من غيرهم.

الثانى قوله (ألا تسمعون إلى جواب أهل النار) و الاستفهام للتقرير بما بعد النّفى أو للتوبيخ و التقريع، و الغرض منه تنبيه المخاطبين على أنّ ترك الصلاه يوجب دخول النار و سخط الجبار ليتحرزوا من تركها و يحافظوا عليها.

و ذلك انّ أهل النار (حين سئلوا) أى سألهم أهل الجنّه على ما حكى اللّه عنهم فى سوره المدّثر بقوله: «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاّ أَصْحابَ الْيَمِينِ فِي جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ »

ص:٣٢٥

«وَ لَمْ نَکُ نُطْعِمُ الْمِسْکِینَ وَ کُنّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِینَ وَ کُنّا نُکَذِّبُ بِیَوْمِ الدِّینِ حَتّی أَتانَا الْیَقِینُ ».

قال أمین الاسلام الطبرسی فی تفسیر الایه: کلّ نفس بما کسبت رهینه أی محبوسه بعملها مطالبه بما کسبته من طاعه أو معصیه، ثمّ استثنی سبحانه أصحاب الیمین وهم الذین یعطون کتبهم بأیمانهم و قال الباقر علیه السّلام نحن و شیعتنا أصحاب الیمین.

فی جنّات یتساءلون، أی یسأل بعضهم بعضا و قیل: یسألون عن المجرمین أی عن حالهم و عن ذنوبهم الّتی استحقوا بها النار.

ما سلککم فی سقر، هذا سؤال توبیخ أی تطلع أهل الجنّه علی أهل النار فیقولون: ما أوقعکم فی النار.

قالوا لم نک من المصلّین، أی کنا لا نصلّی الصلاه المکتوبه علی ما قرّرها الشرع، و فی هذا دلاله علی أنّ الاخلال بالواجب یستحقّ به الذّم و العقاب، لأنهم علّقوا استحقاقهم العقاب بالاخلال بالصلاه، و فیه دلاله أیضا علی أنّ الکفار مخاطبون بالعبادات الشرعیّه، لأنه حکایه عن الکفار بدلیل قوله: و کنا نکذّب بیوم الدّین.

و قوله: و لم نک نطعم المسکین، معناه لم نک نخرج الزّکوات الّتی کانت واجبه علینا، و الکفارات التی وجب دفعها إلی المساکین، و هم الفقراء.

و کنّا نخوض مع الخائضین أی کلّما غوی غاو بالدّخول فی الباطل غوینا معه و المعنی کنا نلوث أنفسنا فی المرور بالباطل کتلویث الرّجل بالخوض، فهؤلاء لما کانوا یجرون مع من یکذّب بالحقّ مشیعین لهم فی القول کانوا خائضین معهم.

و کنا نکذّب بیوم الدّین، مع ذلک أی نجحد یوم الجزاء و هو یوم القیامه.

حتّی أتینا الیقین، أی أتانا الموت علی هذه الحاله، و قیل: حتّی جاءنا علم الیقین من ذلک بأن عاینّاه، هذا.

و فی الصافی عن الکافی عن الصادق علیه السّلام فی قوله: لم نک من المصلّین،

قال علیه السّلام: لم نک من أتباع الأئمه الذین قال اللّه فیهم: و السابقون السابقون اولئک المقرّبون، أما ترى الناس یسمّون الذى یلى السابق فى الحلبه مصلّیا، فذلک الذى عنى حیث قال: لم نک من المصلّین أى لم نک من أتباع السابقین.

و عن الکاظم علیه السّلام یعنى أنا لم نتولّ وصىّ محمّد و الأوصیاء من بعده و لم نصلّ علیهم، و هذان لا ینافیان التفسیر المتقدّم لأنّ المتقدّم تنزیلها و هذا تأویلها.

(و) الثالث(انها لتحتّ الذّنوب حتّ الورق)أى تسقطها من الرّقاب سقوط الأوراق من الأشجار.

کما وقع التّصریح به فى روایه الوسایل من مجالس ابن الشّیخ باسناده عن سلمان الفارسى قال: کنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله فى ظلّ شجره فأخذ غصنا منها فنفضه فتساقط ورقه فقال: ألا تسألونى عمّا صنعت؟ فقالوا: أخبرنا یا رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم فقال: إنّ العبد المسلم إذا قام إلى الصلاه تحاطت خطایاه کما تحاطت ورق هذه الشجره، هذا.

و التشبیه فى کلامه علیه السّلام من قبیل تشبیه المعقول بالمحسوس، و کذلک فى قوله:

(و تطلقها إطلاق الرّبق) و الکلام على القلب و المراد أنّها تطلق أعناق النفوس أى تفکّها من أغلال الذّنوب إطلاق أعناق البهایم من الأرباق.

و لمّا ذکر إسقاطها للذّنوب أیّده بقوله(و شبّهها رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله بالحمه تکون على باب الرّجل)و أشار إلى وجه الشّبه بقوله(فهو یغتسل منها)و یطهر جسده من الأوساخ(فى الیوم و اللّیله خمس مرّات فما عسى أن یبقى علیه)شىء (من الدّرن)و کذلک من صلّى الصلوات الخمس لا یبقى علیه شىء من الذّنوب.

و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و التاسعه روایه متن الحدیث النّبوى من الفقیه عن الصادق علیه السّلام قال: قال النّبى صلّى اللّه علیه و آله و سلّم إنّما مثل الصلاه فیکم کمثل السرى و هو النهر على باب أحدکم یخرج إلیه فى الیوم و اللّیله یغتسل منه خمس مرّات فلم یبق الدرن على الغسل خمس مرّات، و لم یبق الذنوب على الصلاه خمس مرّات.

ص:۳۲۷

و الرابع ما أشار إليه بقوله (و قد عرف حقّها) و قدرها (رجال من المؤمنين) و هو عليه السّلام رئيسهم و سيّدهم و أفضلهم حسبما تطلع عليه فى الأخبار الاتيه و هم (الذين لا تشغلهم عنها زينه متاع و لا قرّه عين من ولد و لا مال) لعلمهم بأنّ المال و البنين زينه الحياه الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربهم ثوابا و خير أملا.

(يقول اللّه سبحانه) فى وصفهم فى سوره النّور: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ » من عطف الخاص على العام لشمول التجاره ساير أنواع المكاسب («عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ ») يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب و الأبصار.

قال فى مجمع البيان: روى مرفوعا أنّه سئل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما قرء الايه أىّ بيوت هذه؟ فقال: بيوتات الأنبياء، فقام أبو بكر فقال: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هذا البيت منها لبيت علىّ و فاطمه، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: نعم من أفاضلها.

و المراد بالرّفع التعظيم و رفع القدر من الأرجاس و التطهير من المعاصى، و يذكر فيها اسمه أى يتلى فيها كتابه يسبّح له فيها بالغدوّ و الاصال أى يصلّى فيها بالبكر و العشايا، رجال لا تلهيهم، أى لا تشغلهم و لا تصرفهم، تجاره و لا بيع عن ذكر اللّه و إقام الصلاه، أى إقامه الصّلاه و ايتاء الزكاه أى إخلاص الطاعه للّه و قيل يريد الزكاه المفروضه.

و روى فى كتاب غايه المرام من تفسير مجاهد و الى يوسف يعقوب بن سفين «كذا» قال ابن عبّاس فى قوله تعالى: «وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَ تَرَكُوكَ قائِماً » إنّ دحيه الكلبى جاء يوم الجمعه من الشّام بالمسيره فنزل عند أحجار الزّيت ثمّ ضرب بالطبول ليأذن بقدومه و مضوا النّاس اليه إلاّ علىّ و الحسن و الحسين و فاطمه و سلمان و أبو ذر و المقداد و صهيب و تركوا النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائما يخطب على المنبر، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لقد نظر اللّه يوم الجمعه إلى مسجدى فلو لا هؤلاء الثمّانيه الّذين جلسوا فى مسجدى لاضطرمت المدينه على أهلها نارا و حصبوا بالحجاره كقوم لوط، فنزل فيهم: رجال لا تلهيهم تجاره و لا بيع.

و فيه عن محمّد بن العباس عن محمّد بن همّام عن محمّد بن إسماعيل عن عيسى بن

داود قال: حدّثنا الامام موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ » الايه قال: بيوت آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بيت علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين و حمزه و جعفر عليهم السّلام، قلت: بالغدوّ و الاصال، قال: الصّلاه فى أوقاتها، قال: ثمّ وصفهم اللّه عزّ و جل: «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ »، قال: هم الرّجال لم يخلط اللّه معهم غيرهم، ثمّ قال: «لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ »، قال:

ما اختصّهم به من المودّه و الطّاعه المفروضه و صيّر مأواهم الجنّه و اللّه يرزق من يشاء بغير حساب.

(و) ال خامس انّ فى المحافظه على الصلاه أسوه بالنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلقد (كان رسول اللّه نصبا بالصلاه) أى تعبا بها كلّ التعب.

حتى روى انّه كان يصلّى اللّيل كلّه و يعلّق صدره بحبل حتّى لا يغلبه النّوم فعاتبه اللّه على ذلك و أنزل عليه «طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى » و أمره بأن يخفّف على نفسه و ذكر أنّه ما أنزل عليه الوحى ليتعب كلّ هذا التّعب.

روى فى الصافى من الاحتجاج عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام قال: لقد قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه و اصفرّ وجهه يقوم اللّيل أجمع حتّى عوتب فى ذلك فقال اللّه عزّ و جلّ «طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى » بل لتسعد.

قيل: الشقاء شايع بمعنى التّعب و منه أشقى من رايض المهر و سيّد القوم أشقاهم، و لعلّه عدل اليه للاشعار بأنّه انزل إليه ليسعد.

و قوله (بعد التبشير له بالجنّه) إشاره إلى أنّه لم يكن مواظبته على الصّلاه شوقا إلى الجنّه و لا خوفا من النّار بل قد كان نصبا بها مع وجود تلك البشاره متحملا كلّ التعب امتثالا (لقول اللّه سبحانه) و أمره له بالصبر عليها فى سوره طه حيث قال:(۱)

۱- (۱) رضت الدابه رياضا ذللتها فالفاعل رائض، مصباح اللغه.

«وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاهِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسْئَلُکَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُکَ وَ الْعاقِبَهُ لِلتَّقْوی ».

قال فی مجمع البيان: معناه و أمر يا محمّد أهل بيتک و أهل دينک بالصلاه و اصبر علی فعلها، و فی الصافی و داوم عليها، لا نسألک أن ترزق نفسک و لا أهلک، بل كلّفناک العباده و أداء الرّساله و ضمنا رزق الجميع، نحن نرزقک و إيّاهم ففرّغ بالک للاخره، و العاقبه المحموده لذوی التقوی.

قال فی مجمع البيان روی أبو سعيد الخدری قال: لمّا نزلت هذه الايه كان رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله يأتی باب فاطمه و علیّ تسعه أشهر عند كلّ صلاه فيقول: الصلاه رحمكم اللّه «إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ».

قال و قال أبو جعفر عليه السّلام أمره اللّه أن يخصّ أهله دون النّاس ليعلم النّاس أنّ لأهله عند اللّه منزله ليست للنّاس، فأمرهم مع النّاس عامّه ثمّ أمرهم خاصّه.

و فی الصافی من العيون عن الرّضا عليه السّلام فی هذه الايه قال: خصّنا اللّه هذه الخصوصيّه إذ أمرنا مع الامّه باقامه الصّلاه ثمّ خصّنا من دون الامّه فكان رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم يجیء إلی باب علیّ و فاطمه بعد نزول هذه الايه تسعه أشهر كلّ يوم عند حضور كلّ صلاه خمس مرّات فيقول: الصّلاه رحمكم اللّه و ما أكرم اللّه أحدا من ذراری الأنبياء بمثل هذه الكرامه الّتی أكرمنا بها و خصّنا من دون جميع أهل بيتهم.

(فكان) صلّی اللّه عليه و آله و سلّم (يأمر) بها (أهله و يصبّر عليها نفسه) أی يأمر نفسه بالصبر و التحمّل علی تعبها، هذا.

و قد تقدّم فی شرح الخطبه المأه و التاسعه تفصيل الكلام فی فضل الصّلاه و آدابها و أسرارها و عقاب تاركها. فليراجع هناک.

و أما الفصل الثانی

فقد أشار اليه بقوله (ثمّ إنّ الزكاه جعلت مع الصّلاه قربانا لأهل الاسلام)

ص:٣٣٠

يعنى كما جعل اللّه سبحانه الصّلاه قربانا للمسلمين يتقرّبون بها إليه تعالى، جعل الزكاه أيضا قربانا لهم مثلها.

و يـدلّ على ذلك أنّه سبحانه عقّب الأمر باقام الصّلاه فى أكثر آيات كتابه العزيز بالأمر بايتاء الزّكاه، فجعل الزكاه تالى الصّلاه فى المطلوبيّه.

و يشهد به أيضا ما فى الوسايل عن الصّدوق باسناده عن المجاشعى عن الرّضا عليه السّلام عن آبائه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: بنى الاسلام على خمس خصال:

على الشّهادتين، و القرينتين، قيل له: أمّا الشهادتان فقد عرفناهما، فما القرينتان؟ قال: الصّلاه و الزّكاه، فانّه لا يقبل إحداهما إلاّ بالاخرى، و الصيام و حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا، و ختم ذلك بالولايه.

و قد مضى الكلام فى فضلها و عقوبه تاركها و أقسامها فى شرح الخطبه المأه و التاسعه بما لا مزيد عليه فليراجع ثمّه.

و لما ذكر كونها قربانا لأهل الاسلام نبّه على شرط قربانيّتها و هو كون اتيانها عن وجه الخلوص و طيب النفس، و سرّ ذلك ما قدّمناه فى شرح الخطبه الّتى أشرنا اليه، و محصّل ما قدّمناه أنّ الاسلام موقوف على توحيد الربّ عزّ و جلّ و كمال توحيده عباره عن الاخلاص له، و معنى الاخلاص إفراده بالمعبوديّه و المحبوبيّه و اخلاء القلب عن محبّه ما سواه فلا يجتمع محبه المال مع محبّته تعالى.

(ف) علم من ذلك أنّ (من أعطاها طيّب النفس بها) حبّا له تعالى و امتثالا لأمره و ابتغاء لمرضاته و تقرّبا إليه عزّ و جلّ (فانها) حينئذ تق رّبه إليه و توجب حبّه تعالى له و القرب و الزّلفى لديه و (تجعل له) من الذّنوب (كفاره و من النار حجازا و وقايه) أى حاجزا مانعا من النار و وقايه من غضب الجبار.

كما يشهد به ما رواه فى الفقيه عن الصادق عليه السّلام قال: خياركم سمحاؤكم و شراركم بخلاؤكم، و من خالص الايمان البرّ بالاخوان، و السعى فى حوائجهم، و انّ البارّ بالاخوان ليحبّه الرّحمن، و فى ذلك مرغمه للشيطان، و تزحزح عن النيران

و دخول الجنان ثمّ قال علیه السّلام لجمیل: یا جمیل أخبر بهذا غرر(۱) أصحابک، قلت:

جعلت فداک من غرر أصحابی؟ قال: هم البارّون بالاخوان فی العسر و الیسر، ثمّ قال: یا جمیل اعلم أنّ صاحب الکثیر یهوّن علیه ذلک و إنما مدح اللّه فی ذلک صاحب القلیل فقال فی کتابه «وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ».

و بعد ذلک (ف) اللّازم أن (لا یتبعنها أحد) من المعطین لها (نفسه و لا یکثرنّ علیها لهفه) و تحسّره، لأنّ اتباع النّفس و إکثار اللّهف کاشف عن محبّته لها و هو ینافی محبّته تعالی فکیف یتقرّب باعطائها إلیه و یبتغی القرب و الزّلفی لدیه (فانّ من أعطاها) علی وجه الاکراه (غیر طیّب النّفس بها) و الحال أنّه (یرجو) و یتوقّع (بها ما هو أفضل منها) من رضوان اللّه تعالی و الخلد فی جنانه (فهو) کاذب فی دعوی المحبّه (جاهل بالسّنه) لأنّ السّنه فی أدائها أن یکون بطیب النفس، و لذلک مدح اللّه الباذلین للمال کذلک بقوله «وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ » و قوله «وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلی حُبِّهِ مِسْکِیناً وَ یَتِیماً وَ أَسِیراً إِنَّما نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لا نُرِیدُ مِنْکُمْ جَزاءً وَ لا شُکُوراً ».

(مغبون الأجر) لأنّ الأجر مترتّب علی العمل، فاذا کان العمل لا علی وجه الرّضا یکون الجزاء المترتّب علیه کذلک، و من هنا قیل: کما تدین تدان، و قد قال سبحانه «وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوالِ النّاسِ فَلا یَرْبُوا عِنْدَ اللّهِ وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ زَکاهٍ تُرِیدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ».

(ضالّ العمل) حیث أتا به علی غیر الوجه المطلوب شرعا (طویل النّدم) فی الاخره علی ما فوّته علی نفسه من الأجر الجزیل و الجزاء الجمیل

۱- (۱) - رجل أغرّ، أی شریف و غرّه القوم سیدهم، م

و اما الفصل الثالث

اشاره

فهو ما أشار إليه بقوله (ثمّ أداء الامانه) الّتى جعل اللّه المحافظه عليها من وصف المؤمنين الموصوفين فى قوله «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ » إلى قوله «وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ » و الأخبار فى فضلها بالغه حدّ الاستفاضه.

منها ما فى البحار من الكافى عن الحسين بن أبى العلا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

إنّ اللّه عزّ و جلّ لم يبعث نبيّا إلاّ بصدق الحديث و أداء الامانه إلى البرّ و الفاجر.

و من قرب الاسناد عن ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه عليه السّلام قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: الأمانه تجلب الغنى و الخيانه تجلب الفقر.

و من الامالى عن عمر بن يزيد قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول: اتّقوا اللّه و عليكم بأداء الأمانه إلى من ائتمنكم. فلو أنّ قاتل أمير المؤمنين ائتمننى على أمانه لأدّيتها إليه.

و عن الثمالى عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: سمعته عليه السّلام يقول لشيعته: عليكم بأداء الأمانه فو الذى بعث محمّدا بالحقّ نبيّا لو أنّ قاتل أبى الحسين بن علىّ عليهما السّلام ائمننى على السيف الذى قتله به لأدّيته إليه.

و عن أحمد بن محمّد الهمدانى عن أبى جعفر الثّانى عن آبائه عليهم السّلام عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: لا تنظروا إلى كثره صلاتهم و صومهم و كثره الحجّ و المعروف و طنطنتهم باللّيل، و لكن انظروا إلى صدق الحديث و أداء الأمانه.

و عن الحسين بن أبى العلا عن الصادق عليه السّلام قال: سمعته يقول: أحبّ العباد إلى اللّه عزّ و جلّ رجل صدوق فى حديثه محافظ على صلاته و ما افترض اللّه عليه مع أداء الأمانه، ثمّ قال عليه السّلام: من اؤتمن على أمانه فأدّاها فقد حلّ ألف عقده من عنقه من عقد النّار، فبادروا بأداء الأمانه، فانّ من اؤتمن على أمانه وكّل به إبليس مأئه شيطان من مرده أعوانه ليضلّوه و يوسوسوا إليه حتّى يهلكوه إلاّ من عصم اللّه عزّ و جلّ.

ص:۳۳۳

(فقـد) علم من ذلـك أنّه (خـاب من ليس من أهلهـا) أى خسـر فى الـدنيا و فى الاـخره من لم يكن من أهلهـا، بل كان من أهل الخيانه، فانّ الخيانه حسبما عرفت تجلب الفقر فى الدّنيا و النار فى العقبى و خسر أهلها خسرانا عظيما.

و ان شئت أن تعرف عظم الخطب و مزيد ثقل التّكليف فيها فاستمع لما يتلى عليك من قوله:

(إنّهـا عرضت على السّـماوات المبنيّه و الأرضـين المـدحوّه) المبسـوطه على المـاء (و الجبـال) الرّاسـيات (ذات الطول المنصوبه) المرفوعه على الأـرض و لكنّهـا مع أنّهـا أعظم ما خلق اللّه عزّ و جلّ فى الكون (فلا أطول و لا أعرض و لا أعلى و لا أعظم منها) امتنعن من حمـل هـذا التكليف، أى تكليف الأمـانه و أبين أن يحملنهـا لثقلهـا و صـعوبتها لا للعظمه و الاسـتكبار عن الطاعه، بل للخوف و الاشفاق من المعصيه.

(و لو امتنع شـىء بطول أو عرض أو قوّه أو عزّ لامتنعن) بل كنّ أولى بالامتناع بما لهنّ من أوصاف العظمه التى ليست فى غيرهنّ (و لكن أشـفقن من العقوبه و غفلن ما جهل من هو أضعف منهن و هو الانسان) فحملها مع ما به من الضعف و النقصان (انّه كان ظلومـا جهولاـ) قـال الشارح البحرانى: و ذكر كون السـماوات مبنيّه و الأرض مـدحوّه و الجبال بطولها و عرضـها و عظمتها، تنبيه للانسان على جرئته على المعاصـى و تضـييع هـذه الأمانه إذا هى لها و حملها و تعجب منه فى ذلك، فكأنّه يقول: إذا كانت هذه الأجرام العلويه التى لا أعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الأمانه حين عرضت عليها فكيف حملها من هو أضعف منها.

أقول: تحقيق هذا المقام يحتاج إلى بسط الكلام.

قـال اللّه تعـالى فى سوره الأحزاب «إِنّا عَرَضْـنَا الْأَمانَهَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْـفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً ».

و قد اختلف أقوال المفسّرين كالأخبار فى تفسير هذه الايه فى مواضع:

أنّ المراد بالأمانه المعروضه ما ذا؟ فقيل: هی ما أمر اللّه به من طاعته و نهی عنه من معصيته، و بعباره اخرى هی التكاليف و الأحكام الشرعيّه المطلوبه من الانسان، فانّ اللّه سبحانه لما اقتضت عنايته لايجاد هذه العباده المخصوصه، و أن يجعل فی الأرض خليفه لعمارتها، خلق الانسان و جعله واسطه بين الملک و الحيوان. فهو كالحيوان فی الشهوه و الغضب و التناسل و ساير القوى البدنيّه المخصوصه بالحيوان، و كالملک فی العقل و العلم و العباده و ساير الكمالات النفسانيّه، فلو كان خاليا من العقل و الفهم لم يتأهل لمعرفته و عبادته الخاصه كساير أصناف الحيوان، و لو كان خاليا عن الشهوه و الغضب مثل الملک لم يصلح لعماره الأرض و خلافته. و لذلک قال اللّه للملائكه «إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ » فاذا هذه العباده الخاصه لا يصلح لها إلاّ الانسان، و هی المراد بالامانه فی الايه.

و يؤيد هذا القول ما فی الصافی من العوالی أنّ عليّا عليه السّلام إذا حضر وقت الصّلاه يتململ و يتزلزل و يتلوّن فيقال له: ما لک يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الصلاه وقت أمانه عرضها اللّه على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها.

و قيل: هی أمانات الناس و الوفاء بالعهود.

و يؤيده ما فی البحار من مشكاه الأنوار نقلا من كتاب المحاسن قال: و سئل أبو عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ «إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ » الايه ما الذی عرض عليهنّ؟ و ما الذی حمل الانسان؟ و ما كان هذا؟ قال: فقال: عرض عليهنّ الأمانه بين الناس و ذلک حين خلق الخلق.

و عن بعض أصحابه رفعه قال: قال لابنه يا بنیّ أدّ الأمانه يسلم لک دنياک و آخرتک و كن أمينا تكن غنيّا.

و قيل: إنّ المراد بها الامامه قال فی تفسير القمّی: الأمانه هی الامامه

ص:۳۳۵

و الأمر و النّهى، و الدليل على أنّ الأمانه هى الامامه قول اللّه عزّ و جلّ للائمّه «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها » يعنى الامامه، فالأمانه هى الامامه عرضت على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها أن يدّعوها أو يغصبوها أهلها و أشفقن منها، و حملها الانسان، يعنى الأوّل إنّه كان ظلوما جهولا، انتهى.

و يدل على ذلك أخبار كثيره مثل ما فى البحار من كنز الفوايد عن إسحاق ابن عمّار عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى هذه الايه، قال: يعنى ولايه أمير المؤمنين.

و من جامع الأخبار و العيون عن الحسين بن خالد قال: سألت الرّضا عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ «إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ » الايه قال: الأمانه الولايه من ادّعاها بغير حقّ فقد كفر.

و من جامع الأخبار عن أبى بصير قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ «إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ » الايه قال: الامانه الولايه و الانسان أبو الشرور المنافق.

و من البصاير عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه تبارك و تعالى «إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ » قال: الولايه أبين أن يحملنها كفرا بها، و حملها الانسان، و الانسان الذى حملها أبو فلان. إلى غير هذه مما لا نطيل بروايتها.

قال المحدّث العلامه المجلسىّ بعد روايه هذه الرّوايات: على تأويلهم عليهم السّلام يكون اللام فى الانسان للعهد و هو أبو الشرور أى أبو بكر أو للجنس و مصداقه الأوّل فى هذا الباب أبو بكر، و المراد بالحمل الخيانه، و المراد بالولايه الخلافه و ادعائها بغير حقّ، فعرض ذلك على أهل السّماوات و الأرض أو عليهما بأن يبيّن لهم عقوبه ذلك و قيل لهم: هل تحملون ذلك، فأبوا إلّا هذا المنافق و أضرابه حيث حملوا ذلك مع ما بيّن لهم من العقاب المترتّب عليه

الثانى

اختلفوا فى المراد بعرض الأمانه على السّماوات و الأرض.

ص:۳۳۶

فقيل: إنّ المراد به عرضـها على نفس الأرض و السّماء و إنّه تعالى لمّا خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما و قال: إنّى فرضت فريضه و خلقت جنّه لمن أطاعنى و نـارا لمن عصـانى: فقلن: نحن مسـخّرات لأـمرک لا نحتمل فريضه و لا نبتغى ثوابا و لا عقابا، و لمّا خلق آدم عرض عليه مثل ذلک فحمله و کان ظلوما لنفسه بتحمّلها ما يشقّ عليها، جهولا لو خامه عاقبته.

و هذا القول أعنى عرضـها على نفس السّماوات و الأرض مروىّ عن ابن عبّاس و يدلّ عليه ظاهر کلام أمير المؤمنين عليه السّلام فى المتن حيث قال: و عقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ.

و يشـهد به أيضا ما رواه فى البحار و غايه المرام من مناقب أبى بکر الشيرازى فى نزول القرآن فى شأن علىّ عليه السّلام بالاسناد عن مقاتل عن محمّد بن حنفيّه عن أمير المؤمنين فى قوله «إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ » عرض اللّه أمانتى على السـماوات السـبع بالثواب و العقـاب فقلن ربنـا لا نحملنها بالثواب و العقاب و لکنا نحملها بلا ثواب و لا عقاب، و انّ اللّه عرض أمانتى و ولايتى على الطيور، فأوّل من آمن بها البزاه البيض و القنابر و أوّل من جحـدها البوم و العنقا، فلعنهما اللّه تعالى من بين الطيور، فأما اليوم فلا تقدر أن تظهر بالنهـار لبغض الطير لها، و أما العنقا فغابت فى البحار و إنّ اللّه عرض أمانتى على الأرضـين فکلّ بقعه آمنت بولايتى جعلها طيبه زکيه و جعـل نباتهـا و ثمرتهـا حلوا عـذبا و جعـل ماءها زلالا، و کلّ بقعه جحـدت إمامتى و أنکرت ولايتى جعلها سـبخا و جعل نباتها مرّا علقما، و جعل ثمرها العوسج و الحنظل، و جعل ماءها ملحا اجاجا ثمّ قال: و حملها الانسان، يعنى امتک يا محمّد ولايه أمير المؤمنين و امامته بما فيها من الثواب و العقاب، إنه کان ظلوما لنفسه جهولا لأمر ربّه، من لم يؤدّها بحقّها ظلوم غشوم.

و محصّل هذا القول أنّ المراد بالأمانه التکليف بالعبوديّه على وجهها و التقرّب بها إلى اللّه سـبحانه کما ينبغى لکلّ عبد بحسـب استعداده لها، و أعظمها الولايه و الخلافه الالهيّه، ثمّ تسليم من لم يکن من أهلها لأهلها و عدم ادّعاء منزلتها لنفسه، ثمّ ساير

التكاليف الشرعيه، و المراد بعرضها على السماوات و الأرض و الجبال اعتبارها بالاضافه إلى استعدادهنّ و بابائهنّ الاباء الطبيعى الذى هو عباره عن عدم اللّياقه و الاستعداد، و بحمل الانسان قابليّته و استعداده لها و تحمّله إياها و كونه ظلوما جهولا، تقصيره فى أدائها لما غلب عليه من القوّه الشهويّه و الغضبيه.

و قيل: إنّ المراد العرض على أهلها فحذف المضاف و اقيم المضاف اليه مقامه، و عرضها عليهم هو تعريفها إياهم انّ فى تضييع الامانه الاثم العظيم، و كذلك فى ترك أوامر اللّه و احكامه، فبيّن سبحانه جرءه الانسان على المعاصى و اشفاق الملائكه من ذلك، فيكون المعنى عرضنا الأمانه على أهل السماوات و الأرض و الجبال من الملائكه و الجنّ و الانس فابى أهلهنّ أن يحملوا تركها و عقابها و الماثم فيها و أشفقن أهلها من حملها، و حملها الانسان إنه كان ظلوما لنفسه بارتكاب المعاصى، جهولا بموضع الامانه فى استحقاق العقاب على الخيانه فيها.

و قيل: إنه على وجه التقدير الّا أنه جرى عليه لفظ الواقع، لأنّ الواقع أبلغ من المقدّر، و المعنى انه لو كانت السماوات و الأرض و الجبال عاقله ثمّ عرضت عليها الأمانه و هى وظايف الدّين اصولا و فروعا و بما فيها من الوعد و الوعيد، لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها و شدّتها و قوّتها و لامتنعت من حملها خوفا من القصور عن أداء حقّها، ثمّ حملها الانسان مع ضعف جسمه و لم يخف الوعيد لظلمه و جهله.

الثالث

قوله: و حملها الانسان.

المراد بالانسان إمّا نوع الانسان أى بنو آدم، أو خصوص امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فالمراد بحملهم لها قبولهم للاتيان بما كلّف عليهم من الطاعات و العبادات و التسليم لامامه أئمه الدين، و كونه ظلوما جهولا لعدم خروجهم عن عهده التكليف و عدم وفائهم بما حملوه من طاعه الأئمّه و تقصيرهم فى أداء الأمانه، و هو وصف للجنس باعتبار أغلب أفراده إذ الأنبياء و الأولياء و المؤمنون القائمون بوظايف العبوديّه الرّاعون

ص:۳۳۸

لعهد الامامه خارجون من عموم الايه قطعا.

و إمّا خصوص فرد منه و هو أبو بكر حسبما تقدّم فى الأخبار، و عليه فالمراد بحمله للامانه أى الخلافه ادّعائه لها لنفسه من غير استحقاق و أهليّه، و بعباره اخرى خيانته و تقصيره فيها و ظلمه على من كان مستحقّا به و جهله بمرتبه نفسه حيث وضعها موضعا ليس له.

و قيل: إنّ المراد بالانسان هو آدم عليه السّلام، و اعترض عليه فى مجمع البيان بقوله و لا يجوز أن يكون الانسان محمولا على آدم لقوله «إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ » فكيف يكون من اصطفاه اللّه من بين خلقه موصوفا بالظلم و الجهل.

هذا تفصيل ما قيل أو يقال فى تفسير الايه الشريفه، و قد ظهر منه اختلافهم فى المراد بالأمانه المذكوره فيها على أقوال.

و أمّا فى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فالظاهر أنّ المراد بها خصوص الأمانه المعهوده بين الخلق حسبما عرفتها فى الأخبار المتقدّمه، و انّما قلنا: إنّ الظاهر ذلك، لاشعار تقديم ذكر الصلاه و الزكاه عليها على عدم كون المراد بها مطلق التكاليف الشرعيّه، بل التكليف المخصوص الّذى فى عداد الصّلاه و الزكاه القسيم لهما.

لكن الأظهر بمقتضى الحال و المقام، و أنّ وصيّته بهذا الكلام إلى أصحابه كان فى مقام الحرب مع النّاكثين و القاسطين و المارقين حسبما تعرفه فى التكمله الاتيه هو: أنّ المراد بها الامامه و الولايه، فيكون غرضه بقوله: ثمّ أداء الأمانه فقد خاب من ليس من أهلها آه الطعن و التعريض على المعارضين له و الجاحدين لولايته و النّاصبين له العداوه من معاويه و طلحه و الزّبير و أتباعهم و أهل النهر و أمثالهم بكونهم خائبين خاسرين، لعدم كونهم أهلا للامانه أى الخلافه و الولايه، و بأنّهم حملوا و ادّعوا ما أبت السماوات و الأرض و الجبال على كبر أجرامهما من حملها و ادّعائها، و أشفقن من ذلك، و بأنّهم كانوا متّصفين بالظّلم و الجهل حيث ظلموه عليه السّلام حقّه و جهلوا بشأنه و مقامه.

و كيف كان فلمّا أمر و أوصى أصحابه بالصّلاه و الزّكاه و أداء الأمانه، و شدّد

الترغيب فيها و التحذير من مخالفتها بكون الخائن أو المقصّر ظلوما جهولا، عقّبه بالتّنبيه على أنّ كلّ ما يفعله العباد من خير أو شرّ بعين اللّه الّتى لا تنام و علمه الّذى لا تخفى عليه خافيه لتأكيد تحضيض المخاطبين بمواظبه هذه العبادات الثلاث و ساير الحسنات و تحذيرهم من مخالفتها فقال:

(إنّ اللّه سبحانه لا يخفى عليه) و لا يعزب عن علمه (ما العباد مقترفون) أى مكتسبون له من خير أو شرّ حسن أو قبيح (فى ليلهم و نهارهم) يعنى أنّ الليل و النهار سيّان بالنسبه إلى علمه، و ليس كغيره من مخلوقاته يكون إدراكه للمحسوسات بطريق الاحساس حتّى تكون ظلمه اللّيل حجابا و حجازا عن إدراكه.

و قدّم الليل على النهار لمزيد الاهتمام من حيث كونها مظنّه لاختفاء ما يفعل فيها من المعاصى، و أردف بالنهار لدفع توهّم الاختصاص.

(لطف به خبرا) أراد به علمه بخفيّات أفعال العباد و خبرويّته بها، و اللّطيف الخبير حسبما تقدّم فى شرح الخطبه السابقه من جمله أسمائه الحسنى عزّ و علا.

و تسميته باللّطيف من جهه علمه بالشىء اللّطيف مثل البعوضه و أخفى منها و موضع النشوء منها و العقل و الشهوه للفساد و الحدب على نسلها و نقلها الطعام و الشراب إلى أولادها فى المفاوز و الأوديه و القفار.

و معنى الخبير هو الّذى لا تعزب عنه الأخبار الباطنه فلا يجرى شىء فى الملك و الملكوت و لا تتحرّك ذرّه و لا تضطرب نفس و لا تطمئنّ إلّا و يكون عنده خبره، و هو بمعنى العليم إلّا أنّ العلم إذا اضيف إلى الخفايا الباطنه سمّى خبره، و قد مرّ تفصيل نفاذ علمه فى خفاء الأشياء فى الفصل الثامن من الخطبه التسعين.

(و أحاط به علما) و قد تقدّم فى شرح غير واحده من الخطب المتقدّمه كالخطبه الاولى و الخطبه التاسعه و الأربعين و الخامسه و الثمانين و غيرها تحقيق إحاطه علمه تعالى بالكلّيات و الجزئيات و لا حاجه إلى الاعاده.

(أعضاؤكم شهوده) يعنى أنها تشهد على العباد بما اقترفوه من المعاصى و الاثام.

(و جوارحكم جنوده) يعنى أنّها تكون معينه له عليهم، و ذلك لأنّ جنود

الملک عباره عن أعوانه على أعدائه فتلک الأعضاء و الجوارح لما شهدت على المجرمين بما فعلوه صارت بمنزله المعين له بذلک الاعتبار.

و يشهد بشهاده الأعضاء و الجوارح قول اللّه تعالى فى سوره يس «اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ » أى نستنطق الأعضاء الّتى كانت لا تنطق فى الدّنيا لتشهد عليهم و نختم على أفواههم الّتى عهد منها النطق و هذا حقيقه الختم يوضع على أفواه الكفار بمنعها من النطق و الكلام.

قال علىّ بن إبراهيم القمّى قال: إذا جمع اللّه عزّ و جل الخلق يوم القيامه دفع إلى كلّ انسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنّهم عملوا من ذلک شيئا، فتشهد عليهم الملائكه فيقولون: يا ربّ ملائكتک يشهدون لک، ثمّ يحلفون أنّهم لم يعملوا من ذلک شيئا و هو قول اللّه عزّ و جلّ «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ » فاذا فعلوا ذلک ختم اللّه على ألسنتهم و تنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون و قال تعالى فى سوره فصّلت «وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللّهِ إِلَى النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْ ءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمّا تَعْمَلُونَ ».

قال أمين الاسلام الطبرسىّ: أى يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا و لا يتفرّقوا، حتّى إذا جاءوا النّار الّتى حشروا إليها شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدّعاء إلى الحقّ فأعرضوا عنه و لم يقبلوه، و أبصارهم بما رأوا من الايات الدّالّه على وحدانيّه اللّه تعالى فلم يؤمنوا، و ساير جلودهم بما باشروه من المعاصى و الأفعال القبيحه.

و قيل فى شهاده الجوارح قولان: أحدهما أنّ اللّه تعالى يبيّنها بيّنه الحىّ و يلجئها إلى الاعتراف و الشهاده بما فعله أصحابها، و الاخر أنّ اللّه يفعل فيها الشهاده أى يجعل فيها كلاما، و إنّما نسب الكلام إليها لأنّه لا يظهر إلاّ من جهتها.

و قيل فيه وجه ثالث: و هو أنّ معنى شهادتها و كلامها أنّ اللّه تعالى يجعل

فيها من الايات ما يدلّ على أنّ أصحابها عصوا اللّه بها، فسمّى ذلک شهاده منها كما يقال: عيناک تشهدان بسهرک.

و قيل: إنّ المراد بالجلود الفروج.

أقول: و هو المرویّ فی الصافی عن الكافی عن الصادق عليه السّلام و من الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السّلام.

ثمّ أنطق اللّه ألسنتهم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا، فتقول فی جوابهم أنطقنا اللّه الّذی أنطق كلّ شیء، ثمّ قال سبحانه: و هو خلقكم الايه، و ليس هذا من جواب الجلود.

و قوله: و ما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم و لا أبصاركم و لا جلودكم، معناه و ما كنتم تستخفون أی لم يكن يتهيّأ لكم أن تستتروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنّكم كنتم بها تعملون، فجعلها اللّه شاهده عليكم يوم القيامه، و لكن ظننتم أنّ اللّه لا يعلم كثيرا ممّا تعملون فاجترأتم على المعاصی لذلک، و قيل: بل معناهما كنتم تتركون المعاصی حذرا أن يشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنّون ذلک، و لكن ظننتم أنّ اللّه لا يعلم كثيرا ممّا تعملون، لجهلكم باللّه فهان عليكم ارتكاب المعاصی لذلک، هذا.

و فی الصافی من الكافی عن الباقر عليه السّلام و ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمه العذاب، فأمّا المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال اللّه عزّ و جلّ «فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِکَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ».

و قوله (و ضمائركم عيونه) قال الشارح البحرانی: أی طلايعه و جواسيسه كقوله تعالى «وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ » و تلک الشهاده بلسان الحال، انتهى.

أقول: يعنی أنّ الضمائر لا تخفى ما فيها من الأسرار و لا تكتمها عليه تعالى كما أنّ من شأن الجاسوس المراقب بشیء أن لا يكتمه ممّن و كلّه به، و على ذلک

فالمراد بالضّماير القلوب، و يحتمل أن يكون المراد بالضّماير ما يضمره القلوب من الأسرار و الخفيّات.

و العيون جمع العين بمعنى الحاضر و هو أحد معانيه كما فى القاموس و غيره، فيكون المعنى أنّ جميع ما أضمره نفوسكم فهو حاضر لديه سبحانه غير محجوب عنه كما قال تعالى «وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » و قال «قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ ».

و محصّل المراد أنّه لا يخفى ما فى النفوس عليه عزّ و جل كما يخفى على غيره، فيكون مساقه مساق قوله عليه السّلام فى الخطبه التسعين: عالم السرّ من ضماير المضمرين و نجوى المتحافتين، و قوله فى الخطبه المأه و السابعه: خرق علمه باطن غيب السترات و أحاط بغموض عقايد السّريرات.

و قوله (و خلواتكم عيانه) قال البحرانى: كنى بالخلوات عمّا يفعل فيها من معاصى اللّه مجازا، و إنّما خصصها لأنها مظنّه المعصيه، و يحتمل أن يريد بالخلوه مصدر قولك خلوت اخلو لا المكان، فيكون حقيقه، و ظاهر كونها عيانا للّه أى معاينه له.

و كلّ ذلك تحذير و تنفير عن تحريك الجوارح و الخلوه بها فيما لا ينبغى من المعاصى، و باللّه التوفيق و العصمه.

تذييل

الايه الّتى استدل بها أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذا الكلام على وجوب المحافظه على الصلاه أعنى قوله تعالى حكايه عن المجرمين «لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ » مما استدلّ بها أكثر أصحابنا الاصوليّون كالمعتزله على أنّ الكفار مكلّفون بالفروع حسبما أشار إليه أمين الاسلام الطبرسىّ «ره» أيضا فى تفسير الايه على ما حكيناه عنه سابقا، و حيث إنّ هذه المسأله من المسائل الغامضه المعظمه، و يتفرّع عليها كثير من الأحكام الشرعيّه فلا بأس بتحقيق الكلام و بسطه فيها لكونها حقيقا بذلك.

ص:۳۴۳

فأقول و باللّه التوفيق:

المشهور بين أصحابنا بل كاد أن يكون اجماعا أنّ الكفّار مكلّفون بفروع العبادات كما أنّهم مكلّفون باصول الاعتقادات و هو مذهب جمهور العامّه أيضا، و لم ينقلوا فيها خلافا إلاّ عن أبى حنيفه و لم أجد منّا مخالفا أيضا إلاّ شرذمه من الأخباريّه كالأمين الاسترابادى و صاحب الحدائق و صاحب الوافى، و هو الحقّ الموافق للتحقيق، و استدلّ له بوجوه:

الاول عموم الأدلّه على التكاليف مثل قوله تعالى «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ » و قوله «وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ » و قوله «يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ » و «يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ » و غيرها، فانّها يشمل الكافر مثل شمولها للمؤمن.

و الاعتراض عليه بحملها على المؤمنين حملا للمطلق على المقيّد و العامّ على الخاصّ كما فى الحدائق فاسد، لما تطلع عليه عند ذكر أدلّه الخصم.

الثانى أنّ الكفر لا يصلح للمانعيّه حيث إنّ الكافر متمكّن من الاتيان بالايمان أوّلا حتّى يصير متمكّنا من الفروع.

و اعترض عليه صاحب الحدائق أيضا بأنّه مصادره محضه.

و فيه مع عدم كونه مصادره لأنّ المدعى أنّ الكفّار مكلّفون بالعبادات و مخاطبون بها، و الدّليل أنّ ما زعمه الخصم مانعا من توجّه الخطاب عليهم و من الاتيان بها على الوجه الصحيح و هو الكفر لا يصلح للمانعيّه فكيف يكون مصادره.

و محصّله أنّ ما دلّ على التكليف بالفروع عام و لا يمنع من ذلك عدم التمكن من الصحيح حال الكفر لأنّ الامتناع بالاختيار لا ينافى الاختيار، على أنّ الايمان من شرايط الوجود الّتى يجب تحصيلها على المكلّف لا شرايط الوجوب، فلا مانع من التكليف حال عدمها مع التمكّن منها.

الثالث قوله تعالى «لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ » فانّه حكايه عن الكفّار و أنّهم علّلوا دخولهم النّار بتركهم للصّلاه على ما تقدّم تفصيله سابقا.

و اعترض صاحب الحدائق أيضا ما يحمل على المخالفين المقرّين بالاسلام إذ لا تصريح فيه بالكفّار، و يدلّ عليه ما ورد فى تفسير علىّ بن إبراهيم من تفسيرها باتّباع الائمه، أى لم نك من أتباع الأئمه و هو مروىّ عن الصادق عليه السّلام حسبما عرفت سابقا و عن الكاظم عليه السّلام يعنى أنّا لم نتولّ وصىّ محمّد من بعده و لم نصلّ عليهم.

و فيه إنّ الصلاه حقيقه شرعيّه فى الأركان المخصوصه و ظاهر معنى المصلّين هو المقيمون للصلاه أى الأركان المخصوصه و الحمل على المعنى اللّغوى أى التابعين خلاف الظاهر المتبادر منه فلا وجه لحملها على المخالفين، و إنكار التصريح فيه بالكفار مورد تعجّب لأنّ قوله حكايه عنهم: و كنّا نكذّب بيوم الدّين، صريح فى كونهم كافرين منكرين للمعاد فكيف يكونون مقرّين بالاسلام و أمّا الخبران المروّيان عن الصّادق و الكاظم عليهما السّلام فلا دلاله فيهما، لكونهما تفسيرا بالباطن كما قلناه عند شرح المتن فلا يوجبان رفع اليد عن الظاهر، و يشهد بذلك استدلال أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذا الكلام الّذى نحن فى شرحه بظاهرها على وجوب المحافظه على الصلوات الخمس و تعاهدها.

الرابع قوله تعالى «فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلّى وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّى ».

و اعترض عليه أيضا بجواز حمل الصّلاه فيها على ما دلّت عليه الأخبار فى الايه الاولى و أنّ اللفظ من الألفاظ المجمله المتشابهه المحتاج فى تعيين المراد منها إلى التوقيف، فالاستدلال بها و الحال كذلك مردود بتصادم الاحتمالات و الدّخول تحت قوله «فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ » الايه، على أنّ ما ذكرنا من المعنى هو الموجود فى تفسير علىّ بن إبراهيم كما لا يخفى على من راجعه.

و فيه أوّلا ـ منع كون الايه من المتشابهات الّتى يتّبعها الّذين فى قلوبهم زيغ، بل من المحكمات الّتى تؤخذ بظواهرها و هنّ امّ الكتاب، و ظاهر الايه كما ترى أنّه لم يصدّق بكتاب اللّه و رسوله و لا صلّى للّه و لكن كذّب بالكتاب و الرّسول و أعرض عن الايمان، و هذا وصف الكافر لا المخالف.

و یـدلّ علی ذلک ما فی مجمع البیان قال: و جاءت الرّوایه أنّ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم أخذ بید أبی جهل ثمّ قال له: «أَوْلی لَکَ »(۱) «فَأَوْلی ». فقال أبو جهل: بأیّ شـیء تهـدّدنی لا تسـتطیع أنت و ربّک أن تفعلا بی شـیئا و انّی لأعزّ أهل هذا الوادی، فأنزل اللّه سبحانه کما قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هذا.

و أمّا ما فی تفسیر علیّ بن إبراهیم من أنه کان سـبب نزولها أنّ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله دعا إلی بیعه علیّ یوم غدیر خم فلمّا بلّغ الناس و أخبرهم فی علیّ ما أراد أن یخبر رجع الناس فاتکی معاویه علی المغیره بن شعبه و أبی موسی الأشعری ثمّ أقبل یتمطّی(۲) نحوه و یقول: ما نقرّبا لولایه لعلیّ أبدا و لا نصدّق محمّدا مقالته، فأنزل اللّه جلّ ذکره «فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلّی » الایات، فصـعد رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم المنبر و هو یریـد البراءه منه فأنزل اللّه عزّ و جلّ «لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ » فسکت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

فالجواب عنه أنّ ظاهر قوله سبحانه: فلا صدّق و لا صلّی و لکن کذّب و تولّی، یفید أنّه لم یصدّق أصلا لا ظاهرا و لا باطنا، و لم یقم الصّلاه بـل کـذّب و أعرض ظاهرا و باطنا، و هـذا شأن الکافر لا المخالف المصـدّق ظاهرا فقط، و المکـذّب المعرض باطنا فقط.

و علی ذلک فاللّازم ترجیح الرّوایه المفیده لکون المراد بهذه الایه هو أبو جهل الکافر کما فی مجمع البیان علی ما تفسیر القمیّ المفیـد کون المراد بها معاویه لأنّ فی الأخذ بالرّوایه الأولی إبقاء الایه علی ظاهرها و الأخذ بالثانی یوجب صـرفها إلی خلاف ما هو الظاهر المتبادر.

و یؤید کون المراد به أبو جهل أنّ هذه الایه فی سوره القیامه و هی مکیّه کما صـرّح به فی مجمع البیان فی تفسیر هذه السوره و رواه أیضـا فی تفسـیر سوره هل أتی فانّه یقوی الظنّ بکون نزولها بمکّه فی حقّ أبی جهل لا فی غـدیر خم فی حقّ معاویه، و اللّه العالم.

۱- (۱) - أی ویل لک، م

۲- (۲) - یتبختر افتخارا، منه

الخامس قوله تعالى «وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ اَلَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ » و هو نصّ صريح فى المطلوب.

السادس قوله تعالى «وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ » ذمّ اللّه المكذّبين بتركهم للرّكوع.

قال فى الصّافى: روى أنها نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالصّلاه فقالوا لا نحنى، و فى روايه لا نجبّى فانّها سبّه، رواها فى المجمع قال: فقال: لا خير فى دين ليس فيه ركوع و سجود أقول: أى لا نحنى بالمهمله و النّون أى لا نعطف ظهورنا و على الرّوايه بالجيم و الباء الموحّده المشدّده أى لا ننكبّ على وجوهنا و هما متقاربان.

و أما ما فى تفسير علىّ بن إبراهيم عن الصّادق عليه السّلام قال: إذا قيل لهم تولّوا الامام لم يتولّوه، فهو تفسير بالباطن لا يوجب صرف اليد عن الظاهر كما لا يخفى و احتج القائلون بالعدم بوجوه، فصّلها صاحب الحدائق فى مبحث غسل الجنابه من الكتاب المذكور لا بأس بذكر عبارته على تفصيلها ثمّ نتبع كلّ وجه وجه بما يتوجّه عليه من وجوه الكلام و ضروب الملام.

فأقول: قال فى الحدائق:

المشهور بين الأصحاب رضى اللّه عنهم بل كاد أن يكون إجماعا أنّه يجب الغسل على الكافر لأنّ الكفّار مكلّفون بالفروع و لم ينقلوا فى المسأله خلافا من أحد من الخاصه بل من العامه إلاّ عن أبى حنيفه، قالوا: لكن لا يصحّ منه حال كفره لاشتراط الصحّه بالاسلام و لا يجبّه الاسلام و إنّ جبّ الصّلاه لخروجها بدليل خاص و ما ذكروه منظور عندى من وجوه:

الاول عدم الدّليل على التّكليف المذكور و هو دليل العدم كما هو مسلّم بينهم، و ما استدلّوا به هما سيأتى ذكره مدخول بما سنذكره.

أقول: و فيه انك قد عرفت الأدلّه المحكمه على هذا التكليف كما عرفت اندفاع الاعتراضات التى اعترض بها عليها.

الثانی الأخبار الدّاله علی توقف التکلیف علی الاقرار و التصدیق بالشـهادتین منها ما رواه فی الکافی فی الصـحیح عن زراره قال: قلت للباقر علیه السّـلام: أخبرنی عن معرفه الامام منکم واجبه علی جمیع الخلق؟ قال: إنّ اللّه تعالی بعث محمّدا صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم إلی الناس أجمعین رسولا و حجّه للّه علی خلقه فی أرضه، فمن آمن باللّه و بمحمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و اتبعه و صـدّقه فانّ معرفه الامام منّا واجبه علیه، و من لم یؤمن باللّه و رسوله و لم یتبعه و لم یصدّقه و یعرف حقّهما فکیف یجب علیه معرفه الامام، و هو لا یؤمن باللّه و رسوله و یعرف حقّهما الحدیث.

و هو کمـا تری صـریح الـدّلاله علی خلاف ما ذکروه و أنه متی لم یجب معرفه الامام قبل الایمان باللّه و رسوله فبالطریق الأولی معرفه سایر الفروع التی هی متلقّاه من الامام، و الحدیث صـحیح السند باصطلاحهم صریح الدّلاله فلا وجه لردّه و طرحه و العمل بخلافه إلّا مع الغفله عن الوقوف علیه.

قال: و إلی العمل بالخبر المـذکور ذهب المحـدّث الکاشانی حیث قال فی الوافی بعـد نقله ما صورته: و فی هـذا الحـدیث دلاله علی أنّ الکفار لیسوا مکلّفین بشرایع الاسلام کما هو الحقّ، خلافا لما اشتهر بین أصحابنا، انتهی.

قـال: و یظهر ذلـک أیضـا من الأـمین الاسترابـادی فی الفوایـد المـدنیّه حیث صـرّح فیهـا بـأنّ حکمه اللّه اقتضت أن یکـون تعلّق التکـالیف بالنـاس علی التدریـج بـأن یکلّفوا أوّلا بالاقرار بالشـهادتین ثمّ بعـد صـدور الاقرار عنهم یکلّفون بسایر ما جاء به النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

و من الأحادیث الدّاله علی ذلک صحیحه زراره فی الوافی ثمّ ساق الرّوایه بتمامها.

قـال: و قـال أیضا بعـد نقل جمله من أخبار المیثاق المأخوذ علی العباد فی عالم الـذّرّ بالتوحیـد و الامامه و نقل جمله من الأخبار الدّاله علی فطره الناس علی التوحید و أنّ المعرفه من صنع اللّه تعالی ما لفظه: أقول: هنا فوائد إلی أن قال:

الثالثه أنه یستفاد منها أنّ ما زعمه الأشاعره من أنّ مجرّد تصوّر الخطاب من غیر

سبق معرفه إلهاميه بحقايق العالم، و بأنّ له رضا و سخطا و أنه لا بدّ له من معلّم من جهته ليعلّم الناس ما يصلحهم و ما يفسدهم كاف فى تعلّق التكليف لهم ليس بصحيح، انتهى و اعترض عليه أوّلا- بأنّ الاستدلال يتوقف على القياس بطريق الأولى، و هو ممن أنكره فى مقدّمات الكتاب و أنكره أشدّ الانكار فكيف يجوز له التمسک به فى هذا المقام مضافا إلى أنه مع القول بحجّيته كما هو الحقّ الحقيق بالاتباع الموافق للايه و للأخبار المسلّم عند كافّه علمائنا الأبرار حتى عند المستدلّ فى مواضع عديده و منها هذا الموضع يتوقّف على ثبوت الحكم فى المقيس عليه و مسلميّته و قبوله و عدم مخالفته للضروره، و الأمر فى المقام ليس كذلک و ذلک فانّه لا خلاف و لا إشکال عند أحد حتّى عند المستدلّ حيث جعل محلّ نزاعه مع كافّه العلماء عدا أبى حنيفه فى خصوص الفروع، و الامامه من الاصول لا من الفروع إجماعا منه و من علمائنا.

و ثانيا أنّ مقتضى هذه الصحيحه عدم التكليف بالامامه و ساير الفروع إلّا بتصديق اللّه و رسوله و هو حقيقه فى التّصديق و الاذعان القلبى لا مجرّد الاقرار باللّسان، و على تقدير تسليم العموم فالمراد هنا التّصديق القلبى جزما لقوله عليه السّلام و يعرف حقّهما، فانّ المعرفه ليس ممّا يتوهّم فيه حصوله باللّسان خاصّه بل هو أمر قلبىّ جزما و إذعان نفسانىّ قطعا فحينئذ تدلّ هذه الصحيحه على أنّ المنافقين و منهم الخلفاء الثلاثه لم يكونوا مأمورين بالامامه و لا ساير الفروع، و مقتضى هذا أنّه لم يكن عليهم اثم فى غصب الخلافه و ساير ما فعلوه بالنّسبه إلى أهل البيت من ضرب فاطمه عليها السّلام و غصب حقّها و إضرام النّار حول بيتها و إلقاء الحبل على رقبه مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام و غير ذلک ممّا فعلوه بالنّسبه إليهم و إلى غيرهم من البدع الّتى ابتدعوها فى الدّين و تضييع دين خاتم النّبيين و سيّد المرسلين، و كذا ما فعله يزيد و ساير جنود المخالفين مع سبط الرّسول الأمين و ما فعله المخالفون بالنسبه إلى شيعتهم و غير ذلک، و فى جميع ذلک لم يكونوا مأثومين أصلا بل هم و غيرهم من الكفّار الّذين لم يصدر منهم شيء من ذلک متساويين فى عقاب واحد، و هو عدم الايمان باللّه و رسوله، و ذلک من حيث عدم تصديقهم للّه و رسوله و معرفه حقّهما فانّهم

و إن أقرّوا باللّسان إلاّ أنّهم لم يصدقوهما قلبا و لم يعرفوا حقّهما، فبمقتضى الصّحيحه نظرا إلى عدم إيمانهم باللّه و رسوله و معرفتهم حقّهما كيف يكلّفهم اللّه تعالى بالامامه و ساير الفروع، و ليس فى الصحيحه أنّ مجرّد الاقرار باللّسان كان فى ذلك، و على هذا لم يكن لشكاويهم عليهم السّلام عن المخالفين و الخلفاء الثلاثه و طعنهم و لعنهم و إثبات الويل عليهم و تكفيرهم من الجهات الّتى ذكرت و تفسيقهم و كذا طعن علمائنا و منهم المستدلّ عليهم وجه، بل كان لغوا محضا و يلزمه أنّه لو فعل ذلك أو شيئا من ذلك غير المنافقين من ساير الكفّار الذين لم يقروا بالاسلام بالنّسبه إلى ساده الأنام و فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سبطيه عليهما السّلام و غيرهم من شيعتهم و أولادهم و ذراريهم بالقتل و النهب و الاسر أنّه لم يكن عليهم فى ذلك شىء، و يكونون هم و ساير من لم يحدث أمثال هذا عنه فى العقاب متساويين، و قطعىّ أنّ المستدلّ لا يقول به أيضا إذا القول بذلك من أشنع الشّنايع و أقبح الفضايح، و هل كان مراد النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بقوله فى حقّ فاطمه عليها السّلام من آذاها فقد آذانى و غير ذلك بالنّسبه إليها و إلى غيرها من الحسنين و أمير المؤمنين عليهم السّلام و أولادهم خصوص المؤمنين المصدّقين للّه و لرسوله العارفين بحقهما، أو المراد منه الأعمّ بل ملحوظ نظره خصوص المخالفين أ فيجوّز المستدلّ ذلك بالنّسبه إلى غيرهم فيحكم بجواز اسر غيرهم للسادات و العلويّات و الفاطميّات و قتلهم و نهب أموالهم و هتك عرضهم و غير ذلك من النّاس بل الأنبياء ما هذا إلاّ شىء عجيب أقرب من الكفر لو لم يكن كفرا.

و ثالثا انّ المخالفين عند المستدلّ كفار حقيقه بالكفر المقابل للاسلام، فيلزمه جريان أحكامهم فيه و منها القول الذى استحدثه من عدم العقاب على ترك شىء من التكاليف ما هذا إلاّ أمر غريب و شىء عجيب و بالجمله فانّ الصحيحه صريحه فى عدم تكليف المخالفين بالامامه و لا بشىء من الفروع، و يفصح عنه قوله عليه السّلام:

فكيف يجب عليه معرفه الامام و هو لا يؤمن باللّه و رسوله، و يعرف حقّهما، و ذلك بالتّقريب الذى تقدّم، و نزيد حينئذ وجه دلالته على ذلك هنا فنقول: إنّ مقتضاها أنّ التّكليف بالامامه فرع الايمان باللّه و رسوله و هو على ما عرفوه و ورد به الخبر و قد

ذکره فی أوّل کتاب الصّلاه هو الاقرار باللّسان و التصدیق بالجنان و العمل بالأرکان و لا ریب فی أنّ ذلک لم یتحقّق فی حقّ الخلفاء الثلاث لعدم تصدیقهم بالجنان، هذا أ فتجوّز أیّها العاقل أنّ الکفّار المحاربین للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الکاسرین لأسنانه و القاتلین للمسلمین فی زمنه صلّی اللّه علیه و آله و المتصدّین لایقاع البلایا و المحن علیه أن یکونوا فی جمیع ذلک معذورین غیر مأثومین و أنّ دعاءه صلّی اللّه علیه و آله علیهم فی بعض الحروب کان عبثا و لغوا بلا منشاء و أنّ المنشأ هو عدم الاقرار مع أنّه لا وجه لدعائه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیهم فی ذلک الحین خاصّه دون غیرهم أولهم فی غیر تلک الحال.

و رابعا أنّ هذه الصحیحه معارضه بما فی التهذیب فی باب أنّ الجزیه واجبه علی جمیع أهل الکتاب عن محمّد بن یعقوب الکلینی عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن حماد عن حریز قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن صدقات أهل الذّمّه و ما یؤخذ من جزیتهم من ثمن خمورهم و لحم خنازیرهم و میتتهم، قال علیه السّلام: علیهم الجزیه فی أموالهم یؤخذ منهم من ثمن لحم الخنزیر أو خمر کل ما أخذوا منهم من ذلک فوزر ذلک علیهم و ثمنه للمسلمین حلال، یأخذونه فی جزیتهم.

و هذا الخبر لیس فی سنده من یتوقّف فیه سوی إبراهیم بن هاشم و هو علی المشهور حسن کالصحیح و عند المحقّقین من المتأخّرین کما ذکره المستدلّ و ارتضاه ثقه، و السّند المشتمل علیه إذا کان الباقی من رجال السّند لا یتوقّف فیه صحیح، هذا مع أنّه لم یقل بهذا الاصطلاح الذی تصدّی لنا سلبه متأخّر و أصحابنا شکر اللّه سعیهم، فالحدیث حجّه عنده و لو کان راویه من أکذب البریّه و صرّح بکذبه الأئمه و تصحیح سنده منّا تبرعیّ و سدّ لباب فرار الخصم لو ادّعی مراعاه الصّحه فی السّند بعد وقوع المعارضه بینه و بین ما صحّ سنده، و مع صحّه سنده کما تری صریح فی ثبوت الوزر علیهم فی استحلالهم ثمن ما لا یحلّ ثمنه فی ملّه الاسلام و مع ثبوت الوزر علیهم فی ذلک یثبت فی المعاصی الّتی ذکرناها الّتی هی أشدّ منها و مقتضی الأولویّه الّتی تمسّک بها فی اثبات مطلبه ثبوت الوزر علیهم فی المعاصی التی هی أشدّ بطریق الأولویّه هذا، مضافا إلی عدم القول بالفصل

ص:۳۵۱

قال المحقّق الثانى المحقق الشيخ على بعد ذكر هذا الخبر:

فيه دلاله على أنّ الكافر يؤخذ بما يستحلّه إذا كان حراما فى شريعه الاسلام و أنّ ما يأخذونه على اعتقاد الحلّ حلال علينا و إن كان ذلك الأخذ حراما عندنا.

و مراده بقوله: يؤخذ بما يستحلّه المؤاخذه عليه و ايجاب ذلك العقاب لا أخذ الجزيه لتبادر الأوّل من العباره.

و به اعترف من كتاب الزّكاه فى مسأله استحباب ما سوى الزّكاه من الحقوق التى فى المال من الضّغث بعد الضغث و الحفنه بعد الحفنه يوم الجذاذ حيث إنه من القائلين بالاستحباب مستندا إلى روايه معاويه بن شريح قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول: فى الزّرع حقّ تؤخذ به و حقّ تعطيه.

حيث قال: المتبادر من هذه العباره العقاب على تركه، و هو كنايه عن الوجوب و الالزام به شرعا.

و استشهد لذلك بما فى المصباح المنير من قوله: و أخذ بذنبه، عاقبه عليه، و إن كان فى الاستشهاد نوع تأمّل.

و هذه الصّحيحه مع صراحتها فى ذلك معتضده بعمل كافّه العلماء إلّا أبا حنيفه على اعترافه و معتضده بأدلّه العقلاء الّتى ديدنه التمسّك بها فكيف يعارضها التى ذكرها المستدلّ.

مضافا إلى معارضه الكتاب العزيز لها قال اللّه تعالى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ » و قد نهاهم اللّه عن القرب من المسجد الحرام و بمقتضى الصّحيحه لم يكن لهذا التّكليف وجه، و كذا تكليفهم بالجزيه و أخذها منهم و ايجابها عليهم.

و يدلّ على أنّهم مكلّفون بشريعه الاسلام و فروعها زياده على الايمان قوله عزّ من قائل: «قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ »

انظر ايّدک اللّه تعالی إلی ظهور هذه الایه فی کونهم مکلّفین بتحریم ما حرّم اللّه و التّدین بدین الحق بل و صراحتها فی ذلک، فانّهم لو لم یکونوا مکلّفین بذلک لما کان لإرداف قوله: لا یحرّمون ما حرّم اللّه، إلی آخره بقوله: لا یؤمنون باللّه و لا بالیوم الاخر و إیراد ذلک فی بیان منشاء مقابلتهم و أخذ الجزیه منهم وجه، إذ کان عدم الایمان کافیا فی ذلک، فیصیر الإرداف المذکور لغوا بحتا و خالیا عن الفایده بالمرّه تعالی اللّه عن ذلک علوّا کبیرا.

و قال سبحانه أیضا «وَ الَّذِینَ لا یَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا یَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَ لا یَزْنُونَ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ یَلْقَ أَثاماً یُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ یَوْمَ الْقِیامَهِ » انظر إلی صراحه هذه الایه أیضا فجعل العذاب المضاعف جزاء لهم علی الأفعال المذکوره و من جملتها قتل النفس و الزّنا، فلو لا أنّ کلا من الامور المذکوره یصیر سببا لضعف العذاب یوم القیامه أو المجموع من حیث المجموع لما کان لتأخیر الاشاره أی لفظه ذلک عن جمیع ذلک وجه، بل کان المناسب بل اللازم دفعا لتوهّم الاشتراک إردافها بالأمر الأوّل فقط و هو الشّرک لیفید انفراده فی السّببیّه.

و الایات الظاهره فی ذلک کثیره، و العمل بالصّحیحه یوجب ردّها بأجمعها و أیّ عاقل یرضی بهذا و قد أمروا علیهم السّلام فی أخبار کثیره مستفیضه بالأخذ بما وافق الکتاب، و هذه الأخبار متلقّاه بالقبول حتّی عند المستدلّ فالصّحیحه الموافقه له و هی ما ذکرناها ترجّح علی الصحیحه المخالفه له و هی ما ذکرها.

و بعد هذا کلّه نقول:

الذی یفهم من الصحیحه غیر ما فهمه المستدلّ و ذکره، بل المراد منها و اللّه العالم و قائله أعلم: أنّ مخاطبه الکفّار المنکرین غیر المقرّین باللّه و رسوله إلی معرفه الامام الذی هو نائبه و خلیفته و من تجب إطاعته و توجیه الخطاب بذلک إلیهم یکاد أن یکون ذلک لغوا، و ذلک لا یستلزم عدم إرادتها و مطلوبیّتها منهم.

و نظیر ذلک فی الشّرع کثیر منه تکلیف النائم و کذا الغافل و کذا فاقد

الطهور عند المحقّقين فی الأخير و عند الكلّ فی الأوّلين بقضاء الصلاه التی فاتتهما الذی هو عباره عن تدارک ما فات اتفاقا، فلو لا أنّ الصلاه مراده و مطلوبه منهم فی تلک لأحوال لما كان للأمر بالقضاء معنی.

و لذلک مثال فی العرف كأن يكون لشخص عبد لا يطيعه و يعصيه فلا يأمره باطاعه وكيله مثلا، و لا يوجه إليه الخطاب باطاعه الوكيل مع أنّه لو وجّهه لا يطيعه جزما، فانّ ذلک لا يوجب عدم المطلوبيّه منه و عدم إرادته علی وجه الوجوب و اللزوم لينحصرا فيما دلّ عليه الأمر الخطابیّ.

فالمراد بقوله عليه السّلام: كيف يجب عليه معرفه الامام، أنّه كيف يوجّه الخطاب إليه.

و لذلک مثال آخر و هو أنّ الأمر بالشیء عند المحقّقين لا يستلزم الامر بما هو مقدّمه لوجوده، و يقولون بعدم حرمته من حيث إنّها مقدّمه و مع ذلک يقولون إنّ الخطاب بالاباحه و عدم الحرمه يكون لغوا و إن كان ما تضمّنه الخطاب حقّا، و يكون مثله كبيان الواضحات مثل أنّ النّائم لا يبصر و الأسود الزّنجی لا يعلم الغيوب و أمثال ذلک، فعدم توجّه الخطاب من حيث القبح فی الصدور لا يستلزم عدم ما تضمّنه لو صدر و قبحه و ذلک واضح لا يخفی.

قال صاحب الحدائق:

و منها ما رواه الثقه الجليل أحمد بن أبی طالب الطبرسی فی الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السّلام فی حديث الزّنديق الذی جاء إليه مستدّلا عليه بای القرآن قد اشتبهت حيث قال عليه السّلام:

فكان أوّل ما قيّدهم به الاقرار بالوحدانيّه و الرّبوبيّه و شهاده أن لا إله إلّا اللّه، فلمّا أقرّوا بذلک تلاه بالاقرار لنبيّه صلّی اللّه عليه و آله بالنّبوه و الشهاده بالرّساله، فلمّا انقادوا لذلک فرض عليهم الصلاه ثمّ الصوم ثمّ الحجّ، الحديث.

و فيه بعد تسليم حجّيته بحسب السند حيث إنّه ليس من أخبار الكتب التی يدعی قطعيّتها، أنّ التكليفات فی صدر الاسلام و أوّل البعثه صدرت تدريجا و لم ينسخ

ص:۳۵۴

الشريعه السابقه دفعه، بل إنّما نسخ شيئا فشيئا، و ليس ذلک من محلّ النزاع فی شیء، فانّه لا ریب أنّهم متعبّدون بشریعتهم السابقه، و لکن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم ینسخها عنهم دفعه بل أبقاهم فی أوّل الشریعه علی شریعتهم و نسخ منها شیئا فشیئا فأوجب علیهم بعض التکالیف تدریجا، و ذلک لا یستلزم عدم کونها مکلّفین بالتکالیف فی شریعتنا بعد انتساخ شریعتهم، قال:

و منها ما رواه الثقه الجلیل علیّ بن إبراهیم القمّی فی تفسیره عن الصادق علیه السّلام فی تفسیر قوله تعالی «وَ وَیْلٌ لِلْمُشْرِکِینَ اَلَّذِینَ لا یُؤْتُونَ الزَّکاهَ وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ کافِرُونَ » حیث قال علیه السّلام:

أ تری أنّ اللّه عزّ و جلّ طلب من المشرکین زکاه أموالهم و هم یشرکون به حیث یقول: و ویل للمشرکین الذین لا یؤتون الزّکوه و هم بالاخره هم کافرون، إنّما دعی اللّه العباد للایمان به فاذا آمنوا باللّه و رسوله افترض علیهم الفرض.

قال المحدّث الکاشانی فی کتاب الصافی بعد نقل الحدیث المذکور:

أقول: هذا الحدیث یدلّ علی ما هو التحقیق عندی من أنّ الکفّار غیر مکلّفین بالأحکام الشرعیّه ما داموا باقین علی الکفر، انتهی.

و فیه بعد تسلیم السّند الحمل علی التّقیّه لکونه مذهب أبی حنیفه کما اعترف، و هو قد کان فی زمان مولینا الصادق علیه السّلام و من تلامذته، و مذهبه کان مشهورا بینهم فی زمانه.

و الشاهد علی الحمل علی التّقیّه و تعیّنه أنّه مع عدم هذا الحمل یلزم مناقضه مضمون الخبر لنصّ الایه، فانّها صریحه فی أنّ المراد بالمشرکین هم الکفّار الذین لا یؤمنون بالاخره حیث وصفهم فیها بقوله: «وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ کافِرُونَ ».

و حینئذ فمقتضی الخبر أنّ مورد الایه إمّا المسلمون أو الذین لا نعرفهم أولا مورد لها، و الأخیران باطلان جزما و کذلک الأوّل لأنّه یلزم أن یکون المسلمون و المؤمنون مشرکین کافرین بیوم الاخر، فیحکم بنجاستهم و کفرهم و عدم قربهم من المسجد الحرام و غیر ذلک من أحکام الکفر، کما فعل ذلک المستدلّ فی الحکم

بکفر المخالفین من حیث إطلاق الکفر علیهم فی الأخبار و جعلهم بذلک کفارا حقیقه بالکفر المقابل للاسلام فاذا کان مؤمن لا یؤتی الزّکاه یلزم الحکم بکفره و شرکه و نجاسته و استحقاقه للخلود فی النار و هو قطعیّ الفساد عند المستدلّ و عند الکلّ، هذا.

مع أنّ الشرک و الکفر بالاخره الواقعین فی الایه وصفا لمن لا یؤتی الزکاه حقیقه فیمن صدر عنه هذان الوصفان، و لیس المسلم کذلک جزما و وجدانا، و حینئذ فالعمل بالخبر یستلزم إلغاء الایه و عدم وجود مصداق لها أو القول بکفر من لا یؤت الزّکاه من المؤمنین و شرکه و ترتّب أحکامهما علیه و لا أراه یقول به.

و بالجمله ظاهر الخبر مناقض لصریح الایه و قد قالوا فی أخبار کثیره: ما خالف الکتاب فاضربوه علی الحائط، و أیّ مخالفه أشدّ من هذه المخالفه.

و لو قیل بکون هذا الخبر تفسیرا لها و وجوب المصیر إلیه لزم منه طرح تلک الأخبار و یلزم منه أن لا یوجد مصداق تلک الأخبار الامره لضرب المخالف للقرآن علی الحائط إذ کلّ خبر مخالف یحتمل أن یکون تفسیرا للقرآن و إن لم یرد فی تفسیره فأیّ خبر یعلم منه المخالفه للقرآن.

و بمقتضی جمیع ما ذکر یتعیّن الحمل علی التقیّه الّتی هی باعتراف المستدلّ رأس کلّ آفه و بلیّه.

مع أنّه یحتمل أن یکون المراد بهذا الخبر ما قدّمناه فی الاعتراض علی الخبر الأوّل من أنّ عدم توجّه الخطاب إلیهم لا ینافی مطلوبیّته منهم، أو ما قدّمناه فی الاعتراض علی الخبر الثانی من أنّهم فی صدر الاسلام و أوّل البعثه لم یؤمروا بذلک، و إنّما کلّفوا بالتکالیف شیئا فشیئا، و إلیه یشیر قوله علیه السّلام فی آخر الخبر: إنّما دعا اللّه العباد للایمان، و علی ذلک فلا دلاله فیه علی ما رامه.

قال صاحب الحدائق:

و مما یدلّ علی ذلک ما ورد عن الباقر علیه السّلام فی تفسیر قوله تعالی «أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ » حیث قال: کیف یأمر بطاعتهم و یرخّص فی

منازعتهم، إنّما قال ذلک للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول.

أقول: تمام الحديث ما رواه فی الكافی عن بريد العجلی قال: تلا أبو جعفر عليه السّلام أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول و اولی الأمر منكم فان خفتم تنازعا فی الأمر فارجعوه إلی اللّه و إلی الرّسول و إلی اولی الأمر منكم، ثمّ قال: كيف يأمر بطاعتهم و يرخّص فی منازعتهم إنما قال ذلک للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول.

و هو كما تری لا دلاله فيه علی ما رامه المستدلّ بوجه، بل محصّل معناه أنّه كان فی مصحفهم عليهم السّلام فارجعوه مكان فردّوه و يحتمل أن يكون تفسيرا له كما أنّ قوله فان خفتم تنازعا للأمر تفسير لقوله فان تنازعتم فی شیء، و يستفاد منه أيضا أنّه كان فی مصحفهم و إلی اولی الأمر منكم، فيدلّ علی أنّه لا يدخل أولو الأمر فی المخاطبين بقوله: إن تنازعتم، كما زعمه المفسّرون من المخالفين، فقوله:

كيف يأمر بطاعتهم و يرخّص فی منازعتهم، يريد به أنّ اللّه سبحانه أمر بطاعتهم أولا بقوله: و أطيعوا الرّسول و اولی الأمر منكم، و مع ذلک فلا يجوز إدخالهم فی المخاطبين بقوله: فان تنازعتم إذ وجوب الاطاعه لا يجتمع مع التّرخيص فی المنازعه فلا بدّ أن يكون المقصود بالخطاب غيرهم، و هم الذين امروا أوّلا باطاعه اللّه و الرّسول و اولی الأمر، فامروا ثانيا عند التّنازع بالرّد و الرّجوع إليهم أيضا، فافهم جيّدا.

الثالث لزوم تكليف ما لا يطاق إذ تكليف الجاهل بما هو جاهل به تصوّرا و تصديقا عين تكليف ما لا يطاق، و هو ممّا منعته الأدله العقليّه و النّقليه لعين ما تقدّم فی حكم معذوريه الجاهل، و إليه يشير كلام الذخيره فی مسأله الصلاه مع النّجاسه عامدا حيث نقل عن بعضهم الاشكال فی إلحاق الجاهل بالعامد، و قال بعده:

و الظاهر أنّ التكليف متعلّق بمقدّمات الفعل كالنّظر و السعی و التعلّم، و إلّا لزم تكليف الغافل أو التكليف بما لا يطاق، و العقاب يترتّب علی ترک النظر «إلی أن قال» و لا يخفی أنّه يلزم علی هذا أن لا يكون الكفّار مخاطبين بالأحكام و إنّما يكونون

مخاطبين بمقدّمات الأحكام، و هذا خلاف ما قرّره الأصحاب رضى اللّه عنهم و تحقيق المقام من المشكلات.

قال صاحب الحدائق بعد نقل هذا الكلام:

لا إشكال بحمد اللّه سبحانه فيما ذكره بعد ورود الأخبار بمعذوريّه الجاهل حسبما مرّ، و ورودها بخصوص الكافر كما نقلنا هنا، و لكنّهم يدورون مدار الشّهره فى جميع الأحكام و إن خلت عن الدّليل فى المقام سيّما مع عدم الوقوف على ما يضادّها من أخبار أهل الذكر عليهم السّلام.

و فيه أوّلا أنّ هذا الدّليل أخصّ من المدّعى لا يشمل من تصوّر أحكام الاسلام و عرفه.

و ثانيا إن كان مراده بذلك الجاهل المستضعف الذى لا يعرف الاسلام، و لم يسمع صيته أصلا فلا كلام فيه.

و إن أراد من سمع صيت الاسلام و عرفه فلا نسلم أنّه جاهل تصوّرا و تصديقا بل لا ريب أنّه عالم بالشّرايع الموظفه و لو إجمالا.

نعم ليس عالما بذلك تفصيلا فهو متصوّر لما فى الاسلام من شريعه و أحكام كما أنّا مثلا عارفون بدين أهل الكفر و أنّ لهم شرايع و أحكاما و إن كنّا جاهلين بذلك تفصيلا، و هذا القدر من العلم يكفى.

و لذلك انّ أصحابنا لا يعذرون الجاهل فى الأحكام نظرا إلى علمه بذلك إجمالا و لو لم يكف هذا المقدار لزم أن لا يكلّف المقرّ باللّه و رسوله بمعرفه الامام و الفروع أصلا حتّى الصّلاه و الزّكاه و الحجّ و لا يعاقب بتركها أيضا، و يكون الأمر بالمعرفه الوارده فى الأخبار ليس فيه فايده، و من الفروع وجوب تحصيل المعرفه بالأحكام و على ما ذكره يلزم أن لا يكونوا مكلّفين، و هو ممّن يقول بوجوب تحصيل المعرفه على المسلمين.

و على قوله لم يكن فرق بينها و بين ساير الواجبات و المحرّمات إذ الجهل الذى هو علّه لعدم تعلّق التكليف بما وراء المعرفه من حيث استلزامه التكليف بما

لا يطاق جاء فى نفس المعرفه أيضا فأنّى له بالفارق، هذا.

مع أنّه لو صحّ ما ذكر يلزم قبح التكليف بالاصول أيضا لاتّحاد العلّه بل ازديادها فيها، و ذلك فانّ من تيقّن بطلان الاسلام فضلا عن أن يجهله مكلّف بالاصول جزما فتكليف من هو جاهل بها أولى كما لا يخفى.

و يلزم على ذلك خروج اكثر الكفار لو لم يكن كلّهم عن التكليف بالاسلام لاستحاله تكليف الجاهل فضلا عن العالم، و لا ريب أنّ كلّ من دان بدين إلّا من شذّ متيقّن بدينه جازم بصحّته، ففى حال الجزم و اليقين كيف يكلّف بالعلم ببطلان ما علمه و فساد ما تيقّن به.

و بذلك يظهر أنّهم ليسوا مكلّفين بالاصول و الحال أنّ المستدلّ لا يقول به، و ليت شعرى كيف لا يلتزم به مع اقتضاء دليله ذلك و جريانه فيه بل أولى بالجريان كما عرفت، هذا.

و قد يقرّر هذا الدّليل أعنى لزوم التكليف بما لا يطاق بوجه آخر و هو أنّ الكافر غير قادر على الاتيان بالعباده الصّحيحه المشروطه بالايمان.

و اجيب عنه بأنّا نقول انّهم مكلّفون بالفروع حال الكفر لا بشرط الكفر فالكفر ظرف للتّكليف لا للمكلّف فلا يلزم التكليف بما لا يطاق.

الرابع الأخبار الدّاله على وجوب طلب العلم كقولهم عليهم السّلام طلب العلم فريضه على كلّ مسلم فانّ موردها المسلم دون مجرّد البالغ العاقل.

و فيه أنّ الاستدلال بتلك الأخبار موقوف على القول بحجيّه مفهوم اللّقب و هو مع كونه خلاف التّحقيق لا يقول به المستدلّ أيضا فلا وجه لاستدلاله بها على المدّعى.

الخامس اختصاص الخطاب القرآنى بالذين آمنوا، و ورود يا أيّها النّاس فى بعض و هو الأقلّ يحمل على المؤمنين حملا للمطلق على المقيّد و العام على الخاص كما هو القاعده المسلّمه بينهم.

و الجواب ما قدّمنا فى الدّليل السّابق، و هو أنّ دلالته من حيث مفهوم

اللّقب الذى ليس بحجّه عنده و عند المحقّقين.

تكمله

هذا الكلام الشّريف له عليه السّلام حسبما أشرنا إليه مروىّ فى الكافى عن على ابن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبى حمزه عن عقيل الخزاعى أنّ أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه كان إذا حضر الحرب يوصى للمسلمين بكلمات يقول:

تعاهدوا الصّلاه و حافظوا عليها، و استكثروا منها، و تقرّبوا بها فانّها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، و قد علم ذلك الكفّار حين سئلوا، ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلّين و قد عرف حقّها من طرقها و أكرم بها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع و لا قرّه عين من مال و لا ولد يقول اللّه عزّ و جلّ: «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ »، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منصبا(۱) لنفسه بعد البشرى له بالجنّه من ربّه فقال عزّ و جلّ: «وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاهِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها »، الايه، فكان يأمر بها أهله و يصبر عليها نفسه.

ثمّ إنّ الزكاه جعلت مع الصلاه قربانا لأهل الاسلام على أهل الاسلام، و من لم يعطها طيب النّفس بها يرجو بها من الثّمن ما هو أفضل منها فانّه جاهل بالسنه مغبون الأجر ضالّ العمر طويل النّدم بترك أمر اللّه عزّ و جلّ و الرغبه عمّا عليه صالحو عباد اللّه يقول اللّه عزّ و جلّ: «وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى » من الأمانه فقد خسر من ليس من أهلها و ضلّ عمله عرضت على السّماوات المبنيّه و الأرض المهاد و الجبال المنصوبه فلا أطول و لا أعرض و لا أعلى و لا أعظم و لو امتنعن «امتنعت خ ل» من طول أو عرض أو عظم أو قوّه أو عزّه امتنعن، و لكن أشفقن من العقوبه.

ثمّ إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الاسلام، و هو قوام الدّين و الأجر فيه عظيم مع العزّه و المنعه و هو الكرّه فيه الحسنات و البشرى بالجنّه بعد الشّهاده و بالرّزق غدا عند الرّب و الكرامه يقول اللّه عزّ و جلّ: «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا »

۱- (۱) – أى متعبا.

«فِی سَبِیلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ »، الایه.

ثمّ إنّ الرّعب و الخوف من جهاد المستحقّ للجهاد و المتوازرین علی الضلال ضلال فی الدّین و سلب للدّنیا مع الذلّ و الصّغار، و فیه استیجاب النار بالفرار من الزّحف عند حضره القتال یقول اللّه عزّ و جلّ: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ ».

فحافظوا علی أمر اللّه عزّ و جلّ فی هذه المواطن الّتی الصّبر علیها کرم و سعاده، و نجاه فی الدّنیا و الاخره من فظیع الهول و المخافه، فانّ اللّه عزّ و جلّ لا یعبأ بما العباد مقترفون لیلهم و نهارهم لطف به علما، و کان «کل خ ل» ذلک فی کتاب لا یضلّ ربّی و لا ینسی، فاصبروا و صابروا و اسألوا النّصر، و وطنوا أنفسکم علی القتال و اتّقوا اللّه عزّ و جلّ، فانّ اللّه مع الّذین اتّقوا و الّذینهم محسنون.

بیان

رواه المحدّث العلامه المجلسیّ فی البحار من الکافی کما رویناه و قال بعد نقله:

قوله: من طرقها، لعلّه من الطروق بمعنی الاتیان باللّیل أی واظب علیها فی اللّیالی و قیل: أی جعلها دأبه و صنعته من قولهم هذا طرقه رجل أی صنعته.

و لا یخفی ما فیه و لا یبعد أن یکون تصحیف طوّق بها علی المجهول أی ألزمها کالطّوق بقرینه اکرم بها علی بناء المجهول أیضا.

قوله علی أهل الاسلام، الظاهر أنّه سقط هنا شیء قوله: من الأمانه، لعلّه بیان لسبیل المؤمنین، أی المراد بسبیل المؤمنین ولایه أهل البیت علیهم السّلام و هی الامانه المعروفه.

قوله علیه السّلام: و هو الکرّه، أی الحمله علی العدوّ و هی فی نفسها أمر مرغوب فیه اذ لیس هو الاّ مرّه واحده و حمله فیها سعاده الأبد، و یمکن أن یقرأ الکرّه بالهاء، أی هو مکروه للطباع فیکون إشاره إلی قوله تعالی: «کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ کُرْهٌ لَکُمْ »، و لعلّه أصوب.

و قال الجوهری: زحف إلیه زحفا، مشی و الزّحف الجیش یزحفون إلی العدوّ، و قوله: لطف به، الضمیر راجع إلی الموصول فی قوله: ما العباد مقترقون.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام است وصیّت میکرد با آن أصحاب خود را می فرمود:

مواظبت نمائید بأمر نماز و محافظت نمائید بر آن و بسیار کنید از گذاردن آن و تقرّب جوئید بدرگاه پروردگار با آن، پس بدرستی که بوده است آن نماز بر مؤمنین فرض واجب، آیا گوش نمی کنید بسوی جواب اهل آتش وقتی که سؤال کرده شدند که چه باعث شد بامدن شما در دوزخ، گفتند نبودیم ما در دنیا از نماز گذارندگان، و بدرستی که آن نماز می ریزد گناهان را مثل ریختن برک از درختان و بر می دارد قید گناهان را از گردن گناه کاران مثل برداشتن بند ریسمان از گردن حیوان.

و تشبیه فرموده است نمازهای پنج گانه را حضرت رسالتماب صلوات اللّه و سلامه علیه و آله بچشمهٔ آب گرمی که باشد در خانهٔ مرد پس بشوید آن مرد بدن خود را در آن چشمه در روز و شب پنج دفعه، پس نزدیک نیست که باقی ماند بر بدن او چرکی و کثافتی، و بتحقیق که شناخت قدر نماز را مردانی از مؤمنین که مشغول نمی کند ایشان را از آن نماز زینت متاع دنیا و نه چشم روشنی از اولاد و نه مال آن می فرماید حق تعالی در شان ایشان: «رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ » الایه، یعنی تسبیح کند خداوند را مردانی که مشغول نمی نماید ایشان را تجارت و خرید و فروش از ذکر پروردگار و از اقامه نماز و از دادن زکاه و بود حضرت رسول خدا بغایت متحمل بمشقّت و زحمت نماز با وجود این که بشارت بهشت داده بود او را بجهت فرمایش خدا که خطاب فرمود او را که: امر کن اهل خود را بنماز و صبر کن برحمت آن، پس بود آن بزرگوار امر می فرمود اهل خود را و وادار می نمود نفس خود را بر آن.

ص:۳۶۲

پس از آن بـدرستی که زکاه گردانیـده شـده با نماز مایـهٔ تقرّب خـدا از برای اهل اسـلام پس کسـی که عطا نماید زکاه را در حـالتی که با طیب نفس بدهـد آنرا پس بـدرستی که باشـد آن از برای او کفّارهٔ گناهان و حاجب و مانع از آتش سوزان، پس البتّه نباید احدی چشـمش بر پشت آن بدوزد، و البته نباید غمگین و پریشان شود بان از جهت این که هر کسـی که بدهد زکاه را بـا وجه إکراه و عـدم طیب نفس در حـالتی که امیـدوار باشـد بجهت دادن آن ثوابی را که أفضل باشـد از آن پس آن کس جاهلست بسنّت، مغبونست در اجرت، گمراهست در عمل، دراز است پشیمانی و ندامت آن.

پس از آن أداء أمـانت است پس بتحقیـق کـه نومیـد شـد کسـی کـه نبـوده از أهـل آن، بـدرستی که آن امـانت اظهـار شـد بر آسـمانهای بنـا شـده، و بر زمینهـای فرش شـده، و بر کوههـائی که صـاحب بلنـدی و منصوبست بر زمین، پس نیست هیـچ چیز درازتر و پهن تر و بلندتر و بزرگتر از آنها، و اگر امتناع می نمودی چیزی بجهت درازی یا پهنی یا بجهت قوّت یا عزّت هر آینه آنها امتناع می کردند، و لکن ترسـیدند از عذاب پروردگار، و فهمیدند چیزی را که جاهل شد بان کسـی که ضـعیفتر از ایشان بود که عبارت باشـد از انسان، بدرستی که آن انسان بسیار ظالمست بسـیار نادان، بدرستی که خدای تعالی مخفی نمی ماند بر او چیزی که بنـدگان کسب نمایند آنرا در شب و روز خودشان، لطیف خبیر است به کار ایشان، و محیط است با علم خود بان، أعضاء شما شاهدان اویند، و جوارح شما لشکران او، و قلبهای شما جاسوسان او، و خلوتهای شما آشکار است در نظر آن.

ص:۳۶۳

و من كلام له عليه السّلام و هو المأه و التاسع

اشاره

و التسعون من المختار فى باب الخطب

و اللّه ما معاويه بأدهى منّى، و لكنّه يغدر و يفجر، و لو لا كراهيّه الغدر لكنت من أدهى النّاس، و لكنّ كلّ غدره فجره، و كلّ فجره كفره، و لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامه، و اللّه ما أستغفل بالمكيده، و لا أستغمز بالشّديده.

اللغه

(الدّهى) بسكون الهاء و الدّهاء الفكر و الارب و جوده الرّأى و (غدر) غدرا من باب ضرب و نصر نقض عهده و (فجر) يفجر من باب قتل و (الغدره) و (الفجره) و (الكفره) كلّها فى بعض النسخ بفتح الفاء و سكون العين وزان تمره فالتّاء للمرّه، و فى بعضها بتحريك الفاء و العين وزان مرده فيكون جمع غادر و فاجر و كافر، و فى بعضها بضمّ الفاء و فتح العين وزان همزه فالتّاء للمبالغه أى الكثير الغدر و الفجور و الكفر، فان أسكنت العين فالبناء للمفعول تقول: رجل سخره، كهمزه يسخر من الناس، و سخره كغرفه من يسخر منه.

(و لا أستغمز) بالزاء المعجمه من الغمز و هو العصر باليد يقال غمزه غمزا من باب ضرب، و الغمز محرّكه الرّجل الضعيف قال الشارح البحرانى: و روى بالرّاء المهمله أى لا استجهل بشدايد المكايد، انتهى. و لعلّه من الغمر بالتحريك و هو من لم يجرّب الامور و الأوّل أصوب و أنسب.

ص:۳۶۴

الاعراب

الباء فی قوله: بأدهی زایده فی الخبر جیء بها لتأکید معنی النّفی کما فی قوله تعالی «وَ مَا اللّٰهُ بِغافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ » و قوله: بالشدیده، صفه محذوفه الموصوف أی بالدّواهی الشدیده و نحو ذلک.

المعنی

اعلم أنّ الغرض من هذا الکلام دفع توهّم من کان معتقدا أنّ معاویه أجود رأیا و أکثر تدبیرا منه، و تعرّض به علی معاویه من أجل عدم تحرّزه فی تدبیر الامور عن الغدر و الفجور، و صدّر الکلام بالقسم البارّ تأکیدا للمقصود فقال:

(و اللّه ما معاویه بأدهی منّی) أی لیس بأجود رأیا و أحسن تدبیرا و أبعد غورا و أعمق فکرا و أشدّ دهاء منّی، و إن فسّر الدّهاء بخصوص استعمال العقل و الرّأی فیما لا ینبغی فعله من الامور الدّنیویّه المعبّر عنه بالنّکراء فلا بدّ من جعل قوله علیه السّلام أدهی بمعنی أعرف بطرق الدّهاء و أبصر بها، لعدم اتّصافه بالدّهاء بهذا المعنی فضلا عن کونه أدهی.

(و لکنّه یغدر و یفجر) أی یستعمل الغدر فی اموره السّیاسیّه فیزعم أهل الجهل أنّه أدهی.

و قوله: و یفجر، إشاره إلی نتیجه الغدر یعنی أنّه من أجل إقدامه علی الغدر یکون فاجرا، و ذلک لأنّ الغدر مقابل الوفاء، و الوفاء فضیله داخله تحت العفّه، فیکون الغدر رذیله داخله تحت الفجور.

و أیضا الوفاء توأم الصّدق و الغدر توأم الکذب حسبما عرفت تفصیلا فی الخطبه الحادیه و الأربعین و شرحها، و الکذب من أعظم الفجور.

و ایضاح هذه الفقره ما تقدّم فی الخطبه المذکوره حیث قال علیه السّلام هناک:

و لقد أصبحنا فی زمان قد اتّخذ أکثر أهله الغدر کیسا و نسبهم أهل الجهل فیه إلی حسن الحیله، ما لهم قاتلهم اللّه قد یری الحوّل القلّب وجه الحیله و دونه

مانع من أمر اللّه و نهيه فيدعها رأى عن بعد القدره عليها و ينتهز فرصتها من لا حريجه له فى الدّين.

و روى فى الكافى فى حديث مرفوع عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له:

ما العقل؟ قال: ما عبد به الرّحمن و اكتسب به الجنان، قال: قلت: فالّذى كان فى معاويه؟ فقال: تلك النكراء تلك الشّيطنه، و هى شبيهه بالعقل و ليست بالعقل.

و لمّا نبّه على أنّ اتّصاف معاويه بالدّهاء من جهه عدم مبالاته بالغدر و الفجور، عقّبه بالتّنبيه على ما هو المانع من اتّصافه عليه السّلام به مع كونه أعرف و أغدر به منه فقال:

(و لو لا كراهيّه الغدر) و المكر و استلزامه للكذب و الغشّ و الخيانه و الفجور المنافى لمرتبه العصمه (لكنت من أدهى النّاس) فيدلّ هذه الجمله بمقتضى مفاد لو لا الامتناعيّه على امتناع اتّصافه بالدّهاء الملازم للغدر.

و المراد بالكراهه هنا الحرمه لا معناها المعروف فى مصطلح المتشرّعه كما صرّح به فى عبارته الّتى نقلناها آنفا من الخطبه الحاديه و الاربعين أعنى قوله:

قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيله و دونه مانع من أمر اللّه و نهيه فيدعها رأى عين بعد القدره عليها.

و أصرح منه ما رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن هشام بن سالم رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لو لا أنّ المكر و الخديعه فى النّار لكنت أمكر النّاس.

و أصرح منهما قوله:(و لكن كلّ غدره فجره و كلّ فجره كفره) و قد روى نظير هذه العباره عنه عليه السّلام فى الكافى باسناده عن الاصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام ذات يوم و هو يخطب على المنبر بالكوفه: أيّها الناس لو لا كراهيّه الغدر كنت أدهى النّاس ألا إنّ لكلّ غدره فجره و لكلّ فجره كفره، ألا و إنّ الغدر و الفجور و الخيانه فى النّار.

قال بعض شرّاح الكافى: الظاهر أنّ اللاّم فى لكلّ مفتوحه للمبالغه فى

التأكيد، و قوله: الغدر و الخيانه فى النّار، إمّا على حذف المضاف أى صاحبها، أو المصدر بمعنى الفاعل، هذا.

فان قلت: استلزام الغدر للفجور المستفاد من قوله عليه السّلام: و لكن كلّ غدره فجره قد عرفنا وجهه سابقا، و أمّا استلزام الفجور للكفر المستفاد من قوله:

و كلّ فجره كفره فما الوجه فيه؟، قلت: قال بعض الشّارحين: وجه لزوم الكفر هنا إنّ الغادر على وجه استباحه ذلك و استحلاله كما كان هو المشهور من حال عمرو بن العاص و معاويه فى استباحه ما علم تحريمه بالضروره من دين محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جحده هو الكفر.

و قال الشارح البحرانى: و يحتمل أن يريد كفر نعم اللّه و سترها باظهار معصيه كما هو المفهوم اللغوى من لفظ الكفر، انتهى.

و يتوجّه على الأوّل أوّلا أنّه أخصّ من المدّعى لأنّ المدّعى هو كفر كلّ غادر كما هو ظاهر المتن لا الغادر المستبيح المستحلّ للغدر فقط، و ثانيا كون حرمه الغدر من ضروريّات الدّين غير معلوم.

و على الثّانى أنّه خلاف الظاهر.

و الأظهر أنّه داخل فى القسم الرّابع من أقسام الكفر التى تقدّم تفصيلها فى حديث الكافى فى شرح الفصل الثامن عشر من الخطبه الاولى، فقد روينا هناك عن الكلبى باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: الكفر فى كتاب اللّه عزّ و جلّ على خمسه أوجه «إلى أن قال» الوجه الرّابع من الكفر ترك ما أمر اللّه و هو قول اللّه تعالى «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » فكفرهم بترك ما أمر اللّه و نسبهم إلى الايمان و لم يقبله منهم و لم ينفعهم فقال «فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ ».

و قوله (و لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامه) قال الشّارح المعتزلى: حديث صحيح مروىّ عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أقول: و هو تنفير عن الغدر.

و نحوه ما رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن النّوفلى عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يجىء كلّ غادر يوم القيامه بامام مايل شدقه حتّى يدخل النّار، و يجىء كلّ ناكث بيعه إمام أجذم حتّى يدخل النّار، هذا.

و لمّا ذكر أنّ معاويه ليس بأدهى منه و نبّه على معرفته بطرق الدّهاء و خبرويّته بها أكّده بقوله:

(و اللّه ما استغفل بالمكيده) أى لا يطمع فى اغفالى بالكيد علىّ، لأنّى أحذر من الغراب و إن كان الطامع فى الكيد أروغ من الثّعلب، فانّ من كان أعرف بطرق الخداع و وجوه التّدابير و الحيل لا يتمكّن من إغفاله و لا يلحقه الغفله عمّا يراد فى حقّه من الكيد و الخديعه كما قال عليه السّلام فى الكلام السّادس: و اللّه لا أكون كالضّبع تنام على طول اللّدم حتّى يصل إليها طالبها و يختلها راصدها.

(و لا استغمز بالشّديده) أى لا استضعف بالخطوب الشّديده و الدّواهى العظيمه لأنّى البطل الأهيس و الحازم الأكيس و الشّجاع الأسوس.

فقد اتّضح كلّ الوضوح بما أتى به فى هذا الكلام بطلان توهّم من زعم أنّ معاويه كان أدهى منه عليه السّلام و أصحّ تدبيرا.

و قد بسط الكلام فى هذا المرام أبو عثمان الجاحظ على أحسن تقرير و تبيان و فصّل الشارح المعتزلى تفصيلا عجيبا أحببت نقل ما قالا، لأنه من لسانهما أحلى فأقول:

أما الجاحظ فقد قال فى محكىّ كلامه:

و ربما رأيت بعض من بطن بنفسه العقل و التحصيل و الفهم و التمييز و هو من العامه و يظنّ أنه من الخاصه يزعم أنّ معاويه كان أبعد غورا و أصحّ فكرا و أجود

ص:۳۶۸

رويّه و أبعد غايه و أدقّ مسلكا، و ليس الأمر كذلك و سارى إليك بجمله تعرف بها موضع غلطه و المكان الّذى دخل عليه الخطاء من قبله.

كان علىّ عليه السّلام لا يستعمل فى حربه إلّا ما وافق الكتاب و السنّه.

و كان معاويه يستعمل خلاف الكتاب و السّنّه كما يستعمل الكتاب و السنه، و يستعمل جميع المكائد حلالها و حرامها و يسير فى الحرب بسيره ملك الهند إذا لاقى كسرى، و خاقان إذا لاقى رتبيل.

و علىّ عليه السّلام يقول: لا تبدءوا بالقتال حتّى يبدؤكم، و لا تتبعوا مدبرا، و لا تجهزوا على جريح، و لا تفتحوا بابا مغلقا، و هذه سيرته فى ذى الكلاع و فى أبى أعور السلّمى، و فى عمرو بن العاص، و حبيب بن مسلمه و فى جميع الرّؤساء كسيرته فى الحاشيه و الحشو و الأتباع و السّفله.

و أصحاب الحروب إن قدروا على البيات تبيّتوا. و إن قدروا على رضخ الجميع بالجندل و هم نيام فعلوا و إن أمكن ذلك فى طرفه عين، و لم يؤخّروا الحرق إلى وقت الغرق، و إن أمكن الهدم لم يتكلّفوا الحصار، و لم يدعوا أن ينصبوا المجانيق و العراوات و النّقب و الشريب و الدّبابات و الكمين، و لم يدعوا دسّ السّموم و لا التضريب بين النّاس بالكذب و طرح الكتب فى عساكرهم بالسّعايات و توهيم الامور و ايحاش بعضهم من بعض و قتلهم بكلّ آله و حيله كيف وقع القتل و كيف دارت بهم الحال.

فمن اقتصر من التدبير حفظك اللّه على ما فى الكتاب و السنّه و كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدّبير و ما لا يتناهى من المكايد، و الكذب أكثر من الصّدق و الحرام أكثر عددا من الحلال، و كذلك الايمان و الكفر و الطاعه و المعصيه و الحقّ و الباطل، و كذلك الصّحه و السّقم و الصّواب و الخطاء.

فعلىّ عليه السّلام كان ملجما بالورع عن جميع القول إلّا ما هو للّه عزّ و جلّ رضى، و ممنوع اليدين عن كلّ بطش إلّا ما هو للّه رضى، و لا يرى الرّضاء إلّا فيما يرضاه اللّه و يحبّه، و لا يرى الرّضاء إلّا فيما دلّ عليه الكتاب و السنّه دون ما يقول عليه أصحاب الدّهاء و النّكراء و المكايد و الاراء.

فلمّا أبصرت العوام كثره بوادر معاويه فی المکاید، و کثره غرایبه فی الخدع، و ما اتّفق له و تهیّأ علی یده، و لم یروا ذلک من علیّ، ظنّوا بقصر عقولهم أنّ ذلک من رجحان عند معاویه و نقصان عند علیّ فقالوا لو لم ما یعدّ له من الخدع إلاّ رفع المصاحف.

ثمّ انظر هل خدع بها إلاّ من عصی رأی علیّ و خالف أمره، فان زعمت أنّه قد نال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت و لیس فی هذا اختلفنا، و لا عن غراره أصحاب علیّ علیه السّلام و عجلتهم و تسرّعهم و تنازعهم دفعنا، و إنّما کان قولنا فی التمیز بینهما فی الدّهاء و النکراء و صحّه الرّأی و العقل.

علی أنّا لا نصف الصالحین بالدّهاء و النکراء، و لا یقول أحد عنده شیء من الخیر: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أدهی العرب و العجم و أنکر قریش و أنکر کنانه.

لأنّ هذه الکلمه إنّما وضعت فی مدیح أصحاب الارب و من یتعمّق فی الرأی فی توکید أمر الدّنیا و زبرجها و تشدید أرکانها.

فأمّا أصحاب الاخره الّذین یرون النّاس لا یصلحون علی تدبیر البشر و انّما یصلحون علی تدبیر خالق البشر لا یمدحون بالدّهاء و النکراء، و لم یمنعوا إلاّ لیعطوا أفضل منه.

و أما الشارح المعتزلی فقد قال:

إنّ السّایس لا یتمکّن من السّیاسه البالغه إلاّ إذا کان یعمل برأیه و بما یری فیه صلاح ملکه و تمهید أمره، سواء وافق الشریعه أو لم یوافقها، و متی لم یعمل فی السّیاسه بمقتضی ما قلناه فبعید أن ینتظم أمره أو یستوسق حاله.

و أمیر المؤمنین علیه السّلام کان مقیّدا بقیود الشریعه، مدفوعا إلی اتّباعها و رفض ما یصلح من آراء الحرب و الکید و التدبیر إذا لم یکن للشرع موافقا، فلم یکن قاعده فی خلافته قاعده غیره ممّن لم یلتزم بذلک.

و لسنا زارین بهذا القول علی عمر بن الخطّاب، و لکنّه کان مجتهدا یعمل بالقیاس و الاستحسان و المصالح المرسله و یری تخصیص عمومات النّصّ بالاراء و بالاستنباط من اصول یقتضی خلاف ما یقتضیه عموم النّصوص، و یکید خصمه و یأمر

أمراءه بالكيد و الحيله، و يؤدّب بالدّرّه و السّوط من يتغلّب على ظنّه أنّه يستوجب ذلك، و يصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقّون به التّأديب كلّ ذلك بقوّه اجتهاده و ما يؤدّيه إليه نظره.

و لم يكن أمير المؤمنين عليه السّلام يرى ذلك، و كان يقف مع النصوص و الظواهر و لا يتعدّاها إلى الاجتهاد و الأقيسه، و يطبّق امور الدّنيا على امور الدّين، و يسوق الكلّ مساقا واحدا، و لا يضع و لا يرفع إلّا بالكتاب و النّصّ، فاختلف طريقتاهما فى الخلافه و السّياسه.

و كان عمر مع ذلك شديد الغلظه، و كان علىّ عليه السّلام كثير الحلم و الصّفح و التجاوز فازدادت خلافه ذلك قوّه، و خلافه هذا لينا.

و لم يمن عمر بما منى علىّ به من فتنه عثمان الّتى أحوجته إلى مداراه أصحابه و جنده و مقاربتهم للاضطراب الواقع بطريق تلك الفتنه.

ثمّ تلى تلك الفتنه فتنه الجمل و فتنه صفّين ثمّ فتنه النّهروان و كلّ ذلك الامور مؤثره فى اضطراب أمر الوالى و اغلال معاقد ملكه، و لم يتّفق لعمر شيء من ذلك فشتّان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكه و صحّه تدبير الخلافه.

فان قلت: فما قولك فى سياسه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تدبيره أ ليس كان منتظما سديدا مع أنّه كان لا يعمل إلّا بالنّصوص و التوقيف من الوحى، فهلا كان تدبير علىّ عليه السّلام و سياسته كذلك؟.

قلت: أمّا سياسه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تدبيره فخارج عمّا نحن فيه، لأنّه معصوم لا يتطرّق العلّه إلى أفعاله، و ليس بواحد من هذين الرّجلين بواجب العصمه عندنا «إلى أن قال»:

و كان أبو جعفر بن أبى زيد الحسنى نقيب البصره إذا حدّثناه فى هذا يقول:

إنّه لا فرق عند من قرء السير بين سيره النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سياسه أصحابه أيّام حياته، و بين سيره أمير المؤمنين و سياسه أصحابه أيّام حياته، فكما أنّ عليّا عليه السّلام لم يزل أمره مضطربا معهم بالمخالفه و العصيان و الهرب إلى أعدائه و كثره اختلافه و الحروب

فكذلك كان النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ممنوا بنفاق المنافقين و اذاهم و خلاف أصحابه عليه و هرب بعضهم إلى أعدائه و كثره الحروب و الفتن.

و كان يقول: أ لست ترى القرآن العزيز مملوّا بذكر المنافقين و الشّكوى منهم و التّألّم من أذاهم له، كما أنّ كلام عليّ مملوّ بالشكوى من منافقى أصحابه و التّألّم من أذاهم له.

ثمّ ذكر كثيرا من الايات المتضمنّه لنفاق المنافقين و الشكوى منهم لا حاجه بنا إلى ذكرها ثمّ قال:

فمن تأمّل كتاب العزيز علم حاله صلوات اللّه عليه مع أصحابه كيف كانت و لم ينقله اللّه إلى جواره إلاّ و هو مع المنافقين له و المظهرين خلاف ما يضمرون من تصديقه فى جهاد شديد، حتّى لقد كاشفوه مرارا فقال لهم يوم الحديبيّه: احلقوا و انحروا، فلم يحلقوا و لم ينحروا و لم يتحرّك أحد منهم عند قوله، و قال له بعضهم و هو يقسم الغنائم: اعدل يا محمّد فانّك لم تعدل، و قالت الأنصار له مواجهه يوم حنين أ تأخذ ما أفشاه اللّه علينا بسيوفنا فتدفعه إلى أقاربك من أهل مكه، حتى أفضى إلى أن قال لهم فى مرض موته: ايتونى بدواه و كتف أكتب لكم ما لا تضلّون بعده، فعصوه و لم يأتوه بذلك وليتهم اقتصروا على عصيانه و لم يقولوا له ما قالوا و هو يسمع قال:

و كان أبو جعفر يقول من هذا ما يطول شرحه و القليل منه ينبىء عن الكثير و كان يقول:

إنّ الاسلام ما جلا عندهم و لا ثبت فى قلوبهم إلاّ بعد موته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين فتح عليهم الفتوح و جائتهم الغنائم و الأموال و كثرت عليهم المكاسب و ذاقو الذّه الحياه و عرفوا لذّه الدّنيا و لبسوا الناعم و أكلوا الطيب و تمتّعوا بنساء الرّوم و ملكوا خزائن كسرى، و تبدّلوا بذلك التقشّف و اللبس الخشن و أكل الضباب و القنافذ و اليرابيع و لبس الصّوف و الكرابيس أكل اللّوز ينجات و الفالوزجات و لبس الحرير و الدّيباج فاستدلّوا بما فتحه اللّه عليهم و أتاخه لهم على صحّه الدّعوه و صدق الرّساله.

و قد كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، وعدهم بأنّه سيفتح عليهم كنوز كسرى و قيصر، فلما

وجدوا الأمر قد وقع بموجب ما قاله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عظّموه و أحبّوه و انقلبت تلك الشكوى و ذلك النفاق و ذلك الاستهزاء إيمانا و يقينا و إخلاصا، و طاب لهم العيش، و تمسّكوا بالدين لأنّهم رأوه طريقا إلى نيل الدّنيا، فعظّموا ناموسه، و بالغوا فى إجلاله و إجلال الرسول الذى جاء به.

ثمّ انقرض الأسلاف و جاء الأخلاف على عقيده ممهّده و أمر أخذوه تقليدا من أسلافهم الذين دبّوا فى حجورهم، ثمّ انقرض ذلك القرن و جاء من بعدهم كذلك و هلم جرّا قال:

و لو لا الفتوح و النّصر و الظفر الذى منحهم اللّه تعالى إيّاه و الدوله الّتى ساقها إليهم لا نقرض دين الاسلام بعد وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كان يذكر فى التواريخ كما يذكر نبوّه خالد بن سنان العنسى حيث ظهر و دعا إلى الدّين و كان النّاس يعجبون من ذلك و يتذاكرونه كما يعجبون و يتذاكرون أخبار من نبغ من الرّؤساء و الملوك و الدّعاه الذين انقرض أمرهم و بقيت أخبارهم، و كان يقول:

من تأمّل الرّجلين وجدهما متشابهين فى جميع امورهما أو فى أكثرها.

و ذلك لأنّ حرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع المشركين كانت سجالا انتصر يوم بدر و انتصر المشركون عليه يوم احد، و كان يوم الخندق كفافا خرج هو و هم سواء لا له و لا عليه، لأنّهم قتلوا رئيس الأوس و هو سعد بن معاذ و قتل منهم فارس قريش و هو عمرو بن عبدود و انصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك السّاعه الّتى كانت، ثمّ حارب قريشا بعدها يوم الفتح فكان الظفر له.

و هكذا كانت حروب علىّ عليه السّلام انتصر يوم الجمل و خرج بينه و بين معاويه على سواء قتل من أصحابه رؤساء، و من أصحابه رؤساء و انصرف كلّ واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على مكانه، ثمّ حارب بعد صفّين أهل النهروان فكان الظفر له قال:

و من العجب أنّ أوّل حروب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كانت بدرا و كان هو المنصور

فيها، و أوّل حروب علىّ عليه السّلام الجمل و كان هو المنصور.

ثمّ كان من صحيفه الصلح و الحكومه يوم صفين نظير ما كان من صحيفه الصلح و الهدنه يوم الحديبيّه ثمّ دعا معاويه فى آخر أيّام علىّ عليه السّلام إلى نفسه و تسمّى بالخلافه كما أنّ مسيلمه و الأسود العنسى دعوا إلى أنفسهما فى آخر أيّام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تسمّيا بالنّبوه، و اشتدّ على علىّ عليه السّلام ذلك كما اشتدّ على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمر الأسود و مسيلمه، و بطل أمرهما بعد وفاه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كذلك بطل أمر معاويه و بنى اميه بعد وفاه علىّ عليه السّلام.

و لم يحارب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحد من العرب إلّا قريش ما عدا يوم حنين، و لم يحارب عليّا عليه السّلام أحد من العرب إلّا قريش ما عدا يوم النّهروان.

و مات علىّ عليه السّلام شهيدا بالسّيف، و مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شهيدا بالسمّ.

و هذا لم يتزوّج على خديجه امّ أولاده حتّى ماتت، و هذا لم يتزوّج على فاطمه أمّ أشرف أولاده حتّى ماتت.

مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن ثلاث و ستّين سنه و مات علىّ عليه السّلام عن مثلها، و كان يقول:

انظروا إلى أخلاقهما و خصائصهما:

هذا شجاع و هذا شجاع، و هذا فصيح و هذا فصيح، و هذا سخىّ جواد و هذا سخىّ جواد، و هذا عالم بالشرايع و الامور الالهيه و هذا عالم بالفقه و الشريعه و الامور الدقيقه الغامضه و هذا زاهد فى الدّنيا غيرنهم عليها و لا مستكثر منها و هذا زاهد فى الدّنيا تارك لها غير متمتّع بلذّاتها، و هذا مذيب نفسه فى الصّلاه و العباده و هذا مثله، و هذا غير محبّ إليه شىء من الامور العاجله إلّا النساء و هذا مثله، و هذا ابن ابن عبد المطلب بن هاشم و هذا فى تعداده، و أبوهما أخوان لأب واحد دون غيرهما من بنى عبد المطلب و ربّى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حجر والده هذا و هو أبو طالب فكان عنده جاريا مجرى أحد أولاده، ثمّ لمّا شبّ و كبر استخلص من بنى أبى طالب و هو غلام فربّاه فى حجره مكافاه لصنيع أبى طالب به، فامتزج الخلقان و تماثلت السّجيّتان، و إذا كان القرين

مقتديا بالقرين فما ظنك بالتّربيه و التثقيف الدّهر الطويل.

فوجب أن يكون أخلاق محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كأخلاق أبى طالب، و أن يكون أخلاق علىّ كأخلاق أبى طالب أبيه و أخلاق محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مربّيه و أن يكون الكلّ شيمه واحده وسوسا واحدا و طينه مشتركه و نفسا غير منقسمه و لا متجزيّه، و أن لا يكون بين بعض هؤلاء و بعض فرق و لا فصل لو لا أنّ اللّه اختصّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله برسالته و اصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البريه فى ذلك، فامتاز رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقوله: أخصّك بالنّبوه فلا نبوّه بعدى، و تخصم النّاس بسبع و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له أيضا: أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلّا أنّه لا نبىّ بعدى، فأبان نفسه بالنّبوه و أثبت له ما عداها من جميع الفضايل و الخصائص مشتركا بينهما.

قال الشّارح المعتزلى:

و كان النّقيب أبو جعفر غزير العلم صحيح العقل منصفا بالجدل غير متعصّب للمذهب و إن كان علويا و كان يعترف بفضايل الصّحابه و يثنى على الشّيخين و يقول: إنهما مهّدا دين الاسلام و أرسيا قواعده و لقد كان شديد الاضطراب فى حياه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنّما مهّداه بما تيسّر للعرب من الفتوح و الغنايم فى دولتهما و كان يقول فى عثمان: إنّ الدوله فى أيّامه كانت على إقبالها و علوّ جدّها بل كانت الفتوح فى أيّامه أكثر و الغنايم أعظم لو لا أنّه لم يراع ناموس الشيخين و لم يستطع أن يسلك مسلكهما و كان مضعفا فى أصل القاعده مغلوبا عليه و كثير الحبّ لأهله و اتيح له من مروان وزير سوء ما أفسد القلوب عليه و حمل النّاس على خلعه و قتله.

قال الشّارح: و كان أبو جعفر لا يجحد الفاضل فضله و الحديث ذو شجون قلت له مرّه:

ما سبب حبّ النّاس لعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام و عشقهم له و تهالكهم فى هواه؟ و دعنى فى الجواب من حديث الشّجاعه و العلم و الفصاحه و غير ذلک من الخصائص التى رزقه اللّه سبحانه الكثير الطيّب منها.

فضحكك و قال لى: لم تجمع حرا ميزك علىّ؟ ثمّ قال: ههنا مقدّمه ينبغى أن تعلم و هى:

إنّ أكثر النّاس موتورون من الدنيا أمّا المستحقّون فلا ريب فى أنّ أكثرهم محرومون.

نحو عالم يرى أنّه لا حظّ له من الدّنيا، و يرى جاهلا غيره مرزوقا موسّعا عليه.

بضروراته، و يرى غيره و هو جبان فشل ينفر من ظلّه مالكا بقطر عظيم من الدّنيا و قطعه وافره من المال و الرزق.

و عاقل سديد الرّأى صحيح العقل قد قدر عليه رزقه و هو يرى غيره أحمق مايقا تدرّ عليه الخيرات له أخلاف الرّزق و ذى دين قويم و عباده حسنه و اخلاص و توحيد و هو محروم ضيق الرزق و يرى غيره يهوديّا أو نصرانيا أو زنديقا كثير المال حسن الحال حتّى أنّ هذه الطبقات المستحقّه يحتاجون فى أكثر الوقت إلى الطبقات الّتى لا استحقاق لها، و تدعوهم الضّروره إلى الذلّ لهم و الخضوع بين أيديهم إمّا لدفع ضرر أو لاستجلاب نفع.

و دون هذه الطبقات من ذوى الاستحقاق أيضا ما يشاهد عيانا من تجّار حاذق أو بنّاء عالم أو نقاش بارع أو مصوّر لطيف على غايه ما يكون من ضيق رزقهم و قلّه الحيله بهم، و يرى غيرهم ممّن ليس يجرى مجراهم و لا يلحق طبقتهم مرزوقا مرغوبا كثير المكسب طيب العيش واسع الرّزق.

فهذا حال ذوى الاستحقاق و الاستعداد.

و أما الذين ليسوا من أهل الفضايل كحثو العامّه فانّهم أيضا لا يخلون من الحقد على الدّنيا و الذمّ لها و الحنق و الغيظ منها لما يلحقهم من حسد أمثالهم و جيرانهم و لا ترى أحدا منهم قانعا بعيشه و لا راضيا بحاله يتزيّد و يطلب حالا فوق حاله قال:

فاذا عرفت هذه المقدّمه فمعلوم أنّ عليّا عليه السّلام كان مستحقا محروما بل هو أمير المستحقّين المحرومين و سيّدهم و كبيرهم، و معلوم أنّ الّذين يلحقهم النّزله و ينالهم الضّيم يتعصّب بعضهم لبعض و يكونون البا و يدا واحده على المرزوقين الّذين ظفروا بالدّنيا لاشتراكهم فى الأمر الذى ألمهم و ساءهم و عضّهم و مضّهم، و اشتراكهم فى الأنفه و الحميه و الغضب و المنافسه لمن عليهم و قهر عليهم و بلغ من الدّنيا ما لم يبلغوه.

فاذا كان هؤلاء أعنى المحرومين متساوين فى المنزله و المرتبه و تعصّب بعضهم لبعض فما ظنّك بما إذا كان رجل عظيم القدر جليل الخطر كامل الشرف جامع للفضايل محتو على الخصائص و المناقب و هو مع ذلك محروم محدود قد جرّعته الدّنيا علاقمها، و علته عللا بعد نهل من صابها و صبرها، و لقى منها برحا بارحا و جهدا جهيدا و علا عليه من هو دونه و حكم فيه و فى بيته و أهله و رهطه من لم يكن ما ناله من الامره و السّلطان فى حسابه، و لا دائرا فى خلده، و لا خاطرا بباله، و لا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له و لا يراء له، ثم كان فى آخر الامر أن قتل هذا الرجل الجليل فى محرابه و قتل بنوه بعده و سبى حريمه و نساؤه و تتّبع أهله و بنو عمّه بالطرد و القتل و الشّريد و السّجون مع فضلهم و زهدهم و عبادتهم و سخائهم و انتفاع الخلق بهم.

فهل يمكن أن لا يتعصّب البشر كلّهم مع هذا الشّخص و هل تستطيع أن لا تحبّه و تهواه و تذوب فيه و تفنى فى عشقه انتصارا له و حميّه من أجله و آنفه ممّا ناله و امتعاضا ممّا جرى عليه.

و هذا أمر مركوز فى الطّبايع مخلوق فى الغرائز كما يشاهد النّاس على الجرف إنسانا قد وقع فى الماء العميق و هو لا يحسن السّباحه فانّهم بالطّبع البشرى يرقّون عليه رقّه شديده.

و قد بلغنى أنّه رمى قوم منهم أنفسهم فى الماء نحوه يطلبون تخليصه و لا يتوقّعون على ذلك مجازاه منه بمال أو شكر و لا ثواب فى الاخره فقد يكون منهم من لا يعتقد أمر الاخره، و لكنّها رقّه بشريّه و كان الواحد منهم يتخيّل فى نفسه أنّه ذلك الغريق

فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذا الغريق كذلك يطلب تخليص من هو فى تلك الحال الصّعبه للمشاركه الجنسيّه.

و كـذلك لو أنّ ملكـا ظلم أهـل بلـد من بلاده ظلما عنيفا لكان أهل ذلك البلـد يتعصّب بعضـهم لبعض فى الانتصار من ذلك الملك و الاستعداء عليه.

فلو كان من جملتهم رجل عظيم القـدر جليل الشّأن قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه إيّاهم و أخذ أمواله و ضـياعه و قتل أولاده و أهله كـان ليـاذهم به و انضوائهم إليه و اجتمـاعهم و التفـافهم به أعظم و أعظم، لأنّ الطّبيعه البشريّه تـدعو إلى ذلك على سبيل الايجاب و الاضطرار و لا يستطيع الانسان منه امتناعا.

قال الشّارح: هذا محصول قول النقيب أبى جعفر قد حكيته و الألفاظ لى و المعنى له، و كان لا يعتقد فى الصّحابه ما يعتقده أكثر الاماميّه فيهم و يسفّه رأى من يذهب فيهم إلى النّفاق و التّكفير، و كان يقول: حكمهم حكم مسلم مؤمن عصى فى بعض الافعال فحكمه إلى اللّه إن شاء أخـذه و إن شاء غفر له قلت له مرّه: أ فتقول إنّهما من أهل الجنّه؟ فقال: إى و اللّه أعتقد ذلك لأنّهما إمّا أن يعفو اللّه عنهما ابتداء أو بشـفاعه الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو بشفاعه علىّ أو يؤاخذهم بعقاب أو عتاب ثمّ ينقلهما إلى الجنه لا استريب فى ذلك أصلا و لا أشكّ فى ايمانهما برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و صحّه عقيدتهما فقلت له: فعثمان؟ قال: و كذلك عثمان ثمّ قال: رحم اللّه عثمان و هل كان إلّا واحدا منّا و غصـنا من شجره عبد مناف، و لكن أهله كدروه علينا و أوقعوا العـداوه و البغضـاء بينه و بيننا قلت له: فيلزم ذلك على ما تراه فى أمر هؤلاء أن يجوز دخول معاويه الجنّه لأنه لم تكن منه إلّا المخالفه و ترك امتثال أمر النبوىّ.

فقـال: كلاّـ إنّ معاويه من أهل النار لا لمخالفته عليا و لا بمحاربته ايّاه، و لكن عقيـدته لم تكن صـحيحه و لا ايمانه حقا كان من رءوس المنافقين هو و أبوه، و لم يسلم قلبه قطّ و إنما أسلم لسانه، و كان يذكر من حديث معاويه و من فلتات

قوله و ما حفظ من كلام يقتضـى فساد العقيـده شـيئا كثيرا ليس هنا موضع ذكره فأذكره و قال لى مرّه: حاش للّه أن يثبت معاويه فى جريده الشـيخين الفاضلين أبى بكر و عمر و اللّه ما هما إلّا كالذّهب الابريز و لا معاويه إلّا كالدّرهم الزايف أو قال كالدّرهم القمى.

ثمّ قال لى: فما يقول أصـحابكم فيهما؟ قلت: أما الـذى اسـتقرّ عليه رأى المعتزله بعـد اختلاف كثير بين قـدمائهم فى التفضـيل و غيره إنّ عليا عليه السّـلام أفضل الجماعه و إنّهم تركوا الأفضل لمصلحه رأوها و إنه لم يكن هناك نصّ قاطع العذر و إنما كانت إشاره و ايماء لا يتضـمّن شـىء منها صريح النصّ و إنّ عليا نازع ثمّ بايع، و جمح ثمّ اسحب، و لو قام على الامتناع لم نقل بصحّه البيعه له و لاـ بلزومهـا، و لو جرّد السـيف كمـا جرّده فى آخر الأـمر لقلنا بفسق كلّ من خالفه على الاطلاق إنه فاسق كافر و لكن رضـى بالبيعه أخيرا و دخل فى الطاعه، و بالجمله أصـحابنا يقولون: إنّ الأمر كان له و كان هو المستحقّ و المتعيّن فان شاء أخذه بنفسه و إن شاء ولّاه غيره فلما رأيناه قد وافق على ولايه غيره اتبعناه و رضيناه.

فقال: قـد بقى بينى و بينكم قليل أنا أذهب إلى النصّ و أنتم لا تذهبون إليه؟ فقلت: إنه لم يثبت النصّ عندنا بطريق يوجب العلم، و ما تذكرونه أنتم صريحا فانتم تنفردون بنقله، و ما عدا ذلك من الأخبار التى نشارككم فيها فلها تأويلات معلومه.

فقال و هو ضـجر: يا فلان لو فتحنا باب التأويلات لجاز أن نتأوّل قولنا لا إله إلّا اللّه محمّد رسول اللّه، دعنى من التأويلات البارده التى تعلم القلوب و النفوس أنها غير مراده و أنّ المتكلّمين تكلّفوها و تعسّـفوها، فانما أنا و أنت فى الـدّار و لا ثالث لنا فيسـتحيى أحدنا من صاحبه أو يخافه.

قال الشارح: فلما بلغنا إلى هذا الموضع دخل قوم ممن كان يخشاه، فتركنا ذلك الاسلوب من الحديث و خضنا فى غيره، انتهى.

ص:۳۷۹

قال الشارح المحتاج إلى رحمه ربّ العالمين المتمسّک بحبل اللّه المتين ولايه أمير المؤمنين:

للّه در الشارح المعتزلى و النّقيب أبى جعفر الحسنى، فلقد أجاد كلّ منهما فيما أفاد، و أسفرا النّقاب عن وجه المراد، و حقّقا ما هو الحقّ الأحقّ بالاتباع، و أفصحا عن صريح مذهب الشّيعه الاماميّه رضى اللّه عنهم لو لا إنكار الأوّل للنّص الجلى و تعصّب الثّانى فى حقّ الشيخين و قوله: بأنّهما من أهل الجنّه بشفاعه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله أو بشفاعه علىّ عليه السّلام و بعباره اخرى عدم تبرّيه من الشّيخين مع تولّيه لأمير المؤمنين فان كان ما قالاه مقتضى التّقيّه الّتى هى شعار الاماميّه أى يكون ما أضمراه خلاف ما أظهراه، فطوبى لهم و حسن ماب و جنّات خلد مفتّحه الأبواب.

و إن كان سريرتهما وفق علانيتهما فويل لهما من ديّان الدّين يوم حشر الأوّلين و الاخرين.

و ما أدرى ما ذا يعتذران به إذا لاقيا أمير المؤمنين فى موقف حساب ربّ العالمين و كيف يمكن إنكار النصّ مع وجود النّصوص القاطعه المتواتره العاميه و الخاصيّه حسبما عرفت فى تضاعيف الشرح و تعرف أيضا فى المواقع اللايقه، أم كيف يمكن اجتماع ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام و محبّته فى القلب مع محبّه الشيخين و ما جعل اللّه لرجل فى جوفه من قلبين و لنعم ما قال مجنون العامرى:

و لو كان لى قلب يذوب بحبّها و قلب باخرى إنّها لقلوب

و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و السابعه و الأربعين أخبار كثيره فى عدم اجتماع محبّته عليه السّلام مع محبّه غيره فليتذكّر، هذا.

مضافا إلى النصّ الذى هو مسلّم النقيب كما أنه مثبت لخلافه أمير المؤمنين ناف لخلافه المنتحلين المبطلين، و بالجمله لازمه الولايه الحقّه الثبات فى عداوه الثلاثه.

و هنا لطيفه مناسبه للمقام يعجبنى ذكرها و هو:

إنّ الشيخ صالح بن حسن سأل عن الشيخ الأجلّ بهاء الملّه و الدّين قدّس اللّه

روحه و قال: ما قول سيدى و سندى فى هذه الأبيات لبعض النواصب فالمأمول أن تشرفوا بجواب منظوم يكسر سورته:

أهوى عليا أمير المؤمنين و لا أرضى بسبّ أبى بكر و لا عمرا

و لا أقول إذا لم يعطيا فدكا بنت النبىّ رسول اللّه قد كفرا

اللّه يعلم ما ذا يأتيان به يوم القيامه من عذر إذا اعتذرا

فأجابه الشيخ قدّس سرّه العزيز: التمست أيها الأخ الأفضل الصفىّ الوفىّ أطال اللّه بقاك و أدام فى معارج العزّ ارتقاك الاجابه عما هذر به هذا المخذول فقابلت التماسك بالقبول و طفقت أقول:

يا أيها المدّعى حبّ الوصىّ و لم تسمح بسبّ أبى بكر و لا عمرا

كذبت و اللّه فى دعوى محبّته تبّت يداك ستصلى فى غد سقرا

فكيف تهوى أمير المؤمنين و قد أراك فى سبّ من عاداه مفتكرا

فان تكن صادقا فيما نطقت به فابرء إلى اللّه ممّن خان أو غدرا

و أنكر النصّ فى خمّ و بيعته و قال إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد هجرا

أتيت تبغى قيام العذر فى فدك أ نحسب الأمر فى التمويه مستترا

إن كان فى غصب حقّ الطهر فاطمه سيقبل العذر ممّن جاء معتذرا

فكلّ ذنب له عذر غداه غد و كلّ ظلم ترى فى الحشر مغتفرا

فلا تقولوا لمن أيّامه صرفت فى سبّ شيخيكم قد ضلّ أو كفرا

بل سامحوه و قولوا لا نؤاخذه عسى يكون له عذر إذا اعتذرا

فكيف و العذر مثل الشمس اذ بزغت و الأمر متّضح كالصّبح إذ ظهرا

لكنّ إبليس أغواكم و صيّركم عميا و صمّا فلا سمعا و لا بصرا

الترجمه

مى فرمايد قسم بخدا نيست معاويه زيركتر از من در تدبير امورات دنيويّه،

و لكن آن ملعون مكر و حيله ميكند و حيله ميكند و مرتكب فسق و فجور مى شود، و اگر حيله كردن حرام نمى شد هر آينه مى بودم من از زيركترين خلق و لكن هر حيله كننده فاسق و فاجر است، و هر فاسق و فاجر كافر، و هر صاحب حيله را علمى است شناخته مى شود با او در روز قيامت، بخدا سوگند طلب نمى شود غفلت از من بجهت كيد و حيله و طمع نمى شود در ضعف من بجهت شدايد و سختيهاى روزگار.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأتان

اشاره

من المختار فى باب الخطب

أيّها النّاس لا تستوحشوا فى طريق الهدى لقلّه أهله، فانّ النّاس قد اجتمعوا على مائده شبعها قصير، و جوعها طويل، أيّها النّاس إنّما يجمع النّاس الرّضا و السّخط، و إنّما عقر ناقه ثمود رجل واحد فعمّهم اللّه بالعذاب لمّا عمّوه بالرّضا، فقال سبحانه «فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ » فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفه خوار السّكّه المحماه فى الارض الخوّاره أيّها النّاس من سلك الطّريق الواضح ورد الماء، و من خالف وقع فى التّيه.

اللغه

قال الأزهرى (العقر) عند العرب قطع عرقوب النّاقه ثمّ جعل النّحر عقرا

ص:٣٨٢

لأنّ ناحر البعير يعقره ثمّ ينحره و (الخوار) بالضمّ صوت البقر و الغنم و السّهم و الحور المنخفض من الأرض، و الأرض الخوّاره الكثيره الخوار و (خسف) المكان غار فى الأرض و خسفه اللّه يتعدّى و لا يتعدّى و (السّكه) بالكسر حديده الفدّان الّتى تثير بها الأرض و (حميت) الحديده تحمى من باب تعب فهى حاميه إذا اشتدّ حرّها بالنّار و يعدّى بالهمزه فيقال أحميتها فهى محماه و (التّيه) بكسر التّاء المفازه الّتى لا علامه فيها يهتدى بها، و تاه الانسان فى المفازه يتيه ضلّ عن الطريق.

الاعراب

ثمود بالفتحه قبيله من العرب الاولى و هم قوم صالح و صالح من ولد ثمود سمّوا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عائر بن ارم بن سام بن نوح يصرف و لا يصرف، فمن جعله اسم حيّ أو واد صرفه لأنّه حينئذ مذكّر، و من جعله اسم قبيله أو أرض لم يصرفه للتّأنيث و العلميّه، و أرض ثمود قريبه من تبوك، و لمّا عمّوه فى بعض النسخ بتشديد الميم فتكون ظرفيّه بمعنى إذ، و فى بعضها بكسر اللّام و تخفيف الميم فتكون ما مصدريّه، و قوله: فأصبحوا نادمين إن كان أصبح ناقصه بمعنى صار فنادمين خبرها، و إن كانت تامّه بمعنى الدّخول فى وقت الصّباح فهو حال من فاعلها، و يؤيّد الثانى قوله تعالى فى سوره الحجر «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ » و كذا قوله: فما كان، يحتمل أن تكون كان ناقصه و اسمها مضمر فيها أى ما كان الانتقام منهم، و تامّه بمعنى وقع.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الغرض من هذا الكلام ترغيب أصحابه على الثّبات على ما كانوا عليه من سلوك سبيل الحقّ، و لمّا كانت العاده جاريه بأن يستوحش النّاس من الوحده و قلّه الرّفيق فى الطريق لا سيّما إذا كان طويلا صعبا غير مأنوس فنهى عن الاستيحاش فى تلك الطريق و قال:

(أيّها النّاس لا تستوحشوا فى طريق الهدى لقلّه أهله) و كنّى به عمّا عساه

ص:٣٨٣

یعرض لبعضهم من الوسوسه بأنّهم لیسوا علی الحقّ لقلّتهم و کثره مخالفیهم، و أیضا قلّه العدد فی الطّرق الحسیّه مظنّه الهلاک و السّلامه مع الکثره فنبّههم علیه السّلام علی أنهم فی طریق الهدی و السلامه و إن کانوا قلیلین و أنّ طرق الاخره لا تقاس بطرق الدّنیا.

ثمّ نبّه علی قلّه أهل الهدی بأنّ أغلب الناس مفتونون بحبّها الصارف لهم عن طریق الهدی إلی طریق الرّدی فقال:

(فانّ الناس اجتمعوا علی مائده) استعارها للدّنیا و الجامع کونهما مجتمع اللّذات و تفرعها بأنّ(شبعها قصیر وجوعها طویل)و کنّی بقصر شبعها عن قصر مدّتها و بطول جوعها عن استعقاب الانهماک فیها للعذاب الطویل فی الاخره.

قال الشارح البحرانی: لفظ الجوع مستعار للحاجه الطویله بعد الموت إلی المطاعم الحقیقیه الباقیه من الکمالات النفسانیه الفانیه بسبب الغفله فی الدّنیا، فلذلک نسب الجوع إلیها.

و کیف کان ففیه تنفیر للمخاطبین من الاجتماع علی تلک المائده مع المجتمعین علیها من أهل الدّنیا و حثّ لهم علی الاجتماع علی مائده شبعها طویل وجوعها قصیر مع المجتمعین علیها من أهل الاخره.

و انما یحصل ذلک بسلوک صراطهم المستقیم المؤدّی إلی جنّه النعیم عرضها السماوات و الأرض اعدّت للمتقین، اولئک لهم رزق معلوم، فواکه و هم مکرمون، علی سرر متقابلین، یطاف علیهم بکأس من معین، بیضاء لذّه للشاربین، و فاکهه مما یتخیّرون، و لحم طیر مما یشتهون، یسقون من رحیق مختوم، ختامه مسک و فی ذلک فلیتنافس المتنافسون، هذا.

و أما قلّه أهل الهدی فقد اشیر إلیها فی کثیر من آیات الکتاب العزیز و فی أخبار أهل البیت علیهم السّلام، و قد مدح اللّه القلیل و ذمّ الکثیر فی کثیر من آی التنزیل قال تعالی «وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبادِیَ الشَّکُورُ » و قال «وَ قَلِیلٌ ما هُمْ » و قال «وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاّ قَلِیلٌ » و قال «بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ » و قال و اکثرهم لا یشعرون.

ص:۳۸۴

و الغرض منها رفع ما يسبق الى الأوهام العاميه من أنّ الكثره دليل الحقيّه و القلّه دليل البطلان، و لذا يميل أكثر الناس إلى السواد الأعظم مع أنّ فى أعصار جميع الأنبياء كان أعداؤهم أضعاف أتباعهم و أوليائهم.

روى فى البحار من الكافى باسناده عن سماعه بن مهران قال: قال لى عبد صالح عليه السّلام يا سماعه امنوا على فرشهم و أخافونى أما و اللّه لقد كانت الدّنيا و ما فيها إلاّ واحد يعبد اللّه و لو كان معه غيره لأضافه اللّه عزّ و جلّ إليه حيث يقول:

«إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » فصبر بذلك ما شاء اللّه، ثمّ إن اللّه آنسه باسماعيل و إسحاق فصاروا ثلاثه أما و اللّه إنّ المؤمن لقليل و إنّ أهل الكفر كثير أ تدرى لم ذلك؟ فقلت: لا أدرى جعلت فداك، فقال: صيروا انسا للمؤمنين يبثّون إليهم ما فى صدورهم فيستريحون إلى ذلك و يسكنون إليه.

قال المحدّث العلامه المجلسىّ بعد نقله: قوله: و أخافونى، أى بالاذاعه و ترك التقيّه، و الضمير فى أمنوا راجع إلى المدّعين للتشيّع الّذين لم يطيعوا أئمتهم فى التقيّه و ترك الاذاعه و أشار بذلك إلى أنّهم ليسوا بشيعه لنا، و قوله و إنّ أهل الكفر كثير المراد بالكفر هنا المقابل للايمان الكامل كما قال تعالى «وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ » و قوله: أ تدرى لم ذاك؟ أى قلّه عدد المؤمنين مع أنّهم بحسب الظاهر كثيرون أو لأنّ اللّه لم جعل هؤلاء فى صوره المؤمنين، و المعنى أنّ اللّه جعل هؤلاء المتشيّعه انسا للمؤمنين لئلاّ يستوحشوا لقلّتهم أو يكون علّه لخروج هؤلاء عن الايمان، فالمعنى أنّه جعل المخالفين انسا للمؤمنين فيبثّون أى المؤمنون إلى المخالفين أسرار أئمّتهم فبذلك خرجوا عن الايمان.

و يؤيد الاحتمالات المتقدّمه ما رواه علىّ بن جعفر قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: ليس كلّ من يقول بولايتنا مؤمنا و لكن جعلوا انسا للمؤمنين.

و فى البحار من الكافى عن حمران بن أعين قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام:

جعلت فداك ما أقلّنا لو اجتمعنا على شاه ما أفنيناها فقال عليه السّلام: ألا احدّثك بأعجب

من ذلـک المهاجرون و الأنصار إلّا و أشار بيـده(١) ثلاـثه، فقلت: جعلت فـداک مـا حال عمّار؟ قال: رحم اللّه عمّارا أبا اليقظان بايع و مات شهيدا، فقلت فی نفسی: ما شیء أفضل من الشهاده، فنظر الیّ فقال: لعلّک تری أنّه مثل الثلاثه ايهات ايهات.

و فيه من الکافی عن قتيبه الأعشـی قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: المؤمنه أعزّ من المؤمن و المؤمن أعزّ من الکبريت الأحمر فمن رأی منکم الکبريت الأحمر؟ و الأخبار فی هذا المعنی کثيره و فيما رويناه کفايه.

و قوله (أيّها النّاس إنّما يجمع النّاس الرّضا و السّخط) أی يجمعهم فی العذاب رضاهم بالمنکرات و فی الخلاص منه سخطهم لها کمـا أنّه يجمعهم فی الثّواب رضـاهم بالصّالحـات و فی الحرمان منه سـخطهم لها، لأنّ الرّاضـی بفعل قوم کالـداخل معهم فيه، و يدلّ علی ذلک أخبار کثيره.

مثـل مـا فی الوسايـل عن البرقی فی المحاسن عن محمّـد بن مسـلم قال: قال أمير المؤمنين عليه السّـلام إنّما يجمع النّاس الرّضا و السّخط فمن رضی أمرا فقد دخل فيه و من سخطه فقد خرج منه.

و فيه من العيون و العلل باسـناده عن عبد السّـلام بن صالح الهروی قال قلت لأبی الحسن علیّ بن موسـی الرّضا عليهما السّـلام يا ابن رسول اللّه ما تقول فی حـديث روی عن الصّادق عليه السّـلام قال: إذا خرج القائم عليه السّـلام قتل ذراری قتله الحسـين عليه السّـلام بفعال آبائها فقال: هو کـذلک، فقلت: قول اللّه عزّ و جلّ «وَ لا تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْری » ما معناه؟ قال: صدق اللّه فی جميع أقواله، و لکن ذراری قتله الحسـين يرضون بفعـال آبـائهم و يفتخرون بهـا، و من رضـی شـيئا کـان کمن أتـاه، و لو أنّ رجلا قتل بالمشـرق فرضـی بقتله رجل بالمغرب لکان الرّاضـی عند اللّه شـريک القاتل، و إنما يقتلهم القائم عليه السّـلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم.

و فيه من العيون و العلل بهذا الاسناد عن الرّضا عليه السّلام قال: قلت له: لأیّ

ص:٣٨۶

١- (١) - قوله و أشـار بيـده من کلاـم الراوی، و المراد به الاشاره بثلاثه أصابع من يـده و ثلاثه من کلام الامام «عليه السـلام» و المراد بالثلاثه: سلمان، و أبو ذر، و المقداد «بحار»

علّه أغرق اللّه عزّ و جلّ الدّنيا كلّها فی زمن نوح علیه السّلام و فیهم الأطفال و من لا ذنب له؟ فقال: ما کان فیهم الأطفال لأنّ اللّه عزّ و جلّ أعقم أصلاب قوم نوح و أرحام نسائهم أربعین عاما فانقطع نسلهم فغرقوا و لا طفل فیهم، ما کان اللّه لیهلک بعذابه من لا ذنب له، و أمّا الباقون من قوم نوح فاغرقوا بتکذیبهم لنبیّ اللّه نوح علیه السّلام و سائرهم اغرقوا برضاهم بتکذیب المکذّبین، و من غاب عن أمر فرضی به کان کمن شهده و أتاه.

و فیه عن العیّاشی فی تفسیره عن محمّد بن هاشم عمّن حدّثه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: لمّا نزلت هذه الایه «قُلْ قَدْ جاءَکُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِی بِالْبَیِّناتِ وَ بِالَّذِی قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ » و قد علم أن قد قالوا و اللّه ما قتلنا و لا شهدنا، و إنّما قیل لهم: ابرءوا من قتلتهم، فأبوا.

و عن محمّد بن الأرقط عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: تنزل الکوفه؟ قلت: نعم قال:

ترون قتله الحسین بین أظهرکم؟ قال: قلت: جعلت فداک ما بقی منهم أحد، قال:

فأنت إذا لا تری القاتل إلّا من قتل أو من ولی القتل أ لم تسمع إلی قول اللّه «قُلْ قَدْ جاءَکُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِی بِالْبَیِّناتِ وَ بِالَّذِی قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ » فأیّ رسول قتل الذین کان محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بین أظهرهم و لم یکن بینه و بین عیسی رسول، و إنّما رضوا قتل اولئک ف سمّوا قاتلین، هذا.

و لمّا ذکر علیه السّلام إنّ النّاس یجمعهم الرّضا و السخط استشهد علیه بقصّه ثمود فقال:

(و إنّما عقر ناقه) الصالح الّتی جعلها اللّه آیه قومه (ثمود رجل واحد) منهم أزرق أشقر أحمر یقال له: قدار بن سالف، و کان ولد زنا و لم یکن ابن سالف و إنّما ولد فی بیته فانتسب إلیه (فغمّهم اللّه بالعذاب) و هی الصّیحه و الرّجفه و الصاعقه و الزلزله الشّدیده (لما عموه بالرّضا) أی أنزل العذاب علی جمیعهم لما کان الجمیع راضین بذلک الفعل أعنی عقر النّاقه (فقال تعالی) فی سوره الشعراء

(فعقروها) نسب العقر إلى جميعهم لما ذكر (فأصبحوا نادمين) على عقرها عند معاينه العذاب.

و فى سوره هود «وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَهُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ »(۱) و فى سوره الأعراف «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ ».

قال الطبرسى فى تفسير هذه الايه الأخيره: أى الصّيحه، و قيل: الزّلزله هلكوا بها، و قيل: الصّاعقه، و قيل: كانت صيحه زلزلت به الأرض و أصل الرّجفه الحركه المزعجه الشّديده و إنّما قال فأصبحوا جاثمين لأنّ العذاب أخذهم عند الصّباح، و قيل: أتتهم الصّيحه ليلا فأصبحوا على هذه الصّفه، و العرب تقول عند الأمر العظيم: و اسوء صباحاه.

أقول: و يؤيّد الأوّل قوله تعالى فى سوره الحجر «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَهُ مُصْبِحِينَ » و ستعرف تفصيل قصّتهم و تمام الايه المذكوره فى المتن فى التّذنيب الاتى إنشاء اللّه.

(فما كان) عقوبتهم بعد العقر (إلاّ أن) أخذتهم الرّجفه و (خارت أرضهم بالخسفه) أى صوتت بسبب الخسف فى الأرض (خوار السّكه المحماه فى الأرض الخواره) أى مثل تصويت السكه المحدّده التى هى أقوى صوتا و أشدّ غوصا فى الأرض الصّلبه الكثيره الصّوت فاريه بالمحماه المحدّده مجازا بعلاقه ما كان لأنّها تحمى فى النار أوّلا ثمّ تحدّد أو بعلاقه الملازمه.

و أبقاه الشارح المعتزلى على معناه الحقيقى و قال: إنّما جعلها محماه لأنه يكون أبلغ فى ذهابها فى الأرض، لأنّ السّكه المحماه تخرق الأرض بشيئين:

أحدهما تحدّد رأسها، و الثانى حرارته، فانّ الجسم المحدّد إذا اعتمد عليه فى الأرض اقتضت الحراره إعانه ذلك الطرف المحدّد على النّفوذ بتحليلها ما يلاقى من صلابته الأرض، لأنّ شأن الحراره التحليل، فيكون غوص ذلك الجسم المحدّد فى

۱- (۱) - أى صرعى ميّتين لا حركه بهم و أصل الجثوم اللزوم بالمكان، منه.

الأرض أسهل، انتهى و فيه أنّ الحديد عند التسخين مليّن و اللّين يوجب ضعف النفوذ لا قوّته كما هو ظاهر فكيف تكون الحراره معينه على نفوذها.

ثمّ إنّه فسّر الخواره باللّينه و فسّرها الشارح البحرانى بالضعيفه، فيتوجّه عليه أنّ الأرض اللّينه الضعيفه و إن كان نفوذ السكه فيها أبلغ إلاّ أنّها لا يكون لها صوت و إنّما يخرج الصّوت من اصطدام الحديد بالصّلب من الأرض، و لذلك اشترطوا فى خروج الصوت مقاومه المقروع للقارع و المقلوع للقالع، هذا.

و لمّا افتتح كلامه بالنّهى عن الاستيحاش فى سلوك طريق الهدى، ختمه بالترغيب فى سلوكه بالتنبيه على ما فيه من المنافع فقال:

(أيّها النّاس من سلك الطريق الواضح ورد الماء و من خالف وقع فى التّيه) و هو من قبيل إسارل المثل فانّ سالك الجادّه الوسطى يصل المنزل و يرد الماء، و الاخذ باليمين و الشّمال يضلّ عنها و يقع فى المفازه الخاليه من الماء و الكلاء و يهلك من العطش.

و المراد به أنّ ناهج المنهج القويم و الصّراط المستقيم يصل إلى جنات النعيم و يشرب من كوثر و تسنيم، و التارك له صار إلى الجحيم، و وقع فى العذاب الأليم و الخزى العظيم، نعوذ باللّه من اتّباع الهوى و من الضلال بعد الهدى.

تنبيه

ما أوردته فى شرح هذا الكلام له عليه السّلام جريا على مقتضى ظاهره المسوق سوق العموم، و الذى يقتضيه النظر الدّقيق أنّ نظره عليه السّلام فيه إلى أمر الخلافه و الحثّ على متابعته و التحذير و التنفير من متابعه أئمّه الضّلال.

فيكون محصل المعنى على ذلك أمر المخاطبين بعدم الاستيحاش من متابعته و من تخليص الايمان بولايته لقلّه المؤمنين و كثره المنافقين، لأنّ الناس المجتمعين على عوائد أئمه الضلال و موائدهم و المنتفعون من عطيّاتهم و جوائزهم

لا سیّما ما کان فی زمن عثمان و معاویه من خضم مال اللّه خضم الابل نبته الرّبیع قد اجتمعوا علی مائده فیها اللّذه العاجله القلیله و النّقمه الاجله الکثیره و الشّبع القصیر و الجوع الطویل، و حذّرهم عن الرّضا بفعل أئمّه الضّلال من الظلم فی حقّه مضافا إلی البدع و المنکرات الّتی أحدثوها أن یعمّهم العذاب و یحیط بهم کما أحاط بقوم ثمود من أجل رضاهم بما فعله واحد منهم من عقر ناقه اللّه و الظلم فی حقّها ثمّ أکّد علیه السّلام ذلک أی وجوب متابعته و حرمه مخالفته و العدول عنه إلی غیره بالتّنبیه علی أنّ سالک سبیل ولایته یشرب من الرّحیق المختوم، و العادل عنه إلی غیره تاه فی أودیه الضّلال و یسقی من الضریع و الزّقوم.

و من ذلک علم حسن أقحام قصّه ثمود فی البین و ارتباط أجزاء الکلام بعضها ببعض و یزید ذلک وضوحا:

ما رواه فی البحار من الثعلبی باسناد معروف عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یا علی أ تدری من أشقی الأوّلین؟ قال: قلت: اللّه و رسوله أعلم قال: عاقر النّاقه، قال: أ تدری من أشقی الاخرین؟ قال: قلت: اللّه و رسوله أعلم قال: قاتلک، و فی روایه اخری قال:

أشقی الاخرین من یخضب هذه من هذه و أشار إلی لحیته و رأسه.

و فی البحار أیضا من قصص الأنبیاء عن الشحام عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث طویل قال: و إنّما مثل علیّ علیه السّلام و القائم صلوات اللّه علیهما فی هذه الامّه مثل صالح علیه السّلام.

تذنیب

فی تفصیل قصّه صالح و ثمود و کیفیه عقر الناقه فأقول:

قد ذکر اللّه سبحانه هذه القصه فی عدّه سور من کتابه العزیز فی بعضها إجمالا و بعضها تفصیلا و هی سوره الأعراف و هو و الحجر و الشعراء و النمل و السجده و الذاریات و القمر و الحاقّه و الفجر و الشّمس، و نحن نورد الایات المتضمنّه لها فی

سوره الشّعراء تبعا للمتن، و نعقبها بالاخبار الوارده فی تلک القصه قال تعالی:

«کَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِینَ إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالِحٌ أَ لا تَتَّقُونَ إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ ». «الی أن قال» «فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِیعُونِ وَ لا تُطِیعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِینَ اَلَّذِینَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ وَ لا یُصْلِحُونَ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِینَ ما أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآیَهٍ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصّادِقِینَ قالَ هذِهِ ناقَهٌ لَها شِرْبٌ وَ لَکُمْ شِرْبُ یَوْمٍ مَعْلُومٍ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَیَأْخُذَکُمْ عَذابُ یَوْمٍ عَظِیمٍ فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِینَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ » روی الکلینی فی کتاب الرّوضه من الکافی عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن الحسن بن محبوب عن أبی حمزه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سأل جبرئیل کیف کان مهلک قوم صالح؟ فقال: یا محمّد إنّ صالحا بعث إلی قومه و هو ابن ستّ عشره سنه، فلبث فیهم حتّی بلغ عشرین و مأئه سنه لا یجیبونه إلی خیر.

قال: و کان لهم سبعون صنما یعبدونها من دون اللّه عزّ ذکره فلما رأی ذلک منهم قال یا قوم بعث الیکم و انا ابن ستّ عشره سنه و قد بلغت عشرین و مأئه سنه و انا أعرض علیکم أمرین إن شئتم فاسألونی حتّی أسأل إلهی فیجیبکم فیما سألتمونی السّاعه و إن شئتم سألت آلهتکم فان أجابتنی بالذی أسألها خرجت عنکم فقد سئمتکم و سئمتمونی(۱) قالوا: قد أنصفت یا صالح فاتعدو الیوم یخرجون فیه.

قال: فخرجوا بأصنامهم إلی ظهرهم(۲) ثمّ قرّبوا طعامهم و شرابهم فأکلوا و شربوا فلما أن فرغوا دعوه فقالوا یا صالح سل، فدعا صالح کبیر أصنامهم فقال:

ما اسم هذا؟ فأخبروه باسمه، فناداه باسمه فلم یجب، فقال صالح: ما له لا یجیب، فقالوا له: ادع غیره.

۱- (۱) - ای مللت منکم و مللتم منی، منه.

۲- (۲) - ای خارج بلدهم، منه.

قال: فدعاها كلّها فلم يجبه منها شىء(١) فقال: يا قوم قد ترون قد دعوت أصنامكم فلم يجبنى واحد منهم فاسألونى حتّى أدعو إلهى فيجيبكم السّاعه فأقبلوا على أصنامهم فقالوا لها: ما بالكنّ لا تجبن صالحا فلم تجب، فقالوا: يا صالح تنحّ عنّا و دعنا و أصنامنا قليلا.

قال: فرموا بتلك البسط الّتى بسطوها و بتلك الانيه و نحو الثّياب و تمرّغوا فى التّراب و طرحوا التّراب على رؤوسهم و قالوا لها: لئن لم تجبن صالحا لنفضحنّ ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح تعالى فاسألها، فعاد فسألها فلم تجبه، فقال لهم: يا قوم قد ذهب صدر النهار و لا أرى آلهتكم تجيبنى فاسألونى حتّى ادعوا إلهى فيجيبكم الساعه.

فانتدب له منهم سبعون رجلا من كبرائهم و عظمائهم و المنظور اليهم منهم، فقالوا يا صالح نحن نسألك فان أجابنا ربّك تبعناك و أجبناك و بايعك جميع أهل قريتنا، فقال لهم: سلونى ما شئتم، فقالوا: تقدّم بنا إلى هذا الجبل، و كان الجبل قريبا، فانطلق معهم صالح فلمّا انتهوا إلى الجبل قالوا: يا صالح ادع لنا ربّك يخرج لنا من هذا الجبل السّاعه ناقه حمراء شقراء و براء عشراء(٢) بين جنبيها ميل، فقال لهم صالح قد سألتمونى شيئا يعظم علىّ و يهون على ربّى جلّ و عزّ و تعالى.

قال: فسأل اللّه تبارك و تعالى صالح ذلك فانصدع الجبل صدعا كادت تطير منه عقولهم لمّا سمعوا ذلك، ثمّ اضطرب الجبل اضطرابا شديدا كالمرأه إذا أخذها المخاض، ثمّ لم يفجاهم(٣) إلاّ و رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصّدع، فما استتمّت رقبتها حتّى اجترت ثمّ خرج ساير جسدها ثمّ استوت قائمه على الأرض.

فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربّك ادع لنا يخرج

١- (١) - «فلم يجبه واحد منهم خ ل»

٢- (٢) - الشقراء الشديده الحمره الوبراء الكثيره الوبر العشراء التى أتى على حملها عشره أشهر، منه

٣- (٣) أى لم يظهر عليهم شيء من أعضائها إلاّ رأسها. م

لنا فصيلها.

فسأل اللّه عزّ و جلّ ذلك، فرمت به فدبّ حولها فقال لهم: يا قوم أبقى شىء؟ قالوا: لا انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا و يؤمنون «يؤمنوا» بك.

قال: فرجعوا فلم يبلغ السبعون إليهم حتّى ارتدّ منهم أربعه و ستّون رجلا و قالوا: سحر و كذب.

قال: فانتهوا إلى الجميع فقال الستّه حقّ و قال الجميع كذب و سحر، قال:

فانصرفوا على ذلك ثمّ ارتابت من الستّه واحد و كان فيمن عقرها.

قال ابن محبوب: فحدّثت بهذا الحديث رجلا من أصحابنا يقال له سعد بن يزيد فأخبرنى أنّه رأى الجبل الّذى خرجت منه بالشام فرأى جنبها قد حكّ الجبل فأثّر جنبها فيه و جبل آخر بينه و بين هذا ميل.

و فى الروضه عن علىّ بن العبّاس عن الحسن بن عبد الرّحمن عن علىّ بن حجره عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقالُوا أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ أَ أُلْقِیَ الذِّکْرُ عَلَیْهِ مِنْ بَیْنِنا بَلْ هُوَ کَذّابٌ أَشِرٌ».

قال عليه السّلام: هذا بما كذّبوا صالحا و ما أهلك اللّه قوما قط حتّى يبعث إليهم قبل ذلك الرّسل فيحتجّوا عليهم فبعث اللّه عزّ و جلّ إليهم صالحا فدعاهم إلى اللّه فلم يجيبوه و عتوا عليه عتوّا و قالوا: لن نؤمن لك حتّى تخرج إلينا من هذه الصّخره ناقه عشراء، و كانت الصّخره يعظّمونها و يعبدونها و يذبحون عندها فى رأس كلّ سنه و يجتمعون عندها فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبيّا رسولا فادع لنا إلهك حتّى يخرج لنا من هذه الصّخره الصّماء ناقه عشراء، فأخرجها اللّه كما طلبوا منه.

ثمّ أوحى اللّه تبارك و تعالى اليه أن يا صالح قل لهم: إنّ اللّه قد جعل لهذه الناقه من الماء شرب يوم و لكم شرب يوم، فكانت الناقه إذا كان يوم شربها شربت ذلك اليوم الماء فيحلبونها فلا يبقى صغير و لا كبير إلاّ شرب من لبنها يومهم ذلك، فاذا كان الليل و أصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم و لم تشرب النّاقه ذلك اليوم.

فمكثوا بذلك ما شاء اللّه ثمّ إنّهم عتوا على اللّه و مشى بعضهم إلى بعض و قالوا: اعقروا هذه الناقه و استريحوا منها لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم و لها شرب يوم، ثمّ قالوا من الّذى يلى قتلها و نجعل له جعلا ما أحبّ، فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد زنا لا يعرف له أب يقال له قدار شقىّ من الأشقياء مشئوم عليهم، فجعلوا له جعلا، فلمّا توجّهت الناقه إلى الماء الّذى كانت ترده تركها حتّى شربت الماء و أقبلت راجعه فقعد لها فى طريقها فضربها بالسيف ضربه فلم تعمل شيئا فضربها ضربه اخرى فقتلها و خرّت إلى الأرض على جنبها و هرب فصيلها حتى صعد إلى الجبل فرغا ثلاث مرات إلى السماء و أقبل قوم صالح فلم يبق أحد إلّا شركه فى ضربته و اقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير و لا كبير إلّا أكل منها.

فلما رأى ذلك صالح أقبل عليهم فقال: يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم أعصيتم ربّكم؟ فأوحى اللّه تعالى إلى صالح إنّ قومك قد طغوا و بغوا و قتلوا ناقه بعثها اللّه إليهم حجّه عليهم و لم يكن عليهم منها ضرر و كان لهم فيها أعظم المنفعه فقل لهم: إنى مرسل عليكم عذابى إلى ثلاثه أيام فان هم تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و صددت عنهم و إن هم لم يتوبوا و لم يرجعوا بعثت عليهم عذابى فى اليوم الثالث.

فأتاهم صالح فقال لهم يا قوم إنّى رسول ربكم اليكم و هو يقول لكم إن أنتم تبتم و رجعتم و استغفرتم غفرت لكم و تبت لكم.

فلما قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا و أخبث و قالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال: يا قوم إنكم تصبحون غدا و وجوهكم مصفرّه، و اليوم الثانى وجوهكم محمرّه، و اليوم الثالث وجوهكم مسوّده.

فلما أن كان أوّل يوم أصبحوا و وجوههم مصفرّه فمشى بعضهم إلى بعض و قالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح فقال العتاه منهم: لا نسمع قول صالح و لا نقبل قوله و إن كان عظيما.

فلمّا كان اليوم الثانى أصبحت وجوههم محمرّه فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح فقال العتاه منهم: لو أهلكنا جميعا ما سمعنا قول صالح و ما تركنا آلهتنا الّتى كان آباؤنا يعبدونها و لم يتوبوا و لم يرجعوا فلمّا كان اليوم الثالث أصبحوا و وجوههم مسودّه فمشى بعضهم إلى بعض فقال: يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح فقال العتاه منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح.

فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل عليه السّلام فصرخ بهم صرخه خرقت تلك الصّيرخه أسماعهم و فلقت قلوبهم و صدعت أكبادهم و قد كانوا فى تلك الثلاثه أيام قد تحنّطوا و تكفّنوا و علموا أنّ العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين فى طرفه عين صغيرهم و كبيرهم فلم يبق منهم ناعقه و لا راعيه و لا شىء إلّا أهلكه اللّه فأصبحوا فى ديارهم و مضاجعهم موتى أجمعين، ثمّ أرسل اللّه عليهم مع الصّيحه النّار من السماء فأحرقتهم أجمعين، و كانت هذه قصّتهم.

و رواه المحدّث العلّامه المجلسىّ فى البحار من الرّوضه كما نقلناه. و قال بعد روايته:

«ايضاح» قوله: كذّبث ثمود بالنذر، بالانذارات أو المواعظ أو الرّسل، فقالوا أبشرا منّا من جنسنا و جملتنا لا فضل له علينا، انتصابه بفعل يفسّره ما بعده، واحدا، منفردا لا تابع له أو من آحادهم دون أشرافهم، نتّبعه إذا لفى ضلال و سعر، كأنّهم عكسوا عليه فرتّبوا على اتّباعهم إيّاه ما رتّب على ترك اتّباعهم له، ء القى الذّكر، الكتاب و الوحى، عليه من بيننا، و فينا من هو أحقّ منه بذلك، بل هو كذّاب أشر، حمله بطره على الرّفع علينا بادّعائه.

و الشرب بالكسر النصيب من الماء، و الأشقر من النّاس، من تعلو بياضه حمره، لا يعرف له أب أى كان ولد زنا، و انّما كان ينسب «الى سالف ظ» لأنّه كان ولد على فراشه، قال الجوهرى: قدار بضمّ القاف و تخفيف الدّال يقال له أحمر ثمود و عاقر ناقه

صالح انتهى.

و رغـا البعير صوّت و ضـجّ، لم يبق منهم نـاعقه و لاـ راعيه أى لم يبق جمـاعه يتأتى منهم النّعيق و الرّعى، و النعيق صوت الرّاعى بغنمه، و فى بعض النسخ ثاغيه و لا راغيه أى شاه و لا ناقه.

و فى مجمع البيـان فـاذا كـان يوم النّـاقه وضـعت رأسـها فى مـائهم فما ترفعه حتّى تشـرب كلّ ما فيه ثمّ ترفع رأسـها فتفجـج لهم فيحتلبون ما شاءوا من لبن فيشربون و يدّخرون حتّى يملاؤا أوانيهم كلّها.

قال الحسن بن محبوب: حدّثنى رجل من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقه بين الجبلين و رأيت أثر جنبيها فوجـدته ثمانين ذراعا و كانت تصـدر من غير الفـجّ الّذى منه وردت، و لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد لأـنّه يضـيق عنها و كانوا فى سـعه و دعه منها، و كانوا يشـربون الماء يوم الناقه من الجبال و المغارات، فشقّ ذلك عليهم و كانت مواشيهم تنفر عنها لعظمها فهمّوا بقتلها.

قالوا: و كانت امرأه جميله يقال لها: صدوف، ذات مال من إبل و بقر و غنم و كانت أشدّ النّاس عداوه لصالح عليه السّلام فدعت رجلاـ يقـال له: مصـدع بن مهرج، و جعلت له نفسـها على أن يعقر النـاقه، و امرأه اخرى يقال لها: عنيزه، دعت قـدار بن سالف و كان أحمر أزرق قصـيرا و كان ولـد زنا و لم يكن لسالف الّـذى يدّعى اليه و لكنه ولد على فراشه، و قالت له: اعطيك أىّ بناتى شئت على أن تعقر الناقه و كان قدار عزيزا منيعا فى قومه، فانطلق قدار بن سالف و مصدع فاستغويا غواه ثمود فاتبعهما سـبعه نفر و أجمعوا على عقر الناقه.

قال السدى: و لما ولد قدار و كبر جلس مع اناس يشـربون الشراب، فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم و كان ذلك اليوم شرب الناقه فوجدوا الماء قد شربته الناقه، فاشتدّ ذلك عليهم فقال قدار: هل لكم فى أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم.

ص:۳۹۶

و قال كعب: كان سبب عقرهم الناقه أنّ امرأه يقال لها: ملكاء كانت قد ملكت ثمود، فلما أقبل الناس على صالح و صارت الرياسه إليه حسدته، فقالت لامرأه يقال لها قطام و كانت معشوقه قدار بن سالف، و لامرأه اخرى يقال لها اقبال و كانت معشوقه مصدع، و كان قدار و مصدع يجتمعان معهما كلّ ليله و يشربون الخمر فقالت لهما ملكاء: إذا أتاكما الليله القدار و مصدع فلا تطيعاهما و قولا-لهما إنّ الملكاء حزينه لأجل الناقه و لأجل صالح، فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقه، فلما أتياهما قالتا هذه المقاله لهما، فقالا: نحن نكون من وراء عقرها.

قالوا: فانطلق قدار و مصدع و أصحابهما السبعه فرصدوا الناقه حين صدرت عن الماء، و قد كمن لها قدار فى أصل صخره على طريقها، و كمن مصدع فى أصل اخرى، فمرّت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضله و خرجت عنيزه و أمرت ابنتها و كانت من أحسن الناس فأسفرت لقد ارثمّ زمّرته(۱) فشدّ على الناقه بالسّيف فكشف عرقوبها فخرّت و رغت رغاه واحده تحذر سقبها «سقيتها خ»، ثمّ طعن فى لبّتها فنحرها و خرج أهل البلده و اقتسموا لحمها و طبخوه.

فلمّا رأى الفصيل ما فعل بامّه ولّى هاربا حتّى صعد جبلا ثمّ رغا رغاء تقطّع منه قلوب القوم، و أقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنّما عقرها فلان و لا ذنب لنا.

فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه فى الجبل فلم يجدوه، و كانوا عقروا النّاقه ليله الأربعاء فقال لهم صالح: تمتّعوا فى داركم يعنى فى محلّتكم فى الدّنيا ثلاثه أيّام، فانّ العذاب نازل بكم.

ثمّ قال يا قوم إنكم تصبحون غدا و وجوهكم مصفرّه، و اليوم الثانى تصبحون و وجوهكم محمرّه، و اليوم الثالث وجوهكم مسودّه.

۱- (۱) - زمرته أى شجّعته و حضّته م

فلمّا كـان أوّل يوم أصبحت وجوهم مصفرّه فقالوا جاءكم ما قال لكم صالح، و لمّا كان اليوم الثانى احمرّت وجوههم، و اليوم الثّالث اسودّت وجوههم.

و لمّا كان نصف الليل أتاهم جبرئيل عليه السّلام فصرخت بهم صرخه خرقت أسماعهم و صدعت أكبادهم و فلقت قلوبهم، و كانوا قد تحنطوا و تكفّنوا و علموا أنّ العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين فى طرفه عين صغيرهم و كبيرهم، فلم يبق اللّه منهم ثاغيه و لا راغيه و لا شيئا يتنفّس إلاّ أهلكها فأصبحوا فى ديارهم موتى جاثمين، ثمّ أرسل اللّه إليهم مع الصّيحه النار من السماء فأحرقتهم أجمعين.

و فى كتاب علىّ بن إبراهيم فبعث اللّه عليهم صيحه و زلزله فهلكوا.

نعوذ باللّه من غضب اللّه و سخطه، و نتوسّل إليه بمحمّد و آله أن لا يؤاخذنا بأعمالنا، و أن يغفر لنا و يصفح عنّا فانّه كريم الصّفح، و عظيم المنّ، و حسن التجاوز، و ولىّ الاحسان، و الكرم و الامتنان، و على كلّ شىء قدير، و بالاجابه جدير.

الترجمه

از جمله كلام بلاغت نظام آن امام أنام عليه السّلام است در تحريص مردمان براه هدايت و تحذير ايشان از طريق ضلالت مى فرمايد.

أى مردمان مستوحش نباشيد در راه هدايت بجهت كمى اهل آن پس بدرستى كه خلق جمع شده اند بر طعامى كه سير بودن از آن زمانش كوتاه و گرسنگى آن مدّتش طولانيست، اى مردمان بدرستى كه جمع ميكند خلق را در عذاب الهى رضا شدن ايشان بمناهى و خشمناك بودن ايشان بطاعات، و جز اين نيست كه پى نمود ناقهٔ قوم صالح پيغمبر عليه السّلام را يك نفر از ايشان، پس شامل كرد خداى تعالى بجميع ايشان عذاب را وقتى كه همهٔ ايشان راضى شدند بفعل قبيح آن يك نفر، پس فرمود خداوند در كتاب مجيد خود «فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ » يعنى پى كردند و كشتند آن قوم ناقه را پس صباح نمودند در حالتى كه پشيمان بودند، پس نشد مؤاخذه

ص:٣٩٨

و انتقام ایشان مگر این که صـدا کرد زمین ایشان بجهت زلزلـهٔ شدیـده و فرو رفتن در زمین مثل صدای آهن تیز شده که زمین را با آن شـخم میکننـد در زمینی که بسـیار صدا کننده باشد هنگام شـخم، أی مردمان هر که راه برود در راه آشـکار و راسـت وارد می شود باب، و هر که تخلّف نماید می افتد به بیابان گمراهی و هلاکت.

هنا انتهی الجزء الثانی عشـر من هذه الطبعه النفیسه القیّمه، و قد تمّ تصحیحه و تهذیبه و ترتیبه بید العبد - السید ابراهیم المیانجی - عفی عنه و عن والدیه، و ذلک فی - ۲۵ - من شهر شعبان سنه - ۱۳۸۲ - و یلیه انشاء الله الجزء الثالث عشر و أوّله:

«و من کلام له علیه السّلام عند دفن الزّهراء سلام الله علیها» و الحمد للّه أولا و آخرا.

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ .ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹


قائمیه
مرکز تحقیقات رایانه ای
اصفهان
www
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹